

# تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

شرح

بشارة يوحنا



1947

اهداعات ٢٠٠٦

دار الثقافة

المدينة الإنجيلية والقبطية

# شرح بشارة يوحنا

الجزء الثاني

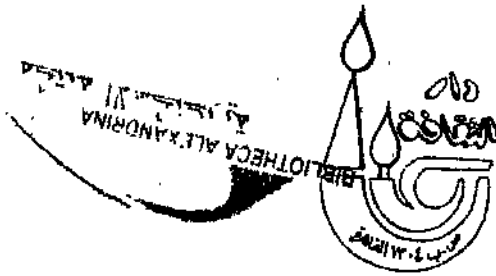
( من الأصحاح الثامن - الأصحاح الحادي والعشرين )

للككتور

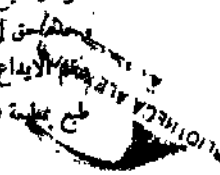
وليم باركلي

ترجمة

الدكتور عزت زكي



صدر عن دار الثقافة ص . ب ١٣٠٤ - القاهرة  
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار ( فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة  
نشر أو طبع بالرونقو الكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وناشر  
هذا الكتاب ( إعادة الطبع ) ٣٧٤ ط ٢ ( أ ) ٨٢ / ( ٥ - ١٠ )  
تتم الأيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٢٤١٥ دولى رقم ٦ - ١٠ - ٢٣٥ / ٩٧٧  
طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة بالقاهرة



# تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

دكتور بطرس عبد الملك الأستاز جيب سعيّد

القسّ صموئيل جيبّ القسّ فايز فارس

القسّ فهد سيم عزيز



## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	الأصحاح العاشر		الأصحاح الثامن
١١٠	الراعى ورعيته	١١	بين التعاسة والمراحم
١١٩	الباب المؤدى إلى الحياة	٢٨	يوم أخفق العالم في معرفة النور
١٢٤	الراعى الصالح والراعى الزائف	٤٠	عدم الفهم المميت
١٢٨	الوحدة القصوى	٤٩	التلمذة الحقيقية
١٣٥	اختبار المحبة	٥٣	بين الحرية والعبودية
١٣٨	مختل العقل أم ابن الله	٥٧	البنوة الحقيقية
١٤١	الدعوى والوعد	٦١	أبناء الشيطان
١٥٠	الثقة الكاملة والحق الأعظم	٦٧	الالتهام القاسى والإيمان اللامع
١٥٤	الدعوة إلى الاختبار الحاسم	٧٢	الحياة والمجد
١٦٠	هدوء قبيل العاصفة	٧٥	الادعاء الكبير
	الأصحاح الحادى عشر		الأصحاح التاسع
١٦٢	في الطريق إلى المجد	٨١	نور لعيون المظلمة
١٦٧	وقت كاف ولكنه ليس كثيراً	٨٨	خطوات معجزة
١٧٠	النهار والليل	٩٣	الرأى المتحامل والافتناع الكامل
١٧٤	الرجل الذى لم يشأ أن يترك يسوع	٩٧	يسوع يتحدى الفريسيين
١٧٨	بيت النوح	١٠٣	الإعلان والدينونة
١٨٢	القيامة والحياة	١٠٦	أعظم فأعظم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٣	الغسل الأُلزم	١٩٣	عواطف يسوع
٢٨٧	عار الحياة ومجد الإخلاص	١٩٩	النداء الذى يوقظ الموتى
٢٩١	نداء المحبة الأخير	٢٠٢	إقامة لعازر من الموت
٢٩٨	أركان المجد الأربعة	٢٠٩	المعارقة الساخرة
٣٠١	وصية الوداع	٢١٥	يسوع الخارج على القانون
٣٠٥	الوفاء المترنج		الأصحاح الثانى عشر
	الأصحاح الرابع عشر	٢١٩	المحبة المتلفة
٣٠٨	موعد المجد	٢٢٥	تطرف المحبة
٣١٦	الطريق والحق والحياة	٢٢٩	محاولة لتعطيم الدليل الناصع
٣٢١	رؤيا التقدير	٢٣٣	استقبال ملكى
٣٢٩	وعود ثمينة	٢٤٢	اليونانيون ويسوع
٣٣٤	المعين — الوعد القديم	٢٤٥	اللغز المذهل
٣٤٠	الطريق إلى الشركة والإعلان	٢٥٤	من الاضطراب إلى اليقين
٣٤٣	تركة المسيح	٢٦١	أبناء النور
	الأصحاح الخامس عشر	٢٦٤	عدم الإيمان الأعمى
٣٤٧	الكرمة والأغصان	٢٦٨	إيمان الجبناء
٣٥٦	حياة شعب يسوع المختار	٢٧١	الدينونة الحتمية
٣٦٤	كراهية العالم		الأصحاح الثالث عشر
٣٧٥	المعرفة والمسئولية	٢٧٥	التراج على رأس الخدمه



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٤٨	يسوع أمام حنان	٣٧٧	الشهادة البشرية والشهادة الإلهية
٤٥٣	البطل والجبان		الأصحاح السادس عشر
	الأصحاح التاسع عشر	٣٧٩	التحذير مع التحدى
٤٦٠	يسوع أمام بيلاطس	٣٨٤	عمل الروح القدس
٤٩٤	في الطريق إلى الصليب	٣٨٩	روح الحق
٤٩٧	مقامرون في مشهد الموت	٣٩٥	الحزن يتحول إلى فرح
٥٠٢	محبة ابن	٤٠٢	الطريق المباشرة
٥٠٦	نهاية ظافرة	٤٠٥	المسيح وهباته
٥١٠	الماء والدم		الأصحاح السابع عشر
٥١٥	أشوا الكوز هور في بستان الجلجثة	٤١٠	مجد الصليب
٥٢١	المدايا الأخيرة لیسوع	٤١٥	الحياة الأبدية
	الأصحاح العشرون	٤١٩	عمل يسوع
٥٢٥	المحبة الذاهلة	٤٢١	معنى التلمذة
٥٢٨	الاكتشاف الأعظم	٤٢٥	صلاة يسوع لأجل تلاميذه
٥٣١	المعرفة الأعظم	٤٣٣	لمحة من المستقبل
٥٣٥	المناداة بالأخبار السارة	٤٣٦	العطية وموعد المجد
٥٣٩	تكليف المسيح		الأصحاح الثامن عشر
٥٤٥	إقناع المتشكك	٤٤٠	إلقاء الأيدي في البستان

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٥٧	حقيقة القيامة	٥٤٩	توما في الأيام التالية
٥٥٩	عمومية إرسالية الكنيسة	٥٥٢	هدف البشارة
٥٦١	راعى رعية المسيح		
٥٦٥	الشهادة للمسيح		الأصحاح الحادى والعشرون
٥٦٧	المسيح عمير المحدود	٥٥٤	المسيح المقام

شرح بشارة يوحنا  
الجزء الثانى



## الأصحاح الثامن

بين التعاسة والمراحم

أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ  
ثُمَّ حَضَرَ أَيْضاً إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصَّبْحِ وَجَاءَ إِلَيْهِ  
جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ . وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكُتْبَةُ  
وَالْفَرِيسِيُّونَ أَمْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنَا . وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي  
الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ يَا مَعْلَمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي  
فِي ذَاتِ الْفِعْلِ . وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ  
هَذِهِ تُرْجَمُ . فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ . قَالُوا هَذَا لِيُجَرَّبُوهُ لِكَيْ  
يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ . وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَى إِلَى  
أَسْفَلِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِأَصْبُعِهِ عَلَى الْأَرْضِ . وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا  
يَسْأَلُونَهُ أَنْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِالْأَخْطِيَّةِ  
فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ . ثُمَّ انْحَى أَيْضاً إِلَى أَسْفَلِ وَكَانَ  
يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ . وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ

تُبَكِّهُمُ خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى  
 الْآخِرِينَ . وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَأَقْفَةٌ فِي الْوَسْطِ .  
 فَلَمَّا أَنْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ  
 لَهَا يَا امْرَأَةُ آيْنَ هُمْ أَوْلِيكَ الُمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ . أَمَا دَانَكَ  
 أَحَدٌ . فَقَالَتْ لَا أَحَدٌ يَا سَيِّدُ . فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ وَلَا أَنَا  
 أَدِينُكَ . أَذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا .

( يوحنا ٨ : ١ - ١١ )

لقد نصب الكتبة ، والفريسيون شباكهم ، ليأخذوا يسوع بكلمة .  
 وهنا ظنوا أن الشباك قد أحكمت تماماً وأنه لن يستطيع منها الإفلات .  
 وغنى عن القول ، إنه جرت العادة ، في زمن المسيح ، حينما كانت تعرض  
 مشكلة للمجتمع ، كانت ترفع للمعلم ، أو الربى ، ليتخذ قراره فيها وكان  
 هذا أمراً طبيعياً . وهكذا أتى الكتبة ، الفريسيون إلى « يسوع » ، كمن يتخذ  
 مركز الربى المعلم ، حاملين معهم مشكلة : امرأة أمسكت وهي تزني في  
 ذات الفعل . ولم تكن ثورتهم إزاء كسر الوصية السابقة ، ثورة مفتعلة .  
 فلقد كانت جريمة الزنا ، في عرف الناموس اليهودى ، جريمة بشعة نكراء ،  
 وعن الربيين الأجرار نقرأ قولهم : « على كل يهودى أن يتمنى لنفسه  
 الموت ، قبل أن يرتكب جريمة عبادة الوثن ، أو القتل ، أو الزنا » .  
 لفظاً كانوا يعتبرون الزنا ، واحدة من الخطايا الثلاث الكبرى .

أما حكم الناموس في تلك الجريمة ، فقد كان واضحاً محددًا . ومع  
 تبين طرق تنفيذ حكم الموت ، فإن الناموس لم يترك مجالاً للغموض ،

إزاء عقوبة تلك الجريمة . في سفر اللاويين ( ٢٠ : ١٠ ) يرد القول :  
« إذا زنى رجل مع امرأة ، فاذا زنى مع امرأة قريبه ، فإنه يقتل الزانى ،  
والزانية » .

هنا لا نجد تفصيلاً لطريقة تنفيذ الحكم ..

وفي سفر التثنية ( ٢٢ : ٢٣ - ٢٤ ) يتحدث الناموس الموسوى ،  
عن تنفيذ عقوبة الموت ، في فتاة مخطوبة ، أغراها رجل ، وسلبها أعز  
ماتملك . في مثل هذه الحالة ، يخرج الإثنان خارج أبواب المدينة ، ويقتلان  
رجماً بالحجارة حتى الموت . « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ،  
فوجدوها رجل في المدينة ، واضطجع معها ، فأخرجوهما كليهما إلى  
باب تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا . الفتاة من أجل أنها لم  
تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه » . وعن  
« المشنا » وهو مجموع التعليقات اليهودية على الناموس ، نقرأ أن عقوبة  
الزنا هي الموت شنقاً . حتى طريقة الشنق يفصلها تفصيلاً ..

« يوضع الرجل في حفرة ممتلئة بروث الحيوان حتى ركبته ، وتلف  
فوطتان ، الواحدة جافة من الخارج ، والثانية لينة في داخلها ، حول  
رقبته . ( وذلك حتى لا تبدو في المهم أية علامة خارجية ، لأن العقاب  
إلهي ) ثم يتجاذب طرفي الفوطة المطوية رجلان ، واحد من هذا الطرف ،  
والثاني من الطرف الآخر ، بكل قواهما حتى تخمد أنفاسه » .

ويزيد المشنا أيضاً ، أن عقوبة الفتاة المخطوبة التي تفرط في عفافها ،  
هي الموت رجماً . فمن وجهة النظر الموسوية القانونية ، لم يكن الكتابة  
والفريسيون مخطئين في أن الموت هو الجزاء العادل القانوني ، لتلك المرأة  
التي أمسكت في ذات الفعل ، وثبت للجميع أنها مدانة .

وحيثما جابه الكتبة والفريسيون شخص المسيح بتلك الحالة ، كانت  
لمكيده التي دبورها له على النحو التالي : لو قرر السيد أن المرأة بالفعل  
تستحق الموت ، فسيكون من نتيجة ذلك حدوث أمرين - الأول أنه  
سيفقد للابد تعاطف الجماهير معه ، ومحبتهم له . وثقتهم بأنه الرحيم ، المحب ،  
صاحب القلب الكبير ، صديق العشارين والخطاة . والأمر الثاني ، هو أنه  
سوف يصطدم مع القانون الروماني ، لأنه لم يكن لليهود السلطان على تنفيذ  
عقوبة الموت في أي إنسان ، إلا من تثبت إدانته أمام الحاكم الرومانية .  
ومعكنا إن أقر يسوع شرعية إعدام هذه المرأة ، فسوف يفقد محبة ، وإخلاص ،  
عامه الطبقات ، كما سيظهر ، أمام السلطات الرومانية ، بصورة المتحرد على  
سلطان روما ، التأثير على قوانينها . ومن الجانب الآخر ، إن نادى بالعفو عنها ،  
ومساحتها ، وإطلاقها حرة ، فإن هذا قد يوول على أنه يعلم الناس ، الاستهانة  
بناموس موسى ، ويشجعهم على التهاون ، بصدد خطية الزنا . هذا هو الفخ  
الذي نصبه الكتبة ، والفريسيون ، وظنوا أنهم قد أحكموه إحكاماً ، ولن  
يستطيع السيد منه فكاً كا . ولكن يسوع رد كيدهم إلى نحرهم ، ووجه إليهم  
نفس السهم الذي وجهوه إليه .

وفي سياق القصة يخبرنا البشير يوحنا أن المسيح لم يجهم على الفور ،  
بل انحنى ، وابتدأ يكتب باصبعه على الأرض . ترى مامعنى هذا ؟ ولماذا  
تصرف يسوع على هذا النحو ؟ .

هناك افتراضات أربعة أمام هذا التصرف ، يمكن أن تلقى بعض الضوء .

١ - الافتراض الأول ، أن يسوع أراد أن يكسب وقتاً ، ولم يشأ  
أن يتجه إلى قرار سريع في قضية خطيرة نظير هذه . لقد كان يبحث



المشكل من كافة جوانبه ، ولعله في تلك الفترة ، رفع قلبه إلى الآب .  
في صلاة سرية .

٢ - وفي بعض النسخ الأصلية تُرد الكلمة . . « وكأنه لم يسمعهم »  
هذه الإضافة وردت في الترجمة الإنكليزية المعتمدة<sup>(١)</sup> ، بحروف صغيرة ،  
إشارة إلى أنها غير موجودة في معظم المخطوطات الشهيرة ، لكنها أضيفت  
لتوضيح معنى الفقرة ، ولتلقى ضوءاً على أحداثها . ولعل يسوع أراد بهذا  
الصمت ، أن يدفع أولئك الشهود ، إلى إعادة النظر في أقوالهم ، وفي  
الدوافع القاسية التي تكمن وراء إتهامهم .

٣ - ولأحد الكتاب المعروفين<sup>(٢)</sup> رأيه الذي يستحق الإثبات .  
في هذا الصدد يقول مامعناه ، إن « يسوع » قد امتلأ بروح الحجل والألم ،  
إزاء خطية الإنسان ، ممثلة أيضاً ، في قسوة المشتكين عليها ، وضمايرهم  
الجامدة . وهكذا تحاشى تلك النظرات النارية التي تشع بالقسوة ، والغرور  
والأنانية ، فأحنى وجهه إلى الأرض ، بروح الحزن ، والألم المرير . لقد  
اجتمعت أمامه صورة خزي المرأة ، وعارها ، وجمود متهميها ، وشرهم  
والحبث الذي يدفعهم إلى مجابهة السيد بمثل هذه الحالة ، ثم نظرات الجموع  
المتسائلة ، التي تتطلع في انتظار وذهول - كل هذه الصور اجتمعت أمام  
يسوع لتعصر قلبه في ألم وضيق ، يمزج بالإشفاق والمراحم . وهكذا أحنى  
وجهه عنهم .

٤ - على أن أوضح افتراض تبدو عليه مسحة من المنطق ، ماورد في  
بعض النسخ المتأخرة من ترجمات العهد الجديد - في الترجمة الأرمنية نقرأ  
الفقرة على هذا النحو : « أما هو ، فأحنى رأسه ، وابتدأ يكتب على

Authorised Version (١)

“ Ecce Homo ” Seeley (٢) في كتابه

الأرض ، ليعلم لهم خطاياهم ، وهكذا رأى كل واحد خطاياهم العديدة ،  
منقوشة على الأحجار . هنا نرى أن «يسوع» قد رد على آثامهم للمرأة بطريقة  
صامتة مفحمة ، حينما كتب لهم على الأرض مضمون خطاياهم ، أولئك  
الذين نصبوا من أنفسهم قضاة ، وجلسوا على كراسي الحكم ، ليصدروا  
حكم الدينونة على إنسانة تتساوى معهم في المذنبية والقصاص . وقد يكون  
في اللغة الأصلية اليونانية ما يستند لهذا الرأي . فالكلمة المرادفة لكلمة «يكتب»  
في اليونانية القديمة هي «جرافين» ، ولكن الكلمة التي وردت في البشارة  
هي «كاتا جرافين» التي قد تعني ، يسجل تقريراً ضد إنسان ما ( المقطع  
«كاتا» من أحد معانيه : ضد ) - نفس الكلمة وردت في سفر أيوب ،  
حينما راح يتحدث إلى خالقه بروح العتاب (أيوب ١٣ : ٢٦) قائلاً ..

« لأنك كتبت على أموراً مرة » الكلمة مرادفة لكلمة «كاتا جرافين» .

وهكذا يجابه يسوع أولئك المغترين بنواتهم ، بتقرير عن خطاياهم .  
لقد ألح الكتبة والفريسيون عليه في أن يقدم لهم حلالاً لذلك المشكل .. حكماً  
في هذه القضية ، وها هو يقدمه لهم . إنه يقول لهم ما معناه :

« أتريدون أن تفتدوا الحكم فيها ؟ تقدموا . أتريدون أن تجلسوا على  
كراسي الحكم ؟ تعالوا . هل تلهب قلوبكم شوقاً إلى رؤية الدماء تتفجر من  
جراحها ؟ أرجموها . ولكن ليلق بالحجر الأول ، من يوقن في نفسه أنه  
بلا خطية » - « من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر » .

وكلمة بلا خطية ، لا تعني فقط أنه لم يرتكب خطية ، بل تعني أيضاً  
لاتساوره حتى مجرد الرغبة الحاطئة . وكأن يسوع يقول لهم : « تستطيعون

أن ترجموها على أساس أنه لا يساوركم حتى مجرد الشوق إلى رجمها ، وإنهاء حياتها بأيديكم » . وساد سكون إلى فترة وجيزة . ثم تسلل الواحد منهم بعد الآخر ، وهو يلقي من يده الحجر الذي اختاره لرجمها .

ولم يبق في المكان غير يسوع ، ، واقفاً أمام المرأة المنهارة المتهاككة على الأرض ، في خزيها ، وعارها . وكما يقول القديس أوغسطينوس : « وقفت المراحم العظمى وجهاً لوجه أمام التماسة العظمى » . وإذا بصوت السيد يرن هاتفاً « يا امرأة ، أين هؤلاء المشتكون عليك ؟ أما دانك أحد ؟ » فتجيبه بصوت أسيف « لأحد يا سيد ؟ » فيصدر رب الأجيال والدهور حكمه عليها « ولا أنا أدينك حتى هذه الساعة . ولكن إن عادت قدماك إلى المسير مرة ثانية في نفس الطريق ، فستكون لك الأواخر أشد من الأوائل ، إذهي ، ولا تخطئي أيضاً واقليبي صفحة جديدة بيضاء ... »

## بين التعاسة والمراحم

إن الضوء الكبير الذى تقدمه لنا هذه الفقرة ، هى أنها تبين لنا عينات من مواقف البشر . فهى تكشف لنا عن حقيقتين ، بصدد موقف الكتبة والفريسيين . . . . .

١ - إنها تظهر لنا قبل كل شيء ، مفهوم السلطان لديهم . لقد كان الكتبة ، والفريسيون ، أخصائيى الناموس فى عصرهم ، متمرسين ، وعارفين بكل أسرار بنوده ، كان كل اتجاههم يشير إلى أنهم يفهمون السلطان على أنه نقد للآخرين ، وتجريح وإدانة لهم . أما أن يقوم السلطان على أساس العطف . . . أما أن يكون هدفه اصلاح الخاطيء ، وليس تخطيمه ، فهذا ما لم يخطر لهم على بال . وعلى أساس هذا المفهوم الخاطيء ، نصبوا من أنفسهم قضاة ، وحراساً على الشعب ، يحصون كل هفوة منه فى حق الناموس ، وكل انحراف عن بنوده ، وحدوده ، ويوقعون أقسى القصاص الوحشى ، على من يجيد عنه ، أو يتهاون فى وصاياه . وهكذا ظنوا أن من حقهم محق الخطية عن طريق سحق الخاطيء . ولم يدريخلدهم يوماً ، ان من واجبهـم - كمن يجلسون على كراسى القضاء والحكم - أن يعاملوا الإنسان الخاطيء كمرريض يحتاج إلى العلاج ، يتقدمون إليه بالعطف والمراحم .

وحتى يومنا الحاضر ، يوجد أناس ، يعتقدون أن المجتمع قد رفعهم إلى

مراكز قيادية ليدنوا سواهم ، ويصدروا أحكامهم على من هم دونهم ،  
ينتصبون من أنفسهم كلاب حراسة على المجتمع ، من وظيفتها أن تمزق  
المدن تمزيقاً . ولكن السلطان الحقيقي ، ينبغي أن يبني على العطف . . على  
شعور الإنسان بالعجز والضعف ، وإحساسه بمساواته في المذنبية مع  
سواه . . .

عن جورج هويتفيلد يروي ، أنه شاهد مجرماً في طريقه إلى جيل المشنقة ،  
وعندها صاح هاتفا بكلمته المأثورة . . « هنا يمضي هويتفيلد إلى مصيره  
لولا نعمة الله »

وهذا هو الواجب الأول ، لمن يسكون بين أيديهم بمقاليد السلطان ،  
أن يضعوا انفسهم في موضع المذنب ، والظروف التي احاطت به ، ويدركوا  
الدوافع الخفية التي دفعته إلى مثل هذا التصرف ، والملايسات التي خلقت  
من الخطية إغراء ، ومن الإغراء دافعاً لا يقاوم ، دفع بالإنسان إلى التعثر  
والأنهيار ، وتحطيم كل المبادئ الخلقية . لا أحد يستطيع أن يصدر حكماً  
صائباً عادلاً على من ، ما لم يضع في اعتباره ، الظروف التي جاز فيها هذا  
المثم . إن عقاب المثم ينبغي أن يأتي في المرتبة الثانية في اعتبار السلطة  
الحاكمة . وإن كانت مهمة السلطات ، هي الضغط على المثم ، لدفعه  
إلى اليأس ، أو الندامة الكثيرة الحزينة في مرارة العقاب القاسي ، فهي  
بلا شك تتكبد عن طريق الصواب . إن أعظم خدمة تقدمها السلطات للمجتمع  
لا أن تسحق الخاطيء ، بل أن تحوله إلى أداة نافعة ، واولئك الذين يحتلون  
كراسي السلطة ، ينبغي أن يكون شأنهم شأن الطبيب الحكيم ، الذي يرغب  
في شفاء مريضه ، وعودته صحيحاً سالماً للمجتمع .

٢ - وهذه الحادثة تظهر بأكثر وضوح ، موقف الكتبة والفريسيين

من الشعب ، وروح العداء التي تملأ قلوبهم . اولئك الكتبة والفريسيون ، ما كانوا ينظرون إلى تلك المرأة على أنها انسان . . مخلوق بشري ؛ لقد كانوا يعتبرونها مجرد شيء . . وفي روح العداء التي كانوا يضمرونها ليسوع ، وجدوا فيها مخلب القط الذي يوصلهم لأغراضهم . شباك الفخ الذي نصبوه ليقعوا السيد فيه . إنها مجرد اداة لتحقيق أهدافهم . . فهي في عرفهم بلا اسم ، ولا ذاتية ، ولا قلب ، ولا مشاعر ، ولا عواطف .

هذه النظرة للكائن البشري ، هي ولا شك نظرة خاطئة . نظرة غير إنسانية . . نظرة لا تشرف صاحبها . وكم يحدث أن يصدر نفس التصرف ، من أناس يتسمون إلى اسم المسيح كما قيل عن «بياتريس وب» التي عرفت فيما بعد باسم «لادي باسمور» الخبيرة الاقتصادية المعروفة إنها كانت تنظر إلى الناس كعينات ، وأصناف قراءى أمامها . إن البشر في نظرها ليسوا أشخاصاً ، بل امثلة . . حالات . . عينات .

في كتاب إيمان طيب ، للدكتور بول ثورنييه ، يخصص الكاتب فصلاً كاملاً من كتابه الشائق ، للحديث عن الكتاب المقدس وذاتية الفرد . في هذا الفصل ، يؤكد الكاتب قيمة ذاتية الإنسان ، في عرف الكلمة المقدسة وأحد مظاهر هذه الحقيقة ، اهتمام الكتاب بالأسماء . فالله يتحدث إلى موسى قائلاً «عرفتك باسمك» (خروج ٣٣ : ١٧) . ودارس الكتاب تذهله كثرة الأسماء التي يفرد لها الوحي فصولاً كاملة ، يراها القارئ العادي بلا معنى . لكن المتعمق في الدراسة ، يرى أن ذكر هذه الأسماء ، يظهر لنا قيمة ذاتية الفرد في نظر الله . فهو ليس صفرأ في مجموعة أرقام . . ولا قطعة غيار في ماكينة الجهاز البشري . وكما يقول مدللا بمثال من مهنته كطبيب : «لو جعلني مريض ، لم أتذكر إسمه ، واكتفيت بأن أقول لنفسي هذه

حالة التهاب الحوصلة المرارية التي فحصتها أول أمس . فاني أفقد المريض  
اعتباره كإنسان ، وأراه حالة من الحالات . لاني أهتم بعملى وفنى ، أكثر  
من اهتأى بذاتيته . أى أنى أعتبره حوصلة مرارية ، أو كبداً متليفاً ، أورقة  
ممزقة ، أكثر منه إنساناً حياً له ذاتيته المميزة « إن الكتاب المقدس يرفع  
ذاتية الفرد ، والله يقدر شخصية الإنسان . وما أمثلة الإبن الضال ، والدرهم  
المفقود ، والحمل الشارد عن القطيع ، والسامرى الصالح ، إلا أمثلة من  
قيمة الفرد فى نظر الله ، كما صورها لنا شخص المسيح فى أمثاله .

ولكن الكتبة ، والفريسيين ، لم يعرفوا حتى مجرد اسم هذه المرأة .  
لإنها فى نظرهم لا تزيد عن كونها حالة .. حالة أغرقها خطيتها فى طين الحمأة ،  
ورأوا فيها أداة .. آلة صالحة لاستغلالها فى أغراضهم — حينما تصغر قيمة  
الأشخاص فى أنظارنا ، نبتعد كل البعد عن روح المسيح .

ولكن الله يستخدم سلطان محبته ، ليدفع بالإنسان إلى السمو . وأحد الطرق  
التي يتبعها ، دفعه إلى اليقين بأنه أكثر من شىء ، وأنه لن يتحول من ذات  
إلى شىء . على نفس الطريق ينبغى أن نسير ، علينا أن نعمل على إعادة  
الضال وجبر الكسير ، وإصلاح المعوج ، وإقامة العائر .. أن نعيد الإنسان  
إلى إنسانيته .. أن نرفعه من حضيض الحيوانية التي وصل إليها . أن نجعله  
يدرك أنه إنسان ، وليس مجرد شىء .

هنا أول خطوة فى طريق إعادة الخاطيء إلى نفسه ، وإلى مجتمعه ،  
وإلى إلهه .

## بين التعاسة والمراحم

زيادة على ذلك ، فإن هذه الحادثة تظهر لنا موقف يسوع من الإنسان الخاطئ .

١- هنا نرى المبدأ الأساسي الذي نادى به يسوع : أنه لا يحق لإنسان أن يدين سواه ، طالما كان هو أسيراً لنوع من الخطأ . فالذي يريد أن يجلس على كرسي الدينونة ، عليه أن يكون بلا عيب .. أن يكون نقي القلب ، والسريرة ، طاهر الحواس . والمشاعر . ومادنا جميعاً في مستوى واحد ، بالنسبة للناموس الأدبي الإلهي ، فعلياً أن نترك الدينونة لمن هو أحق منا بذلك « لا تدينوا لكي لا تدانوا . لأنه بالدينونة التي بها تدينون تدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم ، ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها ؟ أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة في عينك ؟ بامرأى أخرج أولاً الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » متى ( ١:٧ - ٥ ) .

إن أكثر الأخطاء شيوعاً فيما بيننا ، هي أننا نطبق على الآخرين ، مقاييس لا نحاول أن نطبقها على أنفسنا .. أن نطلب منهم مستوى ، لانستطيع نحن ، ولا نحاول ، أن نصل إليه .. أن ندين فيهم خطايا ، نفعل عن رؤيتها ،



ودينوتها في حياتنا نحن . ألا يحدث أن والدأ يعنف ابنه على خطأ ، استغاه الإبن من أبيه ، وتمثل به في فعله ؟ ألا يشيح البعض من المتقدمين في الكنائس مذمة عضو ، هم واقعون فيها ؟ إن أهلية الإنسان لدينونة سواه ، ليست المعرفة ، فجميعنا نمتلك المعرفة . ولكن الأهلية الحقيقية تكمن في الصلاح ، وهذا ما لا يمتلكه واحد منا . وما يقيننا عن الله ، بأنه الديان الوحيد ، إلا استناداً على هذه الحقيقة الملزمة : إن الإنسان في عجزه ، وضعفه ، وخطيئته ، لم يصل ، ولن يصل يوماً ما ، إلى المستوى الكامل ، الذي يستطيع فيه ، أن يجلس على كرسي الدينونة ، ويحكم على سواه .

٢ - وأحد المبادئ الأساسية أيضاً ، التي نادى بها رب المجد ، أن عواطفنا تجاه إنسان ضل عن الطريق السوي ، ينبغي أن تبنى أولاً ، وقبل كل شيء على الرحمة ، والتعاطف .

ولقد قيل عن الأطباء ، إن من واجب الطبيب قبل كل شيء ، « أن يشفى مريضه أحياناً ، وأن يخفف من كابوس المرض غالباً ، وأن يقدم التعزية له دائماً » . حينما يحضرون مريضاً لطبيب ، عليه ألا يظهر له استياءه ، أو تقززه من المرض ، مهما كان المرض يشير الاشمزاز .

بل عليه أن يتغلب على مشاعره الذاتية ويتطلع تلك المشاعر في رغبته الصادقة لتخفيف أعباء المرض ، وإعادة المريض للشفاء . وحينما يجابهنا إنسان ارتكب خطأ من الأخطاء ، فلا ينبغي أن يكون شعورنا الأول :

« ينبغي على المخطئ أن يدفع ثمن خطيئته ، فماذا عساني أن أفعل لأرفع

نتائج جرم ارتكبه إنسان « بل ينبغي أن يكون : « ماذا أستطيع أن أفعل له ؟ كيف أعينه على تخطي الهوة التي حفرها لنفسه ؟ كيف أعيده إلى ذاته وأعيده إلى المجتمع ؟ » ينبغي أن نضع أنفسنا في موضعه ، ونقدم له العون الذي نشق أن نجده في مثل تلك الظروف .

٣- ومن الأمور البالغة الأهمية ، أن نفهم الدافع الذي جعل يسوع يتصرف على هذا النحو مع تلك المرأة التي أمسكت في خطيئتها . فمن اليسر ، أن ينحرف بنا تفكيرنا ، ويتأى بنا عن الصواب ، ونصل إلى استنتاج ، هو أبعد ما يكون عن روح المسيح ، فنظن أن السيد يتهاون مع الخطيئة ، أو يقلل من جرمها ، وشناعتها .

إن المسيح حينما قال للمرأة « ولا أنا أدينك الآن .. إذ هي ولا تخطئ أيضاً » ، إن يسوع لا يقصد على الإطلاق ، أنه أبطل الدينونة ، وأهدر العدالة ، وشطب على بنود الناموس الإلهي ، ولن يدين المخطيء بعد . إنه لا يعنى بقوله : « أيها المرأة ، لا تقلقي بعد . لقد انتهى عهد الناموس ببوده القاسية . وجاء عهد النعمة .. وعهد النعمة رحب متسع ، لا مكان فيه للقصاص » ، كلا . لقد كانت كلمته تشير إلى إرجاء تنفيذ العدالة إلى فرصة أخرى قادمة .

وإذا جاز لنا أن نوسع كلمته ، فأنا نضعها على النحو التالي :  
« أيها المرأة ، لن أصدر عليك اليوم حكماً نهائياً ، ولن أدينك الآن الدينونة القاطعة ، لكنني سوف أعطيك فرصة أخرى لحياة أفضل ، وأكثر كرامة ، إذ هي : وأبني أهليتك لهذا العفو الكريم .

« أظهرى للملأ حياة أرفع ، ومثالا أسمى . كونى قوة بناءة للحياة  
لا قوة هدامة للموت ، والهلاك .

« لقد أخطأت ، هذا حق . لكن أمامك فرصة جديدة لتصلى ما فات .  
إذهبى ولا تخطئى أيضاً ، وأنا سوف أعينك . وعند نهاية يوم الحياة القصير ،  
سوف تعطين حساباً عما استطعت أن تفعله بالفرصة المقدمة إليك . » لقد كان  
موقف يسوع فى هذه الحادثة يتضمن أكثر من حقيقة ..

( ١ ) فهو يتضمن قبل كل شئ هبة الفرصة الثانية . وكأنى بالسيد يقول  
لها « إنى أعرف أن طريق الحياة قد التوى بك . وأنتك تعثرت فى  
الطريق . ولكنى أهبك الفرصة لتبدئى من جديد . . لتلمى شتات كياتك  
الممزق ..

إن يسوع يقدم لكل خاطئ ، التوت به السبل وتعثر فى الطريق ،  
لإنجيل الفرصة الثانية . وإن كان السيد يهتم بما كانه الانسان ، فانه يبدى  
اهتمامه بالتالى ، بما سيكونه ، أو يمكن أن يكونه . إنه لا يقلل من قيمة  
الأخطاء التى ترتكب فى الحياة . فهو يهتم بالناموس المكسور ، مثل اهتمامه  
بالقلوب الكسيرة ، ولكنه بالتالى ، يؤمن أن باب المستقبل مفتوح أمام الإنسان  
ليبدأ من جديد ..

(ب) وهذا الموقف يظهر روح العطف . إن الفارق الأساسى بين  
المسيح ، وبين الكتبة ، والفريسيين ، هو أنه يتقدم للخاطئ بروح العطف ،  
بينما هم يجلسون على كراسى القضاء . ومن خلال سطور هذه الحادثة  
نستطيع أن نلمس هذه الحقيقة بأكثر وضوح . فهم يريدون أن يصدروا  
حكمهم على المرأة الخاطئة بالموت رجماً ، وسعادتهم العظمى ، تكمن فى

استماعهم للصرخات المرة ، ورويتهم الدماء المتفجرة ، والجسد المرتعش ،  
والأحجار المتساقطة عليه .

لقد كان يحلب مشاعرهم سلطان الديتونة . أما يسوع فقد وجد سعادته ،  
وارتواء نفسه ، في سلطان أعظم ، هو سلطان العقو ، والغفران ، لقد  
كانوا يسعدون باطفاء الفتيلة المدخنة ، بينما وجد هو سعادته في بعثها إلى الحياة ..  
في تغذيتها بزيت النعمة .. في إعادتها إلى رسالة النور ، والبركة .

وهكذا نرى أن يسوع يتناول الخاطيء ، بيدي الخنان ، والحب ،  
والعطف ، والمشاركة الرحيمة . أما هم فقد كان يملوهم الغرور النابع  
من البر الذاتي .

( > ) وموقف يسوع من المرأة الخاطئة ينطوى على روح التحدى .  
أما تحديه لها فهو تحدى نور الشمس الطاهرة للمستنقع الآسن العفن . لقد  
جاهها بجياته .. بظهارته .. ببره ، إنه لم يقل لها : « لا تضطربى ، ولا  
تزعزعى » إن البشر كلهم خطاة . وأولئك الذين يتأهبون لتنفيذ الحكم  
فيك ، هم أنفسهم خطاة نظيرك ، يستوجبون الحكم ، استمرى في طريقك ،  
بل قال لها : « إن الطريق الذى تسيرين فيه طريق خاطيء » .

« انتفضى من عثرتك ، وقومى للجهاد » غيرى برنامج حياتك من الألف  
إلى الياء . إذهى ولا تخطئى أيضاً » .

... لا نجد غفراً سهلاً ، كما يعتقد البعض .. هنا غفران يتحدى ..  
غفران يشير إلى القمة .. غفران يوجه الخاطيء إلى مستوى لم يحظر له  
على جان . إن يسوع يجابه الظلمة الدامسة ، بتحديات الحياة الطيبة النقية  
الساكنة :

( د ) وموقف المسيح هنا ، يتضمن ثقته في الإمكانيات البشرية. فحينما نتأمل قليلا في الأمر الذي وجهه يسوع لتلك المرأة ، نمتلىء دهشة وتعجبا ، كيف يقول يسوع لساقطة ، ذات مثل منحلة ، لم تستر في عارها ، حتى تتمكن الذين حولها من القبض عليها في ذات الفعل ، كيف يقول لمثل هذه المرأة :

« إذهبي ولا تخطئي أيضاً » ؟ ألا يشير هذا القول إلى ثقة يسوع في الإمكانيات الكامنة في قلب الإنسان؟ إنه حينما وقف أمام هذه المرأة لم يقل لها: « أيتها التعسة البائسة ، من يأكل الحصرم ، تضرس أسنانه . لقد عشت في عارك وخزريك ، وفي عارك وخزريك أيضاً تموتين » . لكنه قال : « إذهبي ولا تخطئي أيضاً » لقد كان يثق أنه بمعونته ، وبنعمته ، وبعمل روحه ، يستطيع الخاطيء ، أن يتحول إلى قديس . لقد كانت طريقة يسوع ، لأن يدفع الناس إلى المعرفة البائسة بأنهم خطاة ، لا رجاء لهم ، وليس أمامهم سوى الموت ، بل أن يوحى إليهم بالإمكانيات العظيمة الكامنة ، التي يمكنها بقوة الله أن تظهر ، وتحول بأسهم بأسا ، وهزيمتهم انتصارا بنعمة الله .

( هـ ) وموقف يسوع يتضمن التحذير للإنسان الخاطيء .. ومع أن التحذير هنا ، لا نكتشفه واضحا مسموعا ، إلا أننا نستطيع أن نلمحه ضمنا ، فالمسيح يأتي بنا وجهاً لوجه ، في هذه القصة ، مع الاختيار الأبدي المصيري . لقد واجه السيد هذه المرأة بالاختيار الأعظم ، فأمامها طريق الشائنة القديمة ، وهي تستطيع أن تعود إليها إذا أرادت ، وأمامها طريق الحياة ، والرجوع إلى نفسها . إن هذه القصة ، قصة بلاختام ، لأن كلمة الختام في حياة كل إنسان ، لا تسجل ، إلا حينما يقف وجهاً لوجه ، أمام الإله العظيم الديان .

## يوم أخفق العالم فى معرفة النور

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً قَائِلاً أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ .  
مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ .  
فَقَالَ لَهُ الْفَرِيسِيُّونَ أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ . شَهَادَتُكَ  
لَيْسَتْ حَقًّا . أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ  
لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ لِأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ  
أَذْهَبُ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَلَا إِلَى أَيْنَ  
أَذْهَبُ . أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ . أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ  
أَدِينُ أَحَدًا . وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدِينُونَنِي حَقٌّ لِأَنِّي  
لَسْتُ وَحْدِي بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي . وَأَيْضاً  
فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ إِنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ . أَنَا هُوَ  
الشَّاهِدُ لِنَفْسِي وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي . فَقَالُوا  
لَهُ أَيْنَ هُوَ أَبُوكَ . أَجَابَ يَسُوعُ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلَا  
أَبِي . لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً .

هَذَا الْكَلَامُ قَالَهُ يَسُوعُ فِي الْخِزَانَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي  
الْمِهْيَكْلِ . وَلَمْ يُمْسِكْهُ أَحَدٌ لِأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ  
بَعْدُ .

( يوحنا ٨ : ١٢ - ٢٠ )

هذه المحاوره دارت بين يسوع وبين شيوخ اليهود تحت خزانة الهيكل .  
وكانت خزانة الهيكل في رواق النسوة ، وهو ثاني أروقة الهيكل - الرواق الأول  
كان رواق الأمم ، والثاني رواق النساء . وكان الرواق الأخير مخصصاً للنساء ،  
لا تتعداه المرأة ، إلا عند تقديم ذبيحة على المذبح في رواق الكهنة . وحول  
رواق النساء ، كانت توجد بوابك ذات أعمدة ، حيث تقوم بجوار  
الجدران ثلاث عشرة خزانة يلقى فيها الناس بتقدماتهم . وكانوا يطلقون على  
تلك الخزانات لقب الأبواق ، لأنها كانت تشبه الأبواق ، متسعة في أسفلها  
وضيقة في أعلاها . وكل خزانة من تلك الخزانات ، كانت مخصصة لنوع  
خاص من التقدّمات . في الخزانتين الأولى والثانية ، كان يودع نصف الشاقل ،  
الذي يلزم كل يهودى بإيداعه لنفقات صيانة الهيكل ، وحفظه . في  
الثالثة والرابعة كانت تقدم أثمان زوج الحمام الذي على كل سيدة وضعت  
طفلها ، أن تقدمه لمراسم تطهيرها ، ( لاويين ١٢ : ٨ ) . في الخزانة  
الخامسة كانت تودع التبرعات ، لتغطية نفقات الخشب اللازم لإيقاد النيران  
على المذبح . والخزانة السادسة ، كانت مخصصة لأثمان البحور الذي يستخدم في  
مراسم العبادة في كافة المناسبات . أما السابعة ، فكانت لحفظ أواني  
الهيكل الذهبية ، وصيانتها .

وبقية الخزانات ، كانت مخصصة للندور ، والهدايا ، والهبات ،  
والتبرعات ، وتقدمات الشكر ، وتقدمات التكفير عن الخطية . وغير ذلك .  
ومن ثم كانت خزانة الهيكل ، مكانا يعج بالحركة ، ويموج بالعابدين الذين  
يريدون أن يهبوا عطاياهم لله . وما كان هناك مكان نظيره ، يضم الأتقياء  
المتعبدين ، الذين هم على استعداد أن يقبلوا التعليم الصحيح ، أو يناقشوا  
صحته ... في هذا المكان ، وأمام جموع المتعبدين الأتقياء ، ينادى يسوع  
بالحق العظيم قائلا : « أنا هو نور العالم .. » ومن المحتمل جداً أن خلفية  
الصورة التي أحاطت بيسوع ، قد زادت هذا الحق قوة وتأثيراً . لقد  
كانت الفرصة التي يقرنها يوحنا بهذا الحديث ، هي فرصة عيد المظال :  
( يوحنا ٧ : ٢ ) ولقد عرفنا في فصل سابق ( يوحنا ٧ : ٣٧ ) كيف  
أن ذلك العيد ، كان ضمن مراسيمه تقليد استقاء الماء . وكيف أن هذا  
التقليد ، قد أعطى يسوع الفرصة لينادي بالحق العظيم عن كونه الماء الحي  
الذي يهب الري لكل ظامى .

ولقد كان هناك تقليد آخر ، يرتبط بمراسيم هذا العيد . ففي مساء أول  
أيامه ، كان هناك حفل لإضاءة الهيكل ، وهذا التقليد كان يجري في رواق  
النساء . كان ذلك الرواق يحيط به ممرات كثيرة لكي تسع المتضرجين ، وفي  
وسط الرواق ، كانت تقام منارات أربع كبيرة . فإذا أسدل الليل ستاره ،  
كانت تضاء تلك المنارات . ويقول التقليد اليهودي أن نورها كان من القوة ،  
حتى أن شكل بيت في المدينة المقدسة ، كانت تنوهج ساحته بالنور القوي  
المجتمعا مشأ ، فيتحول ليل المدينة إلى نهار . وخلال تلك الليلة ، كان  
الشيوخ والملكاه ، يعتقدون حلقات ، يرددون فيها الزمير ، وهم  
يرقصون بكل قوتهم أمام الرب ، والشعب يهتف من حولهم . لقد كانت  
أول ليالى عيد المظال ، ليلة يشرق فيها النور كل زوايا أورشليم ، ويضيء



كل ركن فيها ، غامراً بالفرح ، والسرور والتهليل ، كل قلب ، وكل نفس .  
ولكن يسوع يوجه أنظار سامعيه ، من النور المادى ، إلى نور من نوع جديد .  
إنه يقول لهم : «لقد رأيتُم كيف أن النور المنبعث من منائر الهيكل ، يمتشق  
ظلام الليل فيبيده . أنا هو نور العالم ، من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل  
يكون له نور الحياة . ليس نوراً لليلة واحدة ، أو لعدة ليال ، بل بطول  
الحياة .. بطول طريق الحياة . إن نور الهيكل ساطع قوى ، ولكنه سرعان  
ما يتضاءل حتى ينطفئ . أما أنا فأنى النور الذى يبق ، ويستمر ، ويزايد  
إلى أبد الآبدين .

## يوم أخفق الناس في معرفة النور . (تابع)

( يوحنا ٨ : ١٢ - ٢٠ )

يقول يسوع : « من يتبعني فلا يمشي في الظلمة ، بل يكون له نور الحياة » . والجمله نور الحياة تعني أمرين . في الأصل اليوناني قد تعني النور الذي يصدر من ينبوع الحياة ، أو النور الذي يعطي حياة للناس ، وفي هذه الجملة تعني الأمرين . أن يسوع هو نور الله ، وقد انبثق مضيئاً وسط البشر ، ويسوع هو أيضاً النور الذي يهب حياة للعالم . وكما أن الزهرة لن تتفتح بتلاتها في ابتسامة مشرقة ، مالم تغمرها أشعة الشمس ، وهكذا حياتنا لن ترضع بأزهار النعمة والجمال ، مالم تتشبع بنور محضر يسوع المسيح ، ونعمه إشراقه .

في هذه الفقرة يتحدث السيد عن إتباع خطواته . ونحن كثيراً ماننادى بضرورة اتباع خطوات المسيح .. كثيراً ماندعو الغير لاتباعه - وحينما نتحدث كذلك ، ماذا نعني ؟

وقبل كل شيء ، كلمة « يتبع » هي في الأصل اليوناني « لاكولوتين » ، وحينما ندرس المعاني التي تنطوي عليها هذه الكلمة ، فاننا نستطيع أن نلقى ضوءاً على معنى اتباع المسيح ، وما يترتب على اتباعه . هذه الكلمة في الأصل اليوناني ، لها خمسة من المعاني المختلفة ، ولكنها مع ذلك مترادفة ، مترابطة .

١ - المعنى الأول يشير إلى اتباع الجندي لقائده ، ورئيسه . والجندي يتبع قائده ، حينما يقوده ، ويرشده ، في المسيرة الطويلة .. في ميدان

القتال .. في الحملات الهجومية على البلدان الأخرى . في كل خطوة يخطوها القائد ، على الجندي أن يتبعه في غير مناقشة ، ولاسؤال . والمسيحي كجندي صالح تحت قيادة قائده الأعظم يسوع المسيح ، عليه أن يتبعه في طاعة ، وخضوع .

٢ - والمعنى الثاني، يشير إلى اتباع العبد لسيدته . حيثما يسير السيد ، فان العبد يتبعه كظله . وحيثما دعت الحاجة ، يكون في خدمته ، وطاعته ، والقيام بكل المهام التي يطلبها منه . إنه على الدوام رهن إشارته ، وتابعه الأمين الذي لايفترق عنه . وهكذا المسيحي أيضاً ، عبد ليسوع المسيح ، سروره ، ورضاه ، وراحته ، في سرور ، وراحة ، ورضى سيده .

٣ - والمعنى الثالث لكلمة يتبع ، يشير إلى قبول نصيحة مشير ، أو حكم إنسان عاقل حكيم . وحيثما يقف الإنسان في حيرة في مفرق طريقين ، ولايعرف هل يتجه يمينا ، أم يساراً ، فانه يلجأ لنصح ناصح ، أو مشورة مشير ، أو حكمة حكيم ، إنسان له من الحكمة ، والدراية ، وبعد النظر ، والخبرة الطويلة ، مايمكنه من إبداء رأى ، أو إصدار حكم . فاذا كان السائل عاقلاً ، فانه يعمل بذلك الرأى ، ويقبل ذلك الحكم . والمسيح ، بالنسبة لكل مسيحي ، هو المشير الحكيم ، والناصح الخبير ؛ وعلى كل من يؤمن به أن يقبل نصحه ، ومشورته ، ويوجه سفينته بحسب إرشاده وتوجيهه .

٤ - والكلمة تستخدم أيضاً بمعنى الطاعة لقوانين الدولة ، ونواميسها ، وشرائعها . فاذا شاء الإنسان أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع ، على أية صورة من الصور كان ذلك المجتمع ، فعليه أن يخضع لنواميسه ويقبل قوانينه ... والمسيحي كواطن لمملكة عظمى ، هي مملكة السماء ،

وكمضو في ملكوت شامل ، هو الملكوت الروحي الأسمى ، عليه أن يخضع ذاته لقوانين ذلك الملكوت ، ويتقبل ناموس المسيح ، كالناموس الذي يسيطر على حياته ، وينظم مجرياته .

• - والفعل أيضاً يفيد تتبع المهاج الذي ينتهجه معلم في نقاشه ، وتفكيره أو تتبع أفكار خطيب ، في خطابه أو حديثه . فالمسيحي هو الإنسان الذي أدرك مغزى تعاليم المسيح إنه لا يصفى لمعلمه في جمود وعدم فهم كما يحدث للتلميذ المغلق الذهن ، حين يصفى للمدرسه في فصل الدراسة . وهو لا يصفى إليه بذهن مشتت ، كما يحدث مع إنسان له مشاغله الكثيرة التي تملأ عقله وقلبه فتدخل الرسالة من أذن ، لتخرج من الأذن الأخرى . إنه يصفى ويتشبع عقله ، وفهمه بالرسالة ، وتثبت في ذاكرته ، وتتأصل في أعماق قلبه ، كما يتأصل البذار الحى في التربة ، فتثمر بالحبّة والطاعة .

أن تكون تابعاً ليسوع المسيح ، معناه أن تعطى نفسك جسداً وروحاً ونفساً في طاعة لسيدك ، والدخول في بركة هذه التبعية يعنى السير في النور . إننا إذا سلكتنا في قوتنا الذاتية ، في حكمتنا الشخصية ، في مقدرتنا ، وذكائنا ، فإننا مرعان ما نضعف ونتعثر ، لأن الكثير من مشكلات الحياة ، هو فوق ذكائنا ومقدرتنا ولا نستطيع أن نجد له حلاً . وإذا سرنا بمفردنا فإننا غالباً ما نتخذ الطريق الخاطيء ، لأننا لا نمتلك خريطة الحياة بين أيدينا . فنحن بحاجة إلى الحكمة الإلهية لسيرة الحياة . إن الإنسان الذي له قائد حكيم يسير أمانه ، والخريطة الصائبة بين يديه ، لا بد وأن يصل إلى نهاية رحلته في أمان وسلام ، ويسوع المسيح هو ذلك القائد ، الذي يمتلك وحده أدق صورة لمسالك الحياة ، في وعورتها ومنتاهاتها ، وصغارها ومعمياتها . واتباعه في صدق وأمانة ، معناه السير في أمان في هذه الحياة ، والدخول في سلام إلى المجد العتيق .

## يوم أخفق العالم في معرفة النور . ( تابع )

يوحنا ( ٨ : ١٢ - ٢٠ )

حينما أعلن يسوع عن حقه العظيم بأنه نور العالم ، ثارت نائرة الكتبة والفريسيين . لقد كانت هذه النخمة أكثر غرابة لديهم ، مما تبدو لنا الآن . فقد كان هذا عندهم ادعاء صارخا بأنه المسيا لاسواه . بل ادعاء بصفة وأعمال ، هي وقف على الجلال الإلهي فحسب . فكلمة النور ، كانت تقرن في الفكر اليهودي ، وفي اللغة اليهودية ، بذات الجلال الإلهي . في المزمور ( ٢٨ : ١ ) يتحدث المرنم هاتفا « الرب نورى وخلصى » ، وفي نبوات إشعياء ( ٦٠ : ١٩ ) نقرأ القول « الرب يكون لك نوراً أبدياً » « بينما يتحدث أيوب هاتفا : « أضاء سراجى على رأسى . بنوره سلكت الظلمة » ( أيوب ٢٩ : ٣ ) . وفي نبوات ميخا : « إذا جلست فى الظلمة قال الرب نورى » . ( ميخا ٧ : ٨ ) . أما الأحبار فقد أعلنوا أن أسم المسيا هو النور . وحينما نادى يسوع بأنه نور العالم ، فإنه قد ادعى لنفسه حقاً لم يتناول إليه إنسان .

وتتبع النقاش فى هذه الفقرة عسير معقد ، ولكنه يبرز خطوات ثلاث

رئيسية ...

١ - الخطوة الأولى نرى فيها اليهود يصرون على ان شهادة يسوع لنفسه غير صحيحة ، لأنها تنقصها شهادة الشهود . فلقد كانت شهادته ، كما ظنوها ، من جانبه فحسب . وكان الناموس اليهودى ، يصر على أن

أى تقرير ، ينبغي أن يقوم على اساس شهادة شاهدين على أقل تقدير ، قبل أن يصبح نافذاً معترفاً به . في سفر التنبية ( ١٩ : ١٥ ) يرد القول « لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما أو خطيئة ما من جميع الخطايا التي يخطيء بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر » . كما نقرأ أيضاً في نفس السفر ( ١٧ : ٦ ) « على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل الذى يقتل . لا يقتل على فم شاهد واحد » ... وفي سفر العدد ( ٣٥ : ٣٠ ) « شاهد واحد لا يشهد على نفس للموت » . وهكذا كان منطق اليهود أن شهادة يسوع عن نفسه لا يمكن أن تقبل ، لأنه لا يوجد أى شاهد يؤيدها عداه . أما رد يسوع فقد كان يحمل بندين : فهو يقول لهم أولاً أن شهادته حق ، ولو كانت بمفردها ، لأنه موثق بسلطانه . واثق بشركته مع الآب ، حتى أنه ليس بحاجة لشهادة أخرى . هذا ليس غروراً ، أو ثقة ذاتية كاذبة . إنه صورة لما يتكرر حدوثه معنا ، في مجريات الحياة العادية . فقد يتقدم أحدنا إلى جراح كبير ، أو اختصاصى علمى طالبا استشارته ، ويصدر الطبيب حكمه القاطع ، ويؤكد صحته . إنه يثق بكل كلمة يقولها ، فهو ليس بحاجة إلى مشورة سواه لتأييد قوله إن تقريره هو جوهر خبرته . خذ مثلاً آخر ، حكم يصدره أحد كبار جال القضاء . إنه واثق من نفسه ، ومن تطبيقه لنبود القانون ، وثقته لا تعني غروره . إنها مجرد تأكيد على أنه يعرف ما يعرف .

وهكذا كان السيد واثقا بقربه من الآب ، حتى إنه ما كان بحاجة إلى شهادة أى شاهد ، عدا شهادة هذه الشركة الحية الوثيقة .

والأمر الثاني يفكر فيه يسوع أن لديه شاهداً آخر . هذا الشاهد الثانى هو الله نفسه . وكيف يمكن أن نقول إن الله يشهد ليسوع المسيح .

(أ) أول كل شيء شهادة الآب للابن ، تكمن في أقوال الابن وتعاليمه . فلا يستطيع إنسان أن ينطق بكلمات الحكمة العلوية ، ما لم يكن قد أعطى من فوق من ينبوع الحكمة الأزلى .

(ب) وشهادة الآب أيضاً للابن ، تكمن في الأعمال التي تجرى على يديه . فلا أحد يستطيع أن يقوم بمثل هذه الأعمال ، ما لم يكن الله عاملاً فيه .

(ج) وشهادة الآب تكمن أيضاً في تأثير يسوع على الجماهير . إن المسيح يجرى في حياة البشر تغييرات جوهرية ، هي أسمى من أن يصل إليها مجهود إنسان . فلا توجد قوة بشرية تستطيع أن تحول الخاطيء إلى قديس ، أو المحرم إلى ملاك وديع . وهذا ما يفعله يسوع . وهكذا نرى في هذا أصدق دليل على عمل الله في شخص المسيح . فليست هذه على الإطلاق أعمال إنسان بشرى عادى .

(د) وشهادة الله الآب للابن ، تكمن أيضاً في تفاعل البشر معه فحينما كرز بإنجيل المسيح للناس ، وحينما رفع الصليب في ملء قوته ، وسموه ، وجلاله ، أمام أبصار البشر ، فإنه في الحال يلقى التجاوب السريع الفعال ، والحياة العملية الصادقة . ما الذى يوقف هذا التجاوب في قلوب البشر ؟ ما الذى يبعث فيهم هذه المشاعر التي تدفعهم إلى الحياة العملية المباركة ؟ هذا ولاشك هو عمل روح الله القدوس ، شاهداً ، ومؤثراً ، في قلوب البشر . إن الله في القلب . هو الذى يمكننا من أن نرى الله في يسوع .

وهكذا كان رد يسوع على الكتبة والفريسيين ، الذين اعترضوا

على شهادته بأنها غير قانونية ، لأنها صادرة من جانب واحد ، من صاحبها ولا تتأيد بشهادة شهود آخرين . لقد أكد لهم بأن شهادته عن نفسه حق وصدق ، لأنها تتأيد بسلطانه اليقيني ولأنها تتأيد بشهادة الله الآب له .

ثانياً : الخطوة الثانية في مواد هذا النقاش ، نرى فيها يسوع يؤكد حقه في الدينونة . إنه قد جاء ولا شك بروح المحبة ، فهو لم يأت إلى العالم ليدين العالم . ومع ذلك ففي ذات تفاعل الإنسان تجاه المسيح ، وتجاه دعوته تكمن دينونة ذلك الإنسان . فهو ان لم ير في المسيح جمالا ، وان لم يقبله في حياته ، فإنه انما يدين نفسه ، ويصدر الحكم الرهيب على حياته . وهنا يضع السيد فاصلا للتمييز بين نوعين من الدينونة .

(أ) فهناك الدينونة التي على معرفة البشر ، ومقاييس البشر .. الدينونة التي لاتصل إلى الأعماق ، ولا تكتشف ما يكمن في الداخل . وهذه هي دينونة الكتبة والفريسيين . بل هذه هي دينونة الناس بوجه عام . إنها لاتبحث عن الدوافع ، ولا تهتم بما هو في الداخل . إن كل اهتمامها يتجه إلى الصورة الظاهرة ... إلى ما فوق السطح .

(ب) وهناك الدينونة التي تقوم على أساس المعرفة الكاملة ، ليس بالمعرفة الخارجية الجوفاء ، بل المعرفة الكاملة ، التي تحيط بكل الجوانب وتتصل إلى أبعث الظروف أو أعمق الدوافع ، وانحنى الحقائق ، وهذه وقف على الله جل جلاله . فهو وحده العارف بواطن الأمور . وهنا نصغي إلى يسوع ينادي ، بأن أية دينونة يصدرها ، هي دينونة الهية وليست بشرية لأنه والله واحد . هنا تكمن تعزيتنا . بل في هذا يكمن التحذير لنا ، فيسوع هو الوحيد الذي يكشف بواطن الأمور . هذه الحقيقة تجعله



رحبنا ، أكثر من أى قلب آخر ، وتجعله بالتالى مختبراً لأفكار القلب  
ونياته .. مميزاً لكل صغيرة وكبيرة فى حياتنا ، أكثر من أى شخص  
آخر فما ينجح على عيون الناس مكشوف لديه .

لذلك فان دينونة يسوع صادقة ، وعادلة – وكاملة ، لأنها تتأيد بالمعرفة  
الشاملة التى هى وقف على الله جل جلاله .

ثالثاً : وفى الخطوة الأخيرة ، نرى يسوع يتحدث بكل صراحة  
للكتبة والفريسيين ، معلناً لهم ، أنه ليست لهم معرفة بالله . إن عدم  
معرفة لهم له ، ورسالته ، وللهدف من مجيئه ، كل هذه تدل دلالة  
واضحة ، على أنه ليست لهم معرفة بالله . هنا تكمن مأساة من يلقبون أنفسهم  
بشعب الله المختار . لقد اختار الله بالفعل اسرائيل ليعلن مقاصده له ، ويعلن  
مقاصده عن طريقه للأمم ، ويظهر ذاته قبل الكل بين ظهرانيه . وكان  
كل تاريخ اسرائيل ، يشير إلى هذا الهدف ويتجه إلى هذه الغاية . ولكنهم  
انحرفوا عن الطريق إلى مناقشة الأفكار ، إلى التمسك بهذا الرأى أو  
الانتصار لذلك .. إلى التعصب المقيت لمفهومهم الخاص عن معنى الديانة ،  
حتى أنهم أصبحوا عمياناً تجاه الخالق . إن مأساتهم تكمن فى أنهم ارادوا أن  
يتعالوا على فكر الله ، ويثبتوا أنهم أحكم من القدير ، وفى هذا كان رفضهم  
للحق الالهى .

## عدم الفهم المميت

قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيضاً أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي وَتَمُوتُونَ  
فِي خَطِيئَتِكُمْ . حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ  
تَأْتُوا . فَقَالَ الْيَهُودُ أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولَ حَيْثُ  
أَمْضِي أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا . فَقَالَ لَهُمْ أَنْتُمْ  
مِنْ أَسْفَلُ . أَمَا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ . أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ . أَمَا  
أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ . فَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ  
فِي خَطَايَاكُمْ . لِأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ  
فِي خَطَايَاكُمْ . فَقَالُوا لَهُ مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ  
أَنَا مِنَ الْبَدَنِ مَا أَكَلْتُمْكُمْ أَيضاً بِهِ . إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً  
أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ . لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ  
حَقٌّ . وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ فَهَذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ . وَلَمْ  
يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ عَنِ الْآبِ . فَقَالَ لَهُمْ  
يَسُوعُ مَتَى رَفَعْتُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا

هُوَ وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا  
 عَلَّمَنِي أَبِي . وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِيَ وَلَمْ يَتْرُكْنِي الْآبُ  
 وَحْدِي لِأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ .  
 وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ .  
 ( يوحنا ٨ : ٢١ - ٢٠ )

هذه واحدة من أصعب فقرات النقاش التي تتميز بها بشارة يوحنا .  
 والتي يعسر فهمها وتحليلها . وفي هذه الفقرة نرى اتجاهات متعددة في  
 الحديث تسير جنباً إلى جنب ، ويضمها إطار واحد ..

في البداية يبدأ يسوع بأن يعلن أمام مقاوميه أنه ماض بعيداً عنهم .  
 وأنه حيناً يمضي ، سيكتشفون خسارهم العظمى ، حيناً يبحثون عنه ولا يجدونه  
 إنهم سوف يستيقظون من غفلتهم ، ولكن يقظتهم ستكون متأخرة .  
 هذا الإعلان يحمل نعمة نبوية . وهو يذكرنا بأمر ثلاثة :

(١) إنه يذكرنا أولاً ، بأن هناك فرصاً تتاح لنا تأتي بين أيدينا مرة  
 واحدة ولا تعود . فلكل واحد منا ، تعطى الفرصة ليقرر في نفسه ، أن يقبل  
 المسيح مخلصاً ورباً . وأن يخرج عزمه إلى حيز التنفيذ . ولكن هذه  
 الفرصة ، شأنها شأن أية فرصة أخرى ، يمكن أن ترفض وأن تضيع للأبد .  
 ب — ويتضح أيضاً في هذا النقاش أن الحياة قصيرة ، والزمن محدود .  
 فلا يوجد إنسان يمتلك كل الوقت الذي يتمناه في هذا الوجود . ولا يوجد  
 مخلوق لاتصل حياته إلى نهايتها يوماً من الأيام . إن وقتنا وحياتنا تحت  
 قيود وحدود . وفي هذا الوقت المحدد وفي هذه الفرصة ، علينا أن  
 نقرر مصيرنا . إن الوقت محدود ، والفرصة مقصورة . ولا أحد يعرف

متى يقف عند حده . لذلك فكل الأسباب تدعونا ، أن نقرر مصيرنا من الآن .

ج- ولأن لنا الفرصة في هذه الحياة ، فعلينا بالتالي مسئولية تأتي بنا إلى الدينونة . بل إن ذات الفرصة المرفوضة ، تتضمن الدينونة لصاحبها . وكلما كانت الفرصة عظيمة .. متاحة .. مقدمة لنا أكثر من مرة ، زادت مسئوليتنا ، وثقلت مديونيتنا . هذه الفقرة تأتي بنا وجها لوجه أمام سمو الفرصة المقدمة لنا ، وأمام محدودية الفرصة المتاحة لنا لنغتنمها فيها .

وحيثما تحدث يسوع عن ذهابه ، فإنه كان يتحدث عن عودته للآب ، ورجوعه إلى مجده . وما كان ممكنا أن يلحق به أعداؤه إلى هناك . إنهم يعنادهم ، وشرهم ، وقساوة قلوبهم ، ورفضهم قبوله ، قد حكموا على أنفسهم بالرفض ، بعيداً عن محضر الله . أما مقاوموه ، فقد قابلوا كلماته بالسخرية اللاذعة . لقد قال لهم يسوع إنهم حيث يمضون لا يستطيعونهم أن يلحقوا به ، فجاء ردهم الساخر : « لعله سيقتل نفسه » ، وكان في هذا الرد أكثر من سخرية عابرة . لقد كانت العقيدة اليهودية تخصص أعمق أعماق الجحيم لمن يزهقون أرواحهم بأيديهم . وهكذا في سخرية تحمل كل معاني التجديف ، القاسي ، قالوا مامعناه : « لعله سيقتل نفسه » ، ولذلك فهو الآن في طريقة إلى الهاوية ، وبطبيعة الحال من يستطيع أن يلحق به إلى هناك إلا من كان على شاكلته ؟ »

وأجابهم يسوع موضحاً حديثه بأنهم إن استمروا في رفضه سيموتون في خطيتهم — وهذه الجملة تتردد في كتابات الأنبياء (راجع حزقيال ٣ : ١٨ ، ١٨ : ١٨) . وهي تتضمن ، معنيين ...

١- كلمة خطيئة في الأصل هي « همارتيا » . وهي كلمة في وضعها الأصلي تختص بالصيد ، واطلاق السهم على القرينة . وهي تعني حرفياً إخطاء الهدف . إن الذي يرفض قبول يسوع مخلصاً له ، وربما ، قد أخطأ هدف الحياة . إنه يموت بهدف غير محقق . بحياة لم تكتمل ، ولم يكتمل القصد منها . وعلى ذلك فهو يحكم على نفسه بعدم أهليته في الدخول للحياة الأعظم مع الله .

٢ - وجوه الخطيئة يكمن في انفصال الانسان عن الله . وفي هذا لعنتها . فيما أخطأ آدم ، كانت أول غريزة سيطرت عليه هي الاختباء من وجه القدير (راجع تكوين ٣ : ٨ - ١٢) . إن الانسان الذي يموت في خطيئته يموت في حالة العداوة مع الله . . . في حالة الخوف منه . أما الانسان الذي يقبل المسيح ، فهو الذي يسير مع الله . فيكون الموت بالنسبة له ، هو اليد التي تفتح الباب أمام شركة أعمق . إن رفض المسيح معناه أن نكون غرباء عن الله ، وقبوله معناه أن نكون في صداقة مع القدير . وفي هذه الصداقة المباركة ينتفى الخوف من الموت إلى الأبد » ..

## عدم الفهم المميت (تابع)

« يوحنا ٨ : ٢١ - ٣٠ »

ثم يستمر يسوع في حديثه ، راسماً أمام سامعيه سلسلة من المقارنات ، فأعداؤه من الأرض ، أما هو فن السماء . وهم من العالم ، أما هو فليس من العالم . وفي بشارة يوحنا ، تتردد كثيراً كلمة العالم . والكلمة هي في الأصل اليوناني « كوزموس » . والسيد يستخدمها بطريقة الفريدة الخاصة به .

١ - فالعالم قبل كل شيء ، هو الصورة المناقضة للسماء . إن يسوع قد أتى من السماء إلى العالم ( يوحنا ١ : ٩ ) . وهو قد أرسله الله إلى العالم ( يوحنا ٣ : ١٧ ) . وهو ليس من العالم ، أما أعداؤه فن هذا العالم ( ٨ : ٢٣ ) والعالم هو الحياة المتقلبة العابرة التي نحياها . قصارى القول أن « الكوزموس » هو كل ما هو بشرى مادي مقابل كل ما هو إلهي روجي .

٢ - ومع ذلك ، فهذا العالم لا ينفصل عن الله . فهو قبل كل شيء خليفة الله ( يوحنا ١ : ١٠ ) . عن طريق كلمة الله خلق الله العالم . بواسطة الكلمة كان كل شيء . وبالرغم من الفارق العظيم بين العالم وبين السماء ، فالواحد أرضي ، والآخر سماوي ، فلا توجد هناك الهوة السحيقة التي تفصل بين الاثنين .

٣ - بل الأكثر من هذا ، أن العالم « كوزموس » ، هو موضوع محبة الله . « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » . ( يوحنا ٣ : ١٦ ) . بالرغم

من اختلاف العالم عن كل ما هو روهى . فان الله لم يغضب عليه ، ولم يهجره ، بل أصبح موضوع محبته ، ومهد عطيته العظمى .

٤ - وكل هذا لاجعلنا نغفل وجود ما هو ردىء منحرف فى هذا الوجود . فالعالم يسوده العمى الروهى . وحين أرسل الله ابنه إلى العالم لم يعرفه العالم : إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تعرفه ( يوحنا ١ : ١٠ ) والعالم لا يستطيع أن يقبل روح الحق . ( ص ٤ : ١٧ ) . وهو عنده جهالة ولا يعرف الله ( ص ١٧ : ٢٥ ) . إن العالم يسوده العمى الرهيب ، الذى يجعله لا يدرك الله ، ولا يرحب بحق الله ، ولا يقبل ابن الله . والعالم تسوده عداوة رهية من نحو الله ، وشعب الله ... إنه يبغض المسيح ، واتباع المسيح ( يوحنا ١٥ : ١٨ ، ١٩ ) . وفى عداوة العالم ، لا ينبغي أن يتوقع اتباع المسيح سوى المتاعب والضيقات .

٥ - هنا نكتشف مجموعة من الحقائق الغريبة المترابطة . فالعالم منفصل عن الله ، ومع ذلك فبين الله والعالم لا توجد الهوة السحيقة التى تفصل بين الإثنين . فالله خلق العالم ، والله يحب العالم ، والله أرسل ابنه لفداء العالم ، وبالرغم من كل هذا ، فالعالم يسوده العمى ، وتسوده الجهالة والعداوة من نحو الله - ترى لماذا يتصرف العالم على هذا النحو الخاطيء ؟ هناك استنتاج واحد محتمل ، أو كما قال أحد كبار كتاب الغرب<sup>(١)</sup> ، هناك أمر واحد يقينى بصدده تصرف الإنسان هكذا ، إنه انحرف عما ينبغي أن يكون عليه .. عن الهدف الذى وجد من أجله . هناك أمر يقينى واحد بخصوص العالم « كوزموس » ، إن العالم لم يصبح ما ينبغي أن يكون عليه . لقد طرأ خلل رهيب .. خطأ غير عادى . ما هو هذا الخلل أو هذا الخطأ ؟ إنه الخطية .. الخطية هى التى فصلت بين الله والعالم . الخطية هى التى أعمت

---

(١) ي . ك . شسترون

العالم ، وغطت عينيه بغشارة المساواة والجهل فلم يعد يرى الله . الخطية  
هى فى الأساس سر العداوة لله .

وإلى هذا العالم الذى انخرق ، وابتعد ، وأخطأ الهدف ، أتى يسوع معه  
بالتكفير عن الخطية ، وبالتطهير من الخطية ، وبالقوة والنعمة ، لينتصر على سلطان  
الخطية ، ويعود إلى ما ينبغى أن يكون عليه . ومع ذلك فإن للانسان حق  
الاختيار ، أن يمد يده ويتناول العلاج الشافى ، أو يرفضه . إن الطبيب يقدم  
الدواء للعليل . ويخبره بأن هذا الدواء فيه النعمة ، والشفاء ، وعودة القوة  
إليه ، بل قد يصل الأمر إلى تحذير المريض بأنه إن لم يتعاط الدواء فسيصير  
إلى الموت الأكيد . ولكنه لا يرغم المريض على تناول الدواء . وهذا ما فعله  
يسوع ، إنه يقول لسامعيه « إن لم تؤمنوا إني أنا هو ، تموتون فى خطاياكم »  
إن لم يقبل المريض العلاج المقدم له ، فليس أمامه سوى الموت .

إن العالم قد أخطأ الهدف ، هذه حقيقة لا جدال فيها ، وعلاج العالم  
هو فى هذا الطريق الواحد : « أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك  
ويسوع المسيح الذى أرسلته » . أن يعرفوا أنه لاشفاء لضربة الخطية ،  
إلا بالطاعة للحكمة الإلهية التى دبرت العلاج الوحيد فى المسيح . فيقبول  
المسيح مخلصاً ورباً ، ينال المريض الشفاء الأكيد من لعنة خطيته .



## عدم الفهم الذي يؤدي إلى مأساة (تابع)

(يوحنا ٨ : ٢١ - ٣٠)

لا توجد في العهد الجديد فقرة تستعصي على الترجمة ، مثل الكلمات الواردة في ( يوحنا ٨ : ٢٥ ) . فلا أحد يستطيع أن يؤكد تماماً ماتعنيه تلك الفقرة في الأصل اليوناني . يقول يسوع : « أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به » وتتفق الترجمة العربية لفانديك مع ماورد في الترجمة الإنكليزية المعتمدة . هناك ترجمات أخرى مقترحة ، تقدم لنا هذه الصورة : « أولياً ، ومبدئياً ، أنا هو الذي أكلمكم به » - وعن موافات « إني أعلن لكم أني أنا البداية » « وكيف بي أتحدث اليكم على الإطلاق »

ويقترح البعض أن المعنى المقصود من الترجمة الإنكليزية المعتمدة ، المطابقة للنص العربي في ترجمة فانديك هو « إن كل ما أقوله لكم ليس سوى البداية » . فإذا أخذنا بهذا المعنى ، يكون المقصود بالفقرة كلها ، أن البشر يستطيعون أن يكتشفوا المعنى الحقيقي لشخص المسيح ، في صور ثلاث ..

١ - فهم يستطيعون أن يدركوه في الصليب . فحينما يرفع المسيح على خشبة العار يستطيع الناس أن يدركوا حقاً من هو المسيح . هنا نرى المحبة إلى المنتهى ، المحبة التي لن تدع الإنسان يفلت منها .

٢ - وهم يستطيعون أن يدركوا حقيقة المسيح في الدينونة . إن

الدينونة محفوظة له وليس لسواه. « الآب قد أعطى كل الدينونة للإن » .  
إنهم ينظرون يسوع في الوقت الحاضر ، فلا يرون فيه سوى النجار  
الناصرى ، ولكن سيأتى اليوم الذى يرونه فيه عظيمًا دياناً ، يجلس على كرسى  
العدالة الإلهية ، ويدين الشعوب بالعدل والاستقامة .

٣- وحينما يشاهدونه هكذا ، سيرون فيه إرادة الله المتجسدة . إن  
يسوع يقول عن صلته بالآب : « إني أفعل فى كل حين ما يرضيه » .  
البعض قد تكون طاعتهم لله تشنجية ، فى نوبات متقطعة . أما طاعة  
يسوع فهى مستمرة .. رفيعة .. كاملة . لا بد وأن يأتى اليوم ، حين يرى  
الناس ويعترفون ، مقرين بأن يسوع هو فكر الله الأزلى المتجسد .

## التلمذة الحقيقية

فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ إِنَّكُمْ إِن تَبَتُّمْ  
فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي وَتَعْرِفُونَ  
الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ .

(يوحنا ٨ : ٣١ - ٣٢)

هناك نصوص قليلة في العهد الجديد تقدم لنا صورة كاملة للتلمذة الحقيقية للمسيح ، وهذا النص واحد منها . هنا نرى الخريطة الكاملة للتلمذة ، وطريقها وهدفها .

فالتلمذة للمسيح تبدأ بالإيمان به . إن بدايتها هي اللحظة التي يقبل فيها الإنسان ما يقوله «يسوع» كالحق الأوحد . فحين يقبل الإنسان ما يقوله «يسوع» عن محبة الله .. حين يقبل بكل تصديق ما يعلنه عن فظاعة الخطية وجسامتها .. حين يقبل ما ينادى به عن معنى الحياة الحقيقي ، في ذلك الوقت عينه يصبح الإنسان تلميذاً حقيقياً للمسيح .

٢ - والتلمذة الحقيقية ليسوع ، تعني الثبات بصورة مستمرة في كلمته . وماذا يعني الثبات في كلمة يسوع ؟

( ١ ) أنه يتضمن قبل كل شيء الإصغاء المستمر لكلمته . يقال عن

أحد مشاهير الوعاظ<sup>(١)</sup>، إنه في وسط حديثه، كان يتوقف بين الحين والحين، كأنما ليصغى إلى صوت خفى . إن المسيحى الحقيقى، هو الإنسان الذى يقضى طفلة عمره، وهو يصغى لصوت الحبيب... إنه الإنسان الذى لا يتخذ قراراً في أمر من الأمور، قبل أن يصغى أولاً لما يقوله «يسوع» له .

(ب) وهو يتضمن ثانياً، التعلم المستمر من «يسوع». فكلمة تلميذ في الأصل اليونانى تعنى الذى يتعلم. وعلى المسيحى طفلة عمره، أن يتعلم أكثر فأكثر من «يسوع»، وأن يتعلم أكثر فأكثر عن «يسوع». إن العقل المخلق معناه نهاية التلمذة .

(ج) والثبات في كلمة «يسوع» يعنى أيضاً، التغلغل في الحق الذى تعلنه كلمة «يسوع». ولا يستطيع مسيحى أن يصل إلى أعماق كلمة «يسوع»، بمجرد قراءة سطحية لها. إنه لن يفهم حينذاك أعماق كلمته. إن الفارق بين الكتاب العظيم العميق والكتاب السطحي، هو أن الأول يجتذبنا لدراسته والتعمق فيه أكثر من مرة، بينما الثانى لانود الرجوع إليه بعد القراءة الأولى فالثبات في كلمة «يسوع» يعنى دراستها، والتعمق فيها، والتأمل المستمر في متضمناتها، والتشبع بتعاليمها، حتى تصبح الكلمة جزءاً لا يتجزأ من كياننا .

(ج) وهو يتضمن أيضاً الطاعة الكاملة المستمرة للكلمة . إننا ندرس كلمة «يسوع» لالتشبع رغبتنا في المعرفة فحسب، ولا لنصل إلى فهم كلمات تاريخية تستحق الدراسة، ولكن لنعرف ما يريدنا الله أن نفعله. إن التلميذ هو طالب العلم الذى يتعلم، حتى يعرف ما ينبغى عليه أن يفعله . والحق الذى أتى به «يسوع» إلى العالم، ليس بنوداً نظرية، ولكنه حق قصد به أن يتجسم في الحياة العملية .

(١) جون براون من هادجيتون

٣ - والتلمذة تتبلور في معرفة الحق . إننا إذ نتعلم من «يسوع» نعرف الحق ، كما قال بضمه الطاهر : «تعرفون الحق والحق يحرككم» .. وما هو ذلك الحق الذي نعرفه ؟ هناك أجوبة كثيرة على ذلك السؤال، ولكن أصدق إجابة نعرف بها حق «يسوع» . هو أنه الحق الذي يعلن لنا قيم الحياة الصادقة . إن السؤال الرئيسي في الحياة الذي ينبغي أن نجيب عنه تصريحاً أو ضمناً هو هذا : «لأى هدف أكرس حياتي ؟ هل أكرس حياتي لمهنتي . لعملي . لجمع الثروة وتكديس المال والممتلكات ؟ هل أكرس حياتي للذات العالم وشهواته ؟ أم أكرسها لطاعة الله وخدمته والسير في وصاياه ؟ إن الحق الذي يأتي به «يسوع» إلينا ، يعيننا على الوصول إلى القيم الصحيحة في الحياة ففي نور حقه، نستطيع أن نرى ما هو قيم يستحق اهتمامنا ، وما ليس بندى قيمة .

٤ - والتلمذة تنتهي بنا إلى الحرية ، «الحق يحرككم» . وفي خدمة «يسوع» الحرية الكاملة . وفي التلمذة ليسوع التحرر التام . إن التلمذة له تأتي لنفسنا بأربعة أنواع من الحرية .

(أ) فهي تأتي لنا بالتحرر من الخوف . إن الإنسان الذي اختبر التلمذة للمسيح ، لم يعد يسلك في الحياة بمفرده ، فهو يسير في صحبة معلمه ، في صحبة «يسوع» . وفي هذه لصحبة المباركة ينتفي كل خوف .

(ب) والتلمذة ليسوع تأتي لنا بالتحرر من الذات . إن أكثر من واحد منا يعرف تماماً أن أعدى أعدائه هو الذات . فهي سر المتاعب والتقصير ، والعثرات . وأكثر من واحد يصرخ من أعماق قلبه : «ويحي أنا الإنسان الشقي . . من يتقذني من ذاتي . . من نفسي ، انني كلما حاولت أن اسمو أجد نفسي مقيداً إلى الأرض» . ولكن محضر «يسوع»

وقوته ، يستطيعان أن يجددا الإنسان ، حتى يصبح كل شيء بالكلية  
جديدا .

(ج) وهي تحررنا من سلطان الآخرين . إن الكثيرين يعيشون في  
رعب ، لأن الخوف من الناس يسيطر عليهم . . . ماذا يفتكرون عنهم ؟  
ماذا يقولون ؟ قال الكتائب المعروف « هـ . ج . ويلز » : « إن صوت  
جيرارنا يسكاد يطنى في آذاننا على صوت الله » . أما التلميذ الحقيقي فهو  
الذى لا يلتقى بالا لما يقوله الآخرون أو يفتكرونه عنه – إن كل اهتمامه  
يتركز فيما يقوله الله عنه .

(د) وهي تحطم عنا قيود الخطية . كثيرون يخطئون بمحض اختيارهم ،  
وأكثر منهم يندفعون في خطاياهم لأن الخطية تغلبهم . . . تسيطر عليهم . . .  
تقيدهم بقيود من حديد . فحينما يحاولون أن ينتفضوا من سقوطهم ، لا يجدون  
سبيلا الا إلى العودة لخطاياهم مرة أخرى . ولقد أصبحت الخطية فيهم طبعاً  
ثانياً ، وتمكنت العادات منهم ، فحولتهم إلى دواب تمتطها وتلها هذه العادات .  
وكم من واحد لسان حاله يهتف بالحكمة القديمة التى قبلت عن مدن الخمر :  
« متى استيقظ أعود أطلبها بعده » .

أما التلمذة الحقيقية ليسوع ، فهي تحطم فينا سلطان العادة . إنها تكسر  
القيود التى تربطنا إلى عجلة الخطية ، وتمكننا من أن نصبح كما ينبغي أن  
نكون ، بحسب القصد الالهى المجيد . إنها تتم لنا الأشواق التى عبر عنها  
أحدهم قائلا ..

يالبت انساناً جديداً غالباً فى داخلى  
يبطل فى سلطانه فعل القديم الأول

## بين الحرية والعبودية

أَجَابُوهُ إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لِأَحَدٍ قَطُّ . كَيْفَ  
تَقُولُ أَنْتَ إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا . أَجَابَهُمْ يَسُوعُ الْحَقُّ  
الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ .  
وَالْعَبْدُ لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الْأَبَدِ . أَمَّا الْابْنُ فَيَبْقَى  
إِلَى الْأَبَدِ . فَإِنَّ حَرَّرَكُمُ الْابْنُ فَيَا الْحَقِيقَةَ تَكُونُونَ أَحْرَارًا .  
( يوحنا ٨ : ٣٣ - ٣٦ )

ولقد أثار حديث «يسوع» عن الحرية مشاعر اليهود. لقد كانوا ينادون  
بأنهم أحرار، لم يستعبدوا لأحد قط - إدعاء يدعو للسخرية المرة . ففي ذلك  
الحين ، كانت نعال الرومان تَدوس على أعناقهم . وقبل ذلك التاريخ ، ذاقوا مرارة  
الاستعباد في ربوع بابل ، وتحت سلطان اشور . ومع ذلك فقد كان اليهود  
يعلقون أهمية عظيمة على الحرية التي كانوا يعتقدون أنها حق موروث لكل  
يهودى . حتى أنه من أحد البنود الثابتة في التاموس ، إن العبرانى لن يصل إلى  
حد الاستعباد لأخيه مهما بلغت به الفاقة . ( لاويين ٢٥ : ٣٩ - ٤٢ ) :

« وإذا افتقر أخوك عندك ، وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد كأجير  
كنزىل يكون عندك . إلى سنة اليوبيل يخدم عندك . ثم يخرج من عندك هو

وبنوه معه فيعود إلى عشرته إلى ملك آبائه يرجع . لأنهم عبيدى الذين أخرجهم من أرض مصر لا يباعون ببيع العبيد » بل إن أحد الأسباب الرئيسية للثورات المتكررة ، التي كانت تنشب في ربوع اليهودية ، قيام بعض القادة الثائرين ينادون في الشعب بأنهم أحرار ، وليس عليهم أن يخضعوا لمخلوق أو يطيعوا أو امره ، فهم لا ينتمون للملكوت أرضى ، بل للملكوت سماوى . وملكهم ليس من أبنة الأرض بل هو ملك السماء ، رب السماء ، ولا يشاركه في هذا السلطان منازع .

ويحدثنا المؤرخ اليهودى الشهير « يوسيفوس » الذى عاصر أحداث ما بعد الصلب والقيامة ، عن اتباع يهوذا الجليلي ، الذى قاد ثورة عارمة ضد (الرومان) إنهم « كانوا يتمسكون بالحرية إلى أبعد الحدود . وكانوا ينادون بأن الله هو ملكهم الوحيد وسيدهم » . فحينما قال اليهود فى كبرياء ليسوع إنهم لم يستعبدوا لأحد قط ، فقد كانوا يتمسكون ببند قوى من قانون حياتهم الاجتماعية .

وحتى لو قلنا بأن استعبادهم لدول اخرى ، كان حقيقة تاريخية حدثت فى بعض حقبة تاريخية ، إلا أننا نستطيع أن نقول ، إنهم حتى وإن كانوا خاضعين لروما ، أو كانوا تحت سلطان مملكة بابل ، أو تحت نيرمادى وفارس ، فهم حتى فى أشد أوقات استعبادهم مرارة وقسوة ، كانوا يحتفظون فى أعماقهم بروح مستقلة عن الظروف . روح خرة طليقة ، بمعنى أنهم كانوا عبيداً بالجسد ، ولكن أحراراً بالروح .

كتب « كيرلس الأورشليمى » عن « يوسف الصديق » : « لقد بيع يوسف عبداً فى قيود المذلة والعبودية ، ولكنه كان حراً . . حراً من كل قيد . . يشع بنور الحرية ، فى روحه النبيلة النقية الطاهرة » .



لذلك كان إتهام «يسوع» لهم بأنهم عبدة لانتطاق ... ولكن السيد كان يقصد عبودية من نوع أقسى ، لذلك قال « كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية » . إن كل من هو مستعبد للخطية . . لعادة شريرة . . لطبع ردىء . . للممارسة تسيطر عليه ، هو فى حالة من العبودية أقسى وأمر من ذلك الذى يزرع تحت سلطان سيد جسدى ، مهما كان ذلك السيد عنيفاً قاسياً غليظ القلب . هنا يقدم يسوع مبدأ يشبه إلى حد كبير ، ما كان ينادى به حكماء الأوغريق ، جيلا بعد جيل .  
فعن الرواقين نقرأ القول :

« الإنسان الحكيم هو الحر ، أما الغبي فهو العبد الرقيق » . ويوما قال «سقراط» لتلاميذه : « كيف تعتبرون إنساناً تقيده ملاذه ، وتسيطر عليه شهواته ، كيف تعتبرون مثل هذا الإنسان حراً ؟ » ونحن نجد رسول الأمم فى (رومية ٦ : ١٧ - ٢٠) . يشكر إلهه ، لأن أتباع المسيح قد وجدوا فيه الحرية من لير عبودية الخطية .

هنا فكر هام يدعو للتأمل والأهتمام . فقد يحدث أن نوبخ إنساناً على خطأ ارتكبه ، أو نحذره من نتيجة هذا الخطأ ، فيكون جوابه . . « لئنى حر فى جياتى أفعل بها ما أشاء » . ولكن الحقيقة التى نود أن نوجه إليها الأنظار ، هى أن الإنسان حينما يرتكب الخطية فإنه لا يفعل ما يريد ، بل الشر الذى يسيطر عليه هو الذى يفعل ما يريد . فقد يكون للعادة سلطانها على الإنسان فتسيطر عليه ، وتسيره كيفما تشاء ، حتى تصبح السيد الأمر النهائى فى حياته ، وقد يطلق الإنسان العنان لشهوة من الشهوات حتى تتسلط عليه ، ولا يملك القدرة على التحرر من قيودها ، أو كما عبر «سنيكا» ، حتى يصل فى النهاية إلى

أن يبغض آثامه ويحبها في الوقت عينه . وهكذا لا يفعل الإنسان ما يريد ، بل الشر الذي في داخله هو الذي يفعل ، وهو الذي يسيطر . لقد فقد قوته . حرته . سلطانه على نفسه ، وأصبح عبداً لعاداته لشهوته . للشر الذي تملك عليه . وهذا هو ما يعنيه السيد المسيح بقوله ، « كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية » .

ثم يتقدم السيد بعد ذلك بتهديد مقنع . . . تهديد يدركه كل يهودي . لحقيقة صيرورة الإنسان عبداً يقدم ضمنها معنى جديداً — في البيت اليهودي كان هناك فارق بين العبد ، والحر . أما الإبن فهو صاحب البيت الذي يبقى في بيته إلى النهاية ، ولا يترعه منه إنسان . أما العبد ، ففي الأماكن التي يتخلى عنه وطرده في أية ساعة ، إن سيده يستطيع أن يستغنى عنه ، ويطرده — لاقوة في الوجود تنزع من الإبن حق البنوة ، وبركاتها ، الإبن على الدوام هو الإبن ، ولكن العبد يمكن طرده في أية ساعة .

وهكذا يقول « يسوع » لليهود : « إنكم تظنون بأنكم أبناء في بيت الله ... تعتقدون بأنه لاقوة في الوجود تستطيع أن تنزعكم منه ، استناداً إلى حق البنوة ، ولكني أقول لكم إنكم بسلوككم .. بعنادكم .. بقساوتكم .. قد انزعتم أنفسكم من دائرة البنين إلى دائرة العبيد . لقد صيرتم أنفسكم عبيداً بخطاياكم . وإني أقول لكم ، إن العبد يمكن أن يجد نفسه ملقى في الطريق ، بعيداً عن البيت في أية ساعة » . هنا تهديد .. تهديد رهيب . إنه يحلرنا من الاتجار في مراحم الله . . من الأثكال على إحسانه وقلبه الكبير ، ومعاملاته السالفة . وهذا ما كان يفعله اليهود . . وهذا التحذير بالتالي يقدمه الله لنا كأفراد . .

## البنوة الحقيقية

أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ . لَكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنَّ  
تَقْتُلُونِي لِأَنَّ كَلَامِي لَمْ يَمُوضِعْ لَهُ فِيكُمْ . أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا  
رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي . وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ آبَائِكُمْ .  
أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ أَبُوْنَا هُوَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ  
لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ .  
وَلَكِنَّكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنَّ تَقْتُلُونِي وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ  
كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنَ اللَّهِ . هَذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ .  
( يوحنا ٨ : ٣٧ - ٤٠ )

في هذا النص يتقدم السيد بضربة قاضية إلى ادعاء ، كان اليهود يتمسكون به  
ويظنون أنه الكل في الكل في حياتهم . لقد كان «إبراهيم» بالنسبة لليهودي ، أعلى  
وأسمى مثال في تاريخه الحي . وكان اليهودي يعتبر نفسه آمناً مطمئناً في غنى  
مراحم الله ، على أساس هذا الحق الأوحيد : أنه ابن لإبراهيم . فنحن نجد  
كاتب المزامير يخاطب إخوته بالقول : «يا ذرية إبراهيم عبده . يا بني يعقوب  
مختاربه» (مزور ٥ - ١ : ٦) « وإشعيا ينادى بلسان الله .. «أما أنت  
يا إسرائيل .. الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي» (إشعيا ٤١ : ٨) . ولقد  
كان اليهود على حق في تقديرهم لإبراهيم . فلم تظهر شخصية عملاقة في

تاريخ الإنسانية ، قدر هذه الشخصية . بل إن اليهود كانوا يعتقدون أن بر «إبراهيم» لا يكتفيه هو فحسب ، بل يكتفى جميع الأجيال من بعده - لقد اعتقدوا أن صلاح «إبراهيم» ، خزلة هائلة تسحب منها الأجيال ولا تفرغ - في مجادلة يوستينوس الشهيد مع تريفو اليهودي ، عن الديانة اليهودية واستحقاقاتها نجد «تريفو» يتحدث قائلاً: «إن ملكوت الأبدى سوف يوهب لنسل «إبراهيم» حسب الجسد ، حتى ولو كانوا خطاة ، غير مؤمنين ، وغير مطيعين لوصايا الله . أى أن اليهودى كان بالمعنى الحرفى ، يعتبر نفسه فى أمان ، لأنه من نسل «إبراهيم» . مثل هذا الموقف العنصرى الأحق ، قد نجد له نظائر فى حياتنا الحاضرة ..

( أ ) فهناك من يحاولون أن يقيموا أمجادهم ، على اسم أو مركز سابق . فقد يكون ضمن أسرهم ، أو فى تاريخ العائلة ، من قام للكنيسة بخدمة جليلة ، أو من كانت له خدمته الممتازة ، فى مجال الحياة الاجتماعية ، أو الوطنية ، وهم لذلك يحلمون بمركز ممتاز ، أو يطلبون مقاماً هاماً فى المجتمع ، على هذا الأساس الواحد .. إنهم يقيمون أمجادهم على غير هم . هذا طريق خاطئ . فلا يمكن أن تكون الأمجاد السالفة ، أو الإسم الحسن ، أساساً لحياة كسولة بلا عمل . بل ينبغى أن تكون دافعاً لصاحبها عل تعليه البناء ، والسمو به إلى أعلى ، وبذل مجهود أعظم ، وتحقيق منجزات أسمى .

(ب) وهناك من يحاولون أن يبنوا حياتهم ، على أساس تقليد أو تاريخ ، وكم من هيئة مسيحية تظن أن لها رسالتها الهامة ، وخدمتها الفعالة ، لأنها يوماً من الأيام ، فى غابر الزمان ، كانت لها شهرتها ، وكان لها كيانها . كم من كنيسة تقليدية تحيا فى عاصمة أمجاد ماضيها ، وتنبش تراب التاريخ بحثاً عن أمجادها الدفينة التى اندثرت ، وتملأ الدنيا صياحاً ، منادية بما كانت

عليه ، ولكن عاصمة أمجاد الماضي ، إن لم يتعهدا أبنائها بالعناية والمجهود والعمل ، فأتاها إلى الانهيار والاضمحلال :

لا يمكن لفرد ، أو أمة ، أو هيئة دينية ، أن يحيا ، أو تحيا في أمجاد الماضي . وهذا ما كان اليهود يحاولونه .. ولقد كان «يسوع» صريحاً معهم . لقد أعلن لهم أن نسل «إبراهيم» الحقيقي ، ينبغي أن يعمل أعمال «إبراهيم» .. أن يحيا حياته .. أن يكون له بر «إبراهيم» وليس أقل من هذا . وبفسح الروح ، نادى المعمدان من قبل . لقد أعلن للشعب أن يوم الدينونة على الأبواب . ولن يغنيهم فتيلاً كونهم أبناء «إبراهيم» ، لأن الله في إمكانه لو أراد أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم ، (راجع متى ٣ : ٩ ، لوقا ٣ : ٨) وعلى نفس الوتيرة تحدث رسول الأمم في أكثر من موضع من رسائله . فليس الجسد والدم هما نسل «إبراهيم» ، والكيان المادى لا يجعل الإنسان سليلاً له . إنها المؤهلات الروحية وليس سواها . ولقد كان «يسوع» يمهّد للتصريح الذى ينادى به بعد ذلك بأنهم يريدون أن يقتلوه ، وليس هذا الفعل من أفعال «إبراهيم» ، ولا ينتسب إليه فى شىء .. فحينما أرسلت السماء رسولا إلى خليل الله قبله بكل شوق ، وبكل احترام (تكوين ١٨ : ١-٨) لقد رحب «إبراهيم» برسول الله . وهام ، من يدعون أنهم ذرية «إبراهيم» ونسله ، يرسل الله إليهم ابنه الحبيب «يسوع المسيح» ، فيدبرون المؤامرات لقتله . كيف يتجاسرون أن يلقبوا أنفسهم ذرية «إبراهيم» ، وسلوكهم يناقض سلوكه ؟

هنا نرى حقاً عظيماً ينادى به «يسوع» . فلو وضعنا فى مخيلتنا قصة «إبراهيم» كما وردت فى سفر التكوين ، فإننا نجد «يسوع» ينادى ضمناً بأنه رسول (الله) ، وهو يؤكد هذا الحق بقوله : « مارأيت عند الآب وإنما أخبركم به » . إن الحق الأساسى فى تعاليم «يسوع» ، هو أنه لم يأت بهذه التعاليم من ذاته ، بل

أنه أتى بها من لدن الآب . فهو لا يقدم آراءه الذاتية ، بل كابن الله ، يقدم للبشر فكر الله عن كل مافي الوجود .

وفي نهاية هذا النص ، يتقدم «يسوع» إليهم بتقرير مؤلم حاسم : « أنتم تعملون أعمال أبيكم» - لقد قال لهم إن «إبراهيم» ليس أباً لهم ، فمن يكون أبوهم إذا ؟ في عدد (٤٤) نقرأ الجواب : « أنتم من أب هو أبلّيس » : إن أباهم ليس أقل من الشيطان نفسه . أولئك الذين كانوا يفتخرون أمامه متدلخطات ، بأنهم أبناء «إبراهيم» ، نجده يجابههم بأقصى إتهام واجههم به إنسان ، إنهم أبناء عدو كل خير . إن أعمالهم تعلن عن بنويتهم ، فسلوكتنا ، وأعمالنا ، هي التي تثبت حقاً إن كنا أبناء الله أو أبناء الشيطان ، وليس سوى هذا .

## أبناء الشيطان

أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ آبَائِكُمْ . فَقَالُوا لَهُ إِنَّا لَمْ نُؤَلَدْ  
 مِنْ زِنًا . لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ  
 لَوْ كَانَ اللَّهُ آبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لِأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قَبْلِ  
 اللَّهِ وَآتَيْتُ . لِأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي .  
 لِمَاذَا لَا تَفْهَمُونَ كَلَامِي . لِأَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا  
 قَوْلِي . أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ آبَائِكُمْ تُرِيدُونَ  
 أَنْ تَعْمَلُوا . ذَاكَ كَانَ قِتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِي  
 الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ . مَتَى تَكَلَّمْتَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ  
 مِمَّا لَهُ لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ . وَأَمَّا أَنَا فَلِأَنِّي  
 أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي .

( يوحنا ٨ : ٤١ - ٤٥ )

استمعنا ليسوع منذ قليل ، يقول لليهود ، إنهم بحياتهم ، وسلوكهم ،  
 ونصرفاتهم إزاءه ، قد كشفوا عن حقيقة ذواتهم ، إنهم ليسوا أبناء إبراهيم  
 وأنهم يتسلسلون من أب رهيب ، وينتسبون إلى بنوية رهيبة . وكان جواب  
 كبرياتهم ، إدعاء يفوق ادعاءهم الأول . لقد نسبوا أنفسهم لله ، وقالوا

عن ذواتهم لهم أبناء له ، وليس هذا حقاً جديداً نادى به اليهود ، فهو يتكرر نصريحاً أو تلميحاً في أكثر من موضع من العهد القديم . إننا نقرأ في أكثر من مكان في الأسفار المقدسة ، أن الله هو الآب المحب لشعبه . ففي سفر الخروج ( ٤ : ٢٢ ) يأمر الله عبده «موسى» أن يجابه فرعون مصر بالقول : « هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر .. فقلت لك أطلق ابني ليعبدي » ويوم وقف «موسى» موحياً ومنذراً لشعب إسرائيل نستمع إليه يقول .. «الرب تكافئون بهذا يا شعباً غيباً غير حكيم؟ أليس هو أبالك ومقتليك؟ .. ( تثنية ٣٢ : ٦ ) و «إشعيا» يتحدث عن ثقته في الله هاتفاً أمامه «تطلع من السموات وانظر .. فإنك أنت أبونا ولينا منذ الأبد إسمك » ( إشعيا ٦٣ : ١٥ ، ١٦ ) وفي سفر ملاخي بهتف كاتبه : « أليس أب واحد لكلنا ؟ . أليس إله واحد خلقنا ؟ ( ملاخي ٢ : ١٠ ) .

وهكذا لم يكن ادعاء غريباً أن ينادى اليهود بأن الله أب لهم .

« نحن لم نولد من زنى » هكذا هتفوا بكبرياء ، وهنا يواجها احتمالان .  
 إما الأول فانبأ نفسرو بالقول ، أن أحب الأوصاف التي أطلقت على أمة إسرائيل في القديم ، هو لقب عروس الرب . لأجل هذا حينما كانت الأمة منحرفة وراء آلهة الأمم ، كانت الآهة التي توجه إليها أنها راحت تزني وراء آلهة غريبة . إن خيانتها لإلهها ليست أقل من جريمة الزنى الروحي . إنها خيانة لرباط الزوجية المقدس ، الذي ارتبطت به بإلهها . وفي هذه الحالة ، كانت الأمة المنحرفة تلقب « بأبناء زنى » ( هوشع ٢ : ٤ ) .  
 وهكذا حينما نادى اليهود بأنهم ليسوا أبناء زنى ، فقد كانوا يقصدون أنهم لا ينتسبون إلى أمة من عبدة الأوثان ، وأنهم طيلة تاريخهم كانوا يتعبدون للإله الحي الواحد . ويرتبطون به ارتباطاً مقدساً — إدعاء يدعو للدهشة ، ولا يمكن أن ينادى به ، إلا أناس تعلمتهم الغرور والبر اللذان نظير اليهود :



أما الثاني، فلعل اليهود قصدوا بهذا القول شيئاً يمس حياة «يسوع» الخاصة في الصميم . فنحن نعرف كيف أن المسيحيين الأولين منذ البداية لم يتوانوا في المناذاة بميلاد المسيح العذراوي المعجزي ، وأمام هذا الحق أطلق اليهود أسمى الشائعات عن «يسوع» ، وكيف أن العذراء خانت عهد خطبتها وكانت غير أمينة ليوسف ، أما ذلك الذي سقطت معه في غفلة من رجلها ، فقد كان جندياً رومانياً يدعونه « بانثيرا » أو « بانديرا » وجاء يسوع نتيجة هذه الصلة الآثمة . - كلام قبيح ما كنا نود أن نثبتته في هذه الصفحات الكريمة. لذلك فن المحتمل جداً أن اليهود كانوا يعيرون المسيح بأصله غير المعروف ، وكأني بهم يقولون له .. « بأي حق تتجاسر وتوجه لنا مثل هذا الحديث ، ونحن نعرف من أين أتيت ؟ »

ويتجاوز يسوع عن وقاحتهم ، ويعود إلى مناقشة إدعائهم بأن الله أبوهم ، فيقول لهم : لو كان الله أباً لكم بالحقيقة لكنتم تحبونني ، وترحبون بي ، هنا نجد مفتاح البشارة الرابعة ، إن المحك الحقيقي لجوهر الإنسان هو موقفه من «يسوع» ، فان كان يرى في «يسوع» كلى الجمال ، وإن كانت صورته تبدو في عينيه الأبرع جمالا من بنى البشر ، فهذا الإنسان ولاشك قد اختبر الولادة الجديدة من فوق ، وأصبح بالحقيقة إبناً لله . إن له العينين السماويتين المفتوحتين اللتين تبصران مجد الله في شخص المسيح . وإن كان لا يرى في المسيح جمالا ، فإن عينيه مازالتا تغشاها غشاوة الجهل ، إنه لم يولد بعد من الله. فيسوع هو المحك الحقيقي الذى يدين البشر ويظهر معدنهم وحقيقتهم .

وهكذا استمر «يسوع» في حلقات اتهاماته المترابطة ، التى تظهر سامعيه على حقيقتهم ، وهو يتساءل قائلا : « لماذا لاتفهمون كلامي ، وتدركون

الحق الذى أنادى به ؟ « أما الجواب فهو قاس رهيب . إنه لا يشير إلى ذهن طبيعى مغلق ، بل إلى صمم روحى رهيب . إن السبب فى عدم فهمهم ، ليس عدم مقدرتهم على الإصغاء ، أو عدم إدراكهم للحنن ، بل جمود قاس ، يدفعهم إلى عناد يرفض الفهم ، - فى إمكان الإنسان أن يغمض عينيه فى عناد قلبه فلا يبصر ، وأن يصم أذنيه فلا يسمع ، وأن يغلّق أحشاءه فلا يصل إليه صوت الضمير الصارخ . فإذا استمر الحال على هذا المنوال وقتاً طويلاً ، فإن التصامم يصل به أخيراً إلى الصمم الروحى الفعلى . قصارى القول ، أن الإنسان يستطيع فقط أن يسمع ما يريد أن يستمع إليه ، فإذا أرهف أذنيه لصوت رغائبه وشهواته ، وإذا عود سمعه على الاتجاه الخاطيء ، فإنه فى النهاية لا يستطيع أن يوجه أسماعه إلى موجات الصوت الإلهى فتلتقطها وتتأثر بها ، وتصل إلى إطاعتها ، وتمثلها فى حياة مباركة .

ثم يأتى الاتهام اللاذع - إن الآب الحقيقى لليهود هو الشيطان لا سواه ، ويسوع يثبت فى هذا المجال صفتين للشيطان .

( ١ ) أما الصفة الأولى . فهى روح العمل « قتالا للناس من البدء » وقد تكون فى خيلة « يسوع » حيناً تقدم بهذا القول صورتان . الأولى جريمة « قايين » ضد أخيه « هايل » ، لقد كان « قايين » القاتل الأول فى تاريخ البشرية : ومما لاشك فيه أنه اندفع إلى جريمته المروعة بوحى من الشيطان . أو قديكون فى فكر « يسوع » ، صورة أكثر عمومية وخطورة : صورة الشيطان ، أصل كل خطية وتجربة فى حياة الإنسان ، منذ بدء الخليقة حتى الآن ، وإلى نهاية الدهر . فمن طريق الشيطان دخلت الخطية إلى العالم . وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت إلى الجميع إذ أخطأ الكل . ( رومية ٥ : ١٣ ) فلو لم تكن هناك تجربة ، لما كانت هناك خطية ، ولو لم تكن

هناك خطية ماكان هناك موت . فحين تحدث السيد عن الشيطان ، وصوره في صورة القاتل المحرم الأوحده ، في حياة البشرية جمعاء ربما كان في فكره أنه أصل كل خطية في حياة البشر ، وعن طريق الخطية تسلك الموت إلى الجميع ، فأصبح هو ، ولو عن طريق غير مباشر ، سبب وجود الموت في تاريخ الإنسانية .

وسواء كانت الصورة الأولى المحدودة ، أو الصورة الثانية الرهيبة الشاملة ، فإن الحقيقة واحدة في كلتا صورتين : الشيطان هو أصل الموت وأن المسيح رئيس الحياة لأنه أصل الحياة ، وواهب الحياة ، وحافظ الحياة .. إن الشيطان هو قاتل البر والطهارة والصلاح والنقاوة والجمال في حياة الإنسان ، وكل مامن شأنه أن يجعل الحياة حلوة مباركة مجيدة سامية . بل إن الشيطان يقتل سلام العقل ، وراحة الضمير ، وسعادة القلب .. بل إنه هو عدو المحبة وقاتلها في حياة الإنسان .

الشيطان في جوهره هدام قتال ، والمسيح في طبيعته بناء واهب الحياة . الشر يقتل ، والمسيح يحيي .. الشر يأتي بالموت ، والمسيح يهب الحياة . كان اليهود يديرون الخطط ، ويحكيون المؤامرات لقتل المسيح . في الوقت الذي جاء فيه المسيح إلى العالم نوراً وحياة للناس . وهكذا نرى أنهم كانوا يسلكون طريق أبيهم الشيطان ، عدو الحياة والخير .

٢ - والصفة الثانية للشيطان ، الكذب ، فهو أصل كل كذب وخداع وباطل ، الكلمة الغاشة والفكر الباطل ، والحديث الملتوى ، والكذب الأبيض أو الأسود ، كما يصوره الناس ، كل هذا مصدره الشيطان ، إن كل كذبة وليدة إبليس ، تعمل عمل إبليس وتخدم مقاصده الرديئة ، فالكذب يبغض الحق ، ويحاول أن يهدمه ، لهذا السبب أبغض اليهود

يسوع ، فحينما التقى اليهود وجهاً لوجه مع رب المجد ، كان لقاء الليل  
بالنهار .. الظلمة بالنور .. الكذب بالحق . وكان طبيعياً أن يبخس الليل  
والظلمة والكذب ، النور والحق ، ويحاول أن ينتصر عليه ويبدده .

لقد وسم «يسوع» اليهود بمبسم البنوّة للشيطان ، لأن أفكارهم كانت  
تنجس إلى هدم كل صلاح ، وتعصيد كل ما هو كذب وضلال . وكل من  
يحاول أن يقف في وجه الحق ويهدمه ، يعمل عمل عدو الخير .

## الإتهام القاسى ، والإيمان اللامع

مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَىٰ خَطِيئَةٍ . فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ  
 فَلِمَ آذًا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي . الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ  
 اللَّهِ . لِذَلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللَّهِ .  
 فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا إِنَّكَ  
 سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ . أَجَابَ يَسُوعُ أَنَا لَيْسَ بِي شَيْطَانٌ  
 لَكِنِّي أَكْرِمُ أَبِي وَأَنْتُمْ تَهِينُونَنِي . أَنَا لَسْتُ أَطْلُبُ  
 مَجْدِي . يُوجَدُ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ .

(يوحنا ٤٦:٨ - ٥٠)

هذا النص يحتاج منا أن نحاول تصوير ما حدث وكأنه مجرى أمام  
 عيوننا . هنا مسرحية تجرى أحداثها أمامنا . والمسرحية لا تكمن في  
 الكلمات فحسب ، بل نستطيع أن نراها بين السطور .. في وقفات السكون .  
 إن يسوع يبدأ بالمناداة بحق جبار : « هل بينكم من يستطيع أن يكتشف  
 خطأ في حياتي ؟ من يضع أصبعه على نقطة سوداء ؟ هل بينكم من يستطيع  
 أن يوجه إلى أدنى اتهام ؟ » ولا بد وأن فترة من السكون قد مرت بعد هذه  
 الكلمات ، فيها جال السيد يبصره بين الجموع ، هنا ، وهناك ، باحثا عن  
 يقبل التحدى ، ويفتح عينه في نور شمس البر والنقاء . ويستمر الصمت

دون أن يجرؤ واحد على رفع رأسه . ولا بد وأن كل واحد ، قد أجهد ذاكرته ، وخاصة بين المقاومين ، ولكن دون جدوى . وحينما يعجز الجميع عن الجواب ، ويرين عليهم الصمت ، يتحدث إليهم «يسوع» قائلاً : «إن كنتم تعترفون بأنه لا عيب في ، فلماذا لا تقبلون كلامي؟ هنا يسود الصمت مرة أخرى ، فيعود «يسوع» إلى محابهم بالقول: أنتم لا تقبلون كلامي لأنكم لستم من الله ، وروح الله لا يسكن فيكم ... ترى ماذا قصد يسوع حين وجه هذا الاتهام إلى اليهود .؟

الجواب أنه لا يوجد اختبار يتغلغل في أعماق قلب الإنسان وفكره ، مالم يوجد في الداخل ما يتجاوب معه ... مالم يكن هناك الاستعداد الداخلي لقبول هذا الاختبار . فإذا لم يكن هذا الاستعداد الداخلي موجوداً ، فمن المحتمل جداً ألا يتم هذا الاختبار . لتأخذ على سبيل المثال حالة انسان فقد حاسة السمع . كيف به يستمتع بأنغام سيمفونية رائعة لموسيقار عظيم نظير بيتهوفن؟ أو لتأخذ حالة إنسان مصاب بداء عمى الالوان ، كيف نطلب منه أن يميز الالوان الأخاذة في تحفة رائعة لمايكل أنجلو . وهكذا حينما يحل روح الله في قلب الإنسان فإنه يعمل عملين : العمل الأول ، أنه يكشف حق الله للإنسان ويعلنه له ، والثاني ، أنه يعين الإنسان على تمييز ذلك الحق وإدراكه والتمسك به . هذا يعنى بكل جلاء ، أنه مالم يحل روح الله في قلب الإنسان فلن تكون للإنسان المقدرة على معرفة حق الله أو التمسك به . وهو يعنى أيضاً أنه حين يغلغ الإنسان قلبه في وجه روح الله ويسلك وراء شهوات قلبه ، ومسرات نفسه ، حتى لا يترك مجالاً لروح الله للسيطرة عليه ، فإنه حينما يرى الحق أمامه واضحاً جلياً لا يستطيع أن يميزه ، أو يدركه أو يتمسك به .

لقد كان «يسوع» يقول هنا لليهود ما معناه . « لقد سلكتم حسب شهواتكم . واتبعتم مشورة قلوبكم . لقد صنعتم من الذات صنما تبخرون له وتتعبدون . وهكذا لن يستطيع روح الله أن يصل إلى أعماقكم ، لأنه وجد أبواب قلوبكم موصدة أمامه ، لهذا السبب فقدتم نعمة التمييز الروحي فلم تستطيعوا أن تعرفوني ، أو تدرکوا تعليمي . »

إن اليهود في كل الأجيال والعصور ، شعب متدين ، ولكن العيب يكن في تمسكهم بأفكارهم .. بأرائهم .. بدلا من التمسك بفكر الله . وتعاليمه . وهذا العيب ، هو السر في ابتعادهم عن الله ، حتى أصبحوا شعبا بلا إله . وفي نفس الوقت الذي يظنون فيه أنهم يخدمون الله صاروا بلا إله .

ولقد كان اتهاما قاسيا حين جاء «يسوع» ، ليواجه هذا الشعب المتدين بالقول بأنهم غرباء عن الله ، لاغرابة إن كان في هذا أقصى إتهام يثير حافظهم . وهكذا في قحة مجنونة راحوا يوجهون إليه السباب . « أليس حسنا ما نقوله عنك أنك سامري ، وبك شيطان » ترى ماذا يقصدون بكلمة سامري . إنها تعني قبل كل شيء أنه عدو لإسرائيل .. فقد كانت العداوة مستعرة بين اليهود والسامريين . وهي تعني أيضاً أنه منكر للناموس ، ومحطم لبنوده شأنه شأن السامريين . وأقصى ما تعنيه كلمة سامري أنه هرطوقي . فقد أصبحت الكلمتان مترادفتين في عرف اليهود . شئ رهيب أن يوجه مثل هذا اللقب المشين لمعلم الأجيال . لكنها حقيقة مرة نستقيها من واقع الظرف ، إنه لو ظهر رب المجد ثانية ، ونادى بتعاليمه بين طوائفنا ، وكنائسنا ، ووقف في

وجه بعض التقاليد الباطلة ، لما ناله منا أقل مما ناله من اليهود . ولوجها إليه نفس التهمة الوقحة .

على أنه من المحتمل أن الكلمة التي ترجمت سامرى ، هي ترجمة محرقة - للكلمة - الأصلية . ونحن نلاحظ أن «يسوع» أجاب على التهمة الثانية ولم يجب على الاتهام الأول . إنه رد على اتهامهم : «بك شيطان» . ولكنه لم يجب على قولهم : «انك سامرى» . وهذا يدفعنا للعجب . على أن الاحتمال الذي اشرنا إليه ، هو أن تكون الكلمة مترجمة خطأ عن الأصل . في الأصل الأرامي ، وردت الكلمة «شوميرونى» . وهي لقب من القاب رئيس الأبالسة ، نظير القاب اشمداي . وشماثيل ، وشيطان . وضمن آيات القرآن ، نقرأ أن اليهود قد انحرفوا عن عبادة الله ، إلى عبادة الأوثان بأغراء شوميرون رئيس الأبالسة . وهكذا إن كانت الكلمة على هذه الصورة ، يكون المعنيان مترادفين : «السنا نقول حسنا إنك ابن إبليس «شوميرون» وبك شيطان ؟» «وجيبهم «يسوع» : «اننى ابعد من أن اكون ابنا لعدو الخير . فاننا اكرم الله ، وأنتم بسلوككم المنحرف تهينون الله . فمن منابه شيطان ؟ ومن منا يلقب بأسماء الأبالسة ؟ انتم ولا شك ، لأن اعمالكم الشريرة تشهد عليكم بحق . ثم تأتي قمة الإعلان عن ايمان «يسوع» حين يقول «مجدد من الناس لست أقبل» اننى لا ابحت عن المجد في هذا العالم . اننى اعترف أن مصيرى هو الرفض ، والهوان ، والعار ، والصليب . ولكن سيأتى اليوم الذى يوضع فيه . كل في موضعه . سيأتى اليوم الذى يضع فيه الآب تاج المجد على جبين من يستحق . إنه سيهينى المجد الحقيقى ، الذى هو مجده» . لقد كان يسوع واثقا بنهاية الأشياء .. كانت له النظرة البعيدة المدى . التي تحترق الأجيال ، وتصل إلى ما وراء الدهور -



فى الزمن لم يكن له سوى العار والهوان .. وفى الأبد ، كان يرى التيجان  
الذى تنتظره ، وتنتظر كل من يطيع الآب السماوى ويمجد اسمه فى  
غير فساد ..

لقد كان ليسوع التفاؤل العظيم ، النابع من إيمانه العظيم ، التفاؤل  
الذى يتعمق ويتأصل فى الآله الحى .

## الحياة والمجد

أَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي  
فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ الْآنَ  
عَلِمْنَا أَنَّ بِكَ شَيْطَانًا . قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالْأَنْبِيَاءُ .  
وَأَنْتَ تَقُولُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَذُوقَ  
الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ . أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي  
مَاتَ . وَالْأَنْبِيَاءُ مَاتُوا . مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ . أَجَابَ يَسُوعُ  
إِنْ كُنْتُ أَمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا . أَبِي هُوَ الَّذِي  
يُمَجِّدُنِي الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ .  
وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ . وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ  
مِثْلَكُمْ كَاذِبًا . لَكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ .

( يوحنا ٥: ١٨ - ٥٥ )

هذه الفقرة تنقلنا من مجد إلى مجد . فبين سطورها نلمح إعلانات تشبه  
ومضات البرق تتألق الواحدة بعد الأخرى . هنا يتقدم يسوع « متحدثا عن  
ذاته بإعلان بعد إعلان ، الواحد أعظم من الذي يسبقه ، فالذي يسمع كلامه  
ويؤمن به ويطيعه لا يرى الموت . وكان هذا الإعلان صدمة كبرى

للإهود . لقد قال زكريا النبي « آباؤكم أين هم . والأنبياء هل أبداً  
يحْيون . »

(زكريا ١ : ٥)

لقد انتهت حياة إبراهيم : والأنبياء أيضاً رقدوا تحت التراب ، ألم يحفظوا  
في يومهم وفي جيلهم وصايا القدير . فمن يكون « يسوع » حتى يضع نفسه  
في مركز أرفع من أبطال الإيمان هؤلاء ؟ لقد كان الإهود يتمسكون بحرفية  
الكلام . وفي هذا كانت عثرتهم . كان ضيق فكرهم هو السر في غباوتهم  
وعدم فهمهم . فلم يكن « يسوع » يتحدث عن الحياة المادية ، والموت المادي .  
لقد كان يقصد بقوله هذا أن الإنسان الذي يقبله لا يوجد ما يسمى بالموت  
بالنسبة له . لقد فقد الموت حتميته بالنسبة له . إن الذي يدخل في شركة الحياة  
الأبدية مع « يسوع » ، قد دخل في شركة بعيدة كل البعد عن الزمن ، لا تنطبق  
عليها المقاييس الزمنية التي يقبل « يسوع » قد دخل في شركة مع ، الله لا يستطيع  
الزمن ولا الأبد ، ان يسيطر عليها او يحطماها بأية صورة . مثل هذا الإنسان  
لا ينتقل من حياة إلى موت ، بل من حياة إلى حياة . وما الموت إلا المدخل  
الذي يوصله إلى صلة أقرب إلى إلهه .

ويتطرق السيد في حديثه ، من هذه العقيدة ، ليقدّم حقاً عظيماً بعد ذلك :  
إن كل أكرام حقيقي منبعه هو الآب . فليس من الصعب العسير ان يكرم  
الإنسان نفسه ، في استطاعة كل إنسان أن يحيط نفسه بهالة من المجد المصطنع  
هذا شيء يسير ، ولكنه في نفس الوقت خطير ، أن يحيا الإنسان في نور  
أحلام رضاه ، وليس من العسير ايضاً كسب مدح البشر ، فالعالم يكرم  
الناجحين الطموحين . ولكن المجد الحقيقي ، هو الذي تعلنه الأبدية وليس  
الزمن . فمقاييس الأبدية تختلف عن مقاييس الزمن .

ثم ينادى «يسوع» بدعامتين أساسيتين في حياته . .

١- فهو وحده الذى له المعرفة الفريدة بالله . إنه وحده الذى يعرف الله كما لم يعرفه مخلوق قبله ، وكما لن يعرفه إنسان بعده . بل الأكثر من ذلك إن اراد أحدا أن يصل إلى معرفة حقيقته بالله فلا سبيل آخر له غير طريق المسيح . إنه وحده الطريق المؤدى إلى معرفة الله الحقيقية . قد نستطيع أن نصل بعقولنا إلى معرفة جزئية سطحية عن الله . ولكن المعرفة الكاملة تأتي عن طريق المسيح . فهو وحده إعلان الله الكامل للبشر وفيه تتمثل صورة الله في ملء جلالها وسموها .

٢- وهو أيضا وحده الذى وصل إلى الطاعة الكاملة لله . إنه وحده الذى يحفظ وصايا الله بلا نقص . وهكذا حين يتأمل الإنسان حياة «يسوع» يستطيع أن يقول : «هذه هي الصورة المباركة، التى يريدنى الله ان أكون على مثالها» ، وإذا يتمثل به يصل إلى كمال خدمة الله .

في «يسوع» وليس في سواه ، نعرف ما يريدنا الله أن نصل إلى معرفته  
وفي «يسوع» وليس في سواه ، نصل إلى ما يريدنا الله أن نكون عليه .

## الادعاء الكبير

أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَن يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ .  
فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ  
إِبْرَاهِيمَ . قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ  
يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَاتِنٌ . فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ .  
أَمَّا يَسُوعُ فَأَخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازاً فِي وَسْطِهِمْ  
وَمَضَى هَكَذَا

( برحنا ٥٦:٨ - ٥٩ )

. إن كل التصريحات السابقة التي نطق بها «يسوع» ، تبدو كألسنة من  
الترق الخاطف ، إزاء هذا التصريح المتوهج اللامع . فحينما تحدث «يسوع»  
بأن إبراهيم ، رجل الطاعة والإيمان ، تطلع فرأى يومه ، فابتهج بفرح  
لا ينطق به ، كان يتحدث إلى اليهود باللغة التي يفهمونها . لقد كان اليهود  
يحيطون إبراهيم بأكثر من قصة من قصص الإيمان ، وعن طريق هذه الصور  
نستطيع أن ندرك ما يهدف إليه «يسوع» في حديثه معهم على هذه الصورة .  
ولو طلبنا من اليهود أن يفسروا لنا هذه الفقرة ، لقدموا لنا خمسة احتمالات  
في طريق تفسيرها ..

(١) فإبراهيم منذ نهاية حياته على الأرض حتى ذلك الحين ، يحيا في الفردوس ،

وفي امكانه أن يرى كل ما يجري على الأرض ، وإذارجعنا الى مثل الغنى  
ولعازر الذى تقدم به السيد ، نراه ينحو نفس المنحى .

(لوقا ١٦ : ٢٢ - ٣١)

(ب) ولكن ليس هذا هو التفسير الصائب الذى كان «يسوع» يقصده ،  
لقد قال «يسوع» : «أبوكم «إبراهيم» تهلل .. فرأى وفرح بصيغة الماضى ،  
واليهود يفسرون بعض نصوص التوراة بطريقة تشرح لنا هذا القول . لقد  
كانوا يفسرونه فى نور الوعد الذى نطق به الرب لإبراهيم (تكوين ١٢ : ٣)  
«فى تسلك تبارك جميع قبائل الأرض» .

ويقول أحبار اليهود إنه حينما أعطى الرب هذا الوعد لعبده ، كان يقصد  
الأشارة الى أن المسيا الذى فيه تبارك جميع الأمم والشعوب ، سوف يأتى  
من أحشائه ، وهكذا فاض قلبه بالفرح والتهليل فى ضوء أمجاد هذا الوعد  
المبارك .

(ج) وهناك بعض الأحبار يرجحون أن الرؤيا التى رآها «إبراهيم» كما  
أثبتت فى (تكوين ١٥ : ٨ - ٢١) ، قد اعلن له فيها كل مستقبل الأمة اليهودية  
وهكذا لا بد وأنه رأى عهد المسيا المشرق بالرجاء .

(د) والبعض يتجهون الى ما ورد فى (تكوين ١٧ : ١٧) الذى يخبرنا  
كيف أن «إبراهيم» ضحك حينما سمع بأنه سيكون له ابن ، ولم تكن هذه الضحكة ،  
ضحكة السخرية او عدم الإيمان ، بل كانت ضحكة البهجة والتهليل حينما  
رأى بان المسيا سوف يأتى من تسله .

(هـ) وهناك تفسير آخر خيالى يتجه إليه البعض ، استناداً الى ما ورد فى

(تكوين ٢٤ : ١) : « وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام » ، وعلى هذا الأساس يتصورون أن كلمة تقدم في الأيام ، تعنى أنه دارت به عجلة الزمن ، فوصل إلى الأحقاب القادمة ، ورأى في تاريخ أمته يوم المسيا وعهده المجيد !

من هذه الصور مجتمعة ، نستطيع أن ندرك بوضوح ، أن اليهود كانوا يؤمنون بأن إبراهيم في حياته ، بصورة أو بأخرى ، قد كانت له الرؤيا عن تاريخ اسرائيل ، وعن عهد المسيا . وهكذا حينما قال المسيح ، إن «إبراهيم» قد رأى يومه وفرح ، كان يؤكد ضمنا ، أنه ليس أقل من المسيا المنتظر « رجاء اليهود في كل العصور والأجيال .

فالمسيح يقصد هنا أن يقول لسامعيه : «إنكم تؤمنون بأن إبراهيم قد وهبه الله الرؤيا عن يوم المسيا وأنه رآه . لقد رأى خليل الله يومي . . . رأى منذ آلاف السنين . «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح» .

أما بعض المسيحيين الأولين فلهم تفسير خيالي للغاية . فهم يتجهون إلى ما ورد في رسالة بطرس الأولى (٤ : ١٨ - ٢٢) و (٥ : ٦) ، إلى الفقرتين الغامضتين ، اللتين نشأت عقيدة نزول المسيح إلى الهاوية ، واللتين بسببهما دخلت كلمة «ونزل إلى الجحيم» ضمن قانون الإيمان المسيحي . ومن الملاحظ أن الكلمة التي ترجمت «الجحيم» هي في الأصل «هادز» أى الهاوية . فكلمة جحيم تعطي الفكرة الخاطئة ، بأن المسيح قد ذهب إلى مكان العذاب المخصص للأشرار والعصاة حيث يتعذب الأثمة والفجار . إن الهاوية في الفكر اليهودي ، هي أرض الأشباح ، أو الأرواح ، الخيرة والردية على حد سواء ... أرض الأخيصة التي آمن اليهود بوجودها ، قبل أن يشرق عليهم الاقتناع الكامل بالخلود . وضمن أحد كتب أبو كريفيا العهد الجديد ، ويعرف باسم انجيل

يقود يوحنا أو أعمال بيلاطس ، نجد فقرة تشير إلى روح إبراهيم ، وكيف  
تهلل حينما اشرق نور يسوع ، على أرض الظلمة وظلال الموت ، وحينما نزل  
المسيح إلى أرض الموتى .

القصة تبدأ يوم صلب المسيح ، حين يظهر اثنان من الموتى الذين استيقظوا  
يوم تشققت القبور ، وقام كثيرون من الراقدين . وهذان يرويان ما حدث  
هناك في وادي الأرواح ، فيبدأن القصة بالقول . .

وأما الرب يسوع المسيح ، بإقامة وحياة كل الوجود . هبنا نعمتك  
حتى نخرج بقيامتك ، وبالأعمال العجيبة التي قمت بها في وادي الموتى في  
الهاوية . لقد كنا معهم جميعا . . . مع اولئك الذين رقدوا منذ بدء  
الخليقة . وفي ظلمة نصف الليل التي كانت تسود هناك ، أشرق نور كنور  
الشمس في وقت الظهيرة وأضاء كل شيء حتى استطعنا أن نرى أحدنا  
الآخر .

وعند ذاك هتف أبونا إبراهيم مع الآباء والأنبياء بفرح عظيم : « هذا  
النور يأتي من النور العظيم المشرق على العالم كله » .

وهكذا نرى في هذه القصة ، كيف أن الموتى رأوا « يسوع » وأعطيت لهم  
الفرصة ليتوبوا عن خطاياهم ، ويؤمنوا به ، حتى لا يكون لأنسان أدنى عذر  
في يوم الدين . إنه لم ير المسيح ولم يسمع عنه . . . وضمن الأرواح التي  
شاهدت هذا المنظر البهيح « إبراهيم » ، فرأى وتهلل وفرح . . .

هذه الآراء قد تبدو غريبة لدينا: ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة لسامعيها .  
ولقد أفضنا في ذكر الصور ، التي دعت اليهود إلى الإيمان ، بأن إبراهيم رأى  
يوم المسيا ، ومع ذلك استمر اولئك في عنادهم وتمسكهم بحرفية الكلام ،



فهِتَفُوا مَعْتَرِضِينَ بِالْقَوْلِ : « لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدَ فَكَيْفِ رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ! » وَلِمَا ذَا عَدَدِ الْخَمْسِينَ ؟ لَقَدْ كَانَتْ سِنُ الْخَمْسِينَ هِيَ السَّنُ الَّتِي يَعْزَلُ فِيهَا اللَّادِيُونَ الْخِدْمَةَ ( عَدَدُ ٤ : ٣ ) . وَلِذَلِكَ فَقَدْ قَصَدُوا أَنْ يَقُولُوا لِيَسُوعَ : « إِنَّكَ بَعْدَ شَابٍ فِي عِنْفَوَانِ قَوْتِكَ ، وَلَمْ تَصِلْ بِكَ السَّنُ إِلَى اكْتِمَالِ خِدْمَتِكَ . فَكَيْفِ رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ؟ هَذَا كَلَامٌ مُخْتَلٌ فَقَدْ عَقَلَهُ » .

فَإِذَا بِيَسُوعَ يَجَاهِبُهُمْ بِأُرُوعِ شَهَادَةٍ صَرِيحَةٍ نَطَقَ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ : « قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ أَنَا كَاتِنٌ » إِنَّ السَّيِّدَ رَبَّ الْمَجْدِ الْأَزَلِيِّ لَا يَقُولُ هُنَا « قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ أَنَا كُنْتُ » بَلْ يَنَادِي « أَنَا كَاتِنٌ » إِشَارَةً إِلَى أَرْزَلِيَّتِهِ ، وَأَبْدِيَّتِهِ ، وَعَدَمِ تَقْيِيدِهِ بِحَسَابِ الزَّمَنِ .

فَالزَّمَنُ لَا يَجِدُهُ . لَا نَعْلَمُ أَنَّهُ وَجَدَ وَقْتًا لَمْ يَكُنْ هُوَ قِيَهُ ، وَلَنْ يَوْجِدَ زَمَانَ يَنْتَقِطُ هُوَ فِيهِ عَنِ الْوُجُودِ . لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ عَنِ يَسُوعَ : لَقَدْ كَانَ ، يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ عَنْهُ هُوَ الْكَاتِنُ .

تَرَى مَاذَا يَعْْنِي « يَسُوعَ » بِقَوْلِهِ هَذَا ؟

إِنَّهُ لَا يَعْْنِي بِالطَّبِيعِ أَنَّ « يَسُوعَ » النَّاسُوتُ قَدْ وَجَدَ مِنْذُ الْأَزَلِ .

فَنَحْنُ نُوْمِنُ أَنَّ « يَسُوعَ » بِالْجَسَدِ مَقْيِدُ بِيَدِهِ . فَهُوَ قَدْ وُلِدَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ . وَلَكِنْ الْمَقْصُودُ أَعْمَقُ مِنْ هَذَا . لَا يَوْجِدُ فِي الْوُجُودِ كَلَّهُ إِلَّا وَاحِدٌ لَا يَتَقْيَدُ بِالزَّمَنِ . لَا يَوْجِدُ إِلَّا وَاحِدٌ هُوَ اسْمِي مِنْ مَقْيَاسِ الزَّمَنِ ، وَأَعْمَقُ مِنْ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ حُدُودُ الْوَقْتِ . . إِنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ عَنْ نَفْسِهِ : أَنَا الْكَاتِنُ الْكَاتِنُ . . أَهِيَهُ الَّذِي أَهِيَهُ .

وَهَذَا الْوَاحِدُ هُوَ اللَّهُ . .

لقد كان يسوع يقول لليهود « إن وجودى ليس أقل من وجود الله .  
وحياتى ليست أقل من حياة الله . وفى كيانى يمتزج الأزل بالأبد ، بصورة  
تسمو على مقاييس الزمن المادى . أو كما عبر عن ذلك كاتب العبرانيين  
بصورة أكثر بساطة : «أمسا ، واليوم ، وإلى الأبد» . فى يسوع نرى ليس  
فقط ابن الإنسان الذى جاء إلى عالمنا ، وجال بين الناس يصنع خيراً ،  
وانتهت حياته بالصليب . . لكن فيه نرى الاله غير المحدود بالزمن . .  
إله إبراهيم واسحق ويعقوب . . الذى كان قبل أن يكون الزمن ، والذى  
يكون بعد أن يبتلع الزمن فى الأبد . . هو الكائن على الدوام . . فى  
يسوع اعلن الاله السرمدى ذاته للبشر . .

## الأصحاح التاسع

### نور للعيون المظلمة

وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وِلَادَتِهِ .  
فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ  
حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى . أَجَابَ يَسُوعُ لَا هَذَا أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ  
لَكِنْ لِيَتَّظَهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ . يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ  
الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ . يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لَا يَسْتَطِيعُ  
أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ . مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ .

(يوحنا ٩ : ١ - ٥)

هذه هي المعجزة الوحيدة في البشائر ، التي كان فيها المريض مصاباً منذ ولادته . في سفر الأعمال نجد أيضاً حالتين قيل عنهما إنهما كانا عاجزين منذ ولادتهما : الأعرج من بطن أمه الذي كان يستعطي عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل (أعمال ٣ : ٢) وكذلك المقعد من بطن أمه في مدينة لسرة (أعمال ١٤ : ٨) . وهذا الإنسان هو الوحيد في البشائر الذي ورد عنه أنه أعمى من بطن أمه . ولعله كان شخصاً معروفاً للجميع لأن التلاميذ كانوا يعرفون كل شيء عنه . وحينما رأوه

انتهزوا الفرصة ليستوضحوا من معلمهم مشكلة كانت تشغل بال الفكر اليهودى ، كما أنها مازالت تشغل بال البعض منا فى وقتنا الحاضر : مشكلة الألم وعلاقته بالخطية . لقد كان اليهود يقرنون بلا تردد ، آلام الإنسان بخطاياهم . كانوا يستندون على أساس أنه حينما وجد الألم فلا بد وأن تكون هناك الخطية .

« هذا الإنسان أعمى » هكذا تساءلوا « هل هذه الإصابة نتيجة لخطاياهم ، أم أوقعها الله عليه عقاباً لخطايا ارتكباها أبواه ؟ » أما كونه خطأ ، فهذا غير منطقي ، لأن العمى أصابه منذ ولادته . ترى لماذا يجيب أجاب اليهود على هذا التساؤل ؟

١ - البعض يتمسكون بعقيدة غريبة عن خطايا ما قبل الولادة . فهم يعتقدون أنه فى الإمكان أن يبدأ الإنسان فى ارتكاب خطاياهم حتى ولو لم يولد بعد ! وهو فى بطن أمه . وضمن الأدب اليهودى القديم ، وردت حادثة خيالية بين المدعو « أنطونيوس » وبين الحبر « يهوذا » البطريرك فيها يسأله الأول : من أى وقت يبدأ الشيطان عمله منذ لحظة تكوينه فى بطن أمه ، أم منذ ولادته ؟ فيجيبه الحبر اليهودى « منذ أن يبدأ تصويره فى البطن » ويعترض أنطونيوس على هذا رأى ، محاولاً بالحجة أن يقنع محدثه بخطأ رأيه ، فيقول « لو كان الشر يبدأ منذ تكوين الجنين » ، لتضايق الجنين من السجن الذى يحيا فيه ، وراخ يرفس ويمزق أحشاء أمه وربما أدى ذلك إلى موتها ، أو إلى خروجه قبل الأوان ، أما الحبر فيبحث فى كتب الناموس فلا يجد إلا الآية الواردة فى سفر التكوين ( ٤ : ٤٧ ) « هناك خطية رابضة عند الباب » أى أنه عند باب الرحم تكمن الخطية منتظرة اللحظة التى يتكون فيها الإنسان ، ملازمة إياه طيلة فترة الحمل ، مولودة معه بولادته . ولعل مثل هذا الفكر

كان يراود مخيلة المرئم حينما نطق بالقول المعروف : « بالآثام صورت وبالخطية جبلت بي أمى » لقد كانت لليهود الفكرة عن بداية الخطية منذ بداية حياة الإنسان ، وتكوينه .

٢ - وفى عصر المسيح ، تأثر اليهود بالثقافة اليونانية أيمائأثر وبنظريات «أفلاطون» عن الوجود السابق لروح الإنسان . وهكذا آمنوا بأن أرواح جميع الأجيال كانت موجودة منذ البدء فى جنة عدن ، قبل خلق العالم ، وقال آخرون إنها كانت فى السماء السابعة ، بينما اعتقد غيرهم بأنها كانت فى مكان غير معروف أعده الله لها ، وهى تنتظر وجود الجسد وتكوينه لتدخل فيه ، وكان اليونانيون يعتقدون أيضاً، وعنهم نقل اليهود أن هذه الأرواح خيرة بطبيعتها وأنها لا تتلوث إلا عند دخولها الأجساد ولكن بعض اليهود آمن أن هناك أرواحاً طيبة وأخرى غير سالحة، وضمن سفر الحكمة ، وهو أحد الأسفار الأبوكريفية نقرأ القول .. « كنت طفلاً طيباً بطبيعتى ، وكان من نصيبى النفس الطيبة » (حكمة ٨ : ١٩) .

وهكذا فى عصر المسيح، كان البعض يؤمنون بأن المصائب التى تحل بجسد الإنسان منذ ولادته هى بسبب خطايا نفس رديئة اتحدت به - عقيدة غريبة ولاشك، لا يمكن أن يقبلها العقل . ولكن من خلفها تكمن عقيدة العالم الذى وضع فى الشرير .

وبحسب عقيدتهم قد يكون من الجانب الآخر خطايا الوالدين . إن الفكر بأن الأطفال يرثون نتيجة خطايا والديهم ، نجده منتشرأ فى صفحات العهد القديم . « أنا الرب إلهك إله غيور ، افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع .. ( خروج ٢١ : ٥ ، ٣٤ : ٧ ، عدد ١٤ : ١٨ ) وعن الإنسان الشرير ، وهى نبوة طبقت فيما بعد على «يهودا الأسخريوطى»

الذى أسلم سيده ، نجد المرنم يقول : « ليذكر إثم آبائه لدى الرب ولا تمح خطية أمه .. » (مزمور ١٠٩: ١٤) ، يتحدث «إشعيا» بلسان الله عن خطايا الشعب وخطايا الآباء قائلا : هكذا اكتبب أمامى ولا أسكت بل أجازى . آثامكم وآثام آبائكم معاً » (إشعيا ٦ : ٦ ، ٧) لقد كان أحد مفاتيح عقيدة العهد القديم ، أن الأطفال يرثون خطايا والديهم . ولسنا ننكر أن شر الإنسان لا يكون وفقاً على ذاته : وأن نتائج فعالة لا تحقيق به فحسب ، بل بالآخرين أيضاً ، وعلى الأخص أبناؤه فلا أحد يحيا لذاته ، ولا أحد يموت لذاته ، وحينما نخطيء الإنسان فإنه ينشر سلسلة من النتائج ، التى لا يعلم مدى تأثيرها إلا الله .

نور للعيون المظلمة (تابع) (يوحنا ٩ : ١-٥)

وإذ نتقدم فى دراستنا لهذه الفقرة يتضح أمامنا مبدآن أساسيان :

١- فنحن نرى «يسوع» لا يحاول أن يستجلى غوامض العلاقة بين الخطية والألم ، أو يفسر مدلولها . بل يقول لتابعيه إن الآلام قد حلت بهذا الإنسان لكي يعطى فرصة لقدرة الله لتظهر فيه ، حتى يتمجد الله بواسطته . وهذا حق يتمشى مع منطق البشارة الرابعة فى صورتين .

(١) فالمعجزة فى عرف «يوحنا» هى علامة قوة الله ومجده . البشائر الثلاث الأخرى تنبئ اتجاهات أخرى فى تفسيرها للمعجزة . فهى ترى فيها فيض حنان يسوع من نحو المتألم والمحتاج . فحين قام «يسوع» بمعجزة اشباع الجماهير فلذلك لأنه رأى الجموع الجائعة وتحنن عليها لأنهم كانوا كغنم لاراعى لها (مرقس ٦ : ١٤) . وحينما أتى المريض المصاب بالبرص بحالته الرهيبة إلى طبيب الأنسانية الأعظم ، طالبا منه التطهير ، نجد «يسوع» يتحنن عليه ويمد يده ويبرئ (مرقس ١ : ٤١) .

وهنا نرى منطق البشارة الرابعة في تفسيرها للمعجزة يغير المنطق التفسيري الذى درج عليه البشرون الآخرون . البشائر الأخرى ترى في المعجزة عنصر العطف ، والحنان من جانب السيد ، ودافع الحاجة والألم من جانب المحتاج والمتألم . أما البشارة الرابعة فهي ترى في المعجزة أظهار قوة الله ومجده . ولا تناقض بين هذا المنطق وذاك . فهما مجرد نظرتين متكاملتين لحقيقة واحدة . ووراء هذه وتلك يكمن الحق الأعظم : إن مجد الله يتبلور ويظهر في فيض عواطفه وحنانه ، وإن مجد الله لا يظهر في ملء جلاله وسموه ، إلا حينما يكشف عن أحساسه الفاضلة ، ويمد يده للمتعب والمتألم والمحتاج .

(ب) وهناك معنى آخر يظهر به الألم مقدره الله ومجده . فالحزن ، والمرض ، والضيق ، والانكسار ، والحسائر ، كلها تظهر مدى ما يستطيع الله أن يقدمه للإنسان . فحينما يأتي سيل المتاعب ، ويصدم كيان إنسان لا يعرف الله ، فمن المحتمل جدا أن تتداعى قوته وينهار بنيانه . ولكنها حينما تحمل بانسان يحيا مع الله ، ويسير معه ، فهي تزيد بهاء ، واحتمالا ، وصبرا ، وتصبر معدنه فيزداد نقاء . وهكذا تصفيه المتاعب وتنقيه التجارب .

يقال عن أحد القديسين إنه في ساعته الأخيرة حينما كان يتقلب على فراش الألم والمرض ، أرسل يطلب أفراد أسرته قائلا : تعالوا لتنظروا كيف يتصر المسيحى على آلامه وموته . فحينما تهب علينا عواصف الحياة في ملء قسوتها تكون لنا الفرصة لتمجيد الله في ملء قوته في حياتنا ونظهر للعالم أجمع كيف يمكن أن يحيا المسيحى في آلامه ، وكيف يمكن بالتالى لو اقتضى الأمر ، أن يموت . إن أى نوع من أنواع الألم ، هو فرصة الله ، ليظهر مجده في حياتنا وآلامنا .

كما أن الألم يعيننا على الاحساس بالآلام الغير ، وهكذا نمد لهم يد المعونة حاجاتهم ، فنظهر مجد الله في عمل الرحمة الذي نقوم به . ولقرانك لوباخ رائد محور الأمية المسيحي ، فكر عظيم في هذا الصدد فقد كان ينادى أنه حينما يتحد المسيح بحياتنا ، وهو وحده الطريق ، تصبح نحن جزءا من طريق الله ، ويمر طريق الله السلطاني فينا . أننا حينما نمد يد المعونة بأذلين نفوسنا لخدمة الآخرين في الامهم وضيقاتهم ، وامراضهم ، واحزانهم ، يستخدمنا الله طريقا رئيسيا يوصل به عونه وتعزياته إلى قلوب شعبه . وتقديم المعونة لإنسان يحتاج إلى المعونة ، هو إظهار لمجد الله ومقدرته بواسطتنا .

ثم يستمر يسوع قائلا : إنه ينبغي عليه ، كما ينبغي على أتباعه ، أن يعملوا أعمال الله ، ما دامت الفرصة تسمح بذلك . إن الله قد أعطى الإنسان نهار العمل ، وليل الراحة ، واليوم شمس تغرب ، وفرصة العمل فيه تنتهي . لقد كان هذا الحق صحيحا بالنسبة ليسوع ، لأن نهار حياته على الأرض كان وشيك الانتهاء ، وليل الصليب كان يزحف في الأفق . وهو أيضا حق بالنسبة لكل واحد منا . فنهار الحياة قصير محدود .

وما ينبغي أن نعمله ، لنعمله بأوفر سرعة . هناك مزولة (ساعة شمسية ) في مدينة جلاسكو ، نقشت عليها هذه الكلمات : «فكر في الزمن قبل أن يهرب الزمن» . اننا لا نستطيع أن نؤجل واجب اليوم إلى الغد ، فقد لا يأتي الغد على الإطلاق . ومن واجب المسيحي أن يستغل كل لحظة اعطاها الرب له في خدمة الله وخدمة اخوته . ولا صرخة بأس تعدل صرخة إنسان يهتف بعد فوات الفرصة : «مضى الصيف ، وانتهى الحصاد» .

على أن السيد يقول : مادمت في العالم قانا . نور العالم ، وهذا يأتي بنا



إلى معنى جديد في إستغلال الفرصة . فهذه الكلمة لا تشير إلى أن حياة «يسوع» مخلوذة ووقته ضيق . بل تشير بالتالى، إلى أن فرصتنا نحن في الأمسك بالحياة ضيقة محدودة . . . فرصتنا في الحياة . . . في النور . . . في الخدمة الحية . فقد تأتى علينا فرصة العمر ، لنقرر إن كنا نقبل المسيح مخلصا وربا وسيدا في حياتنا . فاذا لم نغتئها قد تذهب ولا تعود .

محدثنا أحد الثقات. (١) ، عن السن التي يبدو فيها الإنسان أكثر قابلية للحصول على التجديد فيقول . إن التجديد يمكن أن يبدأ في السابعة أو الثامنة من العمر وتزداد قابلية الإنسان لقبول المسيح مخلصا حتى العاشرة ، أو الحادية عشرة من عمره . حتى تصل إلى منهاها في سن السادسة عشرة .

فإذا وصل إلى سن العشرين بدأت تتناقص فرصة قبوله للمسيح حتى إذا تقدمت به العمر إلى الثلاثين دون أن يقبل المسيح ، كان تجديده نادراً .. إن الله يقول لنا : « هو ذا الآن وقت مقبول هو ذا الآن يوم خلاص . إن سمعتم اليوم صوته فلا تقسوا قلوبكم » . إن قوة يسوع لا تتناقص بمرور الوقت ، ونوره لا يتضاءل . ولكننا إن لم نغتئم الفرصة يوماً بعد يوم ، وإن أجلنا اتخذ القرار الحاسم في حياتنا، نصبح إقل مقدرة وقابلية بعد ذلك ، حينما تتقدم بنا السنون . ينبغي أن نعمل عمل الله . . . ينبغي أن نتخذ قرار الله في حياتنا ، ما دام نهار ، لأنه يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يتخذ فيه قراراً ، أو يعمل فيه عملاً .

---

( ١ ) ا . د . ستارك .

## خطوات معجزة

قَالَ هَذَا وَتَفَلَ عَلَى الْأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً  
وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنِي الْأَعْمَى . وَقَالَ لَهُ أَذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي  
بِرْكَةِ سِلْوَامٍ . الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ . فَمَضَى وَاغْتَسَلَ  
وَأَتَى بِصِيرًا .

فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلًا أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى  
قَالُوا أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطَى .  
آخَرُونَ قَالُوا هَذَا هُوَ . وَآخَرُونَ إِنَّهُ يُشْبِهُهُ ، وَأَمَّا هُوَ  
فَقَالَ إِنِّي أَنَا هُوَ . فَقَالُوا لَهُ كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ .  
أَجَابَ ذَلِكَ وَقَالَ . إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِيناً  
وَطَلَى عَيْنِي وَقَالَ لِي أَذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ سِلْوَامٍ وَاغْتَسِلْ .  
فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ . فَقَالُوا لَهُ أَيْنَ ذَلِكَ .  
قَالَ لَا أَعْلَمُ .

(يوحنا ٩ : ٦ - ١٢)

هناك معجزتان، ورد فيها عن يسوع «، أنه شفى مريضه عن طريق البصاق.  
هذه المعجزة ، وأيضا معجزة شفاء الأعمى الأبكم ، الواردة في بشارة مرقس  
( ٧ : ٣٣ )

واستعمال البصاق هنا قد يبدو في نظرنا شيئاً غريباً منفراً وغير عادى، ولكنه كان شيئاً عادياً في تلك العصور. السحيفة في القدم . لقد كان القداى يعتقدون بأن البصاق، وبخاصة بصاق إنسان عظيم له خواصه الشافية. ويحدثنا المؤرخ الرومانى « تاسيتوس » عن الامبراطور فاسباسيان ، إنه حين كان في زيارة لمدينة الاسكندرية ، جاء إليه إثنان من المرضى ، الواحد بعينين لا تبصران ، والآخر بيد شلاء جامدة ، وهما يتضرعان إليه هاتفين، بأن الآلهة طلبت منهما أن يسرعا إليه ليجدا الشفاء على يديه. أما الأعمى، فقد رجاه أن يبلل مقلتيه الغائمتين ببصاقه ، بينما توسل إليه الثانى أن « يطلأ يده العاجزة بقدمه . ولكن فاسباسيان تردد بادىء الأمر . ولما ألح عليه الذين حوله لم يجد بداً من القيام بهذا العمل . ويؤكد المؤرخ الرومانى بأن « اليد العاجزة قد عادت إليها قوتها في الحال ، واستعادت العينان المظلمتان إبصارها (1) » .

أما « بلينى » الرومانى الذى اشتهر بتحقيق كل ظاهرة ومناقشتها من الناحية العلمية ، فقد أفرد فصلاً كاملاً للحديث عن البصاق وجدواه ، فهو ترياق ملوكى لسم الثعابين، وهو للوقاية من داء الصرع ، وإذا كان البصاق لصائماً، انقطع مدة عن تناول الطعام ، فهو يشفى بقع البرص البيضاء ، أما الرمذ فهو يستجيب لدهنة من هذا البصاق تطلأ بها العينان كل يوم ، حتى داء سرطان العنق يمكن شفاؤه كذلك !

ثم وصل الأمر إلى أن دخل البصاق ميدان السحر . . فهو يشفى من العين الشريرة . وعن القريش نقرأ أن خالة الطفل أو جدته ، إذا كانت تقية.

---

( ١ ) أنظر كتاب تاريخ تاسيتوس .

تخاف الآلهة ، تستطيع أن تقى الطفل شر الحسد ، بأن ترفعه من مهده على ذراعها وتدهن جبينه بالبصاق اللامع بأصبعها الوسطى .

ولعلنا نجد أثراً لمثل هذه التقاليد ، حينما يلمس الإنسان بأصبعه جسماً ساخناً ، فيسرع بوضع أصبعه في فمه ، ويبلل مكان الإصابة بريقه . بل هناك البعض يعتقدون أن التأليل يمكن شفاؤها ببصاق الصائم .

أما كون المسيح قد استخدم هذه الوسطة المعروفة فلعله أراد أن يزيد في إيمان الرجل الأعمى باستخدام هذه الوسيلة ، وهكذا تتلاقى قوته المعجزية مع إيمان المريض فتتم المعجزة .

وهناك تأويل آخر ، ولا نقول عنه إنه تفسير ، يرجح بأن مقلتي ذلك المولود أعمى ، لم تكونا موجودتين أصلاً . وكما قام الكلمة الخالق في بدء الخليقة بمخلوق آدم من الطين ، هكذا صنع الكلمة المتجسد من الطين واسطة لتعويض العينين الناقصتين وخلقهما . فأثبت المسيح بهذه المعجزة أنه الخالق الأزلى ، الذى أبدع بأصابعه آدم من تراب الأرض ..

قصارى القول ، أن المسيح كالطبيب الأعظم الحكيم ، لم يصدع مريضه باستخدام وسيلة فوق الطبيعة ، بل كسب ثقته ، وزاد في إيمانه ، باستخدام واسطة معروفة في عصره . ليس لأنه آمن بهذه الوسطة أو تلك ، بل ليزيد من ثقة مريضه فيه ، ويزيد فيه روح الرغبة ، والتوقع فيما سوف يتم له . ولعله أراد أن يلقننا درساً ألا نقلل من ثقتنا ، في الوسائط التي بين أيدينا ، وألا تنبذ ما يقدم إلينا من وسائل في طريق الشفاء .. وكلنا نعرف قيمة

ثقة المريض وإيمانه ، التي ربما تعادل في مفعولها ، ما يزيد على فاعلية الدواء المقدم له .

وبعد أن طلى «يسوع» عينى المريض بالطين ، أمره بأن يذهب ليغتسل فى بركة سلوام . ولقد كانت بركة سلوام واحدة من المعالم المميزة لأورشليم ، كما كانت ثمرة أحد الأعمال الهندسية البارعة فى العالم القديم .

ونحن نعرف كيف أن ينابيع المياه ، لا وجود لها فى قلب المدينة المقدسة ، فإذا حدث حصار على المدينة ، يكون مصير أبنائها الموت ظمأً ، وهناك ينبوع رئيسى واحد خارج المدينة هو ينبوع العذراء ، أو ينبوع جيحون ، ويقع فى وادى قدرون . وللوصول إلى هذا الينبوع ، نحتت فى الصخر درجات تبلغ الثلاثة والثلاثين درجة ، ينزل بها الإنسان إلى مستوى المياه . وهناك كانت تتوافد نسوة أورشليم ، للاستقاء ، فإذا حدث حصار ، يمكن قطع هذا المصدر الرئيسى المياه فتكون الطامة الكبرى . .

وهكذا ، حينما هدد «سنحاريب» ملك آشور المدينة المقدسة بالحصار والهلاك ، لم يكن بد من أن يعجل «حزقيا» الملك ، باكتشاف وسيلة لنقل مياه الينبوع ، بطريقة سرية إلى داخل المدينة ، فأمر بحفر القناة المعروفة باسمه . (راجع أخبار الأيام الثانى ٣٢ : ٢ - ٨ ، ٣٠) وكذلك ( أشعيا ٢٢ : ٩ - ١١ وملوك الثانى ٢٠ : ٢٠ )

أما حفر هذه القناة ، فكان عسيراً للغاية لأنها تقع قلب الصخر الصلد .

ولو كان الحفر مستقيماً ، لما زادت المسافة عن ثلثمائة وستة وستين ياردة . ولكن لأن المهندسين القدامى اتبعوا خطأ متعرجاً . إما لصعوبة الحفر فى الصخور ، أو لتجنب بعض المواقع المقدسة ، فقد وصل طول القناة إلى ما يقرب من سبائة ياردة . أما اتساع النفق أو القناة ، فهو يضيق فى بعض المواضع ، فلا يكاد

يصل إلى قدمين في الاتساع . وارتفاعه يصل إلى ستة أقدام وتوفيراً للوقت قام المهندسون بالحفر في اتجاهين متقابلين من جانب المدينة من هنا ، ومن ناحية ينبوع من هناك ، حتى تلاقى النفقان المتقابلان ، وتدفقت المياه عبرهما .

ولقد اكتشفت لوحة تذكارية نقشت في جدار النفق لتخليد ذكرى هذا اللقاء الفريد ، ورد فيها « بينما كان العمال يضربون بمعاولهم في الجدران الصخرية ، سمع الفريقان صوت أحدهما ينادى الآخر ، فقد كان هناك شق في الصخر أوصل النداء . وفي نفس اليوم تدفقت المياه عبر القناة » .

أما بركة سلوام ، فقد كانت الصحن الذي تتدفق فيه المياه في قلب أورشليم . وكان إتساع هذه البركة ما بين العشرين إلى الثلاثين قدماً . ولقب سلوام معناه «مرسل» إشارة إلى أن المياه التي تحويها ، مرسله من ينبوع العذراء خارج المدينة عبر قناة حزقيا .<sup>(١)</sup>

إلى هذه البركة الشهيرة ، أرسل «يسوع» ذلك الأعمى ، فمضى واغتسل هناك وعاد بصيراً . . .

وحين شفى بدأت متاعبه . فلقد وصل الأمر إلى مسامع الكهنة والفريسيين وشيوخ الشعب . وكان من العسير على ذلك الرجل الأعمى أن يقنع طبقة الكهنوت اليهودي ورجال الدين بأن «يسوع» هو الذي أجرى معه هذه المعجزة الفريدة ، إن السيد على الدوام يقوم بأعمال من الصعب على عديم الإيمان أن يصدقها ، لأنها أكثر صلاحاً وأكثر إعجازاً من مستواه . إن عدم الإيمان يقف عاجز الفكر مكتوف اليدين ، أمام مجد «يسوع» وقوته المعجزية . . .

(١) للاختصار راجع الفصل الخامس بتاريخ قناة حزقيا في كتاب « في خطوات السيد المسيح » السرب .

## الرأى المتحامل والاقتناع الكامل

فَاتُوا إِلَى الْفَرِيسِيِّينَ بِالَّذِي كَانَ قَبْلًا أَعْمَى  
وَكَانَ سَبْتُ حِينَ صَنَعَ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ .  
فَسَأَلَهُ الْفَرِيسِيُّونَ أَيْضًا كَيْفَ أَبْصَرَ فَقَالَ لَهُمْ وَضَعَ  
طِينًا عَلَى عَيْنَيَّ وَأَغْتَسَلْتُ فَأَنَا أَبْصِرُ . فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ  
الْفَرِيسِيِّينَ هَذَا الْإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا يَحْفَظُ  
السَّبْتَ . آخَرُونَ قَالُوا كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ  
يَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ . وَكَانَ بَيْنَهُمْ اُنْتِشَاقٌ .

( يوحنا ٩ : ١٣ - ١٦ )

وهكذا بدأت متاعب ذلك الإنسان الذى كان قبلاً أعمى . فقد كان يوم سبت - ذاك الذى صنع فيه «يسوع» المعجزة . وفى عرف اليهود ، كان عمله هذا كسراً للوصية . وفى واقع الأمر كان «يسوع» قد كسر وصية السبت فى صورة مثلية ، بإجراء هذه المعجزة ...

١ - فقد كسره حين صنع بيديه الطين . إن القيام بأى عمل فى يوم السبت هو كسر للوصية . هنا بعض الأمور التى لا يجوز مطلقاً القيام بها فى يوم السبت بحسب الفكر اليهودى : لا ينبغي أن يملأ الإنسان طبقاً بالزيت ، أو يضع فتيلاً فى الطبق لإشعاله . . .

لا يجوز أن يطفىء مصباحاً مشتعلًا فى يوم السبت لتوفير الزيت . لا يجوز

أن يتعل في يوم السبت حذاءً به مسامير غليظة ، ويخرج به في الطريق .  
لأن المسامير تعد ثقلاً .

وحمل الأثقال ممنوع في السبت . لا يجوز للإنسان أن يشذب أظافره  
أو يكتف شعرة من لحيته أو رأسه . . . .

فاذا قارنا هذه الأعمال بما صنعه «يسوع» ، يكون عمل الطين جريمة  
كبيرة لا تغفر .

٢ - وكسر «يسوع» أيضاً يوم السبت حين قام بشفاء الأعمى .

ولقد أبحاث التقاليد تقديم المعونة الطيبة للمحتاج . أما تلك المعونة الطيبة  
فقد كانت وفقاً على إنقاذ الحياة ، أو دفع الخطر الأكيد الذي يهدد حياة  
الإنسان .

وحتى في مثل هذه الحالات، تتوقف المعونة عند حد دفع الخطر فحسب ،  
ولكنها لا تقدم العلاج الشافي . مثال ذلك محظور على إنسان يعاني من آلام  
ضرس متسوس أن يمتص خلا ، لأن هذا علاج .

ومحظور على إنسان التري قدمه أن يصب عليه ماء بارداً ، فالماء البارد يعجل  
بشفائه .

ومن الواضح أن الإنسان المولود أعمى ، قضى حياته حتى الآن بدون  
رؤية الأشياء ، وليس هناك خطر يهدد حياته ، لوبقى يوماً آخر . أو  
يومين ! .

٣ - بل إن هذا العمل الذي قام به «يسوع» ، قد منع في الزاموس المتواتر  
تفصيلاً .



وقد وردت الوصية في التقاليد: «محظور أن يوضع بصاق على العينين في يوم السبت». يمثل هذه الفرائض النافلة، كان الفريسيون يتعالون على الشعب ويحملونه أحمالا عسرة، ويعتقدون أنهم بهذا يكسبون رضى الله. ولذلك لاغرابة أن يروا في «يسوع» معلماً خطيراً، وفي أعماله ظاهرة تدعو للقلق حين يشاهدونه بكل بساطة يكسر ناموس السبت.

والفريسيون في هذه الحادثة، رمز لكل طائفة، في كل جيل وعصر، تدين كل من يخالفها الرأي.

إنهم فصيلة البشر، الذين يظنون أن هناك طريقاً واحداً لخدمة الله، وذلك طريقهم هم وليس سواه.

ومع أننا نجد البعض منهم يخالفونهم في هذا الاتجاه، إلا إن هذا ينطبق عليهم بصورة عامة.

وهكذا أحضروا الرجل، وراحوا يستجوبونه. لعلك أنت الذى كنت أعشى؟ كيف تبصر الآن؟ من هذا الذى صنع معك المعجزة؟ وحينما سألوه عن رأيه في «يسوع»، كان جوابه بملء اليقين، أنه نبي.

في العهد القديم كان النبي يؤكد حقيقة نبوته، بالذلائل والعلامات التى تؤيد ذلك.

ونحن نرى «موسى»، يؤيد إرساليته من الله بالمعجزات، التى أجريت أمام فرعون (خروج ٤: ١ - ١٨).

«إيليا»، يثبت أنه نبي الله، بتفوقه في المعجزة على أنبياء البعل (ملوك الأول ص ١٨).

مما لاشك فيه ، أن مثل هذه الصور ، كانت تترأى في مخيلة ذلك  
الإنسان وهو ينادى بإيمانه بيسوع كنبى . .

ومهما قيل عن ذلك الذى أجريت معه المعجزة ، فهناك أمر واحد  
يقينى : إنه إنسان شجاع .

ولقد كان يعرف أفكار الفريسيين عن «يسوع» ، وكان يعلم أنهم يبغضونه  
ويريدون أن يوقعوا به ، بل كان يعلم أيضاً أن من يعترف به كنبى أو معلم ،  
سيكون مصيره الطرد من الهيكل ، والعزل من المجتمع . ولكنه ثبت فى موقفه  
وتمسك برأيه : «أرى أنه نبى ، وسوف أتمسك به لأجل كل ما صنعه  
معى . سوف أتمسك به ، ولو وقف العالم كله ضدى» .

. هنا نرى مثلاً لإيمان عظيم قوى . . .

## يسوع يتحدى الفريسيين

قَالُوا أَيْضاً لِلأَعْمَى مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ . فَقَالَ إِنَّهُ نَبِيٌّ . فَلَمْ يُصَدِّقِ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبَوَيْ الَّذِي أَبْصَرَ . فَسَأَلُوهُمَا قَائِلِينَ أَهَذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولَانِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى . فَكَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ . أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ وَقَالَا نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا ابْنُنَا وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى . وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ فَلَا نَعْلَمُ . أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلَا نَعْلَمُ . هُوَ كَامِلُ السِّنِّ . فَسَأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ . قَالَ أَبَوَاهُ هَذَا لِأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ . لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنْ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرِجُ مِنَ الْمَجْمَعِ . لِذَلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ سَأَلُوهُ .

فَدَعَوْا ثَانِيَةً الْإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى وَقَالُوا لَهُ أَعْطِ مَجْدًا لِلَّهِ . نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ خَاطِبٌ . فَأَجَابَ ذَلِكَ وَقَالَ أَخَاطِبٌ هُوَ . لَسْتُ أَعْلَمُ . إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئًا وَاحِدًا . أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أَبْصِرُ . فَقَالُوا

لَهُ أَيْضاً مَاذَا صَنَعَ بِكَ . كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ . أَجَابَهُمْ  
 قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا . لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضاً  
 أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلَامِيذَ . فَشَتَمُوهُ  
 وَقَالُوا أَنْتَ تَلْمِذُ ذَاكَ . وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا تَلَامِيذُ مُوسَى .  
 نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ . وَأَمَّا هَذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ  
 أَيْنَ هُوَ . أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ فِي هَذَا عَجَباً إِنَّكُمْ  
 لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ وَقَدْ فَتَحَ عَيْنِي . وَنَعْلَمُ أَنَّ  
 اللَّهَ لَا يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَفْعَلُ  
 مَشِيئَتَهُ فَلِهَذَا يَسْمَعُ . مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يَسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ  
 عَيْنِي مَوْلُودٍ أَعْمَى . لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ  
 يَفْعَلَ شَيْئاً . أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ فِي الْخَطَايَا وَلِدْتَ أَنْتَ  
 بِجَمَلَتِكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُنَا . فَأَخْرَجُوهُ خَارِجاً .

( يوحنا : ٩ : ١٧ - ٢٤ )

لا توجد صورة رسمها ريشة كاتب مبدع ، تضارع الصورة التي أمامنا في هذه  
 الفقرة ، والتي صورها كاتب البشارة الرابعة .

هنا نجد يوحنا ، يغمس ريشته في ألوان أخاذاة ، بحيث تبدو كل شخصية حية  
 تتحرك أمام أنظارنا وكأنها بعثت للحياة . .

١ - فهناك الرجل الذي كان قبلاً أعمى . وهو يبدو أمامنا ، وقد فقد

أعصابه أمام إلحاح الفريسيين ، وعدم تصديقهم له رغم تكراره لقصة شفائه المرة تلو الأخرى . فنستمع إليه بهتف بهم : تقولوا بما شئتم أن تقولوا عن هذا الإنسان ، فأنا لا أعرف شيئاً عنه ، ولكنى أعلم شيئاً واحداً ، إني كنت أعمى ونلت على يديه نعمة البصر .

هذا هو اختبار الإنسان البسيط . الذي نال النعمة من شخص المسيح ، إنه قد لا يستطيع أن يضع اختباراً في كلمات منمقة ، أو معايير لاهوتية ، ولكن يكفي أن ينطق بهذه الكلمات البسيطة ، الرائعة في بساطتها ... يكفي رغم عدم معرفته ، أن يشهد بكم صنع به الرب ورحمه .

لا حاجة بالإنسان أن يصبح لاهوتياً ، حتى ينال النعمة من المسيح ، فهو وإن كان لا يفهم كل شيء بعقله ، إلا أنه يستطيع أن يدرك كل شيء باحساس قلبه . . . .

جميل أن نحب «يسوع» ، فنؤمن به ونقبله في قلوبنا ، ونحبه أكثر مما نحب النظريات اللاهوتية عنه ، ونعرفه بعقولنا ثم نقف عند هذا الحد .  
٢ - وهناك والداه . إنهما لا يمدان يد المعونة إليه ، ليس لأى دافع ردى . سوى دافع الجبن والخوف .

لقد كان للمجتمع اليهودى سلاحه الذى يهدد به كل مارق عن الحق . وكان هذا السلاح هو مصادرة الأملاك ، والعزل من مجمع المؤمنين وعدم السماح بدخول المجمع ، أو الهيكل .

ومنذ عهد «عزرا» الكاتب والنبى ، نعرف ، أن من لا يطيع السلطات - والسلطة هنا مدنية دينية معاً ، تصادر ممتلكاته ويعزل من المجمع ، ويحرم عليه دخول أماكن العبادة ( عزرا ١٠ : ٨ ) .

ولقد حذر يسوع تلاميذه من أن اسمهم سيفترى عليه كفاعلى شر (لوقا ٢٤ : ٢٤) . بل أخبرهم بكل صراحة أنهم سيخرجونهم من المجمع (يوحنا ١٦ : ٢) . بل إن هذا الخطر الذى كان يهدد كل من يؤمن بالمسيح ، قد دفع الكثيرين من الرؤساء رغم إيمانهم به ، إلى عدم الاعتراف به علناً ، لئلا يصيروا خارج المجمع . ( يوحنا ١٢ : ٤٢ ) .

ولقد كان هناك نوعان من العزل . النوع الأول ، الإيقاف لمدة محددة ، ربما لبضعة أسابيع قد تصل فى أقصى الحالات إلى شهر كامل . وهناك الحرم «شيريم» . أو العزل من المجمع طيلة العمر ، وفى هذه الحالة يحرم المخالف جهاراً عياناً على رؤوس الملائ . ويلعن اسمه أمام الجميع ، ويعزل عن الناس وعن الله .

أما خوف اليهود من تلك الحالة ، فيكمن فى حرمانهم من الله . لهذا السبب ، كان خوف الوالدين ، وهكذا قال للفريسيين : «هو كامل السن . استجوبوه» لقد كان الفريسيون فى عداوتهم ليسوع ، على استعداد أن يستخدموا السلطان الدينى فى أبشع مظاهره ، ليصلوا إلى أغراضهم الحاقدة .

٣ - وهناك الفريسيون . إنهم لم يصدقوا فى بادئ الأمر ، أن ذلك الإنسان كان قبلاً أعمى . لقد ظنوا أن فى الأمر خدعة . وأن هناك اتفاقاً مسبقاً بين ذلك الإنسان وبين يسوع ليكون داعية له ، وينشر اسمه بين الناس . وحتى وإن كانت المعجزة صحيحة لاغبار عليها ، فى إمكانهم أن يقولوا استناداً على ماورد فى التاموس ، بأن فى إمكان الأنبياء الكذبة ، أن يقوموا بمعجزات مضلة لتضليل الجموع . وفى سفر التثنية ( ١٣ : ١ - ٥ ) يرد التحذير ضد الأنبياء الكذبة ، الذين يقومون بخداع الجماهير بالعجائب المضلة .

وهذا أيضاً ما حدث به «يسوع» تلاميذه عندما أنبأهم عن علامات الساعة ،  
وقيام المسحاء الكذبة الذين يضلون العالم بمعجزاتهم وآياتهم حتى يضلوا ولو  
أمكن المختارين أيضاً « (إنجيل متى ٢٤ : ٢٤) .

وهكذا يبدأ الفريسيون في استجواب الرجل : « أعط مجداً لله » - ولقد  
كانت تلك الجملة التقليدية التي يبدأ بها فحص المتهم تعنى بالفعل : « تحدث  
بالصدق كما في محضر الله ، وفي اسمه » . وحينما وقف «عشان» أمام «يسوع»  
وبدأت محاكمته عن الجريمة التي ارتكبها، وكان من نتيجةها هزيمة شعب الرب  
أمام الأعداء ، بادره «يسوع» بالقول « يا ابني أعط الآن مجدا للرب إله  
اسرائيل واعترف له ، وأخبرني الآن ماذا عملت . لا تخف عنى »  
(يشوع ٧ : ١٩) .

وأفحم الرجل دكارة اللاهوت بمنطقه اليسيط المبني على  
الكتب . وكان دفاعه هكذا : « لقد صنع «يسوع» معجزة عظمى . وهذه  
الحقيقة معناها أن الله استمع له ، واستجاب لطلبته . ولا يمكن أن الله  
يسمع ويحجب طلبه لإنسان شرير . وهكذا لا بد وأن يكون «يسوع» هذا إنسانا  
صالحا » . أما كون الله لا يسمع صلاة إنسان شرير . ولا يستجيب لطلبته ،  
فهى حقيقة لاهوتية تتردد في ثنايا العهد القديم . ونحن نستمع إلى قول  
«أيوب» عن الإنسان الفاجر الأثيم « أفسمع الله صراخه إذا جاء عليه ضيق ..  
هل يدعو الله في كل حين ؟ » (أيوب ٢٧ : ٩) . أما المرغم فيقول : « إن  
راعيت إنما في قلبي لا يستمع لى الرب . . » (مزمور ٦٦ : ١٨) وعلى لسان  
اشعيا يهتف الله لأمة ضالة : « حين تبسطون أيديكم - وقد كان اليهود في  
صلواتهم يرفعون أيديهم إلى أعلى بأكف مبسوطة - أستر عيني عنكم ،  
وإن كثرت الصلاة لا أسمع » (اشعيا ١ : ١٥) ، وعلى نفس القياس ،

يهتف الله على لسان «حزقيال» «وإن صرخوا في أذنى بصوت عال لا أسمعهم  
( حزقيال ٨ : ١٨ ) . أما صلاة البار فهي على الدوام مسموعة مقبولة  
«عينا الرب نحو الصديقين . وأذناه إلى صراخهم » ( مزمور ٣٤ : ١٥ ) ،  
«يعمل رضى خائفه يسمع تضرعهم فيخلصهم » ( مزمور ١٤٥ : ١٩ ) ،  
«الرب يعيد عن الأشرار ويسمع صلاة الصديقين » ( أمثال ١٥ : ٢٩ ) لقد  
تقدم الرجل البسيط بحجة لاهوتية ، لم يستطع الفريسيون أن يقفوا أمامها  
أو يدحضوها .

ولما عجزوا عن مقارنته بالحجة ، تصرفوا تصرف العاجز الذى لا يملك  
إلا القوة الحمقاء . فهددوه ثم شتموه ثم اتهموه بأنه ولد فى الأثم ، أى أن  
روحارديثة قد حلت فيه قبل مولده . وأخيراً لجأوا إلى السلاح الذى بين  
أيديهم ، فاصدروا قراراً بحرقه ، وإخراجه خارج المجمع .

أحياناً تكون لنا الآراء التى تختلف مع من حولنا . وقد يحدث النقاش  
بيننا وبينهم ، لكن لتكن لنا الأعصاب الهادئة التى نحفظنا من أن نخرج عن طورنا .  
فالبصوت المرتفع والثورة الحمقاء ، واستخدام الألقاظ الجارحة ، ليست  
دليل الاقتناع ولاهى سبيل الاقتناع . ولئن دل هذا على شيء ، فانما يدل على  
أننا لا نستطيع أن نقابل الحجة بالحجة . والمنطق بالمنطق .



## الإعلان والدينونة

فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجاً فَوَجَدَهُ قَائِلًا  
لَهُ أَتُؤْمِنُ يَا بَنِي اللَّهِ . أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ  
لَأُؤْمِنَ بِهِ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ  
مَعَكَ هُوَ هُوَ . فَقَالَ أُوْمِنَ يَا سَيِّدُ . وَسَجَدَ لَهُ .  
فَقَالَ يَسُوعُ لِدِينُونَةَ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ  
حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ .  
فَسَمِعَ هَذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ  
أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضاً عُمَيَّانٌ . قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ لَوْ كُنْتُمْ  
عُمَيَّاناً لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيئَةٌ . وَلَكِنْ الْآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا  
نُبْصِرُ فَخَطِيئَتُكُمْ بَاقِيَةٌ .

( يوحنا ٥ : ٣٥ - ٤١ )

هذه الفقرة تبدأ باعلان حقين عظيمين...

١ - أما الحق الأول المبارك ، فهو أن «يسوع» قد بحث عن  
الرجل ، ليجده . وكما يقول ذهبي الفم : « لقد أخرجه اليهود  
خارج الهيكل ، ولكن رب الهيكل بحث عنه ووجده » إن «يسوع»  
لا يترك إنسانا قبل أن يشهد عنه شهادة حية بمفرده . إن كانت شهادة

إنسان مسيحي تفصله عن إخوته أو تعرضه للمتاعب ، فإن «يسوع» يسرع ليكون بالقرب منه ... ليعضد إيمانه ويسنده . إن متاعبنا المترتبة على شهادتنا للمسيح ، تقربنا أكثر فأكثر منه . ويسوع أمين وصادق لكل من هو أمين وصادق من نحوه .

٢ - والحق الثاني، أن «يسوع» قد أعلن لذلك الإنسان عن شخصه العجيب .. لقد أعلن له أنه ابن الله . هنا الحق العظيم : إن إخلاصنا لسيدنا، يجلب ، الرؤيا المباركة لنفوسنا ... يكشف أمام عيوننا حقيقة مخلطنا ومركزه الأسمى . وللإنسان الأكثر إخلاصا في خدمته ، والشهادة له ، يكشف المسيح بصورة أوضح عن ذاته وطبيعته . قد تكون عقوبة الأخلصاص للمسيح من جانب البشر هي الأضطهاد والحرم والهوان . ولكن مكافأة الأخلصاص من جانب السيد ، هي شركة أعمق مع المخلص ، وإعلان أسمى عن طبيعته الالهية .

ثم تختم القصة بواحد من أعظم الإعلانات التي نادى بها «يسوع» ..

١ - فقد جاء المسيح إلى العالم ، وفي ذات محبته كانت دينونة العالم . إنه هنا لا يتحدث عن دينونة حلت بالفعل . فحينما يلتقي الإنسان وجهها لوجه بيسوع ، يكون الحكم له أو عليه فاما أن يقبله . فيكون الحكم له . أو يرفضه فيكون الحكم عليه . إن كان لا يجدي في «يسوع» مشتمى الأجيال ، إن كان لا يرى فيه ما يدعو إلى محبته فقد حكم على نفسه بنفسه ، وإن كان يرى فيه ما يدعو إلى العجب ، فيدفعه العجب والدهشة إلى البحث ، ثم يدفعه البحث إلى الاستجابة والقبول ، فان قدميه تسيران في الطريق القويم . إن الإنسان الذي يشعر بعماه .. الذي يشنق إلى رؤية أسمى .. الذي يمتليء بالرغبة في معرفة أعمق ، هو الذي تتوقع له أن تفتح عيناه ، وأن تصعد قدامه مدارج جبل الحق .

أما الإنسان الذي يظن في نفسه بأنه يعلم كل شيء .. الإنسان الذي يغفل عن حقيقة عماء ، فهو الذي ولد بالطبيعة، أعمى وسيظل طيلة العمر لا يرى الحق ، فلا رجاء له بالشفاء - الذي يعرف عجزه هو الذي ينال القوة .. الذي يدرك عماء هو الذي تفتتح عيناه .. الذي يعلم بخطيئته ، ويشعر بعدم استحقاقه هو الذي ينال الغفران والنعمة ..

٢ - ويسوع بالتالي يعلن أنه كلما زادت معرفة الإنسان زادت أيضاً دينونته .. كلما عرف أكثر طريق البر وامتلاً قلبه بالعناد، فسار في طريق أهوائه . كانت دينونته أقسى وأمر . لو كان الفريسيون ضمن الجهلاء ، لا يعرفون شيئاً عن المكتوب . لكان يلتمس لهم العذر . ولكن دينونتهم . تكن في كونهم يعرفون أكثر ، فلذلك يطالبون بالأكثر ... إنهم يعتقدون في أنفسهم أن لهم الرؤية الأفضل . فلماذا لم تفتتح عيونهم ، فيعرفوا حقيقة ابن الله .

إن المسئولية تزداد، بزيادة الامتيازات التي يتمتع بها الإنسان . هذا ناموس أدبي يسرى على بنود الحياة العادية .

## أعظم فاعظم

« الأصحاح التاسع مجملته »

قبل أن نترك هذا الأصحاح نعمل حسنا ، لوقمنا بدراسته بصورة كاملة من البداية إلى النهاية . لنقرأه بروح التأمل، فنصل إلى دروس غاية في الروعة والجمال . وضمن هذه، يتألق أمامنا إيمان الرجل الأعمى بيسوع بصورة مجيدة .

هنا نرى خطوات ثلاث تصاعديّة في طريق إيمان هذا الإنسان ، وكل خطوة ترتفع به عن سابقتها في مدارج الثقة المباركة ..

١ - فهو في بادئ الأمر يتحدث عن «يسوع» كإنسان . « إنسان يقال له يسوع » ( عدد ١١ ) إنه إنسان يتجلى فيه كمال الإنسانية في أروع مظاهر عطفها ونبلها ..

إنسان معجزى ، يستطيع بوسيلة عادية ، أن يعيد النور إلى البصر المظلم والبصيرة المظلمة .. إنه لا يعرف من هو «يسوع» هذا . ولكنه لم يلتق من قبل بإنسان نظيره : وقد تكون هذه بداية مباركة يبدأ بها ابن التراب : أن يرى في «يسوع» أسمى صورة للإنسان الكامل . . جميل بنا أن نتأمل عظمة وسمو «يسوع» الإنسان، جميل بنا أن نفسح له مكانا في كل متاحف الفن والبطولة في العالم ، وخلال الأجيال كلها . . جميل أن يتقدم اسم «يسوع» كل اسم عداه، في كل كتاب يضم تاريخ حياة العطاء في الإنسانية .

مهما وجه المشككون من سهام النقد إلى شخصية المسيح .. مهما تقولوا عليه ، فإن الحقيقة الواحدة التي لا يمكن أن يرقى إليها الشك هي أن «يسوع» كان الإنسان ... الإنسان بكل ما في الكلمة من معان .

٢ - ثم نخطو عليه خطواته التالية ، فيرى في «يسوع» نبيا .. فحينما سأله اليهود عن رأيه في يسوع من حيث أنه قام بمعجزة إعادة البصر إليه ، كان جوابه « أرى أنه نبي » ( عدد ١٧ ) ، أما النبي فهو الذي يأتي برسالة الله إلى البشر .

« إن السيد الرب ... يعلن سره لعبيده الانبياء » ( عاموس ٣ : ٧ )  
والنبي يعيش بالقرب من الله في شركة وثيقة معه . فهو في قوة هذه الشركة ، ونورها ، يصل ببصيرته الروحية إلى أعماق مشورة الله . وحينما نقرأ كلمات الحكمة النابعة من شفهي «يسوع» ، حينما نستمع إلى صوته الخالد ، يتحدث بأقواله المباركة وتعاليمه السامية ، فإننا نقول بحق « هذا هو النبي »  
مهما شكك البشر في أي شيء عن «يسوع» ، فإن الحقيقة الخالدة تبقى إننا لو استمعنا حقاً إلى تعاليمه ، وأطعناها ، وتمثلناها في حياتنا ، فإن مشاكلنا العائلية ، والاجتماعية ، والسياسية على الصعيد المحلي ، والدولي ، لا بد وأن تخف وتجد حلا لها . إن كان هناك في جميع الأجيال والعصور ، من ينادي بأن له الحق في أن يكون نبي الله ، الذي يتحدث بلسان الله للبشر ، فإن «يسوع» هو الأولي بأن يكون ذلك الإنسان .

٣ - ثم نرى الرجل الذي كان أعمى ، يصل أخيراً إلى نور الأعلان الكامل ، فيرى في «يسوع» ابن الله ، لقد وصل إلى الحقيقة الخالدة . إن كل ألقاب البشر وأبجادهم ، لن تكفي للتعبير عن حقيقة «يسوع» . فلقد صنع «يسوع»

أشياء ، هي فوق طاقة البشر أجمعين . . . ونادى بأمور هي فوق معرفة  
البشر أجمعين . . .

فيا يروى عن عاهل فرنسا الخالد شهيد سانت هيلانه ، أن مجلسه ضم  
يوما جماعة من الملحدين والمتشككين . ودار الحديث عن «يسوع» ، فاكتمى  
الحاضرون بالإشارة إلى أنه إنسان عظيم وكفى . وعند ذلك قال «نابليون» :  
«أيها الأخوان إن لى معرفة بالكثير من البشر ، ولكن أقول لكم ، إن يسوع  
المسيح هو فوق البشر أجمعين » .

وما أروع ما قاله أحد الشعراء .

« إن كان يسوع المسيح إنسانا وابن الإنسان ..

فأنى أقول ..

« إننى سأتعلق به دون البشر ..

« وسألتصق به على الدوام ..

« وإن كان يسوع المسيح إلها وإله الواحد ..

فأنى أذكر ..

« وأنى سأتبعه للسماء أو للجحيم ..

« أو إلى البحر وأجواز والفضاء .

إن أعظم حق يختبره عن «يسوع» ، هو أننا كلما ازددنا معرفة به ، وتعمقا  
فيه ، يزداد أمامنا سموا وعظمة وإجادا . إن اختياراتنا البشرية فى معاملاتنا  
مع الآخرين ، تؤكد لنا أننا كلما ازددنا معرفة بصدق ، وتأصلت روابط

صداقتابه ، فإننا نكتشف نقط الضعف فيه . في أخطائه وفي اتجاهاته .. في تصرفاته . ولكننا كلما إزددنا معرفة بيسوع ، تبهر أعيننا صفاته وأمجاده .. نحس في أنفسنا بالضعف والصغار ، كما يحس الطفل بضعفه وصغاره أمام المحيط العظيم ، بالكنوز التي يطويها في أعماقه .. نعم سنزداد عجباً واندهاشاً كلما تعمقنا فيه وفي معرفته ، في هذا الزمن . وفي الأبدية . أيضاً ..

## الأصحاحُ العاشرُ

الراعي ورعيته

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ  
إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ بَلْ يَطْلُعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ فَذَلِكَ سَارِقٌ  
وَلَيْسَ . وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ .  
لِهَذَا بَفْتَحِ الْبُوابِ وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ فَيَدْعُو خِرَافَهُ  
الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا . وَمَنْ أَخْرَجَ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ  
يَذْهَبُ أَمَامَهَا وَالْخِرَافُ تَتَّبِعُهُ لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ .  
وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَلَا تَتَّبِعُهُ بَلْ تَهْرَبُ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ صَوْتَ  
الْغُرَبَاءِ . هَذَا الْمَثَلُ قَالَهُ لَهُمْ يَسُوعُ . وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ  
يَفْهَمُوا مَا هُوَ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ

(يوحنا ١٠ : ١٢ - ٦)

لا توجد صورة تظهر «يسوع» أكثر إشراقاً وجمالاً ، وأقرب إلى  
قلب كل مسيحي ، من صورة الراعي الصالح . والراعي الصالح يتخلل  
صفحات الكتاب ، ويحتل أكثر من موضع في أدب الأسفار المقدسة .  
وهذا ولاشك أمر طبيعي . فعظم مساحة اليهودية ، يحتل مسطحةً طويلاً تمتد



من بيت إيل إلى حبرون، مسافة طويلة تقرب من خمسة وثلاثين ميلا ، في عرض لا يتجاوز سبعة عشر ميلا . أما طبيعة الأرض فهي صخرية قاسية ، ولذلك فمن العسير جداً أن تنجح فيها الزراعة . إنها لا تصلح للمرعى ، وذلك في أفضل أراضها . وهكذا فإن الصورة التي تتكرر كل يوم أمام أنظار الإنسان ، هي صورة الراعي يقود رعيته . أما الراعي الفلسطيني ، فحياته هي أشق حياة . إنه على الدوام في بقطة دائمة . . لا يفارق رعيته ليلاً ولا نهاراً . وهو على الدوام ، يبحث عن البقعة الخضراء المعشبة ، وما أندرها هناك . وهو لا بد وأن يكون مفتوح العينين لكل فرد من أفراد قطيعه ، فالأرض صخرية تنحدر في كثير من الأحيان إلى وهاد صحيقة . ولا توجد أسوار تحمي القطيع من التردى في هوة الموت ، أو الضلال والشروذ وسط الجبال . كما أن مناطق الخضرة النادرة ، تغرى وتجذب الرعية بعيداً . زد على ذلك الوحوش الضارية التي تختفي في الكهوف والمغائر . لذلك فقد كان عمل الراعي مرهقاً ، محفوفاً بالمخاطر ، مستمراً لا يتوقف ساعة واحدة أثناء الليل وأطراف النهار .

وكما يقول «جورج آدم سميث» ، الذي قام برحلاته في ربوع فلسطين : « وإنك لتلتقي به في ظلام الليل ، على هضبة معشبة تحيط به رعيته ، ومن حوله يتهدى عواء الذئاب ، وهو يقف ثابتاً في مكانه ، مستنداً على عصاه ، عيناه ساهرتان لكل صغيرة وكبيرة في قطيعه الذي يرعى حوله ، أما وجهه ، فقد لوحته الشمس ، وسودته المتاعب . إن الذي يرى هذا المشهد مرأى العين ، يستطيع أن يدرك لماذا احتل الراعي مركز الصدارة في تاريخ هذه الأمة وفي أدبها الديني .. لهذا أصبح لقب الراعي من ألقاب الشرف ، التي تطلق على عاهل البلاد .. ولهذا أيضاً اتخذ المخلص مثالا للتضحية والبذل .»

هذه هي صورة الراعى .. بقطة دائمة .. شجاعة لانهاب الموت ..  
ومحبة باذلة لكل فرد من أفراد قطيعه .

وفي العهد القديم، نرى الله يصور كراعى شعبه . أما الشعب فهو القطيع .  
فالمرنم، نستمع إليه يقول فى زموره المعروف : « الرب راعى فلايعوزنى  
شىء فى مراع خضر يريضىنى إلى مياه الراحة يوردىنى » (زمور ١: ٢٣)  
وفى زمور آخر « هدبت شعبك كالغنم بيدموسى وهارون » (زمور ٧٧: ٢٠)  
وآساف يطلب من الله ألا يذكر ذنوب الأولين « لأننا نحن شعبك وغم  
رجليتك .. نحمذك إلى الدهر » (زمور ٧٩: ١٣) ويستهل « آساف » أيضاً  
الزمور الثمانين بالقول : « ياراعى إسرائيل اصغ .. يا فائديوسف كالضأن  
(زمور ٨٠: ١) فإذا جئنا إلى المزمور الخامس والتسعين، نستمع إلى  
المرنم هاتفاً : « هلم .. نجئو أمام الرب .. لأنه هو الهنا ونحن شعب  
مرعاه ، وغم يده » (زمور ٩٥: ٧) . ونفس النغمة تتردد فى المزمور  
المائة « هو صنعنا وله نحن شعبه وغم مرعاه » (زمور ١٠٠: ٣) .

أما مسيح الله فقد صور أيضاً فى صورة الراعى وسط قطيعه « كراع  
يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان . فى حضنه يحملها ويقود المرضعات  
(إشعيا ٤٠: ١١) ، وفى مزامير سليمان، أحد الأسفار الأبوكريفية، يتحدث  
عن المسيا بالقول : « سوف يرعى قطيع الرب بأمانة وير ولن يدع  
واحدة تتعثر فى المرعى . سوف يقودها فى الطريق القويم » (مزامير سليمان  
١٧ : ٤٥) .

أما قادة الشعب ، فقد أطلق عليهم أيضاً الرعاة .. رعاة الشعب والأمة  
فى نبوات أرمياة نقرأ القول : « ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعى

يقول الرب .. لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل . . . أنتم بددتم غنمي وطردهتموها ولم تتعهدوها هأنذا أعاقبكم على شر أعمالكم يقول الرب وأنا أجمع بقية غنمي من جميع الأراضى التى طردها إليها وأردها إلى مربضها فتثمر وتكثر . وأقيم عليها رعاة يرعونها فلا تخاف بعد ولا ترتعد بعد . ولا تفقد يقول الرب « ( أرميا ٢٣ : ١-٤ ) والنبي حزقيال يتقدم باللعنة على الرعاة المضللين الكذبة الذين يبغون مصلحتهم الذاتية . وليس خير الرعية : « ويل لرعاة إسرائيل الذين يرعون أنفسهم ... ألا يرعى الرعاة الغنم ؟ » ( حزقيال ص ٣٤ الأصحاح بأكمله ) .

وهذه الصورة تنتقل إلى العهد الجديد . فيسوع هو الراعى الصالح . . الراعى الذى يبذل نفسه عن خرافه . لينقذ حملا واحداً شرد عن القطيع ( متى ١٨ : ١٢ ، ولوقا ١٥ : ٤ ) وهو يتحنن على شعبه لأنهم كانوا كغنم لا راعى لها . ( متى ٩ : ٣٦ ومرقس ٦ : ٣٤ ) . أما تلاميذه ، فهم قطيعه الصغير ، الذى يوجه إليه الوعد بالأمان . والرجاء بالأعماج ( لوقا ١٢ : ٣٢ ) فاذا حلت الساعة وضرب الراعى تبددت الخراف ( مرقس ١٤ : ٢٧ ) ( متى ١٢٧ : ٣١ ) وهو راعى النفوس وأسقفها العظيم ( رسالة بطرس الأولى ٢ : ٢٥ ) . أما كاتب العبرانيين فيلقبه براعى الخراف العظيم ( عبرانيين ١٣ : ٢٥ ) . وكما نرى فى العهد القديم ، هكذا نجد قادة الكنيسة فى العهد الجديد هم الرعاة . والشعب هو القطيع ، ومن واجب الرعاة أن يطعموا الرعية ، ويسهروا عليها ، ويتولوا حراستها . وأن يفعلوا ذلك بكل غيرة ليس رغبة فى المال ، ولا حياً فى المركز والسلطان . بل أن يكونوا مثالا للرعية فى التضحية والبذل والإخلاص . ( ١ بطرس ٥ : ٢-٣ ) . أما رسول الأمم ، فهو يطلب من شيوخ كنيسة أفسس . أن يسهروا

على القطيع ، الذى أقامهم الرب عليه رعاة ومرشدين (أعمال ٢٥ : ٢٦) ،  
وآخر وصية تقدم بها الرب لتلميذه بطرس : « ارع غنمى .. اراع خرافى »  
( يوحنا ٢١ : ١٥-١٩ ) بل إن ذات الكلمة الواردة فى ( أفسس ٤ : ١١ ) .  
والمترجمة رعاة هى الأصل اللاتينى لرعاة الخراف .

هناك قصة متواترة فى التقليد اليهودى لانتحلو من طرافة ومعنى  
تكشف لنا لماذا اختار الله «موسى» قائداً للشعب . تقول القصة : إنه حينما  
كان «موسى» يرعى غنم حميه فى البرية إذا بعنزة صغيرة شردت مسرعة فى  
الهرب ، وأسرع موسى خلفها حتى رآها تندفع إلى بئر لتروى ظمأها .  
وحيث وصل إليها قال بحنان «لم أكن أعلم أنك هربت لأنك عطشى .  
ولعلك الآن مجهدة » . قال هذا . ثم حملها برفق على منكبيه . وعاد  
من حيث أتى ، وعند ذلك جاءه الصوت الإلهى من السماء : « لأنك  
أظهرت مثل هذا الرفق بفرد من أفراد قطيع يملكه سواك . سوف أجعلك  
راعياً لقطيعى المبارك إسرائيل » .

حينما نلتقى باسم الراعى . فلترسم فى مخيلتنا صورة محبة الله ، وغنايته  
بشعبه . ولنذكر أيضاً واجبنا تجاه إخوتنا فى البشرية ، وعلى الأخص  
إذا كانت لنا مكائنا التى نختلها فى خدمة كنيسة المسيح وشعبه .

### الراعى ورعيته (تابع)

( يوحنا ١٠ : ١-٦ )

ولاضير علينا ، إذا توسعنا قليلا فى دراسة عادات وطباع الراعى فى  
فلسطين ، وصلته بالرعية التى يسهر عليها ويرعاها .. فهذا يوضح مركز  
المسيح ، وجهاده ، وتضحيته كالراعى الصالح . أما عتاد الراعى فهو قليل  
ضئيل ، يحمل على ظهره مزوداً من الجلد يحمل فيه طعامه وهو  
لايزيد عن الخبز ، والتمر أو التين المجفف ، وشئ من قطع الجبن الحشن ،

وحبات الزيتون - وفي المذود يحتفظ الراعي بمقلاعه . وللراعي في فلسطين مهارته في استخدام المقلاع . فهو يستطيع أن يصيب أدق هدف ولا يجيد عنه قيد شعرة (قضاة ٢٠ : ١٠) . والمقلاع لدى الراعي وسيلة دفاع .. بل إن له أيضاً منفعة أخرى ، فكلاب الحراسة يندر وجودها . ولذلك إذا أبتعدت شاة عن القطيع ، فإن الراعي سرعان ما يوجه إليها بمقلاعه حجراً ، يرتكز بين قدميها، ويكون هذا بمثابة إنذار لها بالعودة من حيث أتت . وللراعي أيضاً عكازه ، وعصاه . أما العكاز فغليظ سميك ، قصير ، ينتهي في طرفه بمسامير ، ويعلقه الراعي في المنطقة التي تحيط بحقوية - هذا العكاز هو سلاح الراعي ضد اللصوص ، والوحوش على السواء ، يدافع به عن نفسه وعن رعيته .

أما العصا فهي طويلة ، رفيعة ، في غالب الأحيان من أعواد الخيزران ، وتنتهي في أعلاها بطرف ملتوى ، بهذا الطرف الملتوى ، يستطيع صاحبها أن يجتذب أية شاة تحاول الهروب . وفي نهاية اليوم ، حينما يلتئم شمل القطيع ، يضع الراعي عصاه قريباً من الأرض ، معطلاً مرور أي فرد من القطيع ، حتى يفحصه جيداً ، ليرى إن كانت به إصابة . وعلى كل شاة أن تمر من تحت العصا (راجع حزقيال ٢٠: ٣٧ ، لاويين ٢٧ : ٣٢) لفحصها والتأكد من سلامتها .

والصلة بين الراعي ورعيته في فلسطين، قوية وثيقة . في معظم بلدان الغرب ، كما في مصر ، تسمن الخراف لاستهلاك لحومها . أما في فلسطين ، فإن الهدف الأساسي من تربيها ورعايتها ، الانتفاع بصوفها . ولذلك فهي تعاشر راعيها سنين طويلة . وهذه العشرة الطويلة تدفع الراعي إلى تدليل رعيته، وإطلاق الأسماء عليها ، بحيث يعرف كل فرد منها باسمه ، وهذه الأسماء في غالب الأحيان تشير إلى صفات مميزة في الرعية .

فهذه البلقاء ، والثانية الحمراء ، والثالثة ذات الأذن السوداء وهكذا .

وإن كانت صور الرعاة في الغرب ، تظهر الراعي وهو يسير خلف الرعية ، والرعية تتقدمه ، فإن الراعي الفلسطيني على النقيض من ذلك . إنه يسير أمام قطيعه والخراف تتبعه . فهو يختبر كل خطوة يخطوها ، وكل طريق يسير فيه ، لكي يجنب رعيته المتاعب . ويواجه بنفسه كل خطر ، لكي يدافع عنها . وأحياناً ، حتى يشجع أفراد القطيع على اتباعه ، يحمل على منكبيه أحدها . يقول أحد السائحين إنه شاهد أحد الرعاة يحاول أن يغري قطيعه بالسير عبر مخاضة ضحلة من المياه ، ولما عجز عن ذلك ، أمسك بحمل صغير ، وحمله بين ذراعيه ، فما إن شاهدت أم الحمل وليدها ينزع منها حتى اندفعت خلفه ، ومن خلفها بقية القطيع — هذه صورة من بلاد الغرب ، فأراضي فلسطين جافة تندر بها المياه ، ولا توجد بها مخاضات .

وقد قال « يسوع » ، إن الخراف تتبع راعيها لأنها لا تعرف صوت الغرباء ، وهو يصور حقيقة يلمسها رجل الشارع كل يوم في فلسطين . يقدم هـ. ف . مورنون في كتابه « في خطوات السيد المسيح » ، صورة رائعة للطريقة التي يتقاهم بها الراعي مع قطيعه فيقول :

« في بعض الأحيان ، يتحدث الراعي إلى قطيعه بلغة هي أقرب إلى اللحن أو الأغنية ، منها إلى الكلام » ثم يضيف من اختباره « كنت يوماً على التلال خلف أريحا ، حينما سمعت لأول مرة نداء الراعي . فلقد هبط

فقطع الجداء مع راعيه إلى الوادى ، وأسرع يصعد التلال المقابلة . بينما تخلفت جماعة ترعى بقعة معشبة . وأطلق الراعى نداءً أشبه بثغاء الماشية المتقطع ، فى نغمة حلوة يحسدها عليه الإله «بان» فوق جبل الأوب . وبعد برهة توقفت واحدة أو اثنتان عن الرعى ، وأدارت رأسها تجاه الصوت ، وأجابت بأمانة هادئة ثم عادت إلى الرعى مرة أخرى ، وعاد الراعى يطلق نداءه . وفجأة استدارت عنز ، وأسرعت نازلة إلى حيث القطيع ، فأمسك بها الراعى ، واستدار معها ، واختفى خلف هضبة قريبة ، وإذا بالرعب يتملك القطيع كله . فيتوقف عن الرعى ، ويسرع خلف راعيه . بينما تندفع الجماعة الشاردة منضمة إلى القطيع .

أما و . م . طومسون فى كتابه الشهير « الأرض والكتاب المقدس » ، فيقدم لنا صورة أشبه بالسابقة فيقول : « ينادى الراعى على رعيته بين حين وآخر بصوت حاد ليذكرها بوجوده ، فتعرف صوته وتتبعه ، فإذا أطلق النداء شخص غريب ترفع رؤوسها فى قلق ، وكأنها تحاول أن تميز الصوت الجديد . فإذا عاد الغريب للنداء ، تملكها الخوف ، وأسرعت هاربة لتتكدس حول الراعى ، فهى لاتعرف صوت الغريب . هذه التجربة أعدتها بنفسى مرة بعد أخرى ، وفى كل مرة كنت أتأكد من صدق كلمات البشارة » .

ويعود ه . ف . مورتون ، ليصور لنا مشهداً رآه فى كهف بالقرب من بيت لحم . فقد آوى اثنان من الرعاة قطيعهما خلال فترة الليل فى كهف واحد . ولما أسفر الصباح ، أراد كل منهما أن يعزل أفراد قطيعه عن الآخر . كيف يمكن أن يتم هذا ؟ ابتعد أحدهما عن الآخر ، ثم أطلق

الواحد النداء الخاص الذي يطلقه لغنمه ، فانعزلت عن القطيع الآخر  
مسرعة تجاهه ، لأنها تعرف صوته ولاسواه .

إن كل التفاصيل التي يقدمها السائحون عن حياة الراعي في فلسطين،  
تلقى أعضاء عظيمة على صورة الراعي الصالح ، الذي تسمع رعيته،  
صوته فتنبه ، والذي رعى غنمه باذلاً .. محتملاً .. محباً .. ساهراً .



## الباب المؤدى إلى الحياة

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي  
أَنَا بَابُ الْخِرَافِ . جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قِبَلِي هُمْ سُرَّاقٌ  
وَلُصُوصٌ . وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ . أَنَا هُوَ الْبَابُ .  
إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعَى .  
السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ . وَأَمَّا أَنَا  
فَقَدْ أَتَيْتُ لِيَتَكُونَ لَهُمْ حَيَوَةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ .

(يوحنا ١٠ : ٧ - ١٠)

لم يفهم اليهود مثل الراعى الصالح ، وهكذا لم يجد المعلم العظيم بدأ من  
أن يطبق المثل على نفسه صراحة وعلائية ففراه يبدأ حديثه بالقول : أنا  
هوالباب إلى حظيرة الخراف .

وفى المثل ، نراه يتقدم لسامعيه مشيراً إلى نوعين من الحظائر : النوع الأول  
كان موجوداً فى المدن ، كما فى القرى . وقد كانت هناك حظائر جماعية تأوى  
إليها كل قطعان المدينة ، أو القرية فى عودتها عند حلول المساء . هذه الحظائر  
كانت لها أبوابها الحصينة ، التى يشرف على كل منها حارس بيده وحده مفاتيح  
الحظيرة . لمثل هذا النوع من الحظائر الجماعية ، يشير السيد فى العديدين الثانى  
والثالث من هذا الأصحاح .

وأحياناً كان يقدر للرعاة أن يسهروا بالليل حتى يرعى القطيع مرعى الليل فلا يعود الراعى بقطيعه إلى مدينته ، أو قريته . في هذه الحالة تبيت الخراف في حظائر أقيمت في سفوح التلال ، تجمع فيها حتى يسفر الصباح . هذه الحظائر كانت مجرد مساحات مكشوفة ، مسورة بأسوار بها فتحة تدخل منها الخراف وتخرج ، ولكن ليس لها أبواب على الإطلاق ، وأثناء ساعات الليل ، ينام الراعى في مدخل هذه الحظائر المكشوفة ، فلا تخرج واحدة من رعيته إلى الخارج إلا على جسده ، ولا يمر وحش إلى داخل الحظيرة إلا على جسده أيضاً أو بمعنى آخر ، يصبح الراعى في هذه الحالة باباً للخراف .

وهذا ما قصده المسيح بعد ذلك بقوله ، أنا باب الخراف ، ففيه ، وفيه وحده لاسواه ، يستطيع بنو البشر أن يصلوا إلى الله . كما يقول رسول الأمم ، في رسالته إلى أهل أفسس : « كنتم أجنيبين عن رعية إسرائيل » (أفسس ٢ : ١٨) . وكما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده » (عبرانيين ١٠ : ٢٠) . إن « يسوع » يشق الطريق إلى عرش الله . لقد كان الناس قبل مجيء « يسوع » ، يتطلعون من بعيد إلى إله السماء . فيرون فيه غريباً عنهم . أو في أسوأ الحالات ، عدواً لهم . فاذا ببسوع يأتي إلى العالم ، لينقل إلى البشريه صورة جديدة عن الله الأب .. ليفتح الطريق أمام أذهان الناس ، للوصول إلى حقيقة الإله المحب . . . لمعرفة قلبه الكبير ، كما أعلن في الإنجيل الحبيب . وكأنما جاء « يسوع » مقدماً للعالم الفصل الرئيسي في كتاب معرفة الله . كأنما جاء طريقاً حياً للبشر إلى الأب . إنه الباب الذي بواسطته استطاع أبناء الطين والتراب أن يصلوا إلى جلال الله ..

وحتى وصور « يسوع » معنى الوصول إلى الله ، نراه يستخدم جملة كانت مألوفة لسامعيه من العبرانيين : يدخل ويخرج . أن يكون للإنسان القدرة على .

الدخول إلى مكان ما ، والخروج منه . يعنى الحرية ، والراحة . حينما يدخل الإنسان ويخرج دون خوف . معناه أن نوااميس العدالة ، والنظام فى مجتمعه سليمة قوية مسيطرة . فهو فى أمان فى الحياة ، لايقع به ما يؤذيه ، ورئيس البلد يحرسها بعين ساهرة ، ويمسك بمقاليدها بيد حازمة . وكماورد فى سفر العدد . « يخرج أمامهم . ويدخل أمامهم . ويخرجهم ويدخلهم . لكي لا تكون جماعة الرب كالغنم التى لاراعى لها . . (عدد ٢٧ : ١٧ ) . وعن الرجل البار الخائف الله ، يرد القول ، بأنه مبارك فى خروجه وفى دخوله . . (تثنية ٢٨ : ٦) . أما الطفل فلا مقدرة له على الخروج والدخول ( ملوك الأول ٣ : ٧ ) . وفى سفر المزامير ، يؤكد المرنم ثقته بأن الله يحفظ خروجه ودخوله (مزمو ١٢ : ٨ ) «

إن الإنسان الذى يتحد بالمسيح اتحاداً روحياً مباركاً ، يمكنه أن يكتشف من هو الله ، ويمتلئ بالثقة الكاملة فى الأمان الحقيقى فى إلهه . إن كانت حياتنا بين يدي إله نظير هذا الإله الذى أعلن لنا فى المسيح يسوع . فلا محل للقلق أو المخاوف . .

ثم يعقد «يسوع» مقارنة بينه وبين من سبقوه ، فجميع الذين أتوا قبله هم سراق ولصوص . وحينما يقول السيد هذا ، فإنه لايقصد بطبيعة الحال من سبقوه من الأنبياء . إنه يشير إلى ذلك الرعيل من المتطرفين المضللين الذين يثيرون الشعب بأقوالهم الملتهية ، وحياتهم بعيدة كل البعد عن أقوالهم . هؤلاء كانوا يمتنون الشعب بإشراقة المجد العظيم ، عن طريق الكفاح ضد المستعمر الرومانى .

فى تلك الأثناء ، التى فيها ظهر «يسوع» على مسرح التاريخ ، يحدثنا المؤرخ اليهودى «يوسيفوس» أنه حدثت أكثر من عشرة آلاف انتفاضة ثورية . معظمها

انتهى بسفك الدماء . كما يقول المؤرخ أيضاً : « لقد كانت طائفة الغيورين وراء معظم هذه الثورات . كانت تعرف أنها تسوق الجماعات إلى الموت المحقق . لكنها ما كان يهمها شيء في سبيل ما تهدف إليه من تحقيق مطامعها . في الوصول إلى السلطة . أو الانتصار المزعوم . لقد كان يسوع يرمى إلى القول : « إنكم تعرفون كثيرين أتوا قبلي . وكان أولئك ينادون لكم بأنهم مرسلون من الله . ولقد كانوا يؤمنون بالحرب والاختيال ، وسفك الدماء . والموت . وطريق أولئك تنأى بالناس بعيداً عن الله . أما طريقي أنا فهي طريق السلام ، والمحبة ، والحياة . والذي يتخذها سبيلاً له . يقرب أكثر فاكتر من الله . وما أعظمه من مبدأ ، يتقدم به « يسوع » للوصول إلى النصر . . إنه مبدأ الانتصار لا بالعنف ولا بالقوة ولا بسفك الدماء أو المرارة والأحقاد . انه الانتصار عن طريق المحبة والبدل والتضحية . وطريق « يسوع » هو الذي يقرب الإنسان إلى إلهه ... هو الذي يعجل بمقدم العصر الذهبي في هذا الوجود .

ولقد نادى « يسوع » ، بأنه ما جاء إلى الناس ، إلا لكي تكون لهم حياة ، لتكون لهم الحياة الأفضل والأكثر غنى وفيضاً . والترجمة العربية التي بين أيدينا ، ترجمة فانديك ، هي الأكثر مطابقة للأصل : ليكون لهم أفضل أي زيادة وبأكثر غنى . اننا بمعرفتنا بيسوع . : باتباعه . . بالتمسك بنفس الهدف الذي يهدف إليه ، والسير في نفس الطريق ، ننال الحياة الأفضل ، أي الحياة الفائضة الغنية . .

هناك قصة تروى ، عن جندي روماني ، أتى إلى « يوليوس قيصر » ، بطلب رجوه فيه أن يسمح له بازهاق روحه بيديه ، وارتكاب جريمة الانتحار ، فهن يائس . . ، تعس . . لا نفع فيه . . وعند ذلك ثبت قيصر أنظاره

عليه وهو يقول في تودة : «أيها الإنسان تقول إنك تعس، فاشل ، هل تعلمت كيف نحيا الحياة الحققة ؟ »

إننا حينما نحيا حياتنا الذاتية ، تصبح الحياة فاشلة نعسة ، جوفاء ، لا هدف لها . ولكن حينما نلتقى بيسوع ونضع أيدينا في يده ، ونسير في طريقه ، ونختبر قوة وبركة محضره في حياتنا ينفخ فينا حيوية جديدة .. وتفيض فينا الحياة الأفضل . عند ذلك تستحق الحياة أن نحياها . . . وهكذا نصبح بالتالي أحياء ، بكل ما في الكلمة من معان . .

## الراعى الصالح والراعى الزائف

أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ . وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْدُلُ نَفْسَهُ عَنِ  
الْخِرَافِ . وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ وَلَيْسَ رَاعِيًا الَّذِي  
لَيْسَتْ الْخِرَافُ لَهُ فَيَرَى الذُّبَّ مُقْبِلًا وَيَتْرُكُ الْخِرَافَ  
وَيَهْرُبُ . فَيَخْطَفُ الذُّبُّ الْخِرَافَ وَيُبَدِّدُهَا . وَالْأَجِيرُ  
يَهْرُبُ لِأَنَّهُ أَجِيرٌ وَلَا يَبَالِي بِالْخِرَافِ . أَمَا أَنَا فَإِنِّي  
الرَّاعِي الصَّالِحُ وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي كَمَا أَنَّ  
الْأَبَّ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْأَبَّ . وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ  
الْخِرَافِ .

( يوحنا ١٠ : ١١ - ١٥ )

في هذه الفقرة يعقد « يسوع » مقارنة ، بين الراعى الصالح والراعى المضل ،  
الطالح . . بين الراعى الأمين ، والراعى الذى يرعى مصلحته الشخصية .  
في فلسطين ، حينما يسلم إنسان اغنامه إلى الراعى ، يصبح الراعى مسئولاً عنها  
بالكلية . فإذا حدث شيء لاحداها ، عليه أن يثبت أن ذلك لم يكن بسبب تقصير  
من جانبه . . عليه أن يقدم الدليل على ذلك . ونحن نجد النبى « عاموس » يتحدث  
عن الراعى ، وهو محتطف من بين انبياء الوحش رعى بقايا أذن مزرقة أو فخذ  
ملوثة بالدماء . ( عاموس ٣ : ١٢ ) . والهدف من ذلك ، هو أن يثبت أن الضحية

قد ماتت فعلا ، وأن موتها كان خارجا عن ارادته . وفي سفر صموئيل الأول ( ١٧ : ٣٤-٣٦ ) نستمع إلى «داود» يحكى للملك «شاول» ، كيف أنه ، أثناء حراسته لأغنام أبيه ، أضطر إلى أن يدخل في صراع دموى مع أسد ودب ، هاجما القطيع . ويدعو « اشعيا » الرعاة إلى القيام بواجبهم ومقاومة الأسد ( اشعيا ٣١ : ٤ ) لقد كان من الأمور الطبيعية أن يدافع الراعى عن رعيته ، ولو تعرضت حياته لخطر الموت .

عن «الدكتور طومسون» في كتابه « الأرض والكتاب المقدس » نقراً :  
« كثيراً ما كنت استمع إلى قصص الرعاة ، وأخبار صراعتهم مع الوحوش ، للصوص . وكيف أنهم في عراكتهم ، لا يحسبون حساباً لحياتهم . بل لأننى أعرف أكثر من حالة ، بذل فيها الراعى نفسه عن رعيته . واخر ما بلغنى من أبناء ، عن راع فقير كان يرعى رعيته بالقرب من طبرية ، حينما هاجمه ثلاثة من البدو المسلحين بالخنجر . وبدلاً من الهروب وترك الرعية للصوص ، واجههم بكل شجاعة ، وسقط جسداً ممزقاً دامياً وسط رعيته ، التى دافع عنها بكل أمانة .

ومن الجانب الآخر ، هناك الراعى الغاش غير الأمين . والفارق بين الاثنين أن الراعى الأصيل الصادق .. إنسان ولد مع الرعية ، بمعنى أنه بدأ حياته منذ نعومة أظفاره راعياً ، حتى أصبحت الرعية كأتمهاى بعض خلانه أو اصدقائه فهو يحبها حبه لخلانه ، ويسهر على راحتها ، اكثر من تفكيره فى راحته الشخصية اما الثانى فهو اجبر انجحه إلى مهنة الراعى ، ليكسب مالا ، او لأنه لا يطبق حياة المدن ، ويجد لذته فى الحياة على سفوح الجبال . فهو بلا دعوة وبلا شعور بالمسئولية . إنه مجرد اجبر ، ولا يهتم بما يهدد قطيعه ، والذئب على الدوام تهدد حياة القطيع . ونحن نقرأ القول الذى قاله « يسوع » لتلاميذه : هاانا ارسلكم

كفتم في وسط ذئاب (متى ١٠ : ١٦) . وبولس بحدس شيوخ افسس ، من أنه ستأتي ذئاب لا تشفق على للرعية (أعمال ٢٠ : ٢٩) . هذه الذئاب ، تهاجم القطيع ، والأجبر لا يهتم إلا بانقاذ حياته ، فيترك الرعية ويهرب .

في نبوات «زكريا» ، نقرا أنه من علامات الراعي الكاذب ، أنه لا يبذل مجهودا في جمع شمل القطيع (زكريا ١١ : ٦) هناك قصة تروى عن والد الكاتب الإنجليزي «كارليل» الذي كان عضوا متقدما في كنيسة ، أنه تشبث بعض المتاعب بين الكنيسة وراعيا بسبب بعض الخلافات المادية ، وعقدت جلسة لفض النزاع ، فوقف والد كارليل ، وقال في ختامها .. « أعطوا الأجبر أجره ، ودعوه يمضي ! » .

حينما يتحدث «يسوع» عن الأجبر ، فانه يقصد القول ، أن الذي يعمل لأجل المال . . لأجل الأجر ، يفكر في المال والأجر أكثر من أى شىء آخر ، أما الذي يعمل بدافع المحبة ، فهو يفكر في اولئك الذين يربطه بهم رباط المحبة . إن «يسوع» هو الراعي الصالح ، الذي احب رعيته بهذا القدر ، حتى أنه بذل ، نفسه في سبيل حياتها .

نلاحظ أمرين آخرين ، قبل ختام التأمل في هذه الفقرة ، فيسوع يلقب نفسه بالراعي الصالح . وفي الأصل اليوناني نجد كلمتين تعبران عن كلمة صالح . فهناك كلمة «أجاثوس» التي تعبر عن الجانب الأخلاقي ، وهناك كلمة «كالوس» التي لا تعنى أن ذلك الشىء ، أو ذلك الإنسان صالح فحسب ، من الناحية الأدبية ، بل أن في صلاحه رقة ، وجاذبية ، ولطفا ، يجعل منه صورة جذابة حلوة . فحينما يتحدث «يسوع» عن نفسه كالراعي الصالح ، فالكلمة هنا «كالوس» . إن فيه أكثر من الكفاية والاخلاص ، وفي صلاحه المحبة ، والفيض ، والجمال الكامل . قد يتحدث الناس في قرية أو مدينة عن .



طبيب صالح ، وحينما يتحدثون هكذا ، فإنهم لا يقصدون كفايته من ناحية فنه ومهنته فحسب ، بل يقصدون أيضا عطفه ، وحنانه ، ومحبتة التي جعلت منه صديقا للجميع . إن في صورة « يسوع » ، كالراعى ، القوة ، والمقدرة والصلاص وهذه كلها تحيطه بهالة من المحبة والجمال .

والأمر الثانى الذى يهمننا أن نلاحظه ، هو أن المقصود بالقطيع فى هذا المثال هو كنيسة المسيح . وقطيع المسيح يتهده خطران : فهو معرض للهجوم من الخارج من الذئاب والوحوش والصوص ، وهو معرض من الداخل ، للانقسامات ولأخطار الرعاة الاجراء الكاذبين .

فالخطر يتهده من الخارج والداخل ، هذا هو الخطر المزدوج . وكم كانت المخاطر التى تعرض لها كنيسة المسيح من القادة والرؤساء ، اعتم أثرأ وأقسى ضررا . . . كم تمزق قطيع المسيح بسبب عدم امانة راع تعلق قلبه بالمال ، لانه مجرد أجير ، اكثر من تعلقه بالقطيع . أما الخطر الثانى فهو أكثر عمقا وضاووة . فقد تنبه إلى الخطر الخارجى . لكن الداخل مستور مقنع . والخطر ، الذى تنبه له ، نعمل له كل الحساب لكننا لانحسب حسابا للخطر الذى يتهدنا من الداخل .

وحيثما تكون القيادة غير أمينة ، عند ذلك تكون الفرصة لاعداء المسيح ، للوحوش والذئاب التى هى من خارج ، أن تعمل عملها ، فتهاجم وتذبح وتهلك إن أعظم ما تحتاجه كنيسة المسيح رعاة على نمط الراعى الأعظم يسوع المسيح .

## الوحدة القصوى

وَلِي خِرَافٌ أُخْرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ  
بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ  
وَاحِدٌ .

( يوحنا ١٠ : ١٦ )

من أسمى الأمور على نفس الإنسان ، أن يتعلم كيف يتخلص من ذاته المميزة .. كيف ينبذ عنصريته ، ويذوب كيانه في إخوته أو مجتمعه . وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجتمعات . ففي الوقت الذي تتملك فيه الفكرة على مجتمع من المجتمعات ، بأنه قد اختص بصفات مميزة يتمتع بها دون سواه ، يصبح من العسير عليه أن يدرك ، أن تلك المميزات التي تفرد بها ، باب الوصول إليها مفتوح أمام الآخرين . وأنه ليس هو الفرد العلم في كيان البشرية الكبير ، وهذه هي غلطة الشعب اليهودي . لقد اعتقدوا في أنفسهم أنهم شعب الله المختار ، وأنه لا صلة لإله الكون بأى شعب آخر سواهم . فما خلقت هذه الشعوب كلها ، وهذه الأجناس جميعها ، إلا لراحتهم .. لرفاهيتهم .. ليكونوا عبيد لهم . هذا إذا كان لتلك الشعوب مكانها في برنامج الخليقة .. ولكنها على أسوأ حال ، مصيرها النهائي هو الإبادة ، والزوال . فلا مكان لها في فكر الله . ان هذه الشعوب أشبه ما تكون بالدعائم الخشبية التي تسند البناء عند تكوينه . ومتى تم البناء وارتفع وعلا شأنه ، واكتمل ، فما قيمة

هذه الدعائم ، وما جدواها ؟ . قد يكون من الخير أن تصبح وقوداً  
للنيران . . .

ولكننا نستمع هنا ، إلى رب المجد ، يهتف بأولئك الذين تملكهم  
روح العنصرية ، والكبرياء الكاذبة ، قائلاً إن له خرافه التي ليست من حظرتهم  
وأنه لا بد وأن يأتي بهذه الخراف ، ليضمها إلى خرافه الأولى ، ليكون  
الجميع واحداً ، مع شخصه المبارك ، فيكون هو راعي العهد الجديد ، كما هو  
راعي العهد القديم .

أما ذلك اليوم العظيم ، الذي تتحد فيه الأمم والأجناس تحت راية المسيح  
الواحد ، فإنا نجد كثيراً من اللمحات المشرقة عنه . تسطع في ثنايا العهد  
القديم ، وبين سطورهم ، وأول من يطالعنا ، النبي الإنجيلي «أشعيا» ليقدّم لنا في  
نبواته . حلمه المشرق عن ذلك اليوم السعيد . فان كان هناك فضل  
لاسرائيل—هكذا يقول—فهو لأنه قد وضع نور إعلان للأمم . وبركة لقبائل  
الأرض . إشارة إلى اشتراك الأمم أجمعين في بركات العهد والوعود .  
(أشعيا ٤٢: ٦ و ٤٩: ٦ و ٥٦: ٨) فهي ليست وفقاً على شعب أو أمة . بل  
إننا نجد صيحات متفرقة هنا ، وهناك ، تنادى أن إله الكون ليس ملكاً  
لإسرائيل فحسب ، وأن الهدف الأساسي لاختيار إسرائيل كأمة الأنبياء .  
والمواعيد ، هو إعلان الله للأمم ، والاقتراب بالأمم إلى الله .

وقد يبدو لأول وهلة ، أن العهد الجديد يتحدث في هذا الضدد  
برأين متناقضين . فهناك كلمات ومواقف للرب يسوع ، تقف منها في حيرة  
حينما نتجاسر . نخذ مثلاً حديث السيد لتلاميذه حينما أرسلهم للخدمة . كما  
أورد ذلك البشير متى : « إلى طريق أمم لا تذهبوا . وإلى مدينة للسامريين

لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة «  
( متى ١٠: ٦٥ ) أو تأمل موقفه من المرأة الفينيقية السورية ، حينما صرخت  
إليه طالبة معونته . فأجابها بأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ، وي طرح  
للكلاب . ( نفس اللقب الذى كان اليهود يطلقونه على الأمم ) . وأنه لم يرسل  
إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة . ( متى ١٥ : ٢٤ ) ولكن  
مقابل هذه توجد مواقف ليسوع يبدو فيها عجبا ، ومشجعاً ، ومباركا  
للأمم . فهو يذهب إلى السامرة ، ويبقى هناك يومين مبشراً ، ومنذراً .  
وصانعاً لمعجزاته . ( يوحنا ٤ : ٤٠ ) بل إنه يعلن للمرأة السامرية أن  
السلسل من «ابراهيم» ، ليس ضماناً للدخول إلى ملكوت الله ( يوحنا ٨ : ٣٩ )  
وعن قائد المئة الأعمى الرومانى ، يتحدث «يسوع» قائلاً : لم أجد ولا فى اسرائيل  
إيماناً مثل هنا ( متى ٨ : ١٠ ) والسامرى الأبرص الذى نال الشفاء على يديه  
نراه هو الوحيد الذى يرجع مقدماً للمجد لله . موبخاً بتصرفه هذا جحود  
زملائه اليهود ( لوقا ١٧ : ١٩ ) . وفى مثل السامرى الصالح نراه يختار سامرياً  
كنال للرحمة والقلب الكبير ( لوقا ١٠ : ٣٧ ) ومن تعاليمه أن كثيرين يأتون  
من المشارق والمغرب ، ومن الشمال والجنوب ، ويتكثرون فى حضن «ابراهيم» .  
أما بنو الملكوت ، ( اشارة إلى نسل إبراهيم ) فيطرحون خارجاً هناك يكون  
البكاء وصرير الأسنان ( متى ٨ : ١١ ، لوقا ١٣ : ٢٨ ) . وآخر وصية أوصى  
السيد بها تلاميذه ، أن يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالإنجيل لخلقها كلها  
( مرقس ١٦ : ٥ ، متى ٢٩ : ١٥ ) ويسوع ليس نور اليهود فقط ، إنه نور العالم  
كله ( يوحنا ٨ : ١٢ ) . فلماذا هذا التضارب الظاهرى ؟ لماذا هذه المواقف  
أو الكلمات ، التى يبدو وكأنها تضع حدوداً لرسالة «يسوع» ، وتجعلها وقفاً على  
اليهود دون الأمم ؟

الجواب على ما يبدو سهل يسير ، فهدف «يسوع» الشامل المتسع ، هو ربح العالم كله لله . ولكن كل قائد عظيم يعرف ، أنه إن كان يريد أن يصل إلى النجاح في أغراضه المتسعة ، عليه أن يضع أمامه في البداية دائرة محددة لهذا الهدف . فلن يصل إلى الانتصار في ميدان القتال ، إذا راح يضرب في جبهة متسعة شمالاً وجنوباً ، مبعثراً جهوده ، وجنوده ، موجهاً قواه وإمكانياته ، إلى أكثر من موقعة ومعركة . إنه بهذا لن يكسب إنتصاراً . إن كان يريد النجاح عليه أن يحدد هدفاً محدداً . وهذا ما فعله «يسوع» في طريق الوصول إلى أهدافه العظيمة المتسعة الشاملة . لقد اختار في بادئ الأمر دائرة محدودة . فلو أرسل تلاميذه الأثنى عشر ، الواحد إلى بلاد الغال ، والثاني إلى إيطاليا ، والثالث إلى الجزائر البعيدة ، والرابع إلى آسيا ، هل كنا ننتظر نجاحاً لارسالته في هذه الدوائر العريضة ؟ لقد ركز في البداية على دائرة اليهودية ، لكي يصل في البداية إلى هدفه الشامل العظيم ألا وهو إخضاع العالم كله لسلطان محبته . . .

هناك حقائق ثلاث ، تتلمع بنور باهر في هذه الفقرة . . .

١ - الحقيقة الأولى أنه في «يسوع» .. في «يسوع» وحده وليس سواه . يستطيع العالم أن يصبح واحداً ..

يقال عن المبشر «إجرتون يونج» ، إنه كان أول مرسل لقبائل الهنود الحمر . وحينما أعلن لهم محبة الأب السماوي ، كما ظهرت في المسيح ، كان هذا بمثابة إعلان جديد عن الله ، لم يعرفوه من قبل فهتف أحد زعمائهم . . . «حينما كنت تتحدث عن الروح الأعظم ، هل سمعتك تقول عنه أبانا ؟ » وأجاب المرسل « نعم . إنه أبونا السماوي المحب » وقاطعه الزعيم المسن « هذا جميل .. حلو .. هذا يكفي . إنه إعلان جديد لي . إننا ما كنا نظن يوماً أن الروح الأعظم هو أبونا . لقد كنا نسمع صوته في زئير الرعد المدوي ،

وترى صواعق غضبه في البرق الخاطف . لقد كنا نرى آثار جبروته في العاصفة الهوجاء ، فتلبد في خوف في شقوق الصخر . ولكنك تأتي إلينا اليوم لتخبرنا أنه الإله المحب .. الآب السماوي الكبير القلب . هذا يكفيننا «  
ثم صمت الزعيم العجوز قليلا وعاد يهتف ..

« أيها المرسل ، هل قلت بأن الله أبوك ؟ » وأجابه المرسل : « نعم » .  
« وهل قلت بأنه أبونا نحن ؟ » « نعم » .

« إذا مادام الله أبي وأبوك ، فنحن أخوان » . لا توجد قوة في الوجود تربط القلوب وتوحيدها ، إلا قوة الإيمان المشترك ، في أبوة الله الواحد للجميع وبنوة الجميع لله . في العالم توجد أمم وشعوب ، وهذه الأمة قد تنقسم على الأخرى . وفي قلب الأمة الواحدة توجد طبقات ، وقبائل وعصبيات . وهذه تنقسم على تلك ، وتتعالى عليها . فلا توجد أمة عالمية واحدة ، ولا يوجد مجتمع تنفى فيه الطبقات والعصبيات . القوة الوحيدة التي تستطيع أن تتخطى الحواجز ، والحدود ، والسلود ، من نعرات عنصرية ، أو جنسية ، أو طبقية أو طائفية ، هي قوة إنجيل محبة المسيح ، فهي التي تجعل البشر جميعاً إخوة في بنوة مياصرة للآب السماوي ..

٢ - الحقيقة الثانية، نجدها في إطار الكلمة: لتكون رعية واحدة وراع واحد . هذه الجملة مطابقة للنص الأصلي في ترجمتنا العربية . ولكنها تسربت بصورة مغلوطة في الترجمة الإنجليزية المعتمدة المعروفة بترجمة جيمس ، حيث وردت « لتكون حظيرة واحدة وراع واحد » . ويرجع هذا الخطأ ، إلى عهد « ايرونيوس » ، والترجمة اللاتينية الشائعة المعروفة بالفولجاتا . وعلي هذا الأساس بنت الكنيسة الكاثوليكية تعليمها . بأنه لا حظيرة إلا حظيرتها ، ولا خلاص خارج حدودها .  
ولكن الترجمة الحقيقية كما أسلفنا هي « لتكون رعية واحدة وراع واحد »

إن الوحدة الحقيقية لا تنبع من أن كل الخراف تدفع دفعا لحظيرة واحدة ، أو ترغم على البقاء داخل أسوار عالية ، على أن تبقى في إطار واحد ، بل أن تسمع صوت الراعي الواحد وتستجيب له طواعية واختياراً ، ولا تنساق لصوت عداه. إن الوحدة ليست وحدة كنسية ، بل هي وحدة ولاء ليسوع المسيح ، في إطار كل كنيسة وطائفة .

ولنأخذ مثلاً سياسياً ، ولو أنه أصبح غير مقبول في شرقنا العربي ، . مثلاً مما يعرف بالكومنولث البريطاني . إن هذا الكومنولث يضم دولاً متعددة لكل دولة حكومتها وأنظمتها الخاصة . ودايرتها التي تنظم علاقاتها الداخلية والخارجية . لكنها جميعاً تدين بالطاعة والولاء للتاج البريطاني . إن المناداة برعية واحدة ، لاتعني المناداة بكنيسة واحدة ، أو بطابع واحد وتقليد واحد ، ونظام واحد في العبادة . ولكن يعني أن الرعايا جميعها يضمها إطار واحد : هو إطار الولاء ليسوع المسيح ، والتعبد له. إن بناء الوحدة المسيحية لا يقوم على أساس الخضوع لنظام معين ، أو الإقنناء لهذا النظام الكنسي أو ذاك، إنه يقوم على أساس الولاء لشخص واحد .. «يسوع المسيح» .

٣- الحقيقة الثالثة ، أن هذا الاعلان الذي نادى به يسوع المسيح . هو نداء يمكن أن يخص كل إنسان .. أو بعبارة أخرى ، هو نداء شخصي لكل إنسان . أن هذا الحلم الذي تراءى في مخيلة «يسوع» ، يستطيع كل منا أن يعاون في تحقيقه .. بل إن المسئولية موضوعة على عاتق كل منا ليسعى لتحقيقه فكيف يؤمن الناس إن لم تقدم لهم البشارة ؟ و كيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يدخلون في دين الله أفواجا ، إن لم يوجد من يسعى إليهم . ويجدهم ويدفعهم إلى حظيرة الإيمان الجديد ؟

هنا نرى الواجب المرسل الملقى على عاتق الكنيسة ، بل على كاهل كل

من آمن بالمسيح. وارتبط به ارتباط القلب والحياة ولا ينبغي أن نتصور، أن كلمة الواجب المرسل، معناها الذهاب إلى منطقة نائية مثل مجاهل أفريقيا أو بين القبائل المتبربرة في قارة استراليا . بل تعنى العمل في قلب الدائرة التي نحيا فيها . فإن كنا نعرف إنساناً قريباً لنا خارج دائرة محبة المسيح وخلاصه . فان المسؤولية ملقاة علينا أن ندعوه إلى حظيرة الراعى الصالح . فالراعى الصالح يحب الضال الشارد . وعلينا أن نسعى لنكتشف ذلك الضال . ونرده إلى القطيع . هنا حدود دائرة حلم المسيح . وهنا الطريق لتحقيق ذلك الحلم .

إن تحقيقه يتوقف علينا نحن . وإذا كنا قد ارتبطنا برباط الإيمان براعينا الأعظم ، فاننا قد ارتبطنا بالتالى برباط المسؤولية لنسعى معه ليكون العالم أجمع رعية واحدة لراع واحد . .



## اختبار المحبة

لِهَذَا يُجِيبُنِي الْآبُ لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِأَخْذِهَا أَيْضًا .  
لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي . لِي سُلْطَانٌ  
أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيْضًا . هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبْلَتُهَا  
مِنْ أَبِي

(يوحنا ١٧: ١٨، ١٧)

لا توجد فقرات كثيرة في العهد الجديد ، تقدم لنا في كلمات قليلة ،  
صورة شاملة عن «يسوع» ، نظير هذه الفقرة .

١ - فهي تخبرنا بأن «يسوع» قد رأى حياته كصورة للطاعة الكاملة  
للآب . لقد اعطاه الآب هدفا محددًا . ولهذا الهدف كرس الابن حياته -  
حتى ولو انتهى به الأمر إلى الموت . لقد كان «يسوع» في علاقة فريدة  
مع الله الآب ، وهذه العلاقة الفريدة مع أنها تقوم على أساس كونه الابن الأزلي  
المبارك ، إلا أنها ما كانت تُترك مجالاً لتصرف ذاتي ، بل كان تصرف «يسوع»  
وفق مخطط ثابت . هو مخطط إرادة الله ، ورضاه . إن كون «يسوع»  
ابن الله ، يتضمن اسمي امتياز ، كما يحمل أعظم مسؤولية . ان البنوة لله  
بالنسبة له ، كما أن البنوة لله بالنسبة لنا - نقولها بكل احترام ، ونحن ندرك  
الفارق العظيم بين بنوة الأزلية ، وبين بنوتنا نحن المبنية على اساس التبني  
هذه البنوة لا يمكن أن تقوم ، إلا على اساس الطاعة الكاملة .

٢ - وهي تظهر لنا أن «يسوع» على الدوام كان يرى إجماده مقترنة بصليبه وهوانه . فلم يشك لحظة في أن الموت ينتظره ولم يساوره بالتالي ادنى شك ، في أنه بعد الموت ، سيقوم ظافراً منتصراً ، محطاً القبر والهاوية . أما سر هذه الثقة ، فهو ثقة «يسوع» في الآب . لقد كان واثقاً أن الآب السماوي لن يتخلى عنه . لقد كان يعرف أن الطاعة لله ، لا بد وان تجلب الألم والهوان والأضطهاد ، ولكنه آمن أيضاً أن الطاعة لله نهايتها الأجماد . بل الأكثر من هذا ، أنه كان يؤمن بأن الهوان لساعة ، أما الأجماد فهي لأبد الأباد . وفي واقع الأمر ، كلنا نعرف ، أن الوصول لهدف من الأهداف ، لا بد أن ترافقه التضحية والمتاعب . هذا ناموس تبنى عليه كل أهداف الحياة . هناك ثمن لا بد أن يدفع ، مقابل ما نبغى الحصول عليه ، أو الوصول إليه . اسمى مراتب العلم يمكن الوصول إليها ، ولكن على حساب الدرس وسهر الليالي . النجاح في حرفة من الحرف ، نستطيع ان نناله بالمثابرة والحكمة والاجتهاد . هناك كثيرون فاتهم قطار النجاح في الحياة ، ولم يستطيعوا ان يصلوا الى اهدافهم ، لأنهم تراجعوا عن الكلفة والتضحية . لا أحد يستطيع أن يصل إلى الخلد ، بالسير في الطريق الواسع . فطريق المجد والعظمة ، هو الطريق الضيق الكزيب .

٣ - وهي تخبرنا بكل جلاء ، أن موت «يسوع» لم يكن اضطرارياً ، بل كان اختيارياً تطوعياً . هذه حقيقة يؤكدها «يسوع» المرة بعد الأخرى . وفي بيتان الآلام ، نجده يأمر تلميذه ان يردد السيف إلى الغمد . فلو اراد ان تراجع عنه الكاس ، أما كان في استطاعته أن يطلب جيوشاً من الملائكة للدفاع عنه . ( متى ٢٦ : ٥٣ ) . وأمام «بيلاطس» ، تحدث «يسوع» بصراحة أنه لا سلطان عليه اليقظة ، وأنه هو الذي يمسك بالكاس بمحض اختياره ( يوحنا ١٩ : ٩ روم ١٠ : ١٠ ) . فيسوع لم يكن ضحية الظروف ... لم يكن في

موته نظير شاة تسلق رغم أنفها إلى الذبح ، وهي تحاول أن تتخلص من  
يدي الكاهن الذي يمسك بها . لقد وضع «يسوع» حياته على المذبح ، لأنه  
اختار ذلك .

يقال عن جندي فرنسي ، في الحرب العالمية الأولى ، أنه أصيب في  
ذراعه إصابة قاسية ، حتى لم يكن هناك من يد ، من أن يجري له الجراح  
عملية بتر للذراع ، ولقد كان وسم الطلعة ، لدرجة أن الجراح عز عليه أن  
مثل ذلك الشاب سيقضى بقية عمره بعاهة دائمة . وهكذا انتظر إلى جواره  
حتى يزول تأثير المخدر فيواسيه ليخفف عليه الصدمة القاسية ولما فتح الشاب  
عينه أخيراً . قال له الجراح ، يؤسفني أن أخبرك أنك فقدت ذراعك  
وبسرعة رد عليه الشاب : « فقدتها ؟ كلا لقد وهبتها في سبيل  
فرنسا » .

إن «يسوع» لم تؤخذ أقدامه على غرة ، في شبكة الظروف الطارئة  
وبصرف النظر عن قوته المعجزية — بصرف النظر عن القوة الالهية التي  
كانت تحت يديه . نقول إنه كان في وسعه حتى آخر لحظة . أن يلقى  
بالكاس المرة من يديه . ويخلص نفسه . إنه لم يقتل قتلاً . لقد قبل الموت  
طوعاً . لم يدفع دفعاً إلى الصليب ، بل احتضنه بماء رضاه واختياره في  
سبيل خلاصنا .

مختل العقل ، أم ابن الله ! ؟

فَحَدَّثَ أَيْضاً أَنْشِقَاقُ بَيْنِ الْيَهُودِ بِسَبَبِ هَذَا  
الْكَلَامِ . فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ بِهِ شَيْطَانٌ وَهُوَ يَهْدِي .  
لِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ لَهُ . آخَرُونَ قَالُوا لَيْسَ هَذَا كَلَامَ مَنْ  
بِهِ شَيْطَانٌ . أَلَعَلَّ شَيْطَاناً يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ أَعْيْنَ الْعُمَيَّانِ

(يوحنا ١٠: ١٩-٢١)

وأصغى اليهود إلى كلمات «يسوع» ، وتملكهم الخيرة . . . الخيرة  
التي تمتلك كل إنسان ، حينما يخلق فمه أمام لغز عميق . فإما أن يكون  
«يسوع» هذا انسانا به شيطان ، افقده اتزان العقل ، فراح يهذي بكلمات  
لا يدركها ، وإما أن يكون حقا ابن الله ، ولا مفر من التسليم بواحد  
من الافتراضين- حينما يتكلم إنسان عن نفسه بذات التعبيرات التي يتحدث  
بها «يسوع» عن الله ، فيجعل نفسه مساويا لله ، فإما إن ذلك الإنسان هو  
بالحقيقة معادل لله ، وإما أنه فقد سيطرته على التعبير السوى لسبب أو لآخر  
كيف يمكن أن تثبت من كلمات المسيح عينها ، ودعاواه ، كذب  
ادعاء اليهود ؟

١- قبل كل شيء نقول إن كلمات المسيح ، ليست على الإطلاق  
كلمات انسان فقد اتزانه الفكرى . نستطيع أن نقبس شاهداً بعد شاهد ،  
لإثبات أن كل كلمة نطق بها «يسوع» ، هي كلمات الصحو الكامل ، وموخرها

صدر في نفس الموضوع كتاب بقلم «ليونيل كورتس» يقول فيه: « إن هدف البشرية ينبغي أن يكون السعى لجعل العالم اجمع - على حد تعبيره - «كومولث» لله ، ثم يضيف قائلاً حينما سئلت ماذا تعنى بهذا القول ؟ وابن نجد النواميس التي تنظم العلاقات الانسانية في إطار هذا الكومولث الالهي الشامل ؟ كان جوابي : « في النواميس الأدبية التي نادى بها المسيح في الموعدة على الجبل . إن مثل هذه النواميس تصلح أن تكون ذات صبغة سياسية اجتماعية تنظم العلاقات في كل مجتمع إنساني . . . »

وهذه مجرد عينة من أقوال المفكرين وشهاداتهم ، عن تعاليم «يسوع المسيح» وسموها . ان اسمي ما يحتاجه عالم مجنون ، نظير العالم الذي نحيا فيه ، هو التشيع بتعاليم المسيح والتمثل بها ، واستخدامها في الحياة لكي يعود إلى صوابه . فيسوع هو الصوت الأوحده الصارخ في الوجود ، الذي ينادى بحكمة الله أمام تجبّطات الفكر البشري .

٢ - وأعمال «يسوع» ، هي أعمال الاتزان الكامل . وماذا كان يفعل ؟ وأى شيء لم يفعله في موضعه كما شهد عنه اللص اليمين ؟ إنه كان يجول بين الناس يصنع خيراً . يلمس الأجساد الكسيرة بلمسة الشفاء ، كما يلمس القلوب الكسيرة بلمسة العزاء . يضحى بوقته وراحته وجهده وصحته وطعامه ونومه في سبيل خدمة البشرية . أين هو من اولئك المجانين ، الذين ظهروا في التاريخ ، واحاطهم المجتمع بهالات البطولة ، وكان كل هدفهم ، رسم صورة ضخمة لأشخاصهم بنماء الآخرين ، ودموعهم ؟ لقد كانوا يصنعون من اشلاء الضحايا ، تماثيل لهم . ويرفعون على الام الآخرين . أما «يسوع» فكما قال عنه اليهود أنفسهم ، كيف يمكن أن انساناً به شيطان ، يفتح عيني المولود أعمى ؟ . . . يقدم خيراً للانسانية ؟ . . . يجبر القلوب الكسيرة المحطمة ؟

٣- وتأثير «يسوع» على الآخرين، ليس تأثير إنسان فقد اتزانه العقلي.  
إن الحقيقة التي لا تدحض - ولعلها حجة المسيحية الأولى على الديانات  
جمعاء - أن ملايين الملايين من البشر في كافة العصور والأجيال والأجناس  
قد تغيرت حياتهم وتبدلت ، واتخذت طريقاً جديداً ، وهدفاً مباركاً ، بقوة  
«يسوع المسيح» وفاعلية نعمته، وإلا فإذا كان في جماعة التلاميذ البسطاء، الذين  
لم يتل غالبيتهم أدنى حظ من العلم ، أو الثقافة، حتى يشقوا طريقهم بنجاح  
ساحق في وجه دهاء اليهود وحكمة اليونان ، وقوة الرومان . ماذا في «بطرس»  
الصياد الجليلي . حتى يتحول إلى شاهد ، ومبشر ، ونذير ؟ وفي كل جيل  
نجد الضعيف يلبس قوة ، والأثافي يضحى بكل شيء ، والمهزوم أمام  
شهوته ، ينال الانتصار والمضطرب القلق ، يمتلئ بروح السلام، والسكير  
ينزع الكأس من حياته . وكل هذا بقوة «يسوع» وفاعلية نعمته . فهل مجنون  
به شيطان هذا الذي استطاع أن يعطي البشرية كل هذا الغنى والمجد !؟ أنه  
بلا شك كامل الحكمة ، وكامل العقل .

إن كل مفكر سليم ، يدرس إرسالية المسيح العظيم ، وتعاليمه ، في  
نور النتائج المباركة التي عادت على الإنسانية بالخير الوفير ، لا بد وأن  
يقر بأن «يسوع المسيح» قد أشرق على الإنسانية بنور العقل الأعظم . . .  
نور الله . . .

## الدعوى والوعد

وَكَانَ عِيدُ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ وَكَانَ شِتَاءً .  
وَكَانَ يَسُوعُ يَتَمَشَّى فِي الْهَيْكَلِ فِي رُواقِ سَلِيمَانَ .  
فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ إِلَى مَتَى تَعَلِّقُ أَنْفُسَنَا .  
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْرًا ، أَجَابَهُمْ يَسُوعُ  
إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ . الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا  
بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي . وَلَكِنَّكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ لِأَنَّكُمْ  
لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي كَمَا قُلْتُ لَكُمْ . خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا  
أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعُنِي . وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ  
إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَخْطِفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي .

( يوحنا ١٠ : ٢٢ - ٢٨ )

هذه الفقرة يبدأها البشير «يوحنا» ، باثبات التاريخ والمكان الذي حدثت فيه المناقشة التي دارت فيها . فالوقت كان عيد التجديد . وعيد التجديد هذا عند اليهود ، كان آخر الأعياد لعظمى ، التي أدخلت مؤخرًا على التقليد اليهودي . وأحيانًا كان يلقب بعيد الأنوار : أما اسمه العبري فهو عيد «المانوكاه» ، وتاريخه يأتي في التاسع عشر من الشهر الأخير من العام . أى

أنه يقرب جدا من بداية أعياد الميلاد عند الغرب ، وما زال اليهود  
يقدمون هذا العيد حتى يومنا الحاضر . .

أما أساس هذا العيد ، فيرجع إلى فترة حاسمة من أعظم قترات البطولة  
في تاريخ الأمة اليهودية . في الفترة ما بين عامي ١٧٥ إلى ١٦٤ قبل ميلاد  
المسيح ، اعتلى العرش في سورية ملك يدعى «انطيوخوس إيفانوس» ، هذا  
كان معجباً بالثقافة اليونانية ، عاشقاً لكل ما هو إغريقي ، فقرر في نفسه  
أن يستأصل شأفة الدين اليهودي ، والثقافة العبرية ، ويحل محلها الثقافة اليونانية  
ويدخل آلهة الأوغريق في ربوع فلسطين - وفي بادئ الأمر حاول أن يتخذ  
خطته بالوسائل السلمية ، ونجح إلى حد ما . فقد رحب البعض من اليهود  
بهذا لتطور ، ولكن معظمهم وقف وقفة رجل واحد ، متمسكين بالدين  
الأصيل .

وما أن اهل عام ١٧٠ قبل الميلاد ، حتى انفجرت العاصفة على رأس اليهود ،  
فقد حاصرها الملك السوري جيش جرار ، واستمر الحصار وقتاً طويلاً ، هلك  
فيه ما يقرب من ثمانين ألف يهودي ، وسبي عدد مماثل لهم . أما الهيكل فقد  
سبه الجنود ، ويقال إن ١٨٠٠ وزنة = والوزنة تعادل ١٤٠ جنيهاً بالعملة  
الإنجليزية - قد نهب من خزانة الهيكل . وفرض «انطيوخوس» قوانين غاية  
في القسوة والصرامة على اليهود . كان مجرد الاحتفاظ بنسخة من التوراة يعد جريمة  
عظيمة تستحق الإعدام ، وكذلك ممارسة الختان ، وكل أم يقبض عليها وهي  
تحاول ختان أبنائها ، يكون مصيرها الموت صلياً ، وأطفالها يعلقون في عنقها .  
أما ساحة الهيكل فقد دنست ، وأروقته حوت إلى مواخير للفساد وأخيراً  
اتخذ الملك الوثني الخطوة النهائية لتحويل مذبح المحرقات النحاسي ، إلى  
مذبح للاله زيوس ، وأعد العدة ليقدّم عليه ذبائح من الخنازير ، تكرر بذلك



الإله . في هذه الفترة ظهر «يهوذا مكابوس» أو «يهوذا المكابي» ، وأشقاؤه  
ليقفوا وقفتهم البطولية في وجه الملك الغاشم ، ويحرروا بلادهم من سلطة  
المستعمر ، وتم لهم ذلك في عام ١٦٤ ق.م. وفي تلك السنة عينها ، طهر الهيكل  
من رجاساته ، وأقيم المذبح مرة أخرى ، وطهرت وأعيدت أواني الخدمة  
المقدسة ، بعد سنوات ثلاث من تدنيسها . لهذا أقيم عيد التجديد .. لتذكّر  
حادثة تطهير الهيكل : وقد جاء في البيان الذي أصدره «يهوذا المكابي» ،  
أن أيام تجديد المذبح المقدس ، ينبغي أن تذكّر كل سنة .. ثمانية أيام ينبغي  
أن يعيدها الشعب في الشهر الأخير من كل عام بفرح وبهجة قلب . (مكابيين  
الأول ٤ : ٥٩) لأجل هذا السبب ، كان هذا العيد بلقب بعيد تجديد المذبح  
وفي أحيان أخرى تذكّر تطهير الهيكل .

وكما ذكرنا كان هذا العيد يدعى عيد الأنوار .

وقد كانت نضاء الأنوار في كل جوانب الهيكل ، وكان كل بيت يهودي  
يسطع منه النور — وما زالت هذه العادة سارية بين اليهود ، في أيام ذلك العيد  
حتى يومنا الحاضر : في كل نوافذ البيوتات اليهودية ، كانت توضع  
السرّج أو المصابيح .. ثمانية مصابيح حسباً نادى « شامى » في أول أيام العيد ،  
تتناقص واحداً واحداً يوماً بعد يوم ، حتى إذا حل اليوم الأخير ، يكون هناك  
مصباح واحد . أما التقليد الذي نادى به « هليليل » ، فقد كان يقضى بأن يبدأ  
اليوم الأول بمصباح واحد ، يزداد يوماً بعد يوم ، حتى إذا حل اليوم  
الثامن ، تتألّن ثمانية مصابيح كاملة — وفي كل بيت يهودي متمسك  
بتقاليده ، تحفظ هذه العادة حتى يومنا الحاضر .

أما هذه الأنوار ، فقد كانت لها دلالتان ، الدلالة الأولى ، أنها كانت رمزاً

لنور الحرية ، الذى عاد يشرق على أرض اسرائيل ، والدلالة الثانية ، كانت تعود بالعبرانى إلى تقليد قديم جدا . أما ذلك التقليد فيقول ، أنه حينما طهر الهيكل من رجاساته ، بحث الكهنة عما تبقى من الزيت المقدس الذى لم تنله أيدي العبث والدنس ، حتى يعيدوا ملاء السرج ، فلم يجدوا إلا قنينة زيت واحدة ، محتومة بخاتم رئيس الكهنة . وكان الزيت فى هذه القنينة ، لا يكفى بالكاد إلا يوما واحدا . ولكن بمعجزة سرية استمر الزيت لا ينقص يوما بعد يوم حتى انتهت أيام العيد الثمانية ، وأتيحت الفرصة لعمل زيت جديد حسبما تقضى التقاليد المقدسة . من هنا جاء تقليد إيقاد الأنوار ثمانية أيام فى كل بيوت الشعب اليهودى .

وليس بغريب أن يتطلع «يسوع» إلى هذه الأنوار المتألقة ، ويتخذ منها استعارة حلوة مشيراً بها إلى النور المشرق من العلاء فى شخصه المبارك . وكأنى به يقول لسامعيه : « هل تشاهدون هذه الأنوار المتألقة فى الهيكل ؟ هل ترون هذه الانوار التى تشع من كل بيت فى اورشليم تذكرون بها عهد الحرية الذى أشرق عليكم ، ونور التطهير الذى بدد الظلمات التى اكتنفت الهيكل المقدس ؟ تذكروا أنى أنا نور الحرية الذى جاء ليبدد ظلام الخطيئة ، ونور التطهير الذى يطهر قلوبكم من خطاياها ، بل أنا نور المعرفة الخفية ، الذى يأتى بكم إلى محضر الله الحى .

و«يوحنا البشير» ، يقدم لنا مكان هذا الحديث ، فيقول إنه تم فى رواق سليمان ولقد كان الرواق الأول الذى يواجه الداخل إلى ساحة الهيكل هو رواق الأسم . وإلى جانبه كان رواق آخران ، الواحد منهما يدعى رواق سليمان ، والثانى الرواق الملكى . هما عمدة فخمة ، كان إرتفاع الواحد منها أربعين قدما مشغولة من أعلى . وكان العابدون يلجأون إلى هذه الأروقة للتأمل الهادئ

والصلاة . وكان الربيون أو الأحبار ، يستخدمونها في حلقات الدراسة ،  
يجمعون حولهم تلاميذهم ، ويقدمون لهم شروح التوراة ، وأصول الإيمان .  
هناك كان «يسوع» يتمشى ، وكان الجو بارداً والوقت شتاء ، وفي هذه  
الفرصة ، التي امتزجت فيها الذكريات الوطنية ، التي تدعو كل واحد إلى تقديم  
الشكر لله ، مع الروح الدينية الغيورة ، وارتفعت فيها أصوات المعلمين  
اليهود ، كل ينادى بدروسه ، للحلقة الملتفة حوله من التلاميذ ، كان ذلك النقاش  
والحديث بين «يسوع» واليهود .

### الدعوى والوعد

( يوحنا ١٠ : ٢٢ - ٢٨ )

وبينما كان «يسوع» يتمشى في رواق سليمان أحاط به اليهود قائلين : « إلى  
متى تعلق نفوسنا ؟ ما بالك تتركنا في حيرة لانستطيع منها خلاصاً ؟ إن  
كنت أنت المسيح المنتظر ، فقل لنا صراحة . » وبما لاشك فيه ، أن البعض  
تقدموا بهذا السؤال بروح الأخلص .

صحيح أن مثال المسيا في مخيلتهم ، كان يختلف عن مثال المسيا في ذهن «يسوع  
المسيح» ، ولكن هذا لا يمنع أن نقول ، إنهم كانوا ينتظرون تعزية إسرائيل  
بظهور الرجاء المبارك ، ومجيء مشهي الأجيال .

ولكن كان هناك فريق آخر ، ينتظر رد المسيح على هذا التساؤل ،  
لكي يؤول هذا الجواب ، إما إلى تهمة تجديف ، يمكن أن تمسك بها  
السلطات الكهنوتية لمحاكمته وإدانته ، أو إلى جريمة خيانة ضد الرومان ، تصل  
به إلى الوالي الروماني .

وجاء جواب «يسوع» صريحاً حازماً : « لقد قلت لكم هذا . . . وقلت لكم بكل صراحة » .

صحيح إنه لم يردد هذا الحق كثيراً .

فهو قد نادى بأنه المسيا ، أمام المرأة السامرية ، في مقابلته الشخصية معها . ( يوحنا ٤ : ٢٦ ) . كما أنه أعلن للرجل الذي ولد أعمى ، أنه ابن الله ( يوحنا ٩ : ٣٧ ) . عدا ذلك ، هناك الفرصة التي نادى فيها «بطرس» أمامه بأنه المسيح ابن الله الحي ، وأيده «يسوع» في ذلك وطوبه .

ولكن لجمهور متعلم نظير ذلك الجمهور الذي أحاط ربه . . . لجمهور متعبد لا تخفى عليه دلائل الأشياء ، لم يكن هناك ما يدعو لأن ينادى «يسوع» علانية ، بحقيقة بديهية نظير هذه . فهناك شاهدان يشهدان ليسوع ، بأنه هو المسيح ...

١ - الشاهد الأول أعماله المعجزية . ولديهم النبوة التي نادى بها «أشعيا» النبي الإنجيلي منذ مئات السنين ، عن ذلك العصر الحفيد المبارك ، عصر المسيا : « حينئذ تفتتح عيون العمى ، وأذان الصم تفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالإيل ، ويترنم لسان الأخرس . لأنه قد انفجرت في البرية مياه . وأنهار في القفر » ( أشعيا ٣٥ : ٥ ، ٦ ) وهذا هو بالذات ما كان يفعله «يسوع» . لقد كانت كل معجزة يجريها ، حقاً مدوياً ينادى بأعلى صوت ، وأجلى بيان ، أن عصر الله قد أشرق نهاره . . . أن يوم المسيا قد جاء . . . أن العهد الجديد قد أسفر منيراً متألقاً . ساطعاً بالأعجاز ...

٢ - والشاهد الثاني أقواله . ولقد هتف «موسى» لليهود ، بأنه في أخريات الأيام ، سيقم لهم الرب نبيا نظيره . وأن عليهم ، أن يستمعوا لتعاليمه . ( تثنية ١٨ : ١٥ ) .

ونعمة السلطان التي بدت في تعليم «يسوع» .. والتي وقف فيها من القديم  
وقفه المكمل لناموس ، يحتاج إلى التكميل ، والتي هتف فيها أمام  
الأجيال: « قد سمعتم أنه قيل للقديما . . أما أنا فأقول » ، تثبت بأبعد ما  
يكون عن الشك أن الله كان يتحدث بلسانه ، وأنه كلمة الله المتجسد  
لأهل الأرض .

إن أى إنسان يرى معجزات «يسوع» ، ويصغى إلى تعاليم النعمة النابعة  
منه ، يقر بأنه هو مسيح الله الأجد الأوحد .

ولكن معظم اليهود لم يقبلوا هذا الأديعاء ، بل ثاروا عليه . وكما  
درسنا آتفا ، هناك خراف تسمع صوت الراعى ، وتعرفه ، وتطيعه ،  
لأنها بالحقيقة خرافه وهناك خراف غريبة ليست من رعيته ، فهى  
لا تعرف صوته ، ولا تطيعه – وأولئك اليهود لم يكونوا من خراف  
يسوع . لقد كانوا غرباء عنه .

وراء كل هذا ، يكمن ما يسمى بالاختيار السابق . إن مجريات الأحداث  
تتوالى على مسرح الوجود ، لكنها تجري بترتيب إلهى مسبق . وكأنى بالبشير  
هنا يقول : « إن أولئك الخراف ليسوا من رعية يسوع » .. ليسوا من  
المختارين لاتباع يسوع ولسماع صوته . هذه العقيدة ، عقيدة الاختيار ، تثير  
أكثر من مشكل فى أذهان الناس . وفى العهد الجديد ، نستطيع أن نرى  
الاختيار المسبق ، والإرادة الحرة ، تتمشيان جنباً إلى جنب . فكل شيء  
فى الوجود ، يتم فى حدود دائرة مقاصد الله وترتيبه ، لكنه فى نفس الوقت  
يحدث ، بحيث يفسح المجال لمسئولية الإنسان فى حدوثه ، ومدى نيته أمام الله .  
فترتيب الله صحيح ، ولكنه لا يبنى إرادة الإنسان الحرة . هؤلاء اليهود ،  
علم الله منذ البدء ، ورتب ، أنهم لن يقبلوا «يسوع» . ومع ذلك كما يؤكد

البشير ، لن يكون في ذلك عذر لهم . أو ذريعة لتخفيف المسئولية  
والمذنبية الواقعة عليهم .

وهناك فريق غير أولئك ، فتح الصدر لقبول «يسوع» .

وهؤلاء يقدم لهم السيد مواعيد ثلاثة . . .

١ - فهو يعدهم بالحياة الأبدية . وباكورة ثمار الحياة الأبدية نناها  
من هنا . لأنها تبدأ معنا كحياة الله فينا . إن «يسوع» يعدنا بأننا إن قبلناه  
ربا ، وسيبدأ على حياتنا . . . إن أصبحنا ضمن رعيته ، فإننا سننفصل  
عن حياة الأرض وتفاهات الأرض ، وتوافه الأمور الأرضية ، ونختبر  
حياة الله في ملء جلالها ، وسموها ، وأمجادها ، ونحس على هذه الأرض .

٢ - وهو يعد من يقبله بحياة لا تعرف النهاية . فهي حياة لا تتوقف ولا  
تعرف الموت . فالموت بمعناه الرهيب بالنسبة للبعدين ، لن يكون له سلطانه  
على أبناء الحياة . . . لن يكون ختاماً لقصة الحياة . بل الفصل الأول فيها .  
لأنهم سيختبرون الحياة المحيطة التي لا تفتى ولا تضمحل .

٣ - وهو يعد المؤمنين به بحياة كلها أمان وسلام . « لن يخطفها أحد من  
يدي » . وبإله من وعد : إن اليد القديرة الخالقة . . . الحافظة . . . المدبرة ،  
التي تمسك بالكواكب في مجراتها ، تمسك بنا أيضاً - ليس معنى هذا الوعد  
أنه يجنبنا الألم ، والضيقات ، والموت . ولكن معناه أننا في أقصى الظروف  
وأمرها ، نتمتع سلاماً وبقينا ، بأننا في اليد الرفيعة . . . نوقن في أنفسنا بأن  
الأدغ الأبدية ترفعنا .

نتأكد تماماً صدق الوعد الإلهي ، على لسان «أشعيا» « أنا الرب إلهك المسك  
بيمينك . القائل لك لا تخف أنا أعينك » « إذا اجتزت في المياه فأنا معك ،  
وفي الأنهار فلا تغمر لك . إذا مشيت في النار فلا تلذع ، واللهيب لا يحرقك» .  
هذه هي البركة التي تفيض على أولئك الذين تحفظهم اليد الإلهية .

لأنهم حتى في وجودهم في عالم تتلاطم فيه أمواج الموت ، والهلاك ،  
يشعرون بالاطمئنان الكامل في رحاب إله الثقة والعون .

## الثقة الكاملة والحق الأعظم

أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلَا  
يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطِفَ مِنْ يَدِ أَبِي . أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ

( يوحنا ١٠ : ٢٩ - ٣٠ )

هذه الفقرة تظهر لنا ، ثقة «يسوع» الكاملة في الآب ، كما نادى بالحق الأعظم عن طبيعة الابن الأزلي ، في صلته بالآب . إن ثقة «يسوع» كانت بهذا العمق ، حتى أنها كانت ترجع كل الأمور إلى الله . فنحن نسمعه الآن يتحدث عن خرافه وعن رعيته ، وها قد انتهى على التو من حديثه عن الأمان الذي تتمتع به رعيته ، وعن الامتيازات التي لها ، في كونها تحت رعايته ، فلن يخطفها أحد من يده ، ولن ينتصر عليها الموت إلى الأبد . وقد يبدو للناظر لأول وهلة ، أن «يسوع» يضع ثقته في حكمته الذاتية ، أو في مقدرته الشخصية . ولذلك نراه يرجع كل شيء إلى قوة الله ، وحكمته . «أبي هو الذي أعطاني هذه الرعية . وأبي هو الذي يحفظها» . إن «يسوع» إذا كان يضع ثقته في مقدرته الذاتية فما ذلك إلا لأنه يضع ثقته في الآب ومقدرته . إن موقف «يسوع» من الحياة ، ليس موقف الثقة الشخصية ، بل موقف الثقة بالأمان ، والنصرة الأكيدة ، ليس لأنه كان يضع ثقته في قواه الذاتية وحدها ، بل لأنه كان يضع ثقته في قواه الذاتية المؤيدة بقوة الله .

ثم يتلو ذلك الحق الأعظم... فينادى «يسوع» بما يؤدى إلى دهشة سامعيه ، ورجعهم



وآثارهم في آن واحد ، إنه والآب واحد . ترى ماذا يعني سيد الأجيال بهذا الحق الجبار الذي نادى به ؟ إن إعلاناً يكشف عن العلاقة الكائنة بين الآب والآب ، لا بد وأن يغوص بنا إلى أعماق لاندرى مداها ..

هنا نقرب من قدس أقداس المخلص . وعلينا أن نخلع نعالتنا ، لأن الأرض التي نقف عليها أكثر من أرض مقدسة . ترى هل نستطيع بالقول بأنه سر عميق وكثي ؟ وهل نقف أمام هذا السر مكتوف الأيدي ؟ أم هل نحاول أن نستجلي غموض هذا الحق المعلن ، ونصل إلى بعض متضمناته ؟ هل نفسر هذا القول على أساس التفسيرات الميتافيزيقية ؟ أم يغوص في الشروحات اللاهوتية المتضاربة ، التي ظلت مثار الجدل بين الطوائف المسيحية المختلفة ومثار حزازت ، ومتاعب ؟ وهل يلزم أن يكون الباحث لاهوتياً ، حتى يصل إلى مضمون هذا الحق ؟ . .

هناك أكثر من تأويل تقدم به مفسرون عديدون . فالبعض قال إن تلك الكلمة مرتبطة بما سبقها من حديث ، هنا يتحدث «يسوع» عن الرغبة والاختيار والرعاية . والقدرة المعجزية ، والقطيع الآمن ، وكأني به يقول لهم : «أنا والآب واحد في القيام بكل هذه الأعمال » . أي أن الوحدة هنا وحدة عمل ، واتجاه ، وقدرة . وبمعنى آخر ، أنه يشترك مع الله الآب في كل هذه المهام الجوهرية ، في إتمام الخلاص ، وتكميل المفديين ..

وهناك اتجاه آخر لبعض المفسرين ، يستندون فيه على ما نادى به «يسوع» في صلاته الشفاعية قبيل صلبه :

«أبها الآب القديس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً

كما نحن « (يوحنا ١٧ : ١١) . هنا كما يقولون، نرى السيد يقرن وحدته مع الآب ، برباط الوحدة الذي يربط المؤمن بأخيه . ثم يستشهدون أيضاً بما ورد بعد ذلك (يوحنا ١٧ : ٢٠ - ٢٢) : « لست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل من أجل الذين يؤمنون بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك . ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني » . وهنا يصلى المسيح طالباً بكل جلاء أن يكون للمسيحيون واحداً - الواحد مع أخيه - كما أنه هو والآب واحد .

ومن هنا يصلون إلى الإستنتاج : ما هو الرباط الذي يوحد قلوب المسيحيين أحدهم مع الآخر ؟

ما هو الرباط الذي يوحد المسيحي مع المسيحي ؟

إنه رباط المحبة ، كما قال السيد في وصيته لتلاميذه : « وصية جدبدة أنا أعطيتكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً » (يوحنا ١٣ : ٣٤) ، إن وحدة المسيحيين تكمن في رباط المحبة . وكذلك في الطاعة « إن أحبني أحد يحفظ كلامي » . (يوحنا ١٤ : ٢٣) .

ومن هنا يصلون إلى القول ، بأن الوحدة التي نادى بها «يسوع» مع أبيه ، هي رباط المحبة الذي يربطه مع الآب ، كما قال : « إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي . كما أني أنا قبله حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته » (يوحنا ١٥ : ٩-١٠) . فيسوع واحد مع الآب ، يربطه به رباط المحبة ، كما يربطه به رباط الطاعة .. أى أن هذه الوحدة، ووحدة شركة وصلة ومحبة ، وليست وحدة طبيعة ، وذات ، وجوهر .

على أن أصدق تفسير لهذه الآية ، ما تقدم به «حتى هنرى» (١) وهو تفسير يتفق مع بنود إيماننا الأقدس ، ويؤيده أكثر من شاهد ، في أكثر من موضع من البشائر المقدسة .

وخلاصته : أن السيد كان يقصد بالفعل ما فهمه اليهود ، واعتبروه خروجاً ، وتجديفاً ، وثارت ثأرتهم بسببه : إنه واحد مع الآب في القدرة ، والمشيئة ، والجوهر أيضاً . فهو في الآية التي سبقت إعلان هذا الحق ، يقول : «أبى أعظم من الكل» (عدد ٢٩) أى أنه أعظم منكم ومن قوتكم ، وموامراتكم ، ولكى يزيل السيد من الأفهام أى أثر لفهم خاطيء ، تراه ينادى بموقفه هو من الآب ، وموقف الآب منه ، «أنا والآب واحد» وحينما ثار عليه اليهود ، وتناولوا حجارة ليرجموه ، لم يراجع عن هذا الإعلان ، ولم يقل لهم : «ليس هذا ما أرمى إليه» فهو واحد مع الآب في الجوهر ، «وكان الكلمة الله» . وهو واحد مع الآب في القدرة ، فكما أنه لا يستطيع أحد أن يخطف الرعية من يد الآب ، كذلك «لن يخطفها أحد من يدي» . وهو واحد مع الآب في الإرادة .

بسبب إعلان هذا الحق ثار اليهود عليه . وبسببه يحاول كل مفسر عصري ، أن يتنكب طريق الإيمان القويم ، ويقدم تفسيراً يهدىء من تأثرة الثأرين .

ولكن هذا هو الحق الذى نؤمن به . وهو الحق الذى امتدح السيد «سمعان» بسببه قائلاً له : «طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحمًا ودمًا لم يعلننا لك . لكن قد أعلن لك من قبل أبى الذى فى السموات» .

---

(١) هذه الفقرة مضافة بقلم المترجم .

## الدعوة إلى الاختبار الحاسم

فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ . أَجَابَهُمْ  
يَسُوعُ أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُمْكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي . بِسَبَبِ  
أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي . أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ لَسْنَا  
نَرْجُمُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ ، فَإِنَّكَ  
وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا . أَجَابَهُمْ يَسُوعُ أَلَيْسَ  
مَكْتُوباً فِي نَامُوسِكُمْ أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ . إِنْ قَالَ  
إِلَهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ . وَلَا يُمْكِنُ  
أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ . فَالَّذِي قَدَسَهُ الْآبُ وَأَرْسَلَهُ  
إِلَى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ إِنَّكَ تُجَدِّفُ لِأَنِّي قُلْتُ إِنَّي ابْنُ  
اللَّهِ . إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِي .  
وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَامِنُوا بِالْأَعْمَالِ  
لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ . فَطَلَبُوا  
أَيْضاً أَنْ يُمَسِّكُوهُ فَخَرَجَ مِنْ أَيْدِيهِمْ .

( يوحنا ١٠ : ٣١-٣٩ )

ولقد كان الحق الذي نادى به «يسوع» في نظر اليهود تجديفاً قاسياً . لقد كان تعدياً على دائرة هي أبعد ما تكون عن طوق البشر . . دائرة تخص الله وحده .

ومهما سما الإنسان ، فلن يصل إلى دائرة تخص الله . ومهما كانت له أجهاده ، فلن تتناول على مجد الله . لقد كان إعلان «يسوع» بأنه والآب واحد ، ليس أقل من تصريح بأنه مساو لله . وكان العقاب على التجديف كما يقضى بذلك الناموس الموسوي ، هو الموت رجماً بالأحجار . « من جدف على اسم الرب فإنه يقتل يرجمه كل الجماعة رجماً . الغريب كالوطني عند ما يجدف على اسم الرب يقتل » (لاويين ٢٤: ١٦) وهكذا أعد اليهود العدة ليرجموا «يسوع» ، وهذا ماتعنيه الكلمات في الأصل اليوناني . لقد أسرع جماعة منهم ، وأحضرت الأحجار من الوادي ، وكانوا على استعداد ليخرجوه خارج الهيكل ، ويرجموه .

أما يسوع فقد واجه ثورتهم بمناقشة ذات بنود ثلاثة :

١ - فهو قد قال لهم ، إنه قضى حياته بينهم يصنع خيراً بهم . يشقى المرضى . . يشبع الجياع . . يعزى الخزانى . . يشقى منكسرى القلوب . . يبشر المساكين . . يكرز بسنة الرب المقبولة - أعمال كلها تشهد له أنه من عند الله جاء ، خيراً وهدى للعالمين . فعلى أى عمل من هذه يريدون أن يعاقبوه بالرجم ؟ وكان جوابهم ، إنهم لا يريدون أن يميتوه لأجل أى عمل حسن قام به ، ولكن لأجل الادعاء الخطير الذي نادى به .

٢ - وما هو هذا الادعاء ؟ إنه وهو إنسان قد جعل من نفسه إيناً لله ، مساوياً نفسه بالله . ولكي يؤكد السيد هذه الحقيقة العسيرة على الأذهان

نراه يستخدم حجتين . الحجة الأولى ، عبرية مائة في المائة ، يقتبسها من سفر المزامير ( مز ٨٢ : ٦ ) ، ولذلك تبدو عسيرة علينا في فهمها . في هذا المزمور يتحدث كاتبه بنعمة التحذير ، لأولئك الذين يحتلون مراكز السلطة ، وفي أيديهم سلطان الدينونة والقضاء ، أن يعملوا على إنصاف الفقير والمسكين ، إذ لامعين له . ثم يختم هذا التحذير بالقول « أنا قلت إنكم آلهة » .

إن القاضى ، أو الحاكم ، معين من قبل الله ، ليقيم موازين العدالة بين البشر . . لينصف البائس من شر الظالم ، ويعين الفقير لبلوغ هدفه فهو بين البشر في مركز الله . أو بحسب تعبير كاتب المزمور ، القضاة هم الآلهة بين البشر . هذا القول يتضح بصورة أكمل ، في سفر الخروج . ففي الأصحاح الحادى والعشرين من العدد الأول للعدد السادس ، نجد الشرع اليهودى يحتم تحرير العبد في السنة السابعة ، سنة اليوبيل — في العدد السادس : نقرأ القول « يقدمه سيده إلى الله » أى إلى القاضى الحاكم ، وفي الأصل العبرى « الوهم » أى الآلهة . فالقضاة آلهة . نفس التعبير يتردد أيضاً في سفر الخروج ( ٢٢ : ٩ ، ٢٨ ) . لقد كان الكتاب يلقب أولئك الذين يوكل إليهم عمل جوهرى يتصل بمصائر البشر ، ويتحكم فيهم ، بأنهم آلهة . وهكذا يقول « يسوع » لسامعيه من اليهود : « إن كانت الكتب المقدسة تقول عن البشر إنهم آلهة ، فكم بالجرى الابن المبارك ، قدوس الله الوحيد ، يتحدث هكذا عن نفسه ؟ ... »

ولقد نادى « يسوع » في هذا الصدد ، بحقين يتصلان به :

( أ ) الحق الأول ، أنه قدوس الله المعين ، والمسكرس من الله لهذا العمل الخاص والكلمة اليونانية المرادفة للفعل يكرس ، هى « آجيازين أو هاجيازين » ، ومنها

اشتقت الصفة «آجيوس» ، ومعناها قدوس ، التي تتردد ضمن قراءات القداس في الكنائس التقليدية .

هذا الفعل على الدوام ، يعطى الفكرة بإفراز شيء ، أو كائن ما ، وتخصيصه ، وتقديسه لعمل معين ، أو مهمة خاصة ، فيقال عن هذا الشيء أو هذا الشخص إنه مكرس ، أى أنه مخصص لهذا العمل ، الذى يختلف عن كل أعمال الحياة العادية .

— فيوم السبت مثلا مقدس . (خروج ٢٠ : ١١) . أى أنه مخصص لغرض سام هو عبادة الله ، وهذا الغرض يختلف كل الاختلاف عن أغراض الحياة العادية . والمذبح في الهيكل مقدس ( لاويين ١٦ : ١٩ ) . ذلك لأن المذبح يختلف في الغرض الذى خصص له ، عن أى بناء أو حجر يشبهه في المظهر . والكهنة مقدسون ( أخبار الأيام الثانى ٢٦ : ١٨ ) . لأن الكهنة رغم كونهم من بنى البشر ، قد تخصصوا وتكرسوا وأفرزوا للخدمة معينة ، وغرض خاص . والنبي مقدس ( أرميا ١ : ٥ ) . لأن النبي يختلف في خدمته ، وهدفه ، والعمل الذى كلف به عن بقية الناس .

فحينما قال «يسوع» لليهود ، إن الآب قدسه أو كرسه ، فعنى هذا هو أن الآب قد خصصه وعزله وأفرزه لعمل وهدف وغاية تختلف به عن بقية البشر ، وتسمو به عنهم . إن مجرد هذا القول ، يثبت لنا بصورة لاتدعو للشك ، أن «يسوع» كان شاعرا بالواجب المقدس ، والمهمة العظمى ، التى كلفه بها الله الآب ، ألا وهى فداء البشرية وخلصها .

(ب) والحق الثانى هو أن الله فدأرسله إلى العالم . والكلمة هنا ، يمكن أن تستخدم في إرسال رسول لمهمة خاصة . أو سفير ليُمثل أمتة ، أو جيش

ليقوم بعمل ما . فحينما قرن «يسوع» نفسه بهذا الفعل «أرسل» ، فإنه كان يشير إلى أنه رسول الله إلى العالم . إن مجيء المسيح إلى عالمنا كان عملا إلهيا ، وكان بتكليف إلهي . لقد جاء لمهمة محددة من قبل الله الآب ، وجاء ممثلا لله الآب . وجاء ليقوم بعمل محدد ، العمل الذي أعطاه له الآب .

وهكذا قال لهم «يسوع» ماخلاصته . « في الأيام الخوالي ، تحدث الكتاب عن القضاة بأنهم آلهة . لأنهم خصصوا وكلفوا من الله ، بأن يقيموا موازين العدالة بين البشر ، وهي مهمة إلهية . وها أنا أذكر لكم أن الله قد خصصني ، وكبرسني لعمل محدد . وأنه قد أرسلني إلى العالم لاتمام هذا العمل . فكيف بكم ثورون ضلدي حين أقول لكم إني أنا ابن الله ؟ »

\* هذه واحدة من الحاجات العسيرة الفهم على عقولنا ، تلك الحاجات التي طارت بين «يسوع» وبين اليهود . ولكنما كانت محاجة مقنعة مفحمة ، وخاصة لمحجر اليهودي ، أو القريسي دارس التوراة . لقد كانت حجة «يسوع» التي أوردتها هنا ، مبنية على الكلمة المقدسة التي يحترمها ويكرمها كل يهودي .

٣ - ثم يخطو بهم «يسوع» إلى الخطوة الحاسمة ، ويقدم لسامعيه الاختيار الحاسم قائلا : « اني لا أدعوكم لقبول كلامي ، لكني أطلب منكم أن تؤمنوا بالأعمال التي أقوم بها » . فالتعاليم عرضة للاخذ والرد ، للقبول والرفض ؟ أما الأعمال ، فلا مجال للمقاومة فيها . إنها الحجج الدامغة التي لا تقبل أي مقاومة .

إن المناداة الكلامية بحق من الحقوق ، ونسبة هذا الحق للإنسان ، قد تثير الشك والاعتراض والناقضة ، ولكن أعمال الإنسان ، لا مناقضة فيها . ويسوع هو المعلم الصادق ، لأنه لا يبنى حججه ، ولا يقيم حقه ، على أساس



كلمات ينادى بها ، بل على أساس طبيعته ، وعلى أساس أعماله الصادقة .  
وهو يقدم الاختبار الحاسم لكل إنسان ، ويقدم له الاختبار الحاسم ، المبني  
على الأعمال. ان دعوته لليهود، تقوم على أساس ذاته، وعلى أساس أعماله ،  
وهذا هو محك الاختبار الذى يظهر معدن المؤمن ، ومعدن الكنيسة . ان  
مأساة الكنيسة فى يومنا الحاضر ، هى أنها لاتستطيع أن تثبت أمام هذا  
الاختبار الحاسم .

## هدوء قبيل العاصفة

وَمَضَى أَيْضاً إِلَى عِبْرِ الْأُرْدُنِّ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ  
يُوحَنَّا يَعْمَدُ فِيهِ أَوَّلًا وَمَكَثَ هُنَاكَ . فَأَنَّى إِلَيْهِ كَثِيرُونَ  
وَقَالُوا إِنَّ يُوَحَنَّا لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً . وَلَكِنْ كُلُّ مَا قَالَهُ  
يُوحَنَّا عَنْ هَذَا كَانَ حَقًّا . فَأَمَّنَ كَثِيرُونَ بِهِ هُنَاكَ  
(يوحنا ١٠ : ٤٠ - ٤٢)

لقد بدأت الأمور تتأزم بالنسبة ليسوع ، ولكنه كان يعرف ساعته .  
لقد كان يضع كل شيء في موضعه . ولذلك لم يكن يستعجل الوقت ،  
ولم يكن يلقي بنفسه إلى الخطر قبل وقوعه . ونحن لانعتبر هذا تراجعاً ،  
ولانرى فيه هروبا من الخطر ، أو حفاظاً على الحياة . ولكن السيد أراد أن  
يعتزل فترة من الوقت ، استعداداً للمعركة الأخيرة . لقد أراد أن يعتزل مع الآب ،  
لينال القوة والعون . هكذا كان «يسوع» على الدوام يعد العدة للقاء البشر ،  
بعلاقة الله أولاً . وهكذا نراه يلجأ إلى عبر الأردن ، في خلوته الروحية .  
ولكن المكان الذي لجأ إليه ، لم يكن مكاناً حسبما اتفق لقد كان يحمل  
أكثر من دلالة بالنسبة ليسوع . فهو المكان الذي إعتاد «يوحنا» ان يعمد فيه  
تلاميذه . نعم لقد لجأ إلى المكان الذي نال فيه معموديته على يدي «يوحنا  
المعمدان» . في هذا الموضع ، هبط الروح القدس عليه ، في هيئة جسمية  
مثل حمامة ، ودوى الصوت من عند الآب : « هذا هو ابني الحبيب الذي به  
سررت له اسمعوا » . في هذا الموضع تأكد «يسوع» من أصله .

ومن هدفه ، وتحددت أمامه أو رسالته . وليس بغير دلالة أو معنى ، أن يعود «يسوع» إلى مكان القوة والذكريات المحيطة ، قبيل هبوب العاصفة . وفي العهد القديم نرى «يعقوب» أبا الأسباط ، كان يعود إلى بيت لئيل (تكوين ٣٥: ١-٥) كلما تأزمت الظروف حوله . إنه كان يعود إلى المكان الذي وجد فيه العون الالهي . وهكذا نرى «يسوع» ، عند اقتراب نهاية خدمته على الأرض ، يعود إلى مكان البركة ، الذي منه بدأ خدمته ، وإلى مكان القوة ، الذي نال فيه ملء القوة — ما أجل أن نعود بين الحين والحين ، إلى المكان الذي وجدنا فيه الله ، أو وجدنا فيه من الله ، لأن هذا نافع لنفوسنا .

وإلى هذا المكان القصي ، توافد اليهود أيضاً ، وهناك تذكروا «يوحنا المعمدان» ، وخدمته القصيرة ، وأرسالته المنتهية . هناك تذكروا أنه تقدم إلى البشرية بكلمات نبى ، ولكنه لم يعمل معجزة واحدة .

هنا يكمن الفارق بين رسالة الله في المعمدان ، ورسالته في المسيح يسوع . ففي «يسوع» تأيدت رسالة المعمدان ، بقوة الله المعجزية . لقد شخص يوحنا المعمدان الداء ، لكن «يسوع» جاء ليقدم العلاج الفعال ، ويواجه بنعمة الله الحالة المستعصية القاسية .

ولقد كان اليهود يؤمنون بالمعمدان كنبى عظيم ، وهنا آمنوا بيسوع ، على أساس ما تنبأ به عنه «يوحنا المعمدان» .

كم من إنسان في الوجود ، ظهر وسط خللاته ، وكأنما المستقبل يبسم له ، وكأنى بكل قريب يرى تحقيق آماله فيه . فاذا به يحيب آمال الجميع . ولكننا نرى «يسوع» يفوق رجاء المعمدان ، ويتحقق فيه أكثر مما نادى به من نبوات ، ويتفوق على الجميع . هنا تكمن عظمته وسموه .

إن «يسوع» هو الوحيد في الوجود ، الذى لم يحيب رجاء من وضع رجاءه فيه ، ولم يظأطىء رأس من رفع عينيه نحوه .

## الأصحاحُ الحادي عشر

في الطريق إلى المجد

وَكَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضاً وَهُوَ لِعَازَرُ مِنْ بَيْتِ عَنِيَّا مِنْ  
قَرِيْبَةِ مَرْيَمَ وَمَرْتَا أُخْتَيْهَا . وَكَانَتْ مَرْيَمُ الَّتِي كَانَ لِعَازَرُ  
أُخُوَهَا مَرِيضاً هِيَ الَّتِي دَهَنَتْ الرَّبَّ بِطَيْبٍ وَمَسَحَتْ  
رِجْلَيْهِ بِشَعْرِهَا . فَأَرْسَلَتْ الْأَخْتَانِ إِلَيْهِ قَاتِلَتَيْنِ يَأْسِئِدُ  
هُوَذَا الَّذِي تُجِبُهُ مَرِيضٌ .

فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ  
جَلْبَلٌ لِأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ لِيَتِمَّحَدَّ أَبْنُ اللَّهِ بِهِ . وَكَانَ يَسُوعُ  
يُجِيبُ مَرْتَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ .

(يوحنا ١١ : ١-٥)

جميل أن يكون للإنسان بيته . البيت الذي يستطيع أن يلجأ إليه  
في أي وقت من الأوقات ، وفي أي ظرف من الظروف ، فيجد بين  
جدرانها الراحة والتفاهم ، والسلام والمحبة . فاليوت الهاديء نعمة عظمت  
من نعم القدير على الإنسان . . . . . ومع أن يسوع لم يكن له بيت بالمعنى

الذى نعلمه . فهو الذى قال : « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار ،  
وأما ابن الإنسان فليس له أين بسند رأسه » (لوقا ٩: ٥٨) إلا أنه قد وجد  
لنفسه بيتا مع أسرة بيت عنيا . هناك وجد قلوبا ثلاثة تخفى له خفقات  
الحب . وإلى هناك كان يلجأ بين وقت وآخر . ليجد الراحة من العواصف  
التي كانت تهب عليه .

وأعظم هبة يستطيع الصديق أن يهبها لصديقه ، هي المحبة والسلام . أن  
يكون للإنسان في دائرة الحياة ، واحد يستطيع أن يلجأ إليه ، فلا يسخر من  
أحلامه ، ولا يضحك أمام متاعبه ، ولا يخيب ثقته فيه ، هذا شيء  
جميل . ونحن نستطيع جميعا أن نجعل بيوتنا بهذه الصورة . نستطيع  
أن نفتح بيوتنا وقلوبنا ، لتكون ملجأ للصديق الصادق ، وهذا لن  
يكلفنا مالا كثيرا ، ولن يتطلب موائد فاخرة . إنه يحتاج فقط إلى القلب  
الفائض والعواطف المرهفة .

في طريق الحياة القاسي ، لاعطية تعادل الراحة للأقدام المتعبة .  
وهنا يجد «يسوع» راحة لقدميه ، في بيت حبيب ، هو بيت عنيا ، حيث  
كان يعيش ثلاثة إخوة «مرم» «ومرثا» مع أخيها «لعازر» .

أما اسم «لعازر» فمعناه في الأصل : « الرب عوفى » وهو يعادل  
نفس الاسم «أليعازار» - ودارت دورة الأيام ، وسقط «لعازر» مريضا .  
وأرسلت الأختان رسالة مركزة في كلمات قليلة ، ولكنها تعنى عن خطاب  
طويل . هذه الرسالة لم تكن تحوى أدنى طلب أو رجاء موجه لیسوع .  
لقد كانت الأختان تعرفان ، أنه لا لزوم لذلك . فالحقيقة المجردة ؛  
أو الظرف المتأزم . حينما يوضع تحت أنظار «يسوع» ، كقيل بأن يتحدث  
إليه بأفصح لسان ، وأرق رجاء ، كما يقول «القديس أوغسطينوس» ،

يكفى أن يعرف «يسوع» حالتنا ، وحاجتنا . فكيف يمكن أن إنسانا يحب إنسانا آخر ويتخلى عنه في محنته ؟

يتحدث كاتب قديس<sup>(1)</sup> عن اثنين من الجنود ، كانا يخدمان معاً في كتيبة واحدة في الحرب العالمية الأولى . وفي أثناء القتال جرح الواحد ، وترك في مكانه ينزف في آلامه . وحيدا ، لا يستطيع إنسان أن يمد يد المعونة إليه ، أما زميله إذ عرف الحقيقة ، قام تحت جنح الظلام ، ووسط أزيز الرصاص ، ودوى المفرقات ، تحت خطر الموت ، وزحف من خندقه حتى وصل إليه ، ونظر إليه الجريح وقال بابتسامة : « لقد كنت أعرف أنك لا بد وأن تأتي . . . !! إن حقيقة الحاجة الملحة ، لا بد وأن تدفع «يسوع» إلى الوقوف إلى جوارنا في أقل من لمح البصر .

وحينما يأتي السيد إلى بيت عنيا ، فلا بد أن يعرف عمله ، ولا بد أن يظهر قوته . ولكننا نستمع إليه بقول لتلاميذه : « هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله » . وكان هذا القول صحيحا من وجهتين :

١- إقامة ميت من الأموات ، لا بد أن تظهر مجد الله في ملء قوته وعمله .

٢- ولكن هناك وجهة نظر أبعد من هذه . فبين سطور البشارة الرابعة ، يتحدث «يسوع» المرة بعد الأخرى ، قارنا أجماده بصليبه . في الأصحاح السابع ، والعدد التاسع والثلاثين ، نرى كاتب البشارة يتحدث

---

C.F. Andrews (1)

قائلا: إن الروح لم يكن قد أعطى بعد ، لأن «يسوع» لم يكن قد مجد بعد .  
والمقصود بهذا القول ، أن «يسوع» لم يكن قد مات على الصليب بعد .  
وحيثما أتت سفارة اليونانيين إلى «يسوع» ، سمعه يقول : « قد أتت الساعة  
ليتمجد ابن الإنسان » (يوحنا ١٢ : ٥٣) ، أما هذا التمجيد ، فيفسره الكلام  
الذي يتبع هذا ، حيث نجد «يسوع» يتحدث عن موت حبة الخنطة ، لتأتي بشعر  
كثير . وفي يوحنا ( ١٢ : ١٦ ) نجد كاتب البشارة يقول إن التلاميذ  
تذكروا ما كتب عن «يسوع» ، وما قاموا هم بآتمامه دون أن يعرفوا ،  
وذلك بعد أن تمجد «يسوع» ، أى بعد أن مات وقام من بين الأموات .

— في البشارة الرابعة ، يتضح كل الوضوح ، أن «يسوع» كان يعتبر  
الصليب الطريق إلى أمجاده ، بل أعظم أمجاده ، وهكذا حين قال إن شفاء  
«لعازر» ، أو إقامته من الموت ، سيمجده ، فقد كان يقصد تماما أن ذهابه إلى  
بيت عنيا ، وقيامه بهذه المعجزة ، معناد خطوة سريعة تقرب به إلى  
الموت ، إلى الصليب . وهذا هو عين ما حدث بالفعل .

وقبل «يسوع» بكل رضى ، أن يتقدم تلك الخطوة المرة . . . الخطوة إلى  
الموت ، في سبيل إنقاذ حبيبه «لعازر» . لقد كان يعرف الثمن الباهظ ،  
ولكنه لم يتردد ، ولم يتراجع . . . حينما تحيط بنا بعض التجارب ، أو  
تكتنفنا بعض الضيقات ، وخاصة إذا كانت تلك التجارب ، أو الضيقات  
نتيجة ولائنا لشخص ربنا يسوع ، وخدمتنا له ، تتغير نظرتنا لكل شيء ،  
ونرى في الصليب الذى نحمله ، مجدنا ، بل نرى فيه الطريق إلى أمجاد أعظم ،  
سوف نعلن لنا فيما بعد . فما أمجد أن يتألم الإنسان في سبيل «يسوع» ،  
ولا شرف يدانى هذا الشرف العظيم .

وإذا كنا نؤمن بما قاله السيد ، علينا أن نثق بأن الذي يحمل صليبه ،  
ويُتبع « يسوع » بكل رضى وتسليم ، لا بد فى النهاية ، أن ينال إكليل المجد  
الذى وعد به الرب الذين يحبونه فى غير فساد .

بالنسبة لرب المجد ، لم يكن هناك من سبيل إلى أجماده إلا طريق  
الصليب ، وأتباعه أيضاً لا سبيل لهم إلى الأجماد ، غير هذا السبيل .



وقت كاف ، ولكنه ليس كثيرا

فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي  
كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ لِنَذْهَبْ  
إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضاً . قَالَ لَهُ التَّلَامِيذُ يَامُعَلِّمُ الْآنَ كَانَ  
الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ وَتَذْهَبُ أَيْضاً إِلَى هُنَاكَ .  
أَجَابَ يَسُوعُ أَلَيْسَتْ سَاعَاتُ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ . إِنْ  
كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي النَّهَارِ لَا يَعْثُرُ لِأَنَّهُ يَنْظُرُ نُورَ هَذَا  
الْعَالَمِ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي اللَّيْلِ يَعْثُرُ  
لِأَنَّ النُّورَ لَيْسَ فِيهِ .

( يوحنا ١١ : ٦ - ١٠ )

قد يبدو غريباً لأفهامنا ، أن يمكث « يسوع » حيث هو يومين كاملين ،  
بعد أن تلقى نبأ مرض حبيبه « لعازر » . كثيرون حاولوا أن يفسروا هذا  
التأخير .

قال البعض إن « يسوع » مكث حيث هو حتى تقع بالفعل حادثة موت  
لعازر .

وعند ذلك تصبح المعجزة أجمد وأقوى وقعا . فلمسة الشفاء لمريض ، مهما كان مرضه قاسيا مستعصيا مهما شأنها ، لن تعادل عودة ميت من قبره إلى الحياة ، وخاصة إذا كان قد بقى أربعة أيام في القبر ، فتحلل جسده وانتن .

والسبب الأساسي الذي يهدف إليه البشير من تقرير هذه الحقيقة ، ليصور لنا أن «يسوع» يعمل بميعاده هو ، وبحسابه هو ، وليس بحساب ، أو إغراء أي إنسان آخر - في معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل ، (يوحنا ١: ٢ - ١١) ، نجد «يسوع» يتحدث إلى العذراء المطوية قائلا : «ثالثي ذلك يا امرأة . لم تأت ساعة بعد» ، أي لا تحاولي أن تفرضي ساعة معينة علي . دعيني أعمل حسب مواعدي وحسب ساعتى أنا . . . . .

وحين يعرض «يوحنا» لمحاولة إخوة «يسوع» أن يدفعوه للذهاب إلى أورشليم (يوحنا ٧ : ١ - ١٠) نجده يرفض أن يذهب للعيد تحت إلحاح إخوته ، ولكنه يذهب أخيراً في ميقاته المعين . لقد كان هدف البشير على الدوام ، أن يظهر لنا «يسوع» وهو يعمل بوحى من ساعتته ، وميقاته المحدد ليس لأنه دفع لهذا العمل ، أو قام به تحت إلحاح من آخرين ، أو إغراء من سواه . وهنا يتبع البشير نفس الطريقة في سرده للأحداث . إنه يصور لنا «يسوع» وهو يختار ميعاده هو .

وكم من المرات نحاول نحن أن نتعجل مسيحتنا في طريق عمله . أن ندفعه وليعمل سريعا . ينبغي أن نتركه لوقته المعين ، لساعته التي يختارها . . . . .

وحيثما أعلن «يسوع» أخيراً أنه ذاهب إلى اليهودية ، كان هذا القرار بمثابة صدمة قوية أصابت التلاميذ . فقد كانوا يذكرون أنه في الزيارة الأخيرة التي كان فيها هناك ، حاول اليهود أن يقتلوه . إن الذهاب إلى

اليهودية في تلك الآونة كان عملية انتحارية ، بحسب النظرة البشرية .

وعندها هتف «يسوع» لتلاميذه بهذا المثل الخالد : «البت ساعات النهار

الثنى عشرة ساعة . . . ترى ماذا يعنى السيد بهذا القول ؟ :

١ - إنه يعنى أن اليوم لاينتهى ، قبل أن تنتهى ساعاته . ففى كل يوم توجد اثنتا عشرة ساعة ، والمقصود باليوم هنا ، هو النهار من مشرق الشمس إلى مغربها - وهذه الساعات لا بد وأن تأخذ مجراها ، وتم معها حدث من أحداث . إن ساعات النهار ، محددة ثابتة ، لا يقصرها ولا يطيلها شيء . فإن اختار الإنسان أن يخدم الله ، فيوم الحياة بالنسبة لذلك الإنسان ، لن ينتهى قبل أن تنتهى ساعاته المحددة . إن هناك حدوداً فى تدبير الله لكل شيء فى الوجود . وكل إنسان ، له يومه المحدد ، طال هذا اليوم أم قصر .

٢ - على أن هذا المثل يعنى أيضاً ، أن يوم الحياة ليس بالقصير . وقت كاف ليعمل الإنسان ويتمم كل ما يعمل . لا داعى لليأس ، داعى أيضاً للعجلة . فلو استخدم الإنسان ساعاته الاثنتى عشرة بكل دقة يستطيع أن يتمم كل واجباته وزيادة . إن اثنتى عشرة ساعة ليست بالوقت القصير . إنها فرصة كافية ، نستطيع أن نتمم فيها مقاصد الله فى حياتنا . . .

٣ - ولكن ، حتى وإن كانت هذه الساعات كافية ، إلا أنها بالرغم من كل هذا ، محددة . فهى اثنتا عشرة ساعة وكفى ، ولا يمكن أن تطول دقيقة واحدة .

ولذلك فلا مجال لإضاعة دقيقة منها . ينبغي أن نستخدم كل لحظة ،  
على قدر ما نستطيع .

هنا تبدو أمامنا حقيقة من أقوى الحقائق الرهيبة ، التي تهدد حياة  
الإنسان . . حقيقة الزمن ، ومحدوديته ، وعدم عودته . فساعات النهار وافرة  
تصل إلى اثنتي عشرة ساعة ، لكنها لا تزيد عن اثنتي عشرة ساعة . لا داعي حقاً  
للتعجل ، كما أنه لا مكان لإضاعة دقيقة واحدة . هناك وقت كاف للمهام  
الحياة ، لكن لا توجد لحظة واحدة زائدة نضيعها فيما لا يفيد .

## النهار والليل

( يوحنا ١١ : ٦ - ١٠ )

ثم يستمر معلم الأجيال والدهور ، موسعا في حديثه عن الزمن  
والإنسان فيقول ، إنه إذا أغتم الإنسان فرصة النهار ، فرصة النور ، فإنه  
يستطيع أن يسلك في الطريق ولا يتعثر . ولكن إن سار في الليل فهناك  
أكثر من احتمال لسقوطه ، وتعثره .

حسباً اعتدنا على الدوام ، أن نجد في كلمات المسيح المدونة في  
البشارة الرابعة - نجد هنا معنيين : المعنى الأول ظاهري سطحي ، والمعنى  
الثاني عميق خفي . . والمعنيان لا يقل الواحد منهما في حقيقته عن الآخر .

١ - فهناك المعنى الظاهري الذي ينبغي أن ندركه ونتعلمه ، وهو  
يدور حول حقيقة النهار وساعاته . فقد كان اليوم اليهودي ، كما كان  
أيضاً اليوم عند الرومان . مقسماً إلى اثنتي عشرة ساعة . يبدأ من شروق  
الشمس ، وينتهي بمغيبها . تبعاً لفصول السنة المتتابعة . فالساعة الزمنية في  
الصيف طويلة ، والساعة في الشتاء قصيرة . لقد كان اليوم يبدأ ببقظة

الشمس ، ويستمر باستمرارها ، وينتهي بنومها . وهذا اليوم كان يقسم بالتساوي ، إلى ساعاته الإثنتي عشرة .

وهكذا ، حينما نادى «يسوع» أن من يسير في النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم ، فقد كان يعنى بالفعل ، أن من يسير في النور لا يسقط ، طالما كان النور ينير له طريقه . ولكن حينما يأتي الليل ، وتختفي الشمس ، فإنه لن يستطيع أن يتبين جيداً ملامح الطريق . إذ لم تكن هناك أنوار صناعية تنير السبل ، نظير ما نراه في أيامنا الحاضرة .

وربما كانت هناك بعض المناسبات كالأعياد ، وغير ذلك ، التي يشع فيها النور من الميكل . ولكن الحقيقة أنه في القرى ، والضياح ، وفي معظم أيام السنة ، كان الظلام يسود الطرقات . وهكذا حين كان يحل المساء كان ينهى وقت الرحيل ، ويلجأ الإنسان إلى داره ، أو إلى دار صديقه ، للمبيت حتى يسفر صباح اليوم التالي .

هنا نرى «يسوع» يقول ، إن على الإنسان أن يستغل فرصة النهار ، وينتهي من عمله لأن الليل يأتي ، حيث تنتهي فرصة العمل إن كانت للإنسان رغبته ، أو هدفه الذي يريد أن يتممه ، ليصل إلى نهاية هذا الهدف ، وإتمام تلك الرغبة خلال ساعات النهار ، إن مظاهر القلق والخوف ، والعجلة ، والإرتباك الذي تقع فيه ، سببها أننا نريد أن نتخلص من أعباء قد تراكت علينا بسبب تكاسلنا في الأيام الماضية ، عن إنهاؤها والتخلص منها . ينبغي علينا أن نحسب حساباً للوقت ، عارفين أنه ذخيرة مباركة بين أيدينا . ولكنها ذخيرة معرضة للنفاد يجب ألا نبعثرها ونلهو بها كما نشاء . فاليوم حين يمضي لن يعود ، والساعة حين تنتهي لا ترجع ، وتبقى الواجبات مكدمة علينا كما هي .

٢ - ولكن وراء هذا المعنى الظاهري ، يوجد معنى أكثر عمقا . وأى إنسان منا ، لا يقف وقفة تأمل أمام كلمة «لأنه ينظر نور هذا العالم» ، ويرى فيها تذكيرا بالقول : «أنا هو نور العالم» ؟ من يسمع كلمة نور العالم ولا يذكر في الحال «يسوع» نور العالم ؟ هنا تتكرر المقارنة بين الظلمة والنور ، بين الليل والنهار ، لتقدم لنا صورة مقارنة للحياة بغير المسيح ، تحت سلطان الشيطان ، وللحياة مع المسيح في ملء البركة والنعمة . ونحن نجد نفس اللمسة في العدد الثلاثين من الأصحاح الثالث عشر من نفس البشارة حيث يتحدث «البشير يوحنا» عن «يهوذا» بعد أن أخذ لقمة الخبز من يد السيد ، «فخرج للوقت ، وكان ليل» . . . إن الليل التحس الشقي المر ، هو الذي يتخبط فيه الإنسان الخاطيء ، حينما يخرج بعيدا عن دائرة «يسوع» .

إن حجر الزاوية في الإنجيل كله ، هو محبة الله ، ولكن هذه المحبة الإلهية ، لا تتركنا بغير تحذير أو انذار . إن لنا لفرصة ، عريضة ، متسعة ، كافية ، لكي نرتب أمورنا ، ونصالح مع الله في المسيح ، فإذا لم نغتنم هذه الفرصة ، فلنا الظلمة واللعنة ، والدينونة الرهيبة . وهكذا يقول لنا «يسوع» : «اغتنموا فرصتكم . أنجزوا هدف حياتكم الأعظم ، تصالحوا مع الله ، طالما كان الوقت نهار . يأتي الوقت الذي فيه تغرب الشمس ، ويبسط الليل يبتاره الأسود ، . . نعم يأتي عليكم ليل الضيقات ، أو المتاعب ، أو الأجزان ، أو الشيخوخة ، أو المرض ، أو الموت . . . وعندئذ قد تهرب الفرصة من أيديكم ولا تعود» .

لا توجد بشارة بين البشائر الأربع ، تنادى بأن الله يحب العالم بهذا القدر العظيم العميق ، قدر البشارة الرابعة . ولا توجد بالتالي بشارة تنادى

بأن تلك المحبة يمكن أن تنقلب دينونة على صاحبها لأنه برفضها ويزدريها،  
ولا يغتم فرصتها ، قدر البشارة الرابعة أيضاً . إن نعمتين أساسيتين  
تسودان على إنجيل يوحنا : أمجاد الفرصة التي نغتنمها ، ومأساة الفرصة  
التي نقلت منا ونضيع ..

## الرجل الذي لم يشأ أن يترك يسوع

قَالَ هَذَا وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ . لِعَازِرُ حَبِيبِنَا قَدْ نَامَ .  
لَكِنِّي أَذْهَبُ لِأَوْقِظَهُ . فَقَالَ تَلَامِيذُهُ يَا سَيِّدُ إِنْ كَانَ  
قَدْ نَامَ فَهُوَ يُشْفَى . وَكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ عَنْ مَوْتِهِ . وَهُمْ  
ظَنُّوا أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينِئذٍ  
عَلَانِيَةً لِعَازِرُ مَاتَ . وَأَنَا أَفْرَحُ لِأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ  
هُنَاكَ لِتُؤْمِنُوا . وَلَكِنْ لِنَذْهَبَ إِلَيْهِ . فَقَالَ تُوْمَا  
الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَّامُ لِتَلَامِيذِ رُفَقَائِهِ لِنَذْهَبْ نَحْنُ  
أَيْضًا لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ .

(يوحنا ١١ : ١١ - ١٦)

هنا يتبع البشر طريقته المعروفة في تقديم نقاش دار بين «يسوع» وسامعيه.  
و نحن نرى نفس الطريقة في أكثر من مناسبة ، يدور فيها النقاش بين  
المعلم وبين من حوله . فيتقدم «يسوع» بقول يبدو في ظاهره أنه عادي .  
وهذا القول يسيء اليهود فهمه ، وعلى هذا النمط ، وهكذا ، يتقدم شارحاً  
ومفسراً لهم ما يرى إليه .



تحدث السيد مع «نيقوديموس» عن الولادة الجديدة ( يوحنا ٣: ٣-٨ )  
وعلى هذا النمط أيضاً دار الحديث بينه وبين المرأة السامرية على بئر سوخار  
( يوحنا ٤ : ١٠ - ١٥ ) . وهنا يبدأ حديثه لتلاميذه بإعلان يبدو في  
ظاهره أنه عادي : «لعازر حبيبنا قد نام» - وكان لهذا الخبر وقع طيب في  
نفوس التلاميذ ، فلا دواء يعطل النوم الهاديء . كما أن النوم الهاديء علامة  
قاطعة على أن حدة المرض قد خفت ، أو هي في طريقها إلى الزوال .  
ولكن كلمة النوم التي تبدو عادية في ظاهرها ، كان لها في منطق «يسوع»  
معنى أعمق ، وأكثر خطورة . فهناك في فرصة إقامة ابنة «يايرس» نرى  
السيد يقول لسامعيه «إن الصبية لم تمت لكنها نائمة» ، ( متى ٩ : ٢٤ ) . وفي  
سفر الأعمال ، يردد نفس المعنى ، عن استشهاد «اسطفانوس» شهيد المسيحية  
الأول ، فيرد عن موته القول : « وإذ قال هذا رقد » ( أعمال ٧ : ٦٠ ) .  
أما رسول الأمم ، فتراه يكتب في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي (٤ : ١٣)  
عن أولئك الذين يرقدون في الرب . وفي رسالته الأولى إلى كورنثوس  
كورنثوس ، نراه يتحدث بنفس التعبير . عن أولئك الأخوة الذين شهدوا  
قيامه الرب يسوع من الأموات ، فيقول عن بعضهم إنهم ، رقدوا  
( ١ كورنثوس ١٥ : ٦ ) .

وهكذا أمام أذهانهم المغلقة ، لم يجد السيد بدا من أن يعلن لهم علانية ،  
أن لعازر قد مات . ولكنه استمر قائلاً بأن هذا أفضل لهم ، لأنه  
ستكون لهم الفرصة ليشاهدوا معجزة أعظم ، ويتعمق إيمانهم أكثر فأكثر .

إن حجة المسيحيين على الديانات جمعاء ، هو ما يستطيع الله في «يسوع  
المسيح» أن يفعله في حياة البشر . قد تعجز الكلمات عن الإقناع ، وقد يضعف  
المنطق عن تقديم الحجة . ولكن لاحجة أقوى من الله في العمل ، ولا منطق

أعلى من صوت معجزاته في الإنسان . إن الله في المسيح قد أجرى المعجزات في حياة الملايين من بني البشر، وما زال، وسيظل يجربها إلى نهاية الدهر . فقوته هي التي حولت «بطرس» الرعيد الذي أنكر سيده أمام جارية، إلى التلميذ الأول المقدم الذي نادى بحق المسيح في يوم الخمسين وسط جموع اليهود ، موجهها الإهتمام إلى شيوخ اليهود ورؤساء الشعب . و«توما» الممتليء بالشك ، استطاعت نعمة المسيح المقام ، أن تملأه بسلام اليقين . و«شاوول الطرسوسي» ، القريسي الممتليء سما وتمهصبا وتهديداً ، تحول إلى رسول المسيحية الأول ، و«أوغسطينوس» ، الشاب المستهتر ، أصبح قديس المسيحية ومحاميا الأول . و«يوحنا بنيان» ، الرجل المهدف نصف الأذى ، استطاع روح الله أن يلمس قلبه لمسة التجديد ، ويضع القلم الناري بين أصابعه ، حتى أن كتاباته أصبحت تدرس في جامعات الغرب . هذه حقائق لا تدحر . وهي بالتالي تضع على عاتق كل واحد منا مسئولية خطيرة عظيمة . إن هدف الله في تجديدنا ، هو أن يكون كل واحد منا دليلاً حياً ناطقاً على أثر فاعلية النعمة الإلهية ، وعمل المسيح في القلب ... أن يكون شاهداً حياً بين الناس بكم صنع به الرب ورحمه .

نعود فنقول، إن حادثة موت «العازر» كانت فرصة للتلاميذ ، لإختبار أعينهم ، وإيمان أقوى . وكما قال أحدهم مرة :

« إنني لأحب الأزمات ، ولكنني أحب الفرص التي تتيحها الأزمات »  
لقد كان موت «العازر» أزمة بالنسبة لشخصه ، وأزمة لشقيقته ، وأزمة ليسوع فقد كان مضطراً تحت إلحاح الظروف ، أن يعود إلى اليهودية ، والخطر يهدده . وأزمة بالنسبة للتلاميذ ، فما كان يحق بسيدهم ، كان بالتالي يهددهم . ولكن يتبغى حيناً تحييط بنه الأزمات أن تثق بأنها بترتيب من الله ، وأن نرى فيها الفرصة لكي نمجد الله أكثر في حياتنا .

وتراجع التلاميذ أمام الخطر المائل، وأبدوا ترددهم في الذهاب مع «يسوع» إلى اليهودية . فلقد كان الذهاب إلى دائرة أورشليم بعد الذي حدث أخيراً ، بعد في نظرهم انتحاراً . وما كانوا على إستعداد أن يلقوا بأنفسهم إلى الهلكة . ولكن صوتاً واحداً هتف إلى جانب «يسوع» . وكان هذا صوت توما الذي يقال له التوأم . لقد هتف قائلاً بشجاعة: « لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه » .

وأما عن لقب «توما» ، فقد كان الإسم المزدوج شائعاً بين اليهود . فكان الواحد له اسمه العبري الذي يعرف به في دائرته ، واسمه اليوناني الذي يعرف به في دائرة أوسع . و«توما» هو الإسم العبري ، أما «ديديموس» أو التوأم ، فهو الإسم اليوناني . هكذا كان للتلميذ الأول لقب «بطرس» في اليونانية ، وإسم «صفا» في العبرية ومعناه صخرة . وأيضاً الفتاة التي أقامها «بطرس» من الموت ، كان اسمها «طابيثا» في العبرية ، «ودور كاس» أو «غزلة» في اليونانية .

لنترك هذا الفكر العرضي ونقول إن «توما» قد أظهر في تلك الفرصة أسى آيات الشجاعة . أو لعلها كما قال أحد المفسرين « أسى درجات الأخلاص المندفع بروح اليأس ، ليكون هذا . إن أسى ما نصفه به أن نقول عنه ، بأنه الرجل الذي لم يشأ أن يترك «يسوع» .

وليس معنى البطولة أن يتخلى الإنسان عن مشاعر الخوف ، ألا يعتبره الخوف على الإطلاق ، فإن كنا لانشعر بالخوف يكون من السهل علينا القيام بأى عمل . إن الشجاعة الحقيقية تكمن في معرفتنا التامة للظروف المحيطة بنا ، وبالتالي في مواجهة تلك الظروف، حتى ولو كانت قلوبنا ترتجف في صدورنا ، وهكذا كان «توما» . لا ينبغي أن نخجل من شعورنا بالخوف ، بل ينبغي أن نخجل إذا كان الخوف يشل حركتنا ، ويدفعنا إلى الجبن والتراجع عن القيام بالواجب .

## بيت النوح

فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ  
فِي الْقَبْرِ . وَكَانَتْ بَيْتُ عَنِيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ  
خَمْسِ عَشْرَةَ غَلْوَةً . وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا  
إِلَى مَرْتَا وَمَرْيَمَ لِيُعِزُّوهُمَا عَنْ أُخِيهِمَا .

( يوحنا ١١ : ١٧ - ١٩ )

لكي نصور لأنفسنا المسرح الذي دارت عليه الأحداث التي أمامنا،  
علينا أن نعرف معنى بيت النوح عند اليهود .

ففي فلسطين ، كما في الشرق عامة بسبب حرارة الجو ، عندما تنتهي  
حياة إنسان، يقوم أهل الميت بدفنه بأسرع ما يمكن . أحياناً يتطلب الأمر  
بقاء الجثة فترة حتى يلتئم شمل الأقارب ، والمعارف ، ولكن هذه الفترة  
محدودة . ولقد كانت « تكاليف » الموت في البداية قاسية باهظة . فأنسب  
العقاقير والأدهنة والحنوط ، ينبغي أن تدهن بها الجثة، حتى لا يتطرق إليها  
الفساد سريعاً . وكان أقارب الميت، يلقونها في أفخر الأكفان وأثمنها . وفي  
عصر المسيح ، كانت مثل هذه التكاليف باهظة وفوق الطاقة .

كان الواحد يستدين ربما طيلة العمر ، ليظهر أمام الآخرين أنه ليس  
أقل منهم مركزاً . حتى أتى الحبر «غمالايل الثاني» ، وكان هو أول من

كسر هذه التقاليد، فأوصى أنه عند موته، ينبغي أن يلف جسده في أرخص الأقمشة الكتانية وأقلها ثمناً . وإلى يومنا هذا ، في الجنازات اليهودية يشرب أهل الميت كأساً، في ذكرى «غمالئيل»، الذي أنقذ البيوتات اليهودية من الاستدانة والإسراف ، والتفاخر الباطل، في مثل هذه المناسبات .

وكان الموكب الجنائزى، يسير بالميت محمولاً على أكتاف الشباب، محاطاً بالأهل والأصحاب . وهم يبكون ويولولون — في قرية نظير بيت عنيا ، ما كانت حالة موت تحدث ، حتى تتوافد القرية كلها معزية ، ومواسية ومشاركة في تشييع جثمان الراحل — وثمة عادة غريبة تلاحظها أيضاً في الجنازات في ريفنا الشرقى كما في فلسطين ، منذ عصر المسيح ، أو ربما قبل ذلك ، كانت النادبات المعولات يتصدرون موكب الجنازة ، ويقدن البقية في الصراخ والعويل، وترديد آثار الميت ومناقبه . ويقال إن أساس هذه العادة وسرها، أن المرأة هي التي جلبت الموت على العالم أجمع بسقوطها، ولذلك فالموت مهمتها ، وقيادة الجمع للقبر هي عملها . وهكذا كانت تتصدر مواكب الموت إلى المقر الأخير .

وعند القبر ، كانت تتلى الخطب معددة آثار الراحل، ويتقدم الأصدقاء معزين أقارب الميت . ثم يكون الأقارب صفين من هنا وهناك ، يسير بينهما الجموع . ويقال إنه كانت هناك عادة حميدة أن المعولات النادبات لا يرهقن أهل الميت بعد ذلك ، بمرافقتهم إلى البيت . بل يتركنهم لأحزانهم .

وفي بيت النوح ، كانت هناك عادات تراعى . فطالما كانت جثة الميت في المنزل ، كان يحرم أكل اللحم ، أو شرب الخمر ، أو لبس الأحذية أو أى نوع من الدراسة . أما الطعام فلا يجهز في المنزل ، وإذا وجد بالبيت

طعام ، فلا يجوز تناوله مع وجود الميت . وبعد أن تحمل الخثة إلى مقرها الأخير ، يلقب كل أثاث البيت ، ويجلس الأهل والأصحاب ، والمعزون على الأرض ، أو على مقاعد صغيرة قريبة من الأرض .

وبعد دفن الميت ، تتسابق كل أسرة في تجهيز الطعام ، وإرساله إلى العائلة المنكوبة . وفي الغالب، كان الطعام لا يزيد عن البيض المسلوق ، والخبز ، وأطباق العدس .

أما الخبز ، فهو خشن جاف ، رمزاً لحفاف الحياة وقسوتها ، والبيض في استدارته يشير إلى عجلة الحياة التي تدور بنا مسرعة إلى الموت .

وكانت أيام النوح تصل إلى سبعة ، الثلاثة الأولى منها أيام بكاء . وخلال هذه الأيام السبعة ما كان مسموحاً بدهن الوجه أو الرأس ، أو انتعال الأحذية ، أو القيام بأى عمل أو دراسة ، أو حتى الإغتسال . وأسبوع النوح العميق ، كان يعقبه شهر نوح أخف في شدته .

وهكذا حينما أتى «يسوع» إلى بيت الحزن ، وجد قرية بيت عنيا بأكلها ، مجتمعة لتعزي الأختين المنكوبتين — وجد كل ما يمكن أن يلتقى به الإنسان في بيت النوح الشرقي .

ولقد كان واجباً مقدساً على اليهودي ، أن يحضر مواسياً أهل الميت مظهرًا تعاطفه ومشاركته القلبية لهم في أحزانهم .

يقول التلمود ، إن كل من يقوم بزيارة المريض أو الحزين ، تنقذ نفسه من جهنم . وعن «موسى بن ميمون» الفيلسوف اليهودي الذي ظهر في القرون الوسطى ، أنه قال بأن زيارة المريض أو الحزين ، تفوق كل الفضائل الأخرى ، وتتقدمها . لقد كانت هذه العادات جانباً أساسياً من جوانب

الدبانة اليهودية . وعن أحد الأجدار في تفسيره للآية الواردة في سفر التثنية الأصحاح الثالث عشر والعدد الرابع « وراء الرب الهكم تسرون » أنه قال : إن علينا أن تتبع نفس الخطوات التي سار فيها القدوس المجيد ، والتي رسمت لنا في صفحات التوراة .

فعلينا أن نكسو العارى ، كما صنع الله أقمصة من جلد ، وكسا آدم وحواء ، ( تكوين ٣ : ٢٧ ) وعلينا أن نزور المريض كما قام الله بزيارة المريض في سفر التكوين الأصحاح الثامن عشر . وعلينا أن نعزي الحزين ، كما ورد ذلك عن الله في الأصحاح الخامس والعشرين من نفس السفر . وعلينا أن ندفن الميت ( سفر التثنية ٣٥ : ٦ ) .

وفي هذه كلها نكون سائرين في خطوات الإله الصالح . أما اسم الميت فينبغي أن يحاط بكل احترام وتقدير ، ولا ينبغي أن يذكر بعد ذلك إلا مقترناً بطلبة الرحمة عليه . وحينما يغادر المشيعون القبر ، يقولون للميت « ارحل بسلام » . أما روح العطف والمواساة ، فقد كانت الواجب الأول نحو أهل الراحل — صورة كريمة تستحق التأمل .

إلى هذا البيت الذي يسوده الحزن العميق ، والذي ضاق بجماهير المواسين ، والمعزين ، أتى « يسوع » في ذلك اليوم .

## القيامة والحياة

فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْتَا أَنْ يَسُوعَ آتٍ لَاقَتْهُ . وَأَمَّا مَرِيَمُ  
فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ . فَقَالَتْ مَرْتَا لِيَسُوعَ يَا سَيِّدُ  
لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي . لَكِنِّي الْآنَ أَيْضاً أَعْلَمُ أَنَّ  
كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ  
سَيَقُومُ أَخُوكِ . قَالَتْ لَهُ مَرْتَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي  
الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ  
وَالْحَيَاةُ . مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا . وَكُلُّ مَنْ كَانَ  
حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ . اتُّؤْمِنِينَ بِهَذَا .  
قَالَتْ لَهُ نَعَمْ يَا سَيِّدُ : أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ  
ابْنُ اللَّهِ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ .

( يوحنا ١١ : ٢٠ - ٢٧ )

في هذه القصة أيضاً نرى «مرثا» صديقة مخلصه لطبيعتها، كما رأيناها قبل ذلك . في الأصحاح العاشر من بشارة لوقا، يصور لنا البشير هذه السيدة، في صورة العاملة النشطة التي لا تهدأ . الدائبة الحركة في القيام بواجبها ،



الكرامة المضيافة، التي لا تألو جهداً في سبيل راحة ضيفها . وهكذا نراها هنا .  
فحالما سمعت أن «يسوع» قد أصبح على مشارف قرية بيت عنيا ، أسرع  
على عجل ، لتلاقيه ، أما شقيقها، فقد ظلت جالسة في البيت في حزنها  
المادىء الوفور ..

وحينما التقت الأخت الحزينة بالسيد . تدفق قلبها في فيض من عواطفها  
أمام مريح التعابي ، ومعزى الباكين المنكسرين . وكانت في حديثها نغمة  
العتاب الرقيق الممزج بروح الإيمان والثقة والمحبة .. الإيمان الذي لاتزعزعه  
الأحداث ، مهما كانت قاسية تدعو لليأس . « ياسيد لو كنت ههنا ، لم يمت  
أخي » . وخلال هذه الكلمات نستطيع أن نقرأ ما كانت تريد أن تقول  
للسيد - ولعل أفكارها كانت على النحو التالي « ياسيد لماذا لم تحضر إلينا  
حالا ، حينما وصلت إليك رسالتنا ؟ والآن لقد انتهى كل شيء » ، فقد  
تأخرت عن موعدك . ولكن الإيمان سرعان ما عاد إلى نفسها قوياً منتصراً  
ساطعاً ، يبدد ظلمات اليأس أو الشك . فإذا بها تقول « ولكني أعلم أن كل  
ما تسأله من الأب إياه يعطيك » .

وتقدم «يسوع» إليها بتأكيد، كان له وقع الصاعقة على نفسها : « سيقوم  
أخوك » . وأجابته الأخت وقد ظنت أنه يعنى بذلك القيامة الأخيرة ..

« أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة العامة في اليوم الأخير » . وهنا أيضاً  
جواب يدعو للتأمل ، ويشير بلمحة خاطفة إلى العقيدة اليهودية عن  
الخلود<sup>(١)</sup> .

---

(١) للاستزادة راجع الفصل بهذا العنوان ، من كتاب « الموت والخلود » الذي  
صدر مؤخراً للمغرب ، وهو من مطبوعات الدار .

ولقد كان العبرانيون القدامى ، يؤمنون بأن الأرواح جميعها ، أرواح الأبرار والأشرار ، تذهب بعد الموت ، إلى منطقة تدعى «شاول» أى الهاوية . وقد ترجمت خطأ إلى الجحيم . فالهاوية ليست مكان عذاب بحسب عقيدتهم ، بل هى أرض الظلال والظلام والنسيان .. الأرض التى لا يذكر فيها اسم الله . هناك نجيا أرواح الجميع سواء بسواء . . حياة بلا ذاتية .. ولا رؤية ولا سرور ، ولا بهجة ، فى صورة أشباح هائمة فى ظلامها ونسيانها . هذا الإيمان البدائى يسود على كتابات العهد القديم ، ويقلور فى أكثر من موضع ، وعلى الأخص فى سفر المزامير .

« لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمذك ؟ » . ( مزمور ٦ : ٥ ) . « وما الفائدة من دعى إذا نزلت إلى الحفرة ؟ هل يحمذك التراب ؟ هل يخبر بحقك ؟ » . ( مزمور ٣٠ : ٩ ) . وفى المزمور الثامن والثمانين ترى كاتبه ينهى نفسه « لأنه قد شبت من المصائب نفسى وحياتى إلى الهاوية دنت . حسبت مثل المنحدرين إلى الجب . صرت كرجل لا قوة له . بين الأموات فراشى . مثل القتلى المضطجعين فى القبر الذين لا تذكركم بعد . وهم من يدك انقطعوا » ( مزمور ٨٨ : ٣ - ٥ ) . وفى نفس المزمور : « أفعلتك للأموات تصنع عجائب ؟ أم الأخيلىة ( أشباح الموتى ) تقوم تمجدك ؟ هل يحدث فى القبر برحمتك . أو يحقك فى الهلاك ؟ هل تعرف فى الظلمة عجائبك ، وبرك فى أرض النسيان ؟ » ( مزمور ٨٨ : ١٠-١٢ ) . وفى المزمور المائة والخامس عشر : « ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت » . ( عدد ١٧ ) . فاذا تخطينا المزامير وجدنا بجانبها سفر الجامعة لسليمان الملك .

« كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب إليها » . ( جامعة ٩ : ١٠ ) .

وفي سفر «أشعيا» ، نجد «حزقيا الملك» يناجى إلهه قائلا : « لأن الهاوية  
لا تحمدك . الموت لا يسبحك لا يرجو الهابطون إلى الجب أماتتك »  
(أشعيا ٣٨ : ١٨) فبعد الموت لا شيء هناك غير أرض السكوت . .  
أرض النسيان . . الأرض التي تهم فيها أشياح الموتى منفصلة عن الله وعن  
الناس . .

على أننا نجد في مواضع أخرى ، لمحات من إشراقة الإيمان ، في ليل هذه  
العقيدة المظلمة . ففي المزمور السادس عشر نقراً : « لأنك لن تترك نفسى  
في الهاوية لن تدع تعبك يرى فساداً . . . أمامك شبح سرور . في يمينك  
نعم إلى الأبد » . . . وفي مرزور آساف الشهير (٧٣ : ٣ ، ٢٤) . يهتف  
المرنم « لكنى دائماً معك . أمسكت بيدي اليمنى . برأيك تهدينى وبعد إلى  
مجد تأخذنى » . هنا نستمتع إلى نعمة الثقة ، أننا إن كنا حقاً في شركة مجيدة  
مع الله ، فلن يستطيع أى شيء أن يحطم هذه الشركة حتى ولو كان هذا  
الشيء هو الموت نفسه . فشركة الإنسان مع إلهه ، لا بد وأن تدوم وتدوم ،  
وتتحلى الزمن .

ولعل أقوى صبيحة في هذا المجال ، تتصاعد من قلب «أيوب» في تجربته  
المرة القاسية ، فهو في وسط مرارته وأحزانه ، ومرضه . ويأسه ،  
وتحدى الأصدقاء له ، يتخلف من رجائه الحى في الخلود ، أجنحة يرتفع بها  
فوق مستوى متاعبه فيهتف :

« أما أنا فقد علمت أن ولىي حى ، والآخرة على الأرض يقوم  
وبعد أن يفنى جلدى هذا . وبدون جسدى أرى الله »

هنا في «أيوب»، ترى بذرة الإيمان اليهودى فى الخلود . . .

ولقد كان التاريخ اليهودى تاريخ مأس ، وسبى ، وعبودية ، وهزيمة  
ومرارة ، ومع ذلك فقد كان يقين ذلك الشعب بأنه شعب الله المختار ،  
هو الذى يرفعه فوق كل الظروف والمتاعب .

وإذا كان العالم الحاضر لا يقر ذلك ، فالعالم الآتى . . . الدهر الآتى ،  
لا بد وأن يصحح الأوضاع . هكذا آمن ذلك الشعب . فإن كانت مشاريع  
الله لا بد وأن تتم . وإن كانت مواعيده لا بد وأن تكون أمينة وصادقة ، وإن  
كانت عدالته لا بد وأن تكمل ، وإن كانت محبته لا بد وأن تصل إلى أقصى  
درجات عمقها ، واكتفائها ، فلا بد بالتالى أن يكون هناك عالم آخر ، وحياة  
أخرى ، يعوضان عن هذا العالم الحاضر ، وعن هذه الحياة الحالية . وكما قال  
أحد الكتاب « إن لغز الوجود سوف يكون أقل تعقيدا ، حينما نصل إلى  
اليقين الكامل ، بأن الحياة الحاضرة ليست هى الفصل الأخير فى دراما الإنسانية ،  
مثل هذا الأحساس العميق ، هو الذى دفع العبرانيين إلى الإيمان بوجود  
حياة قادمة .

صحيح أنه فى عصر المسيح ، كانت هناك طائفة الكهنوت ، أو طائفة  
الصلوقيين . وأولئك ما كانوا يؤمنون بأى نوع من الحياة بعد الموت .  
ولكن القرينيين ، وجميع الشعب ، كانوا يؤمنون بالخلود . ومن أقوال  
القرينيين أنه ساعة الموت يتعاقب العالمان : عالم الزمن وعالم الأبد ، وحينما  
انتطلق الروح تعان على التو مجد الله . لذلك فهم ليسوا بالموتى . لكنهم أحياء  
عند ربه ينعمون .

إنه هنا وجدنا إيماناً على كلمات المسيح بهذا الجواب ، كانت تنادى  
بأسمى ما وجدنا للإيمان أمة عن الحياة بعد الموت . . .

## القيامة والحياة (تابع)

( يوحنا ١١ : ٢٠ - ٢٧ )

وحيثما أعلنت «مرثا» إيمانها بالعقيدة اليهودية عن الحياة القادمة ، سطم  
«يسوع» على ذلك الإيمان بنور جديد زاده ضياء وإشراقاً ، وأعطاه معنى جديداً .  
فنادى لها ، وللأجيال جمعاء هاتفا :

« أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولومات فسيحيا . وكل من كان  
حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد » . . ترى ماذا يعنى رب الحياة بهذه  
الكلمات ؟ .

صحيح أننا بقولنا القاصرة ، لن نصل إلى مدى عمق المعاني المستترة خلفها ،  
ولوقضينا العمر كله في البحث ، والدراسة ، فلن نصل إلى مضمونها . فلن  
تعلمنا لنا ولن تكشفها إلا أنوار الأبد . ولكن دعنا نحاول قدر ما نستطيع .

شيء واحد ينبغي أن نضعه في أذهاننا قبل أن نبدأ بحثنا : أن «يسوع» لم  
يكن يعنى على الإطلاق الجانب المادى من حياتنا الجسدية ، فليس صحيحاً  
أبداً أن من يؤمن بالمسيح لا يذوق الموت ، ولا يتجرع كأسه .

فالؤمن بيسوع شأنه شأن سواه ، يجتاز مياه البحر الأسود ويفوص  
في لجهه ، وتطفئ عليه تياراته . إن عجلة الزمن لا تتوقف بالنسبة له .  
فيمر من الحدائثة إلى الشباب ، ومن الرجولة إلى الهرم ، فالشيخوخة ،  
فالمرض والموت .

لذلك علينا أن نتجنب كل تفسير مادى لقول «يسوع» هذا . . . إذاً ماذا  
كان قصد السيد من هذا القول ؟ .

١- أولا ، كان «يسوع» يقصد بقوله هذا ، الموت الروحي ، الموت بالذنوب والخطايا . إنه يقول . « ولو وصل إنسان إلى حد الموت في قبر خطاياها وآثامها . . . ولو تغلغل في عاداته الرديئة فأصبحت كمرض الموت يخنق أنفاس الحياة فيه . . . ولو انقطع عن عالم الأحياء بالمعنى الروحي ، فرلته خطيئته وعاره بعيدا عن الأحياء ، ولو فقد كل مقومات الحياة النقية الطاهرة التي تدعى بالحق حياة ، وفاحت منه رائحة الموت والفساد ، فأنى استطاع أن اعبد إليه الحياة ، والحياة الأفضل . » هذا هو وعد «يسوع» الصادق . . وهكذا ينادى ويدعو موتى الذنوب والخطايا ، لأنه لهذا جاء . بل هذا حق يشهد له منطق التاريخ والاختبار . .

حدثنا أحد الكتاب بمثل حديث عن مجرم ياباني يدعى «توكيشي ايشي» . أما «إيشي» هذا فقد اغتال العديد من الضحايا ، من الرجال ، والنساء ، وحتى الأطفال ، ومثل بأجساد ضحاياه بوحشية لا يتصورها عقل . أى إنسان كان يعرض طريقه ، كان الأيسر عليه أن يزججه من طريقه بطعنة خنجر . وأخيراً ألقى القبض عليه ، وتمت محاكمته ، وأدين ، وصدور عليه الحكم بالإعدام . ولم يبق سوى تنفيذ الحكم . وبينما كان في السجن ، قامت بزيارته سيدتان كنديتان لتحدثنا إليه عن «يسوع» . وبطبيعة الحال ما كان يستمع لإنسان أن يتدخل إلى مجرم خطير نظير هذا الإنسان ، فكانتا تتحدثان إليه من خلال القضبان الحديدية .

أما هو ، فكان مفرس كان يزجر في قفصه الحديدي ، وهو يلعن الله والناس . وأخيراً لم تجد السيدتان جلوى من محاولة الحديث إليه ، فقدمتا إليه الإنجيل . فالتقى به على الأرض وداسه بقدميه . غير أنه يبدو أنه تناوله بعد ذلك ، حينما صار بمفرده ، وراح يقلب صفحاته ، ثم استهواه ، فانغمس

في قراءته حتى وصل إلى قصة الصليب ، ورنث في أذنيه كلمات المسيح ، وهو يطلب الغفران لصاليبه « يا أبته اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » . والآن لندع « إيشى » المحرم سفاك الدماء ، يتحدث إلينا في اعترافاته . . .

« توقفت عند هذه الكلمات . وشعرت وكأن خنجرًا حادًا يمزق قلبي . . . وكأني بالمسامير التي دقت في يدي المسيح وقدميه ، تدق في صدري . ماذا أقول ؟ هل هي محبة المسيح الفائقة ، هي التي مزقت فؤادي ؟ أم تنازله العجيب ، وصفحه ؟ أم ماذا أسميه ؟ لست أدري . إنما أعلم شيئًا واحدًا : أن غفرانه أصبح يشملني أنا المحرم . وأن قلبي القاسي ، قد ذاب كالشمع أمام نار محبته . وانني عرفت القلب الجديد فيه »

وحينما وافي آخر يوم في حياة « إيشى » ، وأنت الساعة الحاسمة ، وفتح السجن الباب الحديدى ، ليمضى المحكوم عليه بالموت إلى مصيره ، لم يجد أمامه وحشًا مزعجًا ، ولا مجرمًا يلعن ويجدف ، بل وجد إنسانًا وديعًا كالخمل ، يتسم ابتسامة الرضى والسلام .

لقد أعاده المسيح الحى إلى مجمع الأحياء بعد أن كان كالمجنون يعلب نفسه في قبور جرائمه ، ووحشيته وآثامه .

هذه حقيقة لا تنكر ، فلا حاجة بالإنسان أن يكون له منطق درامى ليصورها ، أو ريشة فنان مبدع ليضفى عليها جمالا

. نعم . قد تصل الأنانية بالإنسان إلى الحد الذى يصبح فيه قلبه جامدًا كالصخر ، ويصبح الصخر جزءًا منه ، فلا يرق الحاجة المحتاجين ، ولا يتألم

لآلام المنسحقين ، . . قد تصل به الأثمانية إلى جمود الموت أمام مشاعر  
الآخرين . .

وقد يصل الإنسان إلى حضيض المهانة والعار ، فتسوت في أعماقه  
أحاسيس الكرامة الآدمية ، ويأتى من الأعمال المشينة ما يحجل الحيوان  
من القيام به . . . وقد يندفع الإنسان في ضيقه النفسى ويأسه . فتظلم  
الشمس في عينيه في وقت الظهيرة ، ويصبح في عداد الموتى . . وقد يصنع  
من ماله ومقتنياته صنما يبخر أمامه صباح مساء ، ويحرق زهرة العمر في  
التعب له ، فإذا أتى «يسوع» في دائرة الموت هذه . . في دائرة أولئك وهؤلاء ،  
فإنه يبعث الحياة في وادى العظام اليابسة ، فيقوم الموتى ويبعثون .

إن ملايين الملايين خلال حقب التاريخ المختلفة ، تستطيع أن تشهد أنها  
نالت الحياة على يديه . فما ضعفت لمسة «يسوع المسيح» يوما ، وما تناقصت  
قوته . . .

٢ - ولكن «يسوع» كان يشير أيضا إلى الحياة القادمة . لقد أدخل في  
قاموس البشرية كلمة جديدة هي الإنتصار على الموت . فلم يعد الموت  
بعد ذلك الشبح الرهيب ، الذى ترتعد أمامه القلوب خوفا وفزعا . ولم يعد  
صاحب الكلمة الأخيرة والفصل الأخير في حياة الإنسان . قال «ادوارد  
المعترف» في لحظاته الأخيرة للذين حولته : «كفكفوا دموعكم فلا موت  
هناك ، بل إننى حينما أهاجر أرض الموت ، ستشرق على فى «المسيح يسوع»  
شخص الحياة» في «أرضين الأحياء» . .



ما أروع التعبير عن العالم بأرض الموت . . . إننا نسمى عالمنا عالم الأحياء ، ولكن ما أحرانا بأن نلقبه بوادي ظلال الموت . ولكن أروع منه ذلك اليقين الأسمى الذي يملأ قلوبنا . بأننا حينما نغادر هذه الدار ، فاننا لانهجر أرض الأحياء ، بل نهاجر إلى أرض الأحياء في المسيح يسوع . في المسيح وحده وليس سواه ، لنا كل الثقة في الإنتصار على عدو البشرية الأخير . . . لنا كل الثقة أننا لانترك أرض النور إلى وادي الظلام ، بل نترك أرض الغروب ، إلى أرض الشمس المشرقة .

وكما قالت « ماري وب » « إننا لاترى في الموت سوى بوابة تفضى إلى الحياة . وبكل ماتحملة الكلمة من معان نوقن في أنفسنا أننا لسنا في طريقنا إلى الموت ، بل إننا في طريقنا إلى الحياة . . الحياة الأسمى والأجد بما لا يقاس . .

كيف يمكن أن يحدث هذا التغيير الجذري في حياتنا ، وأفكارنا ؟ حينما نضع كل ثقتنا في المسيح « يسوع » . . حينما نؤمن به كل الإيمان . وماذا تعنى كلمة نؤمن ؟ أن نؤمن بيسوع ، معناها أن نقبل كل ما قاله « يسوع » ، كالحق الأوحد الأماجد ، الذي نعتنقه في حياتنا ، ونبنى عليه بنود الحياة ، في ثقة كاملة . حينما نعمل ذلك ، ندخل في شركة لها جانبان :

١ - الجانب الأول ، يتضمن شركتنا مع الله . حينما نؤمن بأن الله هو كما أعلنه لنا « يسوع المسيح » البار ، وكما أعلن لنا فيه ، نتأكد تمام التأكيد ، بأن إلهنا هو قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، إله الفداء . وعندما ينتهى خوف الموت ، لأن الموت لن يستطيع أن يواجه محب البشرية الأعظم .

٢ - أما الجانب الثاني، فيتضمن «شركة» جديدة مع الحياة نفسها.  
حينما نقبل طريق «يسوع» للحياة، حينما نسلم نفوسنا بالتمام بين يديه، ونستودع  
ذواتنا لديه، وننخذ وصاياه ناموساً لنا... حينما نوقن بأنه معنا. يعيننا في  
الحياة، الحياة التي نريدنا هو أن نحياها، عند ذلك يضيء هذا نوراً جديداً  
على حياتنا. فتحيط بها هالة من الجمال الجديد، والقوة الجديدة، أو بمعنى  
آخر، تصبح الحياة تستحق أن نحياها... تصبح جميلة... نافعة...  
نقية، بحيث لا نتصور أن الموت يهاتها. وينها ويتركها ناقصة مبتورة.  
الخلاصة، أننا حينما نؤمن بيسوع، ونقبل ما ينادى به عن الله، وعن  
الحياة، نتخبر بالفعل. بُرّكات القيامة، لأننا نتحرر من تخوف أولئك الذين لا إله  
لهم وتحرر من فشل الحياة الراضحة تحت سلطان الخطية، وتحرر من عقم  
الحياة التي بلا مسيح، وتقام أجسادنا من موت الخطية: وتصبح أكثر  
غنى حتى أنها لن تموت، لأنها سوف تجد في الموت انتقالاً إلى حياة أسمى،  
وأجيد.

## عواطف يسوع

وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا مَضَتْ وَدَعَتْ مَرْيَمَ أُخْتَهَا سِرًّا  
 قَائِلَةً الْمَعْلَمُ قَدْ حَضَرَ وَهُوَ يَدْعُوكِ . أَمَا نِلْكَ فَلَمَّا  
 سَمِعَتْ قَامَتْ سَرِيعًا وَجَاءَتْ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ  
 قَدْ جَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ بَلْ كَانَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لاقَتْهُ فِيهِ  
 مَرْتًا . ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ  
 يُعْزُونَهَا لَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ قَامَتْ عَاجِلًا وَخَرَجَتْ تَبِعُوهَا  
 قَائِلِينَ إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِي هُنَاكَ . فَمَرْيَمُ لَمَّا  
 آتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ  
 قَائِلَةً لَهُ يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي . فَلَمَّا رَأَاهَا  
 يَسُوعُ تَبْكِي وَالْيَهُودَ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ أَنْزَعَجَ  
 بِالرُّوحِ وَأَضْطَرَبَ

( يوحنا ١١ - ٢٨ - ٢٣ )

وأسرعت «مرثا» إلى البيت لتخبر شقيقها، بأن يسوع «قد جاء إلى بيت  
 العناء . ولكنها أسرت لها بهذا الخبر وحدها ، حتى لا يعلم الذين حولها

بمحضور السيد ، لأنها كانت تريد أن يلتقى «يسوع» بها سرّاً ، ويتحدث إليها بكلمة أو كلمتين ، قبل أن تعرف الجموع بوجوده وتسرع إليه ، وتتكدس حوله . ولكن حيناً أبصرها المعزون ، وهى تهب مسرعة إلى الخارج ، قالوا فى أنفسهم إنها ذاهبة إلى القبر لتبكي هناك . فقد جرت العادة أن تقوم النسوة بزيارة قبر الميت ، خلال الأسبوع الأول من دفن جسده للبكاء هناك .

وتحدثت «مريم» بنفس الكلمات التى هتفت بها شقيقها «ياسيد ما كان ممكناً أن يحدث ما حدث ، لو أنك أسرعت بالحضور ، وكنت ههنا . لو كنت هنا ، ما كان ممكناً أن تنتهى حياة شقيقى العزيز »

ورأى يسوع مريم تبكى . ورأى الذين حولها من اليهود يسكبون الدموع . ولم تكن تلك الدموع هادئة رزينة ، بل كانت ممتزجة بالصراخ ، والعيول ، وقرع الصدور ، ولطم الخدود . وما زالت مثل تلك العادات سارية فى شرقنا العربى ، لأننا نظن أننا بكثرة دموعنا ، وعودتنا ، وتعديد آثار الراحل ، نقدم له اكراماً أعظم . .

ورأى «يسوع» هذا ، وكما تقول الترجمة المعتمدة الانجليزية تحركت روجه فيه . أما هذه للكلمة فهى ترجمة لكلمة يونانية معقدة هى «إمبر ماستاى» . وقد وردت نفس الكلمة ثلاث مرات أخرى فى العهد الجديد . فى إنجيل متى ( ٩ : ٣ ) ، نقرأ حادثة الأعميين اللذين نالا الشفاء على يدي يسوع ، «فأنتهرهما» ألا يقولوا لأحسد : وفى إنجيل ( مرقس ١ : ٤٣ ) نقرأ عن الأبرص الذى شفى بلمسة «يسوع» «فأنتهره» وأرسله للوقت ، وأمره ألا يخبر أحداً . وفى نفس البشارة ترد نفس الكلمة عن الجموع ( مرقس ١٤ : ٥ ) حينما

كان «يسوع» في بيت سمعان الأبرص ، وجاءت امرأة ومعها قارورة طيب ناردين كثير الثمن ، فسكبته على رأسه ، وكانوا يؤنبونها ، لأنهم كانوا يظنون أن مثل هذا العمل اتلاف لا مبرر له .

ومن الملاحظ أنه في كل واحد من هذه المواقف الثلاثة ، تشير الكلمة إلى الانتهاز المصحوب بالغضب أو التأنيب . إنها تعني التوبيخ ، أو التهمى بقسوة . وهكذا يتراءى لبعض المفسرين أن يفسروا الكلمة في فرصة لقاء المسيح باليهود الباكين في جنازة بيت عنيا ، على نفس الأساس ، فيقولون ان السيد قد انزعجت روحه بالغضب المقدس ، ولماذا انزعج غاضبا ؟ ربما لسببين على الأقل . أما السبب الأول فقد كان الدموع التي يسكبها المعزون ، ومظاهر الحزن التي تبدو عليهم ، والمسرخية الباكية التي يقومون بأدائها . لقد كان «يسوع» يعرف ان كل هذه المظاهر ليست سوى رياء . فلا حزن هناك في قلب أحد ، ولا مواساة في دموع إنسان . وكما يقول المثل الدارج : النار لا تحرق إلا من يمسك بها . لقد كانت مريم ومرثا ، هما المكتوبتان بناز الحزن وحدهما . أما هذه المظاهرة الجوفاء ، فقد كان يعرف أنها بدافع الكذب والرياء .

ولكن إن كان «يسوع» قد انزعج غاضبا ، بسبب دموع المعزين لأنها دموع التماسيح ، فماذا نقول في دموع الشقيقتين ؟ هل كانت دموعهما غير حقيقية ؟ ومن الجانب الآخر ، هل من المنطقي أن كل الملوسين كانوا مرائين ؟ ألم يوجد فيهم من رقق قلبه لمأساة اختين لا عائل لهما إلا ذلك الشقيق الذي أطبق عليه القبر ؟ إن كان الأمر كذلك ، فلا يد أن نبحث عن تفسير آخر للنقول « انزعج بالروح واضطرب » .

يقول « د. موغات » في ترجمته الشهيرة : أن « يسوع » « أثير في الروح » ،  
وهي كلمة قريبة جداً من ترجمتنا العربية « انزعج بالروح واضطرب » .  
ولكن كلمة أثير أضعف من أن تعلن لنا حقيقة ما حدث . وهناك الترجمة  
الأمريكية المنقحة<sup>(١)</sup> ، وهي لا تختلف كثيراً في تعبيرها عما أسلفنا : اضطرب  
« يسوع اضطراباً عميقاً في الروح » « Jesus was deeply moved in spirit »  
على أن هناك ترجمة حديثة<sup>(٢)</sup> أخرى تورد هذا التعبير على النحو التالي  
« استسلم يسوع لحزن عميق للدرجة جعلت جسده يختلج » . هنا نقرب من  
المعنى المقصود ، ولا نقول هذا اعتباطاً ، بل استناداً إلى معان للفعل في  
الأصل اليوناني في الأدب الكلاسيكي القديم . فالفعل « أمير ماستاي »  
يطلق على الخيل حينما تصهل قهتز جوائنحها . وكأني بكاتب البشارة  
يقصد أن يقول : لقد استسلم « يسوع » لعواطف غامرة من الحزن العميق ،  
حتى تصاعدت من أعماقه أنه هزت كيانه .

هنا نرى لمسة من أروع اللمسات ، التي نجدها في الإنجيل عن « يسوع » .  
هنا نرى يسوع يتغلغل إلى أعماق النفس البشرية ، يشاركها آلامها وأحزانها  
وأثاتها ، ودموعها . وينوب قلبه حزناً مع القلوب الحزينة المنكسرة .

« في حزننا ينوب قلبه أسى حزننا .

« وكيف لا ؟ وهو رجل الأحران الذي جاز ضيقنا ؟

لكن هناك أكثر من هذا . فكما نعرف ، كتبت البشارة الرابعة لتناقش  
العقلية اليونانية . ولتقدم لها المسيح . ولقد كانت هذه الصورة التي أثبتناها

(١) American Revised Standard.

(٢) Rien هي ترجمة

"He gave way to such distress of spirit as made his body tremble"

آثقا ، عن المسيح المتألم الحزين ، الذى يهتز ويختلج جسده فى حزنه وأشجانه ، والذى يشارك البشرية آلامها إلى أبعد حدود المشاركة ، صدمة كبرى للذين رضعوا لبان الثقافة والفلسفة اليونانية . فإن كان «يسوع» قد جاء إلى العالم ليقدّم لنا فكر الله ، . . ليظهر لنا فى حياته صورة حياة الله ، فالصورة التى يشبّها البشرى هى أبعد ما تكون عن تصورهم ، بل هى صدمة كبرى مثلهم وأفكارهم عن الله العظيم . لقد كانت أول صفات الألوهية فى نظرهم ، ما أطلقوا عليه لقب «أباتيا» . والكلمة هنا ليست مرادفة للصفة المعروفة فى الإنكليزية «أباتى» ( apathy ) ومعناها الجمود أو عدم الاكثرات لآلام الغير ، ومشاركتهم-أحزانهم ، بل إنها كانت تصل إلى أبعد من هذا . لقد كانت تعنى علم القدرة على التعاطف مع البشر ، أو عدم إمكانية الله أن يعرف ماهى مشاعر البشر ، ويشاركهم أحزانهم أو أفراحهم . كيف يمكن لليونان أن يقبلوا هذه الصورة عن الله ، وأن يلصقوا بالله صفة التعاطف مع البشر ؟ إن التعاطف صفة من صفات البشر واختبار من اختباراتهم .

— هكذا كان منطقهم — إن كنا نشعر بفرح الغير أو بحزنهم ، إن كنا نبتهج لسرورهم ، وبالتالي تدمع عيوننا مع عيونهم الباكية ، فمعنى هذا أننا تأثرنا بهم ، وضعفنا أمام هذا التأثير ، فتسلط علينا ، فاستسلمنا له ، وهكذا خرجنا عن طورنا فى أفراحهم ، وخرجنا عن الطور أيضاً فى أحزانهم . أى أننا بالتالى أصبحنا أضعف منهم ، فنحن فى مركز أقل ..

أما الله فإنه إسمى من أن يهتز لهزاتنا فيفرح لفرحنا ، أو يتألم لحزننا . فلا أحد يستطيع أن يهبط بإله ، إلى مستوى أحاسيس البشر . لقد كان الإغريق يؤمنون بإله أو آلهة تعيش فى محيطها العظيم الذى يسمو على محيط البشر .

ومستواها الذي يرتفع فوق مستوى البشرية . لقد كانوا يؤمنون بألهة  
لامشاعر لها .

ولكن ما أبعد ذلك الفكر عن الصورة التي قدمت لنا في « يسوع المسيح » .  
هنا نرى في آلام « يسوع » ، اشتراك قلب الله في آلام البشر وأحزانهم . هنا  
نرى في دموع « يسوع » ، وأينته ، وكيانه المختلج بالحزن ، إلهًا ، في كل  
ضيقنا يتضايق ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ .

إن « يوحنا » حيناً أمسك بريشته ، ومزج ألوانه الرائعة ، قدم لنا على  
صفحات بشارته الجمالدة ، صورة جديدة كل الجدة ، عن إله المحبة والقلب  
الكبير الذي وأعظم بما قدمه « يسوع » للبشر ، صورة إله يهتم بالأمهم ،  
وأحزانهم ، بدموعهم .



## النداءُ الَّذِي يُوَقِّظُ الْمَوْتَى

وَقَالَ أَيْنَ وَصَعْتُمُوهُ . قَالُوا لَهُ يَا سَيِّدُ تَعَالَ وَانظُرْ .  
بَكَى يَسُوعُ . فَقَالَ الْيَهُودُ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ .  
وَقَالَ بَعْضُ مِنْهُمْ أَلَمْ يَقْدِرْ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنِي الْأَعْمَى  
أَنْ يَجْعَلَ هَذَا أَيْضاً لَأَيِّمُوتُ

فَانزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ .  
وَكَانَ مَعَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ . قَالَ يَسُوعُ اارْفَعُوا  
الْحَجَرَ . قَالَتْ لَهُ مَرْتًا أُخْتُ الْمَيِّتِ يَا سَيِّدُ قَدْ أَتْنَنَ لِأَنَّ  
لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنْ  
آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ . فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيِّتُ  
مَوْضِعاً وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقٍ وَقَالَ أَيُّهَا الْآبُ  
أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي . وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ  
حِينٍ تَسْمَعُ لِي . وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ .  
لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي . وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ

عَظِيمٍ لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجًا . فَخَرَجَ الْمَيِّتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ  
مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ . فَقَالَ لَهُمْ  
يَسُوعُ حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبُ

( يوحنا ١١ : ٣٤ - ٤٤ )

وهكذا نأتي إلى ختام المنظر . هنا نرى « يسوع » يعترضه الألم اعتصاراً  
للمرة الثانية ، مشاركاً المتألمين في آلامهم .

وكما أسلفنا في السطور السابقة ، كانت الجملة القصيرة التي  
أوردتها البشير « بكي يسوع » صدمة قوية للعقلية اليونانية ، إذا كانت بشارة  
يوحنا تقدم لنا صورة الله في المسيح . فما هو ابن الله الحي ، صورة الله  
المتجسد . . رسم الله وجوهه ، يبكي متألماً كالضعيف - صورة فوق  
مستوى العقلية اليونانية ، وحتى يتصور القارئ المنظر كله ، لا يضيره أن نقدم  
له صورة المقابر في فلسطين ، وهي لا تختلف كثيراً عن صورة المقابر في  
الشرق ، سوى أنها منحوتة في الصخر ، أو متخذة في كهوف طبيعية داخل  
الصخر . وكان الكهف عادة لا يزيد طوله عن ستة أقدام ، في عرض  
تسعة أقدام . أما ارتفاعه فهو في العادة عشرة أقدام .

في مثل هذه المقبرة ، كانت هناك ثمانية رفوف منحوتة أيضاً في الصخر ،  
أي أن القبر كان يتسع لثمانى جثث . على الجانب الواحد ثلاثة رفوف ،  
يقابلها من الجانب الآخر مثلها ، وفي أقصى الداخل مواجهها للمدخل يوجد  
اثنان . على هذه الرفوف كانت توضع جثث الموتى .

وكانت جثة الميت ، تلف في ثوب واحد من كتان نقي . أما البدان

والقدمان ، فكانت ترتبط بشرائح من الكتان ، تلف عليها في طيات . أما الرأس ، والوجه ، فكان يلف بفضوة أو منديل .

أما المقبرة فلم تكن لها أبواب ، لكن أمام المدخل كان ينحت مجرى ، يدرج فيه حجر دائري يعلق باب القبر تماما .

طلب «يسوع» من الذين حوله ، أن يدرجوا الحجر عن القبر . وظنت مرثا أن السيد يريد من فتح القبر أن يتملى برؤية حبيبه للمرة الأخيرة ، قبل أن يتحلل جسده . و أثارها هذا التصرف . فاذا في رؤية جثة ميت متعفن له أربعة أيام في القبر ؟

وهكذا قالت ليسوع : « ياسيد قد أئن لأن له أربعة أيام في القبر » . ولقد كان اليهود يعتقدون أن أرواح الموتى ، تحوم حول الجثة مدة أربعة أيام كاملة ، محاولة أن تصل إلى الجسد وتدخل فيه . ولكن بعد هذه الأيام الأربعة لا يستطيع الروح أن تتعرف على الجسد الذي كانت تقطنه ، بسبب التغييرات التي تحدث فيه .

وأخيرا يقول رب الحياة للميت المسجون في قبره ، الملتف المقيد بأكفانه ، ويناديه : « لعازر هلم خارجا » .

وأصغى إليه ، فهبت عليه . نسأمة . . . فاستعاد الحياة .

وتحرك الميت من مرقده ، وجلس في موضعه ، وحاول أن يقوم من مكانه متعجراً في أكفانه — معجزة لم يكن ممكناً أن تتم إلا على يدي رب المجد . . رب الحياة والخلود . وعندئذ أمر السيد من حوله قائلاً . . « حلوه ودعوه يذهب » .

وهناك بعض اللوحات نحب أن نثبتها هنا . .

١ - إن «يسوع» قبل القيام بمعجزته، تقدم بصلاته إلى الآب . فالصلاة  
نصنع المعجزات، وكما يقول «بروفسور جوديه» اللاهوتي المعروف  
«ما المعجزات إلا صلوات مستجابة» .

٢ - ولقد كان هدف «يسوع» من المعجزة، هو مجد الله الآب . فلم يقيم بها  
لمجده هو . ونحن نرى «ايليا» في معركة الشهيرة مع أنبياء البعل يصلي قائلاً:  
«إستجبنى يارب إستجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله» (ملوك  
الأول ١٨ : ٣٧) . على هذا القياس، فإن المعجزات التي قام بها «يسوع»  
كانت تتم عن طريقه لمجد الله الآب .

وما أعظم الفارق، بين الدافع الذي كان يدفع يسوع، للقيام بمثل هذه  
الأعمال العظيمة، وبين الدافع الذي يدفعنا للعمل والجهاد؟ فنحن نعمل  
في قوتنا، ولحمداً أنفسنا وليس لمجد الله، أما «يسوع»، فقد استعان بقوة الله،  
وعمل لمجد الله .

وكم كان ممكناً أن يجرى الله عجائب بواسطةنا، لو أننا أرجعنا له - له  
وحده وليس لسواه - القدرة والمجد .

## إقامة لعازر من الموت

(يوحنا ١١ : ١ - ٤٤)

حاولنا في الصفحات السابقة، أن نسرّد قصة «لعازر» مع التعليق عليها، كما  
وردت في البشارة الرابعة. ولكن هذه المعجزة تنفرد عن سواها من المعجزات،  
بأمور تحتاج إلى التأمل والتفكير .

١ - فهناك معجزات إقامة موتى ، ذكرت في غيرها من البشائر . ففي بشارة متى ( ٩ : ١٨ - ٢٦ ) نقرأ عن معجزة إقامة ابنة « يائرس » من الموت . ولقد وردت أيضاً نفس المعجزة في بشارتي مرقس ولوقا ( مرقس ١٥ : ٢ - ٤٣ ، لوقا ٨ : ٤٠ - ٥٦ ) ، وتنفرد بشارة لوقا بذكر معجزة إقامة « يسوع » لابن أرملة قرية نايين ( لوقا ٧ : ١١ - ١٦ ) ، وأمام هاتين المعجزتين الأخيرتين يقف الناقلون متشككين ، محاولين أن يقللوا من قيمة عمل المسيح . فهم يقولون ألا يمكن أن تكون حالة ابنة « يائرس » ، وحالة ابن أرملة نايين مجرد إغماء وليس موتاً حقيقياً ؟ ابنة « يائرس » أقيمت على الفراش ، وقد نسلم معهم جديلاً أنهار بما كانت في حالة إغماء شديد . ولكن ما الرأى في ابن أرملة نايين الذي كان محمولاً في نعشه إلى المقبرة ؟ يجيبون أن جو الشرق الحار يدفع أهل البيت إلى الإسراع بتجهيزه للدفن ، وحمله إلى مقره الأخير ، خوفاً من سرعة تحلل الجسد . وكم من حالات إغماء حدث فيها الدفن خطأ .

وإذا كانوا يتشككون في هذه المعجزة أو تلك ، فإنهم بطبيعة الحال لن يستطيعوا أن ينكروا حقيقة العمل المعجزى في إقامة « العازر » ، الذي مضى على موته أربعة أيام كاملة ، ودب الفساد في جسده وتورم ، وتغير لون جلده ، وابتدأ السائل العفن ، يسيل من فتحات جسده - ماذا يقولون في هذه المعجزة ؟

٣ - يقولون إنها لم تحدث مطلقاً ، بدليل أن البشائر الثلاث الأخرى صممت عن الإشارة إليها ، فكيف يمكن أن يصمت البشرون الثلاثة عن كتابة ولو ملخص موجز لها ، أو مجرد الإشارة لحدوثها ؟

يجيب بعض المفسرين بأن السبب هو أن « بطرس » ، الذي استقى منه « مرقس » بشارته وهي أقدم البشائر ، لم يكن حاضراً أثناء حدوث المعجزة . وهذا واضح من أن « سمعان بطرس » لا يرد له ذكر في الأصحاحات الخامس والسابع إلى الثاني عشر .

ولكن حتى وإن لم يكن «بطرس» أحد الحضور عند حدوث هذه المعجزة الفريدة ، ألم يسمع بخبرها من غيره من التلاميذ ، وكيف يمكن أن يخفل ذكر معجزة مذهلة نظير هذه ؟

٣- على أن أعظم صعوبة تكمن في هذه المعجزة ، هي أنها ، كما يؤكد «بوحنا» ، كانت السبب المباشر ، الذي دفع رؤساء الكهنة لحبكت مؤامرتهم ، والإصرار بالقبض على يسوع ، لإزاحته من طريقهم ( يوحنا ١١ : ٤٧ - ٥٤ ) . أى أن إقامة «لعازر» من الموت ، كانت السبب المباشر لصلب المسيح - في البشائر الثلاث الأولى ، نجد أن السبب الأساسي للقبض على المسيح حادثة تطهير الهيكل ، فلو كانت هذه المعجزة قد حدثت بالفعل ، وكانت السبب في اشتعال نار العداوة ضد المسيح بصورة رهية ، كان يجدر بالبشيرين الثلاثة أن يشيروا إلى ذلك ؟

٤- ولقد حاول البعض أن يجد تعليلا لذكر هذه المعجزة من الناحية العقلية . .

( أ ) فوصلت الغباوة بالكاتب الفرنسي «رينان» إلى حد القول بأن القصة كلها «مؤامرة» دبرها «يسوع» مع الأختين ، ومع «لعازر» ، فتظاهر «لعازر» بالموت ، وحمل إلى المقبرة ، حتى أتى «يسوع» وأخرجه ؟ وبالطبع يصح أن تناقش مثل هذا الرأي بعد ذلك .

( ب ) وقلل البعض إن «لعازر» كان في غيبوبة . ولكن إذا جاز لنا أن نجسك بكل حرف ورد في تفاصيل القصة نرى أن هذا غير معقول ، فتفاصيل القصة واضحة تفند هذا الادعاء .

( ج ) وقال آخرون ، إن القصة مثل رائع رمزي ، يلور حول قول يسوع «أنا هو القيامة والحياة» . وهكذا ألقت هذه القصة ، لتوضح هذا القول ولكي

وتصبح إطاراً جذاباً له . ولكن هذا التعليل مسرحى أكثر من اللازم ولا يمكن التسليم به .

(د) وقال غيرهم ، إن القصة ملحقة بمثل الفنى ولعازر (لوقا ١٦ : ١٩ - ٣١) . فنهاية ذلك المثل : «إن لم يؤمنوا بموسى والانبياء ، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون » وهكذا نسجت هذه القصة لتظهر أن «لعازر» قد قام من الأموات بالفعل ، حتى يحذر إخوته من المصير القاسى ، ولكن إخوته - أى اليهود - لم يؤمنوا بما قال بل استمروا فى عناد قلوبهم حتى ، يومنا الحاضر .. فاقامة «لعازر» تخريج رمزى ، ونسج تطورى ، للمثل الذى نادى به المسيح قبل ذلك .

هـ - على أننا نؤمن بالفعل ، بأن المعجزة حقيقية مائة فى المائة . وبغض النظر عن أنها تتفق ومعجزات المسيح ، ولها نظائرها الأخرى ، إلا أن هناك الكثير من الملاحظات التى تؤكد صحتها .

(أ) فهناك هوكب المسيح الانتصارى الذى التقى فيه سكان أورشليم بالسيد وهتموا له هتافهم لملك متصر . وكيف يمكن أن نفسر هذا اللقاء الخالد ، إلا على أساس حدوث هذه المعجزة التى انتشر ذكرها ، وأصبحت حديث كل لسان ؟

(ب) وهناك منطق التاريخ . فإزالت قرية بيت عنيا تقوم فى موضعها إلى الآن ، قرية تدعى لعازرية إشارة إلى «لعازر» .

(ج) على أن هذا ، لا يفسر لنا ، لماذا صمت البشرون الثلاثة : يقول البعض ، إن البشائر الثلاثة الأولى قد اقتضت تقريباً على ذكر أحداث الجليل ، بينما اتجهت البشارة الرابعة ، إلى تسجيل الأحداث التى واجهت المسيح فى اليهودية ، ومع أننا نجد هنا وهناك ما يناقض هذا الرأى ، إلا إننا نكتفى بالقول بأنه لم يحاول واحد من البشيرين عامة ، أن يقدم لنا سجلاً كاملاً وافياً ، عن كل ما صنعه «يسوع» من معجزات

خلال خدمته القصيرة التي بلغت ثلاث سنوات ونصف على وجه التقريب. ولم يكن غرض أحدهم ، أن يكتب لنا تاريخاً مفصلاً عن ذلك . وإنما ذكر كل منهم الأحداث التي حدثت في مخيمه ، وكأخت معرفة لديه ، أو تسلمها شفاهاً من باقي التلاميذ ، أو من العذراء المطروبة .

(د) على أن أقوى رأي هو الذي نادى به « فردريك غار » في كتابه « حياة المسيح »<sup>(١)</sup> حيث يقول إنه كانت هناك أسباب خاصة عند تدوين الإشارات الثلاث الأولى ، لتجنب ذكر تلك المعجزة التي أثارث رؤساء الكهنة وجعلتهم يدبرون المؤامرات لاغتيال « العازر » . فقد كان « العازر » على قيد الحياة . لقد تجنبوا ذكر تلك المعجزة حتى لا يسببوا المتاعب لأختين وادعتين . ويعرضوا حياة إنسان بأخيه المسيح لخطر محقق . وهكذا صمتوا عمداً عن ذكر المعجزة .

أما إشارة يوجنا ، فقد كتبت بعد ذلك بوقت طويل . ومن المحتمل جداً أن يكون « العازر » قد مات موتاً طبيعياً آنذاك . وهكذا لم ير البشير الرابع حرجاً في ذكر تفاصيل تلك المعجزة الخالدة .

٦٥٠ م. ومهما تقول المتقولون ونادى المشككون ، فإن الحقيقة الخالدة تبقى : إن هناك معنى روحياً ليستر وراء هذه القصة الخالدة . وهو أن ذلك الذي أحيى يوماً جسداً ميتاً ، بعد أن مكث في القبر أربعة أيام فانتن وتحلل ، هو على استعداد أن يحيى في كل حين أولئك الذين ماتوا روحياً ، وفاحت نواته عظامهم ، وآلامهم . . . إنه على استعداد أن يعيدهم إلى ملء البركة والحياة والقوة .

(١) « الفترة من عذارة إلى القرب »



يقول « روبرت مكفى » وقد خدم فترة من الزمن كواعظ في الجيش الأمريكى ، أنه كان مرافقاً لكتيبة يبلغ تعدادها ألفاً وخمسمائة جندى . كانت عائدة من اليابان للتسريح ، حينما اقترحت عليه جماعة منهم أن يعقد حلقات للدراسة أنجيل يوحنا . وقرب نهاية الرحلة وكانوا قد وصلوا إلى هذا الأصحاح ، أسرع إليه بحار وهتف له : « إن كل كلمة في هذه القصة صحيحة وهى تشير إلى . ثم روى كيف أنه قضى شهوره الستة الأخيرة في نيران الجحيم . فهو قد انقطع عن دراساته . وانخرط في سلك العاملين في البحار . ووصل به المطاف إلى بلاد اليابان ، وانغمس في الشر لأذنيه . وضاق ذرعاً بالحياة كما ضاقت الحياة به . وأوقعه الشيطان في ورطة مشينة كان يخشى أن يلاقى بها أسرته . وما كان أحد يعلم عن هذا شيئاً إلا هو والله . وأحس بأنه خسر كل شيء وانتهى أمره ، وأنه الآن ميت . . . ميت لاهياة له بعد ثم يقول . .

« ابتدأت أعود إلى كتابي المقدس ، حتى وصلت في دراستى إلى هذا الأصحاح ، وقرأت قصة إقامة «لعازر» من الموت . وبكيت حينما سمعت صوت السيد يهتف ليس له فقط بل لى أيضاً قائلاً : «هلم خارجاً» . وهكذا عدت للحياة » ، ثم يضيف « والآن أنا أعرف أن هذه المعجزة صحيحة مائة في المائة ، لأن «يسوع» قد أجراها هنا معى . لقد أعادنى من قبر خطاياى إلى ملء الحياة المباركة » .

وهذا خلاصة الأمر كله . فقد يقول البعض إن معجزة «لعازر» لم تحدث ولكننا نؤمن أنها حدثت بالفعل . لأنها خلال كل يوم ، منذ عشرين قرناً من الزمان ، مازالت تتكرر في حياة ملايين الملايين من البشر الذين كانوا موتى في قبور خطاياهم وآثامهم ، وأعادهم «يسوع» إلى الحياة .

ولكننا لوؤمن عن يقين ، أنه لاصعبوبة هناك تعرّض طريق إيماننا بهذا الحق الخالد الذى نادى به « يسوع » حين قال :

« أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولو مات فسيحيا . وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد » .

أؤمن بهذا ؟ !

## المفارقة الساخرة

فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ وَنَظَرُوا  
مَا فَعَلَ يَسُوعُ آمَنُوا بِهِ . وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى  
الْفَرِيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ . فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ  
الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ مَجْمَعًا وَقَالُوا مَاذَا نَصْنَعُ فَإِنَّ هَذَا  
الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً . إِنَّ تَرَكَنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ  
الْجَمِيعُ بِهِ فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا .  
فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . وَهُوَ قِيَافَا . كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ  
فِي تِلْكَ السَّنَةِ . أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا . وَلَا تَتَفَكَّرُونَ  
أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ  
الْأُمَّةُ كُلُّهَا . وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا  
لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ  
عَنِ الْأُمَّةِ . وَلَيْسَ عَنِ الْأُمَّةِ فَقَطْ بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللَّهِ  
الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ

## فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ .

(يوحنا ١١ : ٤٧ - ٥٣)

هذه الفقرة تقدم لنا صورة حية للسلطات اليهودية . فلقد أثارت أحداث بيت عنيا نائرة اليهود . فأصبح من المستحيل في نظرهم ، أن يستمر «يسوع» في عمله على هذه الصورة . فإن استمر هكذا صانعاً معجزاته ، فلا بد أن الأمة كلها تلتف حوله .. وها هي النذر تبدو . وها هي الجموع تتكدس عليه . ولذلك فلا بد من عمل حاسم .

وهكذا التأم مجمع السنهدريم . وفي ذلك المجمع كان ممثلون عن الكهنة وممثلون عن الفريسيين ، أما الفريسيون فلم يكونوا يوماً ما حزباً سياسياً على الإطلاق . لقد كان كل هدفهم الحفاظ على الناموس ، وحفظ الشعب في دائرته ، وعدم التعدي على حرف واحد فيه . فهم ما كان يهمهم أمر الرومان ، أو ما يحدث في البلاد من هزات سياسية ، طالما كانوا يعيشون حسب الناموس في ملء الحرية . أما الصدوقيون ، فقد كانوا حزباً سياسياً عنيقاً ، وكانوا يمثلون طبقة الكهنوت . . . الحزب الأرستقراطي . والحزب الثرى . إن كل همهم كان في مراكزهم .. في أموالهم .. في مقتنياتهم . ولذلك كانوا دائماً على استعداد ، أن يمدوا يد التأييد لروما ، طالما كانت روما تسندهم وتؤيدهم . ولقد كان كل الكهنة من طبقة الصدوقيين . ومن الواضح أن الصدوقيين هم الذين دبروا لإجتماع السنهدريم ، واستدعوا أعضاءه وأنهم هم الذين يسيطرون عليه . أى أن الصدوقيين هم أصحاب الكلمة فيه . ولبمسات سريعة خاطفة يصور لنا «يوحنا» طبيعة أولئك ، وموقفهم من «يسوع» . فهم يمثلون حقداً عليه ، وبغضاً له . يقول «يوسيفوس» عنهم « إن سلوك الصدوقيين فيه وقاحة حتى في تصرف أحدهم مع الآخر ،

وفي تعاملهم مع زملائهم جفاء ، كأنما مع الغرباء . « . أنتم لاتعرفون شيئاً .  
- هكذا يقول قيافا أى أنكم به فقدوا عقولهم . هنا نشاهد لمسة من تعالى  
الصدوقين وكبرياتهم وغرورهم ، بالقياس إلى محبة يسوع وعطفه وحنانه .

الأمر الثانى ، أن هدف الصدوقين الأساسى كان أموالهم . ومركزهم .  
وكان خوفهم من «يسوع» أن تؤدى شعبيته إلى التفاف الجماهير حوله .  
فيحدث شغب فى الشعب ، يؤدى إلى الثورة على المستعمر . وتكون النتيجة  
أن يلجأ الرومان إلى القوة . وربما انتهى الأمر إلى عزل الكهنة من مراكزهم ،  
ولم تكن روما على سعة صدرها وتسامحها ، إلا مضطرة فى بعض الأحيان  
أن تضرب بيد من حديد على كل من يحاول إثارة الشغب فى إمبراطورية  
عظيمة مترامية الأطراف كالإمبراطورية الرومانية . فإن كان «يسوع» سيرفع  
الروح المعنوية فى الشعب ، فتلتف حوله الجماهير ، وتظن أنها تستطيع  
بقوته المعجزية ، أن تقف فى وجه الحديد والنار ، فنهاية اليهودانية ،  
ولن يقف الرومان مكتوفى الأيدي ، ونهاية الكهنوت أيضاً والميكل ،  
سوف تكون على كف القدر . - لايمهم إن كان «يسوع» على حق ، أو على  
باطل ... لايمهم إن كان هو مسيح الله أو يدعى ذلك . . المهم مراكزهم  
جيوبهم .. ممتلكاتهم . المهم أثر هذه الحركة الجديدة التى يترجمها ذلك  
الشاب الجليلي على سلطانهم وأموالهم . لقد كانوا ينظرون إلى الأمور  
بمنظار واحد : ذاتهم ومنفعتهم . هكذا كان مقياسهم . وعلى هذا ما كانوا  
يهتمون بارادة الله ، أو خدمة الله .

ثم تأتى الحملة الدرامية الساخرة ، التى وقف التاريخ ضاحكاً منها ،  
وضحككت معه الأجيال ..

أحياناً يحدث أن تدور على المسرح أمام الجمهور أحداث مسرحية .

وقد يحدث أن ينطق ممثل بجملة ... جملة عارضة لا يدرك معناها ، ولكنها  
تحمى من المعاني أكثر مما يظن ، وأكثر مما يتصور . فجمهور الناظرين  
يدرك معناها أكثر مما يدركها هو . وهذا ما حدث بالتام مع « قيافا » ..

لقد نطق بجملة لم يكن يدري عمق معناها . . لم يكن يعرف أنها نبوة.  
لم يكن يدرك العمق البعيد الذى تنطوى عليه كلماتها . لقد نادى بأنه  
غير أن يموت « يسوع » عن الشعب من أن تهلك الأمة بأسرها .

ووافق الصدوقيون على قوله . واهتزت العمائم واللحى ، وما كانوا  
يدرون ، أنه لن يمضى على هذه النبوة أربعون عاماً حتى يتحقق ما كانوا  
يخشونه .

ومدة أربعين عاماً ، ليست بالفترة الطويلة فى حياة وتاريخ أمة . وهكذا  
بجيش جرار حاصر « تيطس » المدينة المقدسة .. فى فرصة أعياد الفصح قام  
بمحاصرتها ، حينما تجمع فيها ما يقرب من مليونين من الأنفس البشرية  
فهلك منها فى الحصار من هلك ، وصلب منها من صلبه الرومان ، والباقيون  
من الشباب ، حملوا أسارى إلى روما . وخرّب الهيكل واحترق مجد اليهودية  
وحرّثت المدينة المقدسة بالمحراث<sup>(١)</sup> . ما أعظم القارق الذى كان ممكناً أن  
يتم فى حياة ذلك الشعب ، لو اتخذوا طريقاً آخر غير توضيحهم بالمسيح .

لقد أراد الكهنة أن يتقلدوا الموضع المقدس ، وفى محاولتهم إنقاذه خربوه .  
ولقد كتبت بشارة يوحنا حوالى العام المائة بعد ميلاد المسيح ، أى بعد  
ثلاثين عاماً من خراب أورشليم . ومما لاشك فيه أن كثيرين كانوا يقرأون

---

(١) للاستزادة يستطيع القارئ أن يرجع إلى قصة « سقوط أورشليم » للمغرب .

القول الذى أثبته البشير عن «قيافا» ، وكانوا يضحكون ساخرين ، وصورة المدسة الخربة فى تخيلهم .

نعم . لقد نطق «قيافا» وهو واقف على مسرح الأحداث بجملته . ولكنه ما كان يدرى أنها نبوة . وما كان يدرى عمق هذه النبوة ، وما كان يدرى أنها نبوة ساخرة ، هزأ منها التاريخ والأجيال . ومع أنها قد تحققت فى موت المسيح عن الأمة بأسرها ليجمع أبناء الله المتفرقين فى العالم أجمع ، إلا أنها تمت بصورة مقلوبة على أورشليم ، وأبناء اليهودية .

تنبأ قيافا بنبوته ، كرئيس للكهنة أمام المجمع اليهودى المقدس . ولقد كان اعتقاد اليهود ، أنه حين يسأل رئيس الكهنة مشورة الله بخصوص مستقبل أمته ، كان الله يتحدث بواسطته ، ويقدم رسالته عن طريقه . أى أنه يصبح فى هذه الفرصة فى مركز نبي . فى سفر العدد نقرأ عن يشوع خليفة موسى الذى أصبح قائداً لبني إسرائيل ، أنه أراه مشورة الله .

فاصطحبه «موسى» إلى «العازار» رئيس الكهنة «فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون .. وأوقفه قدام العازار الكاهن» .. . فيقف أمام العازار الكاهن فيسأل له . . . أمام الرب حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون . . . كل الجماعة» ( عدد ٢٧ : ١٨ - ٢١ ) . هنا نرى رئيس الكهنة وسيطاً بين الله ، والناس ، وقناة توصل كلمة الله وأوامره إلى الشعب . وهكذا كان قيافا فى ذلك اليوم . لقد نطق بنبوته ، ولكنه لم يدرك عمقها ، ولم يفهم مداها . لقد كان يقصد أنه من الأيسر أن يضحى بفرد واحد فى سبيل إنقاذ أمة بأكملها . وكان هذا حقاً عظيماً ، ولكن بصورة أخرى ، وبطريق آخر أجد - إن الله فى مقدوره جل وعلا ، أن يتحدث برسالته عن طريق أى إنسان ، وبأية واسطة ، دون أن يعرف ذلك الإنسان

أوتدرك تلك الواسطة . . في مقدوره أن يستخدم حتى أبواق اللعنة ليوصل حقه للآخرين . كما حدث حينما تقدم « بلعام » بنبواته في القديم ..

ولقد كان مقدرأ ليسوع أن يموت ، لا لنجاة أمة واحدة ، ولا عن جنس واحد ، بل عن أبناء الله المتفرقين في العالم أجمع خلال العصور والأجيال - في كتاب نظام الكنيسة المعروف « بالديداكي » أو تعاليم الأثني عشر رسولا ، وهو كتاب أثري يرجع تاريخ كتابته إلى القرن الأول للميلاد ، كانت من الأقوال التي تردد عند كسر الخبز : « كما أن هذا الخبز جمع من الحنطة على الجبال ، في هذا الرغيف الواحد ، هكذا لتجمع كنيستك من أقصى المسكونة إلى أحضان ملكوتك » (ديداكي ٩ : ٤) . إن الحنطة التي تكون رغيف الخبز ، جمعت من أكثر من بقعة ، وهكذا سيأتي اليوم الذي فيه تتجمع عناصر الكنيسة وتتوحد في المسيح القادى الواحد .



## يسوع الخارج على القانون

فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضاً يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ عَلَانِيَةً  
بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْكُورَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْبَرِّيَةِ إِلَى  
مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا أَفْرَايِمُ وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تَلَامِيذِهِ

وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيباً . فَصَعِدَ كَثِيرُونَ مِنْ  
الْكُورَةِ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبْلَ الْفِصْحِ لِيُطَهَّرُوا أَنْفُسَهُمْ .  
فَكَانُوا يَطْلُبُونَ يَسُوعَ وَيَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَهُمْ وَاقِفُونَ  
فِي الْهَيْكَلِ مَاذَا تَتَطَنُّونَ . هَلْ هُوَ لَا يَأْتِي إِلَى الْعِيدِ . وَكَانَ  
أَيْضاً رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ  
إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ آيْنَ هُوَ فَلْيَكْتُبْ عَلَيْهِ لِكَيْ يَمْسِكُوهُ

( يوحنا ١١ : ٥٤-٥٧ )

لم يكن «يسوع» في حياته مجازفاً يسعى إلى المخاطر بغير داع . لقد كان  
على استعداد أن يضحي بنفسه ، ولكنه ما كان ليضحي بها بلا جدوى .

كما أنه لم يكن يخاف الموت لكنه ما كان يسعى إليه حباً في الموت . إن لكل شيء ميقاته لديه ، فلا فضيلة في التهور . وهكذا لجأ إلى قرية تعرف بقرية أفرام ، وتقع في المنطقة الجبلية شمالي أورشليم بالقرب من بيت إيل . ولقد ذكرت بيت إيل ، وقرية أفرام ، معاً في أخبار الأيام الثاني ( ١٣ : ١١ ) .

في تلك الأثناء ، كانت الجماهير من كافة بقاع العالم الكائن حينذاك ، تتوافد على المدينة المقدسة ، استعداداً لعيد الفصح . وكان على كل يهودي ذكر بالغ أن يحضر إلى الهيكل في فرصة العيد ، ليقدم الذبيحة عن نفسه . وكانت المراسم تقضى ، بأن من يشترك في العيد ، عليه أن يكون طاهراً . وكانت النجاسة الطقسية بحسب الفكر اليهودي ، تأتي عن طريق لمس أشياء ، وأشخاص . وعلى كل «نجس» أن يجتاز في طقوس ، وتقديمات وغسلات حتى يصبح طاهراً مؤهلاً للاشتراك في العيد . كانت وصية الناموس .. من يريد أن يشترك في ممارسات العيد ، عليه أن يطهر نفسه ..

وكان التطهير يجري في الهيكل . وحيث يجتمع اليهود معاً في حلقات ، وتلور بينهم المناقشات . وبطبيعة الحال كانت تلك المناقشات تدور حول أحداث الساعة .

وكان أكثر النقاش يدور حول « يسوع » ، ووقوفه في وجه رجال الدين ، فقد كانت المواقف الشجاعة تسهويهم . ولكنهم ظنوا أنه تراجع أمام العاصفة ، وأنه لن يحضر إلى أورشليم . فلا حول لهذا النجار الجليلي المتواضع ، يواجه به جبايرة الكهنوت اليهودي ، وعتاولة السياسة الثائرين لقد كانوا يقللون من قدر « يسوع » بالرغم من المعجزات التي أجراها أمام عيونهم ، وبين جموعهم .

فلما وافت الساعة التي حددها «يسوع» ، صعد إلى العيد. لما وافت الساعة لم تستطع قوة في الوجود، أن تمنعه من الصعود . إن كان هذا هو تدبير الله بالنسبة ليسوع ، فإن يسوع على إستعداد أن يواجه الموت ، والصلب وكل شيء في سبيل إتمام إرادة الله . يحدثنا التاريخ عن «لوثيروس» أنه كان يتحدى الأصدقاء الحذرين ، الذين كانوا ينصحونه بالحكمة والتريث ، والتبصر بعواقب الأمور .

وهكذا استمر في الطريق الذي اعتقد أنه حق ، رغم السكراولة ، والبابوات ، والملوك ، والأباطرة ، وكل الشياطين ، وقوات الجحيم معهم ، وحينما استدعى إلى ورمز ليقدم استجوابه ، عن «الإهانات» التي وجهها إلى مفاسد المجتمع الكنسي آنذاك ، وحذره الأصدقاء من الفخاخ التي قد تنصب له ، كان جوابه: «سوف أذهب إلى هناك ، ولو كانت ورمز مزدحمة بالشياطين ، بعدد الأشواك المعدنية التي على سطوح المنازل» .

وحيثما قيل له إن «الدوق جورج» سوف يقبض عليه أجاب : «سوف أذهب ولو أمطرت السماء دوقات نظير «جورج». هذا لا يعني أن لوثيروس لم يكن يحس بالخوف ، لأننا نعلم بعد ذلك أنه في لقائه مع أعدائه . وفي أثناء إدلائه بدفاعه أمامهم ، كانت ركبته تصطكان ، وصوته يضطرب ، ولكنه كان يملك من الشجاعة ماتغلب به على مخاوفه . ينبغي ألا يخشى المسيحي عواقب القيام بالواجب ، وليكن أخشى ما نخشاه ، هو عواقب عدم القيام بالواجب .

ومن الآيات الختامية لهذا الفصل ، نفهم أن «يسوع» قد أصبح بعد ذلك «طريد» العدالة اليهودية . ولعل السلطات الكهنوتية قد عينت مكافأة لمن يلدئ بمعلومات تساعد على القبض عليه . ولعل هذا هو الذي دفع يهوذا

إلى خيانتة المعروفة طمعاً في مكافأة الدم التي نالها . في هذه المرة أتى يسوع إلى أورشليم ، وظل الموت يحيم عليه .. أتى لامتخنيا عن عيون الناس ، ولا محتبئاً في بيوت أصدقائه ومعارفه ، بل أتى علانية ، أمام عيون الجميع مجتذباً أنظار الكل - مهما قال الأعداء عن يسوع فينبغي أن يحنوا رؤوسهم لإجلال وإكبار أمام هذه الشجاعة النادرة في مواجهة الموت الرهيب .

## المحبة المتلفة

### الأصحاحُ الثاني عشر

ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ  
عَنِيَا حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيِّتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ ..  
فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عِشَاءً . وَكَانَتْ مَرْتًا تَخْدُمُ وَأَمَّا لِعَازَرُ  
فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَكَيِّفِينَ مَعَهُ . فَأَخَذَتْ مَرِيَمُ مَنًى مِنْ طِيبٍ  
نَارِدِينَ خَالِصٍ كَثِيرٍ الْثَمَنِ وَدَهْنَتْ قَدَمِي يَسُوعَ وَمَسَحَتْ  
قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا . فَأَمْتَلَأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطَّيِّبِ . فَقَالَ  
وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الْإِسْخَرِيُوطِيُّ الْمَزْمُوعُ  
أَنْ يُسَلِّمَهُ . لِمَاذَا لَمْ يُبْعَ هَذَا الطَّيِّبُ بِثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ  
وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ . قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُبَالَى بِالْفُقَرَاءِ  
بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا وَكَانَ الْبُصْبُنْدُوقُ عِنْدَهُ وَكَانَ يَحْمِلُ  
مَا يُلْقَى فِيهِ . فَقَالَ يَسُوعُ أَتُرْكُوهَا . إِنَّهَا لِيَوْمِ

تَكْفِينِي قَدْ حَفِظْتَهُ . لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ .  
وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ

( يوحنا ١٢ : ١ - ٨ )

حتى ذلك الحين ، كان يسوع أقرب ما يكون إلى ختام حياته على الأرض .  
إن حقيقة حضوره إلى اورشليم ، للاشتراك في ممارسات عيد الفصح ، كان  
عملا غاية في الشجاعة . فقد أصبح بالفعل في مركز الطريد الخارج على  
القانون ، الذي تطالب العدالة به لتقتص منه ( يوحنا ١١ : ٥٧ ) . ولقد  
كانت اورشليم مزدحمة بالمعبد من القادمين من مختلف البقاع ، حتى لم يعد  
هناك بد من أن يلجأ « يسوع » إلى بيت أحبائه في قرية بيت عنيا ، التي أباح الكهنة  
اللجوء إليها رغم أنها خارج دائرة المدينة المقدسة ، وذلك لزيادة الحجاج  
المعبد في تلك السنة .

وحيثما جاء « يسوع » إلى بيت عنيا ، ذهب على التو إلى بيت لعازر ، وقامت  
الأختان بعمل وئمة له . ولم يقل لنا كاتب البشارة صراحة ، إن « يسوع » قد  
ذهب إلى هناك . ولكن يبدو من قرائن الحديث ، أن هذا حدث بالفعل  
ولإفأين كانت تخدم « مرثا » إلا في بيتها ؟ هناك فاض قلب « مريم » بالحب  
القامر لسيدها ، ومعلمها ، الذي أنقذ أخاها من الموت ، وأعادته إلى الحياة .  
وكانت تملك قنينة طيب نادر كثير الثمن ، يلقيه البشير بنا ردين خالص . والكلمة  
التي ترجمت ناردين ، وردت في بشارة مرقس بلفظ « بستكوس » في  
الأصل اليوناني ( مرقس ١٤ : ٣ ) . ومن الغريب أنه لأحد حتى يومنا  
الحاضر يعرف على وجه التحديد ، ما هو « البستكوس » أو الناردين .

قال البعض إنه من الأصل «بستكوس» كلمة معناها الأصل الذي لاغش فيه، وقال آخرون إنه يأتي من فعل في اليونانية يشير إلى مشروب ، وهذا يعني أن ذلك الطيب كان سائلا وليس متجمدا . وقال غيرهم إن الكلمة تشير إلى علامة تجارية كانت مشهورة في ذلك الوقت، حتى أنها لايجب أن تترجم إلا إلى « بستك نارد» كما وردت . وهناك من قال بأنها مشتقة من كلمة « بستاكيو » وهي ثمار الفستق . وأن الطيب كان مستخرجاً منه . على أية حال كان هذا الطيب ثميناً نادراً . بهذا الطيب النادر دهنت « مريم » قدي المسيح . أما يهوذا الأسخريوطي ، فقد رأى في هذا العمل إلتافاً لامرر له . فقد كان في الإمكان أن يباع هذا الطيب بثمان غال ، ويوزع ثمنه على الفقراء . ولكن « يسوع » أفحمه قائلاً ان عمل الرحمة مع الفقراء ممكن في كل حين ، لأن الفقراء بين ظهرانيتهم في كل وقت . ولكن إظهار روح الكرم من نحو المسيح لن يتاح لهم بعد الآن ، لأن وقته منذ الآن مقصر .. في هذه الفقرة نرى لمسات رائعة للشخصيات التي تعرض لها .

١ - فهناك شخصية «مرثا» . إنها دائماً أمام المائدة . . تعد الأطباق ، وتملؤها بالطعام ، وتجهز الخبز ، والفاكهة . هي على الدوام خادمة المطبخ . . إنها سيدة عملية تريد أن تظهر محبتها ليسوع بعمل ما . فهي لاتفهم الجلسة الروحية المائدة ، وهي لاتدرك معنى الحياة الخالصة التي تحياها أختها . إن دليل محبتها هو عمل يديها . فهي على استعداد أن تعطى لحييها ، كل ما تستطيع أن تقدمه .

كم من عظيم في المجتمع ، ما كان مقدر له أن يرتفع شأوه ويوقف على قدميه ، لولا محبة وعناية إنسانة في البيت، إما كانت ، أو أختا ، أو زوجة . . . إنسانة تضحي براحتها ، وبوقتها . وبمجهودها ، وبصحتها سبيل راحتها وإكرامه .

ومن جهة خدمة «يسوع» نقول ، إننا نستطيع أن نقدم له في خدمتنا لإخوته ، خدمة المطبخ والأوعية واليدين العاملتين في الخفاء ، مثلما يقدم له الآخرون بخدمة القم ، والتأمل ، والمنبر القوي .

٢ - ثم هناك شخصية «مريم» . و«مريم» فوق كل شيء وقبل كل شيء أحببت «يسوع» وفي محبتها ليسوع نرى صورة مثلكة للمحبة الصادقة .

(١) فزرى أولاً إسراف المحبة . . . كدت أقول إتلاف المحبة . فالمحبة الصادقة ، محبة متلافة ، لا تحسب حساباً لشيء . لقد أخذت «مريم» أئمن ما تمتلكه وسكته سكيناً إكراما ليسوع . إن المحبة لن تكون محبة حقيقية ، إذا كانت تحسب حساباً للنفقة . إنها تعطى كل مالديها . وتأسف لأنه ليس لديها أكثر من هذا الكل .

هناك قصة معروفة ، كنا نقرأها ونحن صغار ، عن إسراف المحبة ، أو المحبة المتلافة ، التي لا تحسب حساب النفقة ولا تقدر العواقب ، وهي للكاتب الأمريكي «أوهزى» كاتب القصة القصيرة المعروف . أما أحداث القصة فتدور حول عروسين «ديلا وجيم» كانا يجبان أحدهما الآخر للدرجة العبادية ، وكليهما فقيرين لا يملكان الكثير من حطام الدنيا . أما «ديلا» فقد كانت تنيه على صويحباتها بشعرها الجميل الذي يصل إلى خصرها . أما «جيم» فقد كان يفخر بساعته الذهبية التي ورثها عن أبيه . واقتربت فرصة عيد الميلاد . ولم يبق سوى يوم واحد . وراح كل من العروسين يفكر بمفرده في الهدية التي يقاچي بها شريك حياته . أما «ديلا» فقد ذهبت إلى محلل الشهور الصناعية لتبيع هناك أئمن ما تملك ، خصلات شعرها الذهبي الطويل ، وبالئمن الذي قبضته ذهبت ، واشترت سلسلة ذهبية لساعة حبيها .



أما العريس فقد عاد في مساء العيد ، ووقف واجما في مكانه ، وهو يتأمل شعر عروسه وقد قص إلى ما فوق الرقبة . « ليس لأني أحبك الآن أقل . . ولا لأن هذا قد أثر على جمالك ، ولكن » هكذا قال بأسى وهو يسلمها هدية العيد ، وكانت عبارة عن مجموعة من الأمشاط النادرة المصنوعة من درقة السلحفاة ، محلاة بالأحجار الكريمة ! وتمالكت نفسها ، وأسرعت لتحضر له هديته : السلسلة الذهبية ، وأمسك بها والدموع تملأ عينيه . . فقد باع ساعته النادرة ليشتري لها مجموعة الأمشاط !

لقد أعطى كل منهما أخاه كل ما يملك ، ولو أنها هدايا لم تقدر العواقب . إن المحبة الصادقة لا تفكر في النتائج حينما تعطى .

(ب) ونرى ثانيا إرضاع المحبة . لقد كان من علامات إكرام إنسان ، أن يمسح رأسه بمسحة الطيب . ونحن نجد المرثم يهتف بروح الإمتنان لخالقه قائلا : « مسحت بالدهن رأسي » . ( مزمو ٢٣ : ٥ ) ولكن «مريم» لم تطمح في مثل هذا الشرف العظيم ، أن تلمس بكفيها رأس المخلص . وهكذا مسحت بالطيب قدميه . لقد كان كل هدفها أن تكرم يسوع . ولكنها لم تحسب نفسها مستأهلة أن تقدم له يديها هذا الإكرام .

(ج) ونحن نرى علم شعور المحبة بكرامتها ، إنها لم تعمل حسابا لذلك . لقد مسحت مريم قدمي يسوع بشعر رأسها أمام أنظار الجميع . لقد جرت العادة في فلسطين ، في زمن المسيح ، ألا تكشف المرأة الوقورة عن شعرها أمام الجميع . فحالما تصبح الفتاة عروسا تلتف طيات شعرها ، وتربطه ، فلا يشاهد إنسان شعرها محلولا في مكان عام . لقد كان حل الشعر وتركه سائبا ، دليلا على أن صاحبه امرأة مستهتره وزانية . ولكن مريم لم تفكر في كل هذا . لقد نسيت

مشاعرها ، وكرامتها ، وحديث الناس عنها . لقد كانت تحب يسوع ،  
وفى جوالب عاشت معه فى ذهول عن أى شئ آخر ، أو أى مشاعر  
أخرى .

وهل يجوز لنا أن نتخذ من محبة أهل العالم منلا لتلك المحبة القدسية  
الصوفية ؟ ألم نرحيبين يسير أحدهما مع الآخر وقد تأبط الواحد ذراع  
أخيه ؟ والحديث يحلو ويطول ، والعيون يلتم أحدها الآخر ، والحركات  
السكرى تبدو واضحة أمام الناظرين ، وهما ، لا يحسبان حساباً لشيء ؟ بل  
الأيجادث أن يتعمد الأثنان إظهار هذه المحبة أمام الآخرين وكأنهما يقولان للناس :  
نحن نحب أحدهنا الآخر ، وما لكم أنتم ؟ هل وصلنا نحن إلى هذا الحد . .  
إلى حد المحبة الذاهلة التى لاتشعر بشيء ؟ هل ارتبطنا بيسوع بهذا الرباط  
القوى . وأحببناه هذا الحب ، وحرصنا على أن نعلن محبتنا له أمام الآخرين ؟  
أم أننا نخشى حديث الناس ، وأقوالهم ، وانتقاداتهم ؟ لقد أحببت مريم  
يسوع بهذا الفيض العميق الذى يغمر المشاعر ، ويغرق الكيان ، ويمتلك  
الأحاسيس ، ويترك الإنسان فى ذهول عن كل شئ سوى . . . هذا الحب ؟

(د) ولكن هناك شيئاً آخر عن المحبة هنا : تقول الآية « فامتلا البيت  
من رائحة الطيب . . . ونحن نعرف أن يوحنا البشير حينما يسجل لنا  
حدثاً من الأحداث فإنه يرمى إلى معنيين : المعنى الظاهرى ، ومعنى آخر  
خفى أكثر عمقاً ودلالة . وهناك الكثيرون من آباء الكنيسة ومن علماء  
الكتاب قد رأوا فى هذا القول معنيين :

أما المعنى الخفى فهو أن الكنيسة كلها - وما البيت الذى امتلأ بمحضر  
يسوع وبركاته بحضوره إلا رمز الكنيسة - وقد امتلأت إلى أجيال الأجيال ،

بذكر حبة مريم العطر ، وتضحيتها التي فاحت كرائحة الطيب . إن العمل الطيب لا يصبح ملكاً لصاحبه فحسب ، بل ملكاً للعالم كله ، إنه يضحي شيئاً ثمينا خالداً لا يستطيع الزمن أن ينتصر عليه أو يمحوه . وما قصص الحب الخالدة إلا أخذ القصص في هذا الكون . .

## تطرف المحبة

( يوحنا ١٢ : ١ - ٨ )

٣ - على أن هناك أيضاً شخصية «يهوذا الإسخريوطي» ، وحول شخصية يهوذا . . . نلاحظ أموراً ثلاثة .

( أ ) فيسوع يضع ثقته فيه ، بالرغم من أن كاتب البشارة ، يؤكد قبل ذلك بوقت طويل أنه عرفه كسلمه ( يوحنا ٦ : ٧٠ - ٧١ ) . ولعل «يسوع» أراد أن يلمس قلبه بلمسة الحنان ويجعله يستيقظ لنفسه حين عينه جامل الخزانة ، ومدبر شئون الجماعة . فهو بهذا العمل ، كأني به يقول له : «يهوذا» هذا دليل على أنني أحبك . واحتاج إليك ، وأثق بك . فلا تخيب ثقتي فيك » . ولقد فشل «يسوع» مع «يهوذا» ، لأن «يهوذا» اختار طريق الفشل - إن أسلم طريق نحاول أن نرجع به أنسانا إلى صوابه ، لا أن نعامله بالريبة والحذر ، بل أن نظهر له أننا مازلنا نضع ثقتنا فيه . لنعامله كأنما نتنظر منه السلوك الأفضل ، وليس السلوك الأردأ .

( ب ) ولكن التجربة تراوده . وهنا نرى أحد نواميس التجربة . فلم يضع يسوع تلميذه يهوذا نحازنا للهيئة لأنه كان يرى فيه بعض المؤهلات التي تؤهله لهذا العمل التدبيري . يقول « وستكت » في تفسيره . .

« إن التجربة تأتي الينا عن طريق مؤهلاتنا واستعداداتنا الطبيعية . . . عن الطريق الذى نكون أكثر تأهلا فيه » . فإن كان هناك انسان أعطيت له موهبة الحكمة فى جمع المال ، فإنه يجرب بأن يرى فى المال الضم الأكبر الذى يعبده . وإن كانت لأنسان مؤهلات المركز والزعامة بين الناس ، فإن التجربة تدفعه للسعى بكل جهده فى هذا السبيل ، وإفناء عمره وجهوده للوصول إلى مطامعه . إن كانت لأى انسان موهبة خاصة فإن تجربة الغرور والكبرياء والأندفاع ، تسلل إليه عن طريق إحساسه بهذه الموهبة الممتازة . لقد كانت ليهودا موهبة تدبير المال ، وشغف يهودا بجمع المال بكل الطرق والوسائل ، حتى أضحى فى النهاية لصا وسارقا ، وخائنا لسيدته . فى الترجمة الانكليزية المعتمدة ، يرد عن يهودا القول إنه كان « يحمل » الصندوق ، أو الخزانة . وكلمة يحمل فى الأصل هى « بستازين » . وهى تعنى يرفع ، ويحمل ، ويفشل ! والفعل ينشل بالمعنى العربى الدارج ، يختص بحرفة النشالين . وهكذا كان « يهودا » حاملا للصندوق ، وناشلا له أيضا . لقد تسلت إليه التجربة من حيث ازدهرت مواهبه

(ج) ونرى فى تصرف «يهودا» فى تلك الفرصة ، كيف يمكن أن ينقلب مدلول الشيء فى نظر من يتطلع إليه . لقد شاهد « يهودا » عملا مجيدا نجحى أمامه . . . عملا غاية فى الجمال والجلال ، ولكنه لم ير فيه مجدا ولا جمالا ولا جلالا . بل على التقيض من ذلك ، رأى فيه اتلافا لا مبرر له . إن نظرة الإنسان لشيء ما تنبع من أعماقه . . من الداخل . . من طبيعته الداخلة . إن كنا نحب إنسانا ، فإن كل ما يقوم به حلو ومجيد فى أنظارنا . ولكن إن كنا نبغض ذلك الإنسان ، فإن أجد خدماته ، وأعماله ، وصفاته ، تصبح فى نظرنا أنانية ، وفعية ، ودناءة . ولقد كان «يهودا» إنسانا يفيض قلبه

بالحقد والمرارة ، فأصبح الخلو مرأً في عينيه . . . إن كانت لنا العين المظلمة الناقدة ، فإننا نرى في النور ظلاماً كثيباً . إن العقل الملتوى يفهم كل شيء قتاماً وظلاماً . فإذا وجدنا أنفسنا وقد انسقنا في يوم من الأيام بصورة عكسية ، والعين المعتمة ترى كل شيء في تيار نقد الآخرين ، وإذا اكتشفنا أننا نبحث عن مثالبهم ، وعيوبهم ، ونرجع كل أعمالهم للدوافع غير نبيلة ، علينا أن نكف عن نقدهم ، ونتجه بالأولى إلى فحص أنفسنا . فإننا نكون حينذاك أولى بالفحص والنقد ، والاختبار .

( د ) وأخيراً نكتشف في العمل الذي قامت به «مريم» حقاً عظيماً عن الحياة : إن فرصة الخدمة قد تأتي أماننا مرة واحدة لا غير ، وعلينا أن نختنمها ولا نضيعها . كثيراً ما يراودنا الأحساس والرغبة ، بأن علينا أن نعمل عملاً كريماً ، كبيراً في خلعة الآخرين .

فنؤجله من حين لآخر ، ونرجئه إلى الغد . ولقد لا يأتي غد الخدمة على الإطلاق ، فتضيع الفرصة وتنتهي إلى غير رجعة ، أو يموت الدافع لها في أعماقنا ، ونحمد نداؤها .

إن الحياة غير ثابتة غير أكيدة . ومشاعرنا أيضاً غير ثابتة بل متقلبة . أحياناً نود أن نعمل واجباً ، أو نقول كلمة شكر ، أو نعبر عن محبتنا للإنسان ما . فنؤجل ذلك يوماً بعد يوم . فإما أن نحمد الرغبة الكريمة في أعماقنا وإما أن تنتهي حياة ذلك الإنسان وفي قلبه غصة من نحونا . وهكذا يتبخر الواجب ، وتضيع الخدمة الطيبة ولا يبقى لها مجال .

عن الكاتب الانكليزي والمفكر المعروف «توماس كارليل» ، يروي التاريخ أنه كان يحب زوجته «جان» حبة صادقة ، ولكنه كان عصيباً

سريع القلب ، حتى انها ما وجدت في الحياة معه ساعة هنيئة . وعلى حين غرة فاجأتها المنية - استمع الى ما يقوله الناقد « ج . ا فرود » عن مشاعره آنذاك . . « أحيانا ، كان يقضى الساعات مع مذكراتها ، وأوراقها . وأحيانا ، كان يدفن رأسه في حاجياتها وملابسها . وعادت إليه الذكريات القديمة ، في إطار أحزانه القاسية الأليمة ، تقض مضجعه ، ولا تدغه بنعم بليلة من النوم الهادىء . وفي لياليه المورقة الطويلة ، اكتشف أخيرا أنه كان السبب في متاعها وآلامها، وربما في موتها المبكر . وبدأت أخطاؤه مهولة رهيبة، تجلس على كرسي القضاء وتدينه .

فكان يصرخ من أعماق ضميره المقلب . . آه لو أراها مرة واحدة . . مرة واحدة فقط لمدة خمس دقائق ، إذأ لجعلتها توقن انى أحبا . . حبا جماً . . أحبا حتى في ساعات غضبي وثورتي . ومع ذلك ما عرفت . . ما عرفت يوما هذه الحقيقة . .

لقد كانت شكوى يهوذا أنه كان ممكنا استثمار هذا الطيب في خدمة الفقراء - كما يقول سفر التثنية . . « أعط . . . لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك في كل أعمالك . لذلك أنا اوصيك قائلا افتح يدك لأخيك المسكين » ( تثنية ٣٥ : ١١ )

ولكن الفقراء لا ينقطعون من الأرض ، ومساعدة الفقراء في وسع الإنسان القيام بها في أية ساعة ، أما تقديم الإكرام ، لمسيح على وشك أن يحتضنه الصليب القامى ، فينبغى ان يتم قبل فوات الأوان . ينبغى أن نسرع بالقيام بالواجب الآن، فلعل الفرصة لا تأتي على الإطلاق . ولعلنا نقضى بعد ذلك سخابة العمر ، نعص بنان الندم والحسرة ، حيث لا ينفع الندم ولا تجدى الحسرة .

## محاولة لتحطيم الدليل الناصح

فَعَلِمَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِّنَ الْيَهُودِ أَنَّهُ هُنَاكَ فَجَاءُوا لَيْسَ  
لِأَجْلِ يَسُوعَ فَقَطْ بَلْ لِيَنْظُرُوا أَيْضاً لِعَازَرَ الَّذِي أَقَامَهُ  
مِنَ الْأَمْوَاتِ . فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ  
أَيْضاً . لِأَنَّ كَثِيرِينَ مِّنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ  
وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ

(يوحنا ١٢ : ٩ - ١١)

لقد أصبح قادة اليهود الآن في موقف لا يحسدون عليه . نقول على وجه التحديد طبقة الصدوقين ، وكل الكهنة كانوا من الصدوقين . فقد أصبح الموقف بالنسبة لذلك الحزب الكهنوتي متأزماً من جانبيين . .

فمن وجهة النظر السياسية ، كان الموقف حرجاً للغاية . فلقد أسلفنا أن حزب الكهنوت ، كان الحزب الارستقراطي الثرى . ولذلك لانحطىء النظرة إذا قلنا إنهم كانوا ممالئين للمستعمر . يحاولون التوفيق بينه وبين الشعب .

لقد كان حزبهم هو حزب المبالاة ومحاولة التوفيق . فهدفهم الأكبر كان الحفاظ على مراكزهم وثرواتهم . وطالما كانوا محتفظين بكرامة السلطة الكهنوتية ، طالما كان لهم سلطانهم على الشعب ، فقد كانوا على استعداد أن يمدوا يد الصداقة للمستعمر .

وقد كان لروما من سماحة الصدر ، وسعة الفكر ، ما يجعلها تهب  
المستعمرات التي تحت سلطانها ، أكبر قدر من الحرية ، والحكم الذاتي .  
ولكن عند ظهور أدنى بادرة من الثورة والتمرد ، كانت تضرب ضربتها  
القاصمة بلا رحمة ولا هوادة . وكان أقصى الضرر يقع على رؤس المتريعين  
على كراسي الحكم ، فيتم عزلهم أو محاكمتهم إذا اقتضى الأمر ، لقد رأى  
الكهنة في «يسوع» بذرة ثورة وشيكة الانفجار بين الشعب أو على حد تعبير  
أحدهم ، كان الشعب نسيج الكتان المغسوس في الزيت المشتعل ، وكان  
يسوع الشرر الملتب ، ولا بد أن يأخذ النسيج من الشرر فيشتعل ويلتهب .  
لقد سرق «يسوع» قلوب الشعب . والتفت الأمة بأسرها حوله .  
وبدأت صناعة الكهنوت تبور .

وأصبح رجل الشارع ، ينظر في إستعلاء والتواء لصاحب العمامة والحية .  
فتكهرب الجو ، ولم يكن هناك بد من عمل حاسم يحمي حماسة الشعب ، ويقضي  
على الفتنة في مهدها ، ويعيد الأمور إلى نصابها - إذن فليذهب  
«يسوع» إلى غير رجعة .

ومن وجهة النظر الدينية ، كان «يسوع» خطراً لا يبارى على صناعة الهيكل ،  
وتعاليم الهيكل ، على الأقل في التعليم الأساسي الذي يعتنقه الصدوقيون  
ويروجون له أياماً رواج . فعلى النقيض من الفريسيين لم يكن الكهنة يؤمنون  
بقيامه الأموات . كانوا يؤمنون بأن حياتنا في هذا الوجود ، وحيثما يسدل  
الموت ستارته على الإنسان فهو الفصل الأخير في قصة الإنسان . وها هو  
يسوع يزلزل كيان هذا التعليم بمناداته بقيامه الموتى . . . ويؤكد تعليمه  
النظري بواقعة ملموسة محسوسة ، لا سبيل للدحضها أو انكارها ، هي  
اقامة لعازر من القبر ، وإعادته إلى الحياة . وها هم كثيرون يحجون إلى بيت



عنا جماعات ، ويصبح بيت لعازر قبائهم ، فيرون الميت حياً صحيحاً يسير على قدميه ، ويحرك يديه ، وينطق بشفتيه ، وشقيقته تلازمته ملازمة الظل ، والبيت الذى كان ينطلق منه صوت البكاء والعيول ، أصبحت ، تنطلق منه ترانيم الفرح ، وهنافات النشيد - وهكذا يؤمنون ويسجدون . وتعالى أسهم المعلم الجليلي في انظار الشعب الأمي الذي لا يفهم الناموس .

ماذا يفعل أولئك الصدوقيون في هذه « المأساة » ؟

لقد تأمروا ليقتلوا لعازر ليعيدوه مرة ثانية إلى القبر ، فيختفى الدليل القوي . يذكر أحد الكتاب (١) ، ملاحظة صدرت من سيدتين عجوزتين . في الفترة التي نادى بها « دارون » بنظريته المعروفة عن ارتقاء الإنسان .

وفهمت نظريته المعروفة على أن الإنسان قد تصاعد ونشأ وارتقى من حيوانات أدنى في الرتبة . حتى وصل إلى صورته الحالية ، قالت هاتان السيدتان إحداهما للأخرى : نأمل ألا يكون هذا صحيحاً . وإن كان صحيحاً دعينا نحمده بكل قوانا » - حينما يقرر إنسان أن يقيم الدليل على صحة رأى يتحطم كل الأدلة التي تناهضه ، فعنى هذا أنه على استعداد لاستخدام الطرق الملتوية لتأييد الباطل .

ولقد كان الصدوقيون على استعداد أن يخدموا الحق في سبيل مصلحتهم عند كثيرين . مصلحة الإنسان هي فوق كل اعتبار آخر . فهي أقوى الدوافع ، يتضاءل دونها كل دافع آخر . في ميدان الحياة الإجتماعية على سبيل المثال ، كثير من الاختراعات النافعة التي يمكن أن تؤدي إلى خفض سعر سلعة من السلع ، لا تظهر إلى حيز الوجود ، لا لسبب ، إلا لأن حقتة من

H.G. Wood. (١)

الرأسماليين المتفهمين ، الذين تضار مصالحهم بسبب مثل هذا الأختراع ، يشتركون براءة الأختراع من المسئولين ويدفعون المبالغ الطائلة في سبيل ذلك . هذا ما يحدث في غالب الأحيان . فالمصالح الذاتية تقتضى الدهاء والعمل السريع .

ولكى يحافظ الكهنة على مراكزهم ، ونفوذهم ، كانوا على استعداد أن يزيحوا البرهان الساطع من طريقهم .

وكم هو مؤسف أن يصل الإنسان إلى الحالة التي يخشى فيها الحق ، ويضع نصب عينيه مصالحه ، ومنفعته ، فوق كل اعتبار آخر .

## اسقبال ملكى

وَفِي الْغَدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعِيدِ  
أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ . فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ  
وَوَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ وَكَانُوا يَصْرُخُونَ أَوْصَانًا مُبَارَكًا الْآتِي  
بِاسْمِ الرَّبِّ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ . وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ  
عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ . لَا تَخَافِي يَا ابْنَةُ صِهْيُونَ .  
هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي جَالِسًا عَلَى جَحْشٍ أْتَانِ . وَهَذِهِ الْأُمُورُ  
لَمْ يَفْهَمَهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلًا . وَلَكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ حِينَئِذٍ  
تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هَذِهِ  
لَهُ . وَكَانَ الْجَمْعُ الَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ  
الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ . لِهَذَا أَيْضًا لَاقَاهُ الْجَمْعُ  
لَأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هَذِهِ الْآيَةَ . فَقَالَ  
الْفَرِيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنْظُرُوا . إِنَّكُمْ لَا تَنْفَعُونَ شَيْئًا .  
هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ

(يوحنا ١٢ : ١٢ - ١٩)

لقد كان عيد الفصح ، وعيد الخمسين ، وعيد المظال ، هي الأعياد الثلاثة الملزمة لكل يهودى . فى عيد الفصح كان اليهود يفدون من كافة بقاع العالم إلى أورشليم .

فهما بعدت الشقة ، وقلت الإمكانيات ، فقد كان مطمح كل يهودى أن يحج إلى أورشليم ، للمشاركة فى ممارسات الفصح ، ولو مرة واحدة فى العمر . بل إن اليهودى فى بلد غريب ، حينما يلتقى بأخيه معيداً معه عيد الفصح ، يادره بالتحية : « هذه السنة هنا ، والسنة القادمة فى أورشليم » . فى مثل تلك الفرصة كانت المدينة المقدسة تكتظ بمجموع الوافدين ، القادمين إليها من كل بقاع الأرض .

وعلى حد تقرير «يوسيفوس» ، حسبت الذبائح التى قدمت من الخراف فى العيد فى سنة من السنوات فوصلت إلى مايزيد على ربيع مليون ذبيحة . فاذا حسبنا عشرة من اليهود لكل رأس غنم ، فأننا نصل إلى رقم مذهل يصل إلى ما يزيد على مليونين ونصف مليون من الأنفس ، تكادسوا فى المدينة الصغيرة ، مدينة الملك العظيم فى عيد الفصح . وحتى إن كان هذا التعداد مبالغاً فيه إلى حد ما ، فالحقيقة تبقى ، أن الجموع التى تكادست فى أورشليم استعداداً لممارسات الفصح ، كانت بكثرة لاتصدق .

فى مثل تلك الفرصة فى عيد الفصح ، سرت الأنباء وسط الجموع ، أن يسوع الذى أقام ميت بيت عنيا ، فى طريقه مع تلاميذه إلى مدينة داود . وسارت قرية بيت عنيا تحيط بيسوع ، فى مظاهرة كبرى . وما أن اقتربت من أسوار المدينة الخالدة ، حتى التقت بها مظاهرة أكبر وأعظم ، قادمة من قلب أورشليم .

وانتقلت المظاهرتان . في ظاهرة السادة ، تهتف برئيس الموح الصاخب . أما « يسوع » فله كان مركزها . رتب على جوش ابن أتان . وارتمت المدينة كلها وهي تستقبل رب الجهد الوذيع استهبال الملوكة ، أما الكهنة فقد جن جنونهم وتولاهم اليأس . وهم يرون حتى الجموع التي كانت مكدسة في ساحة الهيكل تشتري البناج وتنقيها ، وتستبدل العدة الأمية بشاقل الهيكل ، وتعد العدة للفصح القادم ، حتى تلك الجموع . أصابها ما يشبه مس الجنون ، فأسرعت مندفعة من الهيكل ، صاحبة متدافة كوج البحر ، وهي تتساعل : من هذا ؟ .

هذه حادثة هامة في حياة المخلص ، يجدر بنا أن ندرسها ونفهم ملامتها . نودرس الجموع التي أحاطت به . . .

١ - فهناك بين الجموع من اتخذ موقف المتفرج ، فها هو إنسان يقول . عنه الشائعات إنه أقام ميتاً من بين الأموات . كذا لا بد أن يجتذب مثل هذا الخبر عدداً كبيراً من الناس لمجرد حب الاستطلاع . كثيراً ما يكون حب الاستطلاع - أفما لكثيرين للالتفاف حول صورة من الصور . وهذه الظاهرة يستغلها أصحاب الإعلان بتسليط الأضواء على هدف من الأهداف . ولكن مثل هذه الظاهرة لا تدوم طويلاً . إن الجموع التي تهتفت حول « يسوع » في تلك الفرصة بدافع الفضول وحب الاستطلاع لا غير ، دون أن تعرفه معرفة الاختبار ، وتتأصل فيه تأصل المحبة ، هي بعينها التي تهتفت بعد أسبوع واحد قائلة : « أصلبه أصلبه » .

٢ - وهناك من تهتف مرحباً بيسوع كالعظيم المنتصر . هذا هو الجو الذي يسود الصورة والذي تظهره أحداثها . لقد هتموا أمامه هتافاً ملكياً قائلين : « أووصنا . مبارك الآتي باسم الرب » . . . وأوصنا كلمة عبرية ترجمتها ،

« خلصنا الآن » . . . إنها هتاف ملكي يرادف في وقتنا الحاضر ،  
« عاش الملك » أو « حفظ الله الملك » الهتاف الذي يتردد في الدول التي  
يسودها النظام الملكي .

أما الكلمات التي حبي بها الشعب « يسوع » ، فهي مقتبسة من المزامير ( مزمور  
١١٨ : ٢٥ ، ٢٦ ) . « آه يارب خلص . آه يارب أنقذ . مبارك الآتي  
باسم الرب . باركناكم من بيت الرب » . أما هذا المزمور فله أكثر من طريقة  
لأستخدامه ، وهو يرتبط في أذهان الشعب بأكثر من مناسبة ، فهو آخر  
مزمور في مجموعة المزامير التي تعرف باسم « هلل » ، والتي تبدأ من المزمور  
المئة والثالث عشر ، وتنتهي بهذا المزمور المئة والثامن عشر . . أما كلمة  
« هلل » فتعني « سبح الرب » ، فهي مزامير تحفظ غيباً عن ظهر قلب .

وقد كانت هذه المزامير مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ، بالممارسات اليهودية في  
الهيكل ، في أكثر من مناسبة من المناسبات الدينية . كانت تتلى في فرص  
اشكر والحمد . وكانت جزءاً لا يتجزأ من تقاليد عيد الفصح . بل إن هذا  
المزمور على وجه التحديد ، كان مرتبطاً بمراسم العبادة في فرصة عيد المظال .  
وفي عيد المظال كان العابدون يحملون مظلات مصنوعة من سعف النخيل  
وأعواد الصفصاف والريحان ، تعرف باسم « لولاب » . وكانوا يحضرون  
بها لزيارة الهيكل كل يوم من أيام العيد . وفي كل يوم من أيام العيد ، كانوا  
يدورون حول مذبح المحرقات النحاسي الكبير ، مرة في كل يوم من الأيام الستة  
الأولى ، حتى إذا جاء اليوم السابع ، داروا حول المذبح سبع دورات .

وفي كل مرة ، كانوا ينشدون آيات من هذا المزمور ، وعلى الأخص  
الآية التي رددوها عند دخول المسيح الانتصاري لأورشليم . ويقال إن هذا  
المزمور ، كتب أول ما كتب ، في أول فرصة عيد مظال ، في أيام نحميا  
رسول الجهاد ، حينما أعاد بناء الأسوار المهلّمة ، ورسم المدينة الخربة ،

ليتمكن اليهود العائدون من سبي بابل أن يعبدوا الرب . ( نحميا ٨ : ١٤ -  
١٨ ) وقد ارتبط هذا المزمور ، بتلك الفرصة العظيمة ، وكان الشعب  
يعرف ذلك .

بلى أكثر من هذا ، كان المزمور المئة والثامن عشر هو مزمور الانتصار .  
فلقد رده الشعب هاتفين بمناسبة رجوع « سمعان المكابي » ظافراً منتصراً  
من حربه في سورية ، بعد أن انتزع عكاً من قبضة السوريين ، بعد أن  
فرضوا سلطانهم عليها قرابة قرن من الزمان . وهكذا لم يكن اعتباراً ،  
وبلا دلالات تاريخية مسبقة ، أن يهتف الشعب أمام « يسوع » بكلمات  
هذا المزمور الانتصاري . فقد كانوا يرون في « يسوع » المخلص  
المنقذ ، والمسيح المنتظر . . وليس غريباً بالتالي أن يحن جنون أصحاب  
العالم والحفي ، ويضربوا كفأ بكف ، ويقضوا أظافر الغيظ والمنقذ .  
لقد أصبح الشعب يضع « يسوع » جنباً إلى جنب مع أبطال الأمة اليهودية .  
ويرى فيه المنقذ المنتظر - قد يقول ناقد إن وعى الشعب لم يكن قد وصل  
بعد إلى المعنى الروحي ، والهدف الذي من أجله جاء « يسوع » . لقد  
فهم رسالته فهما خاطئاً ولكنه على أى حال كان يرى فيه بطلاً عظيماً .

والمسألة لا تزيد عن فسحة من الوقت ، فيها يضرب بالبووق ، فيهب  
الشعب نائراً ، حاملاً سيف النصر على أعدائه ، ساحقاً روما تحت النعال ،  
رافعاً راية اليهودية على العالم أجمع . لقد اختلط دخول المسيح إلى أورشليم  
بهتاف الظفر والانتصار . ودوت في أذنيه كلمات مزمور الأبطال . ولو  
أن هذا الهتاف قد أثقل نفس يسوع وآله ، فلم يفهم الشعب بعد حقيقة  
رسالته .

## استقبال ملكى

( يوحنا ١٢ : ١٢ - ١٩ )

٣ - وفى مثل هذا الموقف ، كان من الواضح أنه من المستحيل على يسوع أن يقدم رسالة للشعب ، أو يصحح خطأ وقع فيه أفرادهم . إن الجمهور الناظر ، لاطاقة له أن يستمع لنصح . إنه كاللوح الهادر ، لن يقف فى وجهه شىء .

ولو حاول السيد أن يتكلم ، لما لقي آذانا صاغية ، ولما استطاع أن يرفع صوته ، فيصل إلى كل مسمع فى هذه الجماعة . وهكذا قام «يسوع» بعمل رآه كل إنسان . لقد دخل المدينة على جحش ابن أتان ، ولهذا التصرف دلالتان ..

أما الدلالة الأولى ، فهى أن هذا التصرف كان إتماماً لنبوة قديمة ، نطق بها النبي «زكريا» ، قديماً ، واستشهد بها «يوحنا البشير» ، ولو أن هناك بعض الاختلاف البسيط فى المبنى ، وليس المعنى ، لأن «يوحنا» كان يسجل من الذاكرة : « ابتهجى جداً يا ابنة صهيون . اهتنق يا بنت أورشليم ، هوذا ملكك يأتى إليك وهو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » ( زكريا ٩ : ٩ ) . من الواضح جداً أن «يسوع» كان يربط هذا التصرف بتلك النبوة القديمة ، التى وردت عن المسيا بشخصه ، مثبتاً للشعب أنه هو المسيا المنتظر .

أما الدلالة الثانية ، فقد كانت تربط بعملية ركوب الحيوان الوديع الهادى ذاتها ، إننا نخطئ فهم مدلول عمل المسيح ، لو نظرنا إلى هذا العمل فى مفهومنا الخاطئ عن الحمار والأتان ، فلقد أسأنا فهم الحمار . إننا نرى فى هذا



الحيوان الهادى» رمز المذلة والمهانة والغباء . لكن هذا المفهوم لم يكن سائداً في المجتمع اليهودى ، في زمن المسيح ، وقبل عصر المسيح بأجيال وأجيال . لقد كانت صورة الحمار رمزاً للنبل والجلال – في سفر القضاة نقرأ عن « عكسة ابنة كالب » أنها في ليلة زفافها ، كانت تركب على حمار ( قضاة ١ : ١٤ ) . وفي سفر القضاة أيضاً نقرأ عن قاض لإسرائيل يدعى « يائير الجلعادى » – والقاضى كان في مركز الحاكم ، – هذا القاضى جلس على كرسي القضاة إثنين وعشرين سنة ، « وكان له ثلاثون ولداً يركبون على ثلاثين جحشاً . ولهم ثلاثون مدينة ... في أرض جلعاد » ( قضاة ١٠ : ٤ ) .

أما مفيوشث بن يوناثان بن شاول ، فقد جاء إلى داود راكباً على حماره . وعن « أختوفل » مشير أبشالوم، ورد القول أنه كان يركب على حمار ( ٢ صموئيل ١٧ : ٢٣ ) .

لقد كان الملك يركب الجواد حينما يخرج على رأس جيشه للقاء أعدائه ، فإذا أتى إلى مدينة في سلام، فهو يمتطي حماره ، ولذلك حينما دخل « يسوع » مدينة السلام ، دخلها في روح السلام راكباً على جحش ابن أتان .

فهو لم يأت في صورة القائد الفاتح ، ولم يأت في ثوب القائد المنتقم ، ولكنه أتى إلى مدينة داود كرئيس السلام – في تلك الفرصة ، لم يدرك أحد المعنى الخالد الذى قصده المسيح . حتى ولا التلاميذ ، الذين كانوا أقرب الكل إلى قلب المخلص ، وفكره . لقد دارت أفكارهم في دوامة هستيريا الجماهير الصاخبة .

وأخذتهم حماسة الجموع الثائرة، على أساس أحلامهم الوطنية الكاذبة .  
وهكذا لم يكن فيهم ، نفس الفكر الذي كان في المسيح يسوع ، ولم تكن  
لهم نفس رسالته واتجاهه . لقد كان «يسوع» في واد ، وكانت الجموع  
ومعهم التلاميذ أيضاً ، في واد آخر بعيد .

٤ - ولاننسى في الختام موقف السلطات اليهودية ، لقد أحسوا بعزلتهم  
وخيبة آمالهم ، . . وفشل جهودهم .

لقد كسب «يسوع» الجولة منهم . ونحن نستمتع إلى نعمة اليأس في  
قولهم: «العالم كله قد ذهب وراءه» . هنا ترى صورة واضحة للأسلوب  
الذي يتميز به البشير الرابع . فهو يستطيع في كلمات قلائل ، أن يقدم حقاً  
عظيماً ، بطريقة لا يستطيعها سواه . . . بل أن يقدم حقاً ينطق به شفاه  
الأعداء ، دون دراية ودون قصد . لقد أتى مسيح الله إلى العالم ، حياة للعالم  
لأجل خلاص البشرية . وهام رؤساء الكهنة يؤكدون ، أن الهدف قد تحقق ،  
أو هو في طريقه إلى التحقيق « فالعالم كله قد ذهب وراءه » .

وفي الفقرة التالية ، سنرى سفارة لليونانيين قادمة ليسوع ، ممثلة للأمم في  
تقديمها الأكرام لشخصه العزيز . . هنا يتحدث «يوحنا» عن دائرة اليهود ، وفي  
الفقرة القادمة عن دائرة الأمم - حقاً لقد تحدث رؤساء السلطات اليهودية  
بالصدق ، حينما قالوا بأن العالم كله قد ذهب وراءه . « والحق ما شهدت  
به الأعداء » .

ونحن لانستطيع أن نترك التأمل في هذه الفقرة ، دون أن نلاحظ شيئاً  
بسيطاً . فلم يحدث في تاريخ الأمم والممالك ، أن قدم مثل هذا الأكرام  
لشخص في مركز «يسوع» وموقفه ، ولم يحدث أن أحداً وقف في موقفه

وتحدى السلطات الحاكمة نظيره ، ومع ذلك نال كل هذا الإكرام . لقد كان يسوع طريد العدالة اليهودية .. كانت المكافأة مرصودة لمن يرشد عنه ، أو يدل السلطات عليه . إن المكائد تدبر ضده ، والمؤامرات تحاك حوله ، وأعداؤه في طريقهم لتصفية الحساب العسير معه . ومع ذلك ، لم يحسب حساباً لشيء . لقد كانت الحكمة تقتضى أن يختبئ «يسوع» قليلاً ، أو أن يجد ملاذاً له بين مواطنيه وأحبائه من أبناء الجليل . لقد كان في وسعه أن يعود إلى الجليل ، أو يقضى فرصة في البرية .

فإذا أراد أن يأتي إلى اورشليم ، فقد كان ممكناً أن يأتي متخفياً ، وليس علناً وعلى رؤوس الأشهاد .

لكنه أتى ، مسلطاً على نفسه كل الأضواء . لقد كان في عمله هذا في قمة الشجاعة والسمو ، والمحبة ، لأنه كان في عمله هذا ، قائماً أحضان محبته للمرة الأخيرة لأبناء شعبه ، وأمته ، معطياً إياهم الفرصة النهائية ليعيدوا التدبير في طريق عنادهم وتمردهم .

## اليونانيون ويسوع

وَكَانَ أَنَا يُونَانِيُونَ مِنْ الَّذِينَ صَعِدُوا لِيَسْجُدُوا  
فِي الْعِيدِ . فَتَقَدَّمَ هُوَ إِلَى فِيلِبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا  
الْجَلِيلِ وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ يَا سَيِّدُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ .  
فَأَتَى فِيلِبُّسَ وَقَالَ لِأَنْدَرَاوَسَ ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوَسَ وَفِيلِبُّسَ  
لِيَسُوعَ .

( يوحنا ١٢ : ٢٠-٢٢ )

لم يذكر واحد من البشيرين في البشائر الثلاث الأولى هذه الحادثة ،  
ومع ذلك نراها ثلاثاً تماماً منطق البشارة الرابعة ، وهدفها . لقد كانت  
الغاية الأساسية من البشارة الرابعة ، تقديم المسيح لليونانيين ، تقديم المسيح  
لهم ، بصورة يدركونها ويصلون إلى معناها . ولذلك كان من الطبيعي في  
بشارة لها مثل هذا الهدف ، أن تخصص هذه القصة مكاناً .

وليس من الغريب أن يكون هناك يونانيون في فرصة الفصح ، حتى  
ولو لم يكونوا من اليهود الدخلاء . لقد كان الشعب اليوناني يحب الهجرة ،  
والمغامرة . وكانت له الرغبة في أن يكتشف كل جديد ، ويعرف كل  
تعليم جديد .

يقول أحد القداى : « إنكم أيها الأثينيون لا تهتدون في أَمَاكنكم ،  
ولا تدعون الآخرين ينعمون بالهدوء » .

ويقول آخر : « إنكم أيها الإغريق كالأطفال ، صغار على الدوام في أرواحكم ». وقبل عصر المسيح بما يزيد على خمسمائة عام ، قام «هيرودوت» المؤرخ اليوناني برحلته الشهيرة ، في العالم الكائن حينذاك ، ليكتشف كل شيء . وهناك في أقصى جنوب وادى النيل ، يقوم تمثال مصرى قديم نقش أحد الرحالة الأغريق اسمه على قاعدته ، كما يفعل كثيرون مجرد الذكرى . لقد كان اليونانيون يجوبون البحار للتجارة ، وتوزيع بضائعهم ، ولكنهم كانوا يهاجرون إلى أكثر من بلد بعيد ، مجرد حب الهجرة لاغير . لذلك ، لاغرابة أن نجد يونانيين في فرصة عيد الفصح في أورشليم .

على أنه كان هناك دافع آخر غير التجارة ، والهجرة ، يدفع اليوناني لركوب الأخطار ، والهجرة للأمصار ..

فقد كان في طبعه البحث عن الحقيقة . ولم يكن من الغريب ، أن نجد اليوناني ينتقل من مدرسة في الفلسفة إلى مدرسة أخرى . ويتلمذ على يدى هذا المفكر ، ثم يهجره إلى مفكر آخر ليعتنق أفكاره ، ويؤمن بأرائه . ويدين بالطاعة لذلك الرعيل من الآلهة ، ثم سرعان ما يهجرهم إلى آلهة أخرى . لقد كان البحث عن الحق والحقيقة ، طبيعة ثانية في كل يوناني .

ترى كيف وصل أولئك اليونانيون إلى معرفة «يسوع» ؟ وكيف وصلت أخبار «يسوع» إليهم ؟ . يتقدم «ج . هـ برنار» بحل من المفيد إثباته . ففي الأسبوع الأخير من خدمته على الأرض ، قام «يسوع» بتطهير الهيكل . وطرده الصيارفة وباعة الحمام من ساحته . أما أولئك الباعة . والتجار ، فقد كان مكانهم في ساحة الأمم ، وهو أول رواق من أروقة الهيكل ،

وما كان مسموحاً لأى منهم ، بأن يتخطى هذا الرواق ولاعرض نفسه للموت .  
لذلك فمن المحتمل جداً أن أولئك اليونانيين كانوا فى رواق الأمم ، وشاهدوا  
بأعينهم حادثة تطهير الهيكل ، فأرادوا أن يعرفوا أكثر عن ذلك الشاب ،  
الذى استطاع أن يتحدى الكهنة فى عقر دارهم ، ومهما يكن من أمر ،  
فهذه واحدة من اللحظات العظيمة ، الملهمة فى حياة المسيح ، التى تشع  
أمامنا بنور باهر . فيها نرى أول خطوة لإشراق نور الإنجيل على  
الأمم ... وأتى اليونانيون إلى «فيلبس» أولاً ، ولماذا فيلبس ؟ لأحد يستطيع  
أن يجهد بالذات لماذا اتجهوا إلى ذلك التلميذ .

ولكن ربما يكون أن اسم فيلبس كان يونانياً . وهكذا ظنوا أن إنساناً يحمل  
اسماً يونانياً ، يكون أكثر تعاطفاً معهم ، ومع أفكارهم . ولكن «فيلبس» كان  
فى حيرة .. ماذا يفعل . وهكذا استعان بزميله «اندرائوس» . فأتيا بجماعة  
اليونانيين إلى «يسوع» .

أما «اندرائوس» فقد اكتشف على الأقل شيئاً جديداً فى معلمه — أن  
يسوع لا يعتره الضيق من إنسان يبحث عنه . وأنه لن يخيب رجاء سائل  
يسأله ، ولن يعلق الباب فى وجه من يقصده . لقد عرف أن باب  
«يسوع» على الدوام هو الباب المفتوح .

## اللغز المذهل

وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمَا قَائِلاً قَدْ أَتَتْ السَّاعَةُ  
لِيَتِمَّجِدَ ابْنُ الْإِنْسَانِ . الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ لَمْ  
تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتَ فِيهِ تَبْقَى وَخَدَاهَا .  
وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ نَأَتَى بِثَمَرٍ كَثِيرٍ . مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ  
يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى  
حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدُمُنِي فَلْيَتَّبِعْنِي . وَحَيْثُ  
أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي . وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ  
يَخْدُمُنِي يُكْرِمُهُ الْآبُ .

( يوحنا ١٢ : ٢٣ - ٢٦ )

ولا توجد في العهد الجديد فقرة صدمت سامعها لأول مرة ، قدر  
ما صدمت هذه الفقرة أساع اليونانيين وأفكارهم . إنها تبدأ بتقرير حقيقة ،  
تبدو في ظاهرها عادية منطقية . . يتوقعها كل إنسان . ثم تختم بتصريحات  
أبعد من أن يتوقعها أى إنسان .

قد أتت الساعة ليمجد ابن الانسان ... هكذا بدأ «يسوع» حديثه .  
وما هو مفهوم هذا التمجيد لدى «يسوع» ؟ لقد كانت الأمور تزداد تأزماً

بالنسبة له . الغيوم تتجمع في الأفق ، لكن مفهوم هذه الأزمة عند يسوع ، كان يختلف عن مفهومها عند الآخرين .

وحينما نسمعه يتحدث عن ابن الإنسان، ينبغي أن نضع في فكرنا أيضاً. أنه كان له مفهومه الخاص، الذي يختلف عن مفهومه عند اليهود في ذلك الحين ولكي نفهم معنى ابن الإنسان عند اليهود، لنترجع إلى سفر نبوات دانيال ( ٧ : ١٣ ، ١٤ ) . في هذه الفقرة، أخفقت الترجمة الإنكليزية المعتمدة في الوصول إلى المعنى ، فنقلت الكلمة « شيه ابن الانسان » . ولكن الترجمة الصحيحة، توافق ترجمة فانديك العربية التي بين أيدينا : « كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقيومه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوته لتتبعه له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي مالن يزول . وملكوته مالا ينقرض » وهناك خلاف كبير بين ابن الإنسان ، وشبه ابن إنسان .

ولو أردنا أن نعرف الفارق ، لتأمل الصورة كلها — في نبوات دانيال ( ٧ : ١ - ٨ ) يصف كاتب السفر في رؤياه، الممالك الوحشية التي سادت على العالم القديم : الآشوريين ، والبابليين ، ومملكة مادي ، وفارس .

ولقد كانت هذه الممالك من الوحشية، حتى أنه ينطبق على كل واحدة منها ، صور الوحوش التي ترمز إليها .

الأسد بأجنحة نسر ، والدب وفي فمه الثلاثة ضلوع ، والنمر بأجنحته الأربعة ، ورؤوسه الأربعة . ثم الحيوان الرابع الوهيب ، بأسنانه التي من حديد ، وقرونه العشرة . هذه الممالك ، رمز القوة والبطش والجرروت ،



ولكن ، ستأتى على العالم مملكة جديدة ممثلة فى شبه ابن انسان ، ليس فى صورة الوحوش الكاسرة ، بل فى شبه الإنسان ، وفى روح الإنسانية الصادقة إن الرؤيا التى رآها النبي ، تشير إلى أن عهد الوحشية والبطش الدموى ، واستغلال الشعوب ، وامتصاص دمايتها ، هو فى طريقه إلى الزوال ، وأن عهداً جديداً مباركاً ، سيشرق على الإنسانية جمعاء .

وهذا كان حلم اليهود . لقد كانوا يحلمون بعصر ذهبي سعيد ، تحلوا فيه الحياة بالنسبة لهم فيجلس كل واحد تحت كرمته وتحت زيتونته ، وما من مضايق .

ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا ، وهم نفر قليل ، لاحول له ولا قوة ؟ تقول رؤيا « دانيال » إن ذلك العصر السعيد ، لن يأتي على الأرض بقوة البشر ، ودهائمهم ، بل سيأتي بتدخل إلهي من السماء . سوف يرسل الله مسيحه إلى العالم ، ليحقق ذلك الحلم المجيد . وما أنسب أن يلقب ذلك المسيح .. ذلك الرسول من السماء ، بلقب ابن الإنسان ؟ وهكذا تحول الرمز إلى شخص وركزت الرؤيا فى إنسان . وأصبح لقب ابن الإنسان ، يطلق على رسول الله أو مسيح الله ، الذى سيرسله إله السماء إلى العالم ، ليحقق ذلك الحلم ..

وإننا لنجد تأكيداً لهذه الحقيقة ، وتكراراً للقب ابن الإنسان ، إبان السبي ، وفى وقت الأزمات التى كانت تحيط بالأمة ، فى فترة ما بين العهدين ، وهى فترة تقرب من خمسمائة عام ، تميزت بهزات عنيفة ، وصممت فيها السماء عن التحدث بلسان الأنبياء ، نرى مجموعة من الكتابات غير القانونية ، ( الأبوكريفا ) ، تظهر فى تلك الفترة . فى أحد هذه الأسفار ويدعى سفر أخنوخ ، نرى الكاتب يتحدث أكثر ما يتحدث عن ابن الإنسان ، فيصوره فى صورة شخصية قوية يحتجزها الله لساعة معينة ثابتة . ومتى دقت تلك

الساعة، سيطلق الله ابن الإنسان، فيأتي إلى العالم بقوة غير عادية، وسلطان معجزى، ولاستطيع قوة بشرية أن تقف في وجهه، فيرعى الأمم بقضيب من حديد، ويكسرهم كما يكسر إناء من خزف، ويثبت أركان ملك إسرائيل من أقصى الأرض إلى أقصاها .

وعلى ذلك، فقد كانت صورة ابن الإنسان في الفكر اليهودى، هى صورة الفاتح العظيم المنتصر المرسل من الله. وهكذا قال «يسوع» لدهشة سامعيه «قد أتت الساعة لينتجد ابن الإنسان» متخذاً ذلك اللقب لنفسه .

وحينما نطق بهذا القول، تكاد نقول إن الذين حولوه، قد أمسكوا أنفاسهم دهشة وتديباً، وتوقعاً لأحداث خطيرة. فليس بعسير على ذلك النبي الجليلي المعجزى، الذى ينادى فيخرج الميت من قبره - ليس بعسير على ذلك النبي أن يدعو جحافل السماء وجيوشها لنصرة شعبه. بل من يدرى؟ لعل صوت البوق سيدوى الآن، ولعل العلامات المنتظرة ستفاجئ الحاضرين. ولعل آيات الانتصار ترفرف حولهم وهم لا يدرون. ولكنهم ما كانوا يدرون أن تمجيد ابن الإنسان في فكر «يسوع»، كان يختلف كل الاختلاف عن تمجيده في تصورهم هم. لقد كان تمجيد ابن الإنسان في فكرهم، هو إخضاع كل الأمم له، وسجودهم عند قدميه. وكان تمجيد ابن الإنسان في نظر يسوع، هو خضوعه لأقصى أنواع الموت، موت العار والصليب .

حينما ذكر ابن الإنسان، تصورت الجموع كتائب الملائكة في مركباتها النارية، وحينما ذكر «يسوع» ابن الإنسان كانت في مخيلته صورة ثيران باشان وهى تهجم عليه، وتقبب يديه وقدميه .

وهكذا أثار أول جملة نطق بها يسوع، قلوب سامعيه. ثم تبعها جمل أخرى، جعلت السامعين يترنحون في دهشتهم. فقد نقضت كل قصور

أحلامهم ، وزعزعت ببيان رجائهم الأرضى . ولقد أعلن «يسوع» في هذه الأقوال بنود انتصاره ، ولكن على أساس تضحيته وموته وعاره . ونحن لن ندرك موقف «يسوع» ، ولن ندرك موقف اليهود منه ، حتى نفهم كيف حول أمام أعينهم حلم الإنتصار ، إلى رؤيا الصليب . ولا عجب أن تراهم لا يفهمون . إن مأساتهم تكمن في أنهم رفضوا أن يفهموه .

### اللغز المذهل

( يوحنا ١٢ : ٣٢ - ٢٦ )

وماذا كان يقصد «يسوع» ، بالكلمات التي نادى بها أمام اليونانيين ما هو هذا اللغز المذهل الذي نطق به ؟ وما هي التعاليم التي ينطوى عليها هذا اللغز ؟  
أعتقد أن هناك ثلاثة أمور رئيسية ، تدور حول حق واحد جوهرى وتتغلغل إلى أعماق الإيمان المسيحى ، والحياة المسيحية . . وكلها نجدها في ثنايا هذه الفقرة . .

١ - لقد كان «يسوع» يؤكد في أقواله أنه لاجياة بغير موت ، وأن الموت هو طريق الحياة . فحبة الخنطة لا تأثر لها ، ولا ثمر ، ولا ازدهار ، طالما ظلت محتفظة بكيانها وذاتيتها . ولكن حينما تلقى في التربة ، وتدوسها الأقدام ، وتدفن في الطين ، وتحلل ، تخرج إلى عالم النمو والازدهار . . بالموت تولد الحياة . . بموت الشهداء تتوالد الكنيسة وتزدهر ، كما ورد في القول المأثور : «دم الشهداء يذار الكنيسة ، فلولا دماؤهم التي رووا بها نبتة الكنيسة الطفلة ، ما ازدهرت تلك النبتة وعلا ساقها ، وامتدت أغصانها ، ولن نتوقع أموراً عظيمة إلا عن طريق التضحية والبذل ، وسفك الدم ، والموت» .

بل إن هذا الحق ينطبق أيضاً على حياة الأشخاص . فإلم يصلب الإنسان ذاته ، ويموت عن رغائبه ، فإنه لن يصبح ذا نفع في ملكوت السموات .

هناك قصة تروى ، عن أحد رؤساء أساقفة كانتربري ، ويدعى « كوزمو لانج » ، أنه كانت له مطامعه العالمية العظيمة . ولكن صديقاً أثيراً لديه . أشار عليه بدخول كنيسة إنكلترا ، ونبذ أحلامه الدنيوية .

وبينا كان يصلى في الكنيسة ، وكان وقتها طالبا يدرس اللاهوت ، إذا به يسمع نداء لا تخطئه أذن إنسان « أنت هو الشخص المطلوب » . ولو كان قد تمسك بمطامعه الأرضية ، لما استطاع أن يصل إلى مركزه الكنسى ، وخدمته المباركة . ولكنه حينما عرف كيف يذفن أحلامه ، أصبح له مكانه في مجال خدمة الله — بالموت نصل إلى الحياة . . . . . بالإخلاص للمبدأ الذى نعتنقه حتى الموت ، تولد الإنجازات العظيمة التى تفخر بها البشرية . . . . . بموت الرغائب الذاتية والمطامع الشخصية ، يصبح الإنسان أداة نافعة وإناء مكرساً لخدمة الله .

٢ — أيضاً أننا بانفاق الحياة ، نحفظ بالحياة . وكلنا نحب الحياة ، ونود الحفاظ عليها . وهناك دافعان يستتران وراء حب الحياة . الدافع الأول هو الأناية ، والثانى هو الرغبة فى الأمان . إن المصلحة الشخصية ، والأمان ، هما الدافعان لحب الحياة ، وهما القوتان العاملتان لاستمرار الحياة . وكم من مرة أعاد المسيح تأكيد الحق الذى نادى به ، إن الذى يخبزن حياته ، ويجهد فى الحفاظ عليها ، ويحيطها بأسوار منيعة ، هو الذى ينحسر فى نهاية المطاف ، ولكن الذى يفتق حياته ، هو الذى يكسبها فى النهاية .

فى تاريخ العمل التبشيري ، ظهر مبشر إنجيلي شهير يدعى « كرسما س ليفانز » ، وعلى الدوام لم يكن هذا المبشر يألو جهداً ، فى القيام بواجبه فى

خدمة المسيح ، وتقديم بشاره الحياة للنفس المالكة . وكثيرا ما نصحه أصدقاؤه بأن يخفف قليلا من الجهد الذى يبذله .

فكان جوابه « من الأفضل للحديد أن يلتهب بالنار ويتوهج ، من أن يترك ليأكله الصدا » . وهذا مبدأ عظيم - من أراد أن يكسب حياته فليضفها . . .

وعندما تأزمت الأمور بالنسبة للشهيدة ، البطلة الفرنسية « جان دارك » وعرفت أن أعداءها يزدادون قوة ونفوذاً ، وأن الحبائل الماكرة تضيق حولها ، كانت صلاتها على الدوام : « لم يبق لى فى هذه الحياة إلا عام أو بعض عام ، استخدمنى يارب كما تشاء » . وإننا لنجد يسوع يؤكد هذا الحق ويكرره مرة تلو الأخرى ( مرقس ٨ : ٣٥ ، متى ١٦ : ٢٥ ، لوقا ٩ : ٢٤ ، متى ١٠ : ٣٩ ، لوقا ١٧ : ٣٣ ) .

وكم كان العالم يكون أكثر فاقة ، وأقل انتفاعاً وتقدماً ، وكم كانت الإنسانية تخسر الكثير ، لو لم يكن هناك أشخاص ، على استعداد أن ينسوا مصالحهم ، وأمانهم الشخصى ، ومنفعتهم ، فى سبيل خدمة الآخرين . وكم العالم مدين بالكثير ، لأولئك الذين أنفقوا قوتهم ، وحياتهم ، فى غير تحفظ ، وما حسبوا حساباً لشيء ، فى ميدان خدمة الله ، وخدمة إخوتهم .

صحيح إن الحياة الهادئة الحالية من الهزات العنيفة ، والتوتر ، والقلق ، قد تضمن لنا ، بحسب النظرة الجسدية ، عمراً أطول ، أو إن لم يكن الأمر كذلك ، حياة أكثر نعومة ، وهدوءاً . إن الزوج الجالس على الدوام بجوار المدفأة ، وإلى جانبه زوجة وفيه تهيئ له كل وسائل الراحة والسعادة ، أو الرجل الذى لاهم له ، إلا الحفاظ على صحتة بكل السبل ،

قد يضمن لنفسه عمراً أطول ؛ لكنه لن يحيا على الإطلاق . . . لن يعرف معنى الحياة الحققة . .

٣ - ويؤكد «يسوع» أيضا، أن الخدمة هي طريق العظمة الحقيقية . إن أولئك الذين يذكرهم العالم بكل إجلال وإكبار ، هم الذين خدموا الإنسانية أكثر من سواهم .

من جدول أعمال جيش الخلاص في مدينة ليفربول ، نعرف أنه كانت هناك سيدة تعرف باسم « مسز برويك » ، أدت خدمات جليلة هناك . وأخيرا تقدمت بها السن ، في الوقت الذي نشبت فيه الحرب العالمية ، وكانت آنذاك في مدينة لندن ، والغارات الجوية على أشدها . وكان أهل بلديتها يتساءلون ماذا عساها فاعلة ، وقد قل جهدها ، وتضاءلت امكانياتها . .

ولكنها أرادت أن تقوم بخدمة ما ، وهكذا اشترت صندوقا للاسعافات الأولية ، ووضعت لافتة على باب بيتها : « إن كنت في حاجة للإسعاف إطرق الباب » . هذا هو موقف المسيحي من إخوته . صحيح انه من العسير علينا أن نتعلم درس الخدمة الإيثارية المضحية بالنفس والنفيس ، في مجتمع أناني إقتنأى . وكثيرون يدورون في عجلة الخدمة العامة ، يدافع الوظيفة لا غير ، ويشتاقون إلى اليوم الذي فيه يستعفون من خدماتهم ، ليضعوا بسنوات الهدوء والراحة . وغيرهم لا هم لهم إلا تكديس المال ، والأثراء السريع وجمع المقتنيات ، وقد يصل أولئك وهؤلاء إلى مبتغاهم . ولكنهم سيكتشفون على الأقل أمراً واحداً جوهرياً ، أنه لا توجد قلوب كثيرة تحقق بالحب لهم . والحب هو اللؤلؤة الغالية الكثيرة الثمن ، التي إذا فقدتها الإنسان يكون قد فقد كل شيء . .

لقد جاء يسوع إلى اليهود ، الذين كانوا ينظرون إلى الحياة في كافة صورها ، وشئى مجالاتها ، بمنظار السيطرة والنفعية ، والأنانية ، والعنصرية ، جاءهم بنظرة جديدة للحياة . لقد كانوا يقيمون عناصر المجد على الانتصار الزمنى ، والوصول إلى التملك والسيطرة على الآخرين. فجاء يسوع ليعلم الناس ، أنه لا طريق إلى الحياة . . الحياة الزاخرة الفياضة . . الحياة التى تستحق أن نحيها ، إلا الموت ، واننا حينما نفق حياتنا ندخرها ؛ وأن الخدمة هى طريق العظمة الحقيقية ، ومن العجب العجاب ، أن ذلك اللغز المذهل الذى نادى به «يسوع» منذ ألفى عام ، والذى بدا فى ذلك الوقت عسيراً على سامعيه ، ليس أكثر من الحق المنطقى المعقول .

من الاضطراب إلى اليقين

الآن نفسي قد اضطربت . وماذا أقول . أيها الآب  
نجني من هذه الساعة . ولكن لأجل هذا أتيت إلى  
هذه الساعة . أيها الآب مجد اسمك . فجاء صوت  
من السماء مجدت وأمجد أيضاً . فاجتمع الّذي كان  
واقفاً وسمع قال قد حدث رعد . وآخرون قالوا قد  
كلمه ملاك . أجاب يسوع وقال ليس من أجلي صار  
هذا الصوت بل من أجلكم . الآن دينونة هذا العالم .  
الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً . وأنا إن ارتفعت  
عن الأرض أجذب إلى الجميع . قال هذا مُشيراً إلى آية  
ميتة كان مُزمعاً أن يموت . فأجابه الّجمع نحن سمعنا  
من النّاموس أن المسيح يبقى إلى الأبد . فكيف تقول  
أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان . من هو هذا  
ابن الإنسان .

( يوحنا ١٢ : ٢٧ - ٢٤ )



في هذه الفقرة، يصور لنا البشر حيرة «يسوع» وألمه واضطرابه ، ثم يقينه وانتصاره . وهو يظهر لنا أيضاً الأسباب التي حولت الاضطراب إلى يقين .

١ - فنحن لاجد «يوحنا» يعرض لصراع المسيح في جشيانى . ولكنه يظهر لنا «يسوع» وهو يخوض معركة الألم أمام شبح الصليب الرهيب . هنا في هذه الفرصة . أن يلتقى الإنسان بالموت ، أمر ليس مقبولاً على الإطلاق وأن يموت في عنفوان شبابه أمر بغضب ، وأن يموت على الصليب أمر قاس . لكن يسوع لم يكن أقل شجاعة من واحد من الشهداء الذين واجهوا الموت وعلى شفاههم ابتسامة الظفر . لقد كان الصليب يعنى شيئاً آخر : أحمال البشرية ، وذنوبها وعارها ، منذ بدء الخليقة وإلى نهاية الأجيال . وكما قال المرنم عنه بروح النبوة « العار كسر قلبي فرضت » . لقد كان الصليب أكثر من مجرد ميتة قاسية مرة . لقد كان يعنى العار ، والخزى ، واحتجاب وجه الله الآب ، وحسانه عار كل الشعوب ومحتقر كل الأمم .

وهناك رأى نادى به اللاهوتى الاسكتلندى «جورج مائيسون» ، إن خوف يسوع أمام ميتة الصليب ، كان نابغاً من خشيته أن يصبح الصليب ، وهو قمة جريمة البشرية في حق ابن الله ، حاجزاً وحجاباً يحجب وجه الله عن الإنسان ، ويوقع الإنسان للأبد في دائرة غضب الله ، والبعد عنه . وسواء كان هذا الأمر أو ذلك فكما يقول المؤلف : لو كان طريق الموت سهلاً عادياً عند يسوع ، بلا مشقة ولا اضطراب ، لما كانت هناك فضيلة في موته ، ولا كفارة في ذبيحته ، إن الشجاعة الحقيقية ، لا تستلزم عدم الخوف ، بل تقتضى أن تسير في طريق التضحية والموت حتى النهاية حتى ولو ساورنا الألم والخوف . وهنا تكمن شجاعة « يسوع » . كما يقول أحدهم « هنا تنتصر

غيرة الطاعة للآب، على خوف الموت، وأهوال الهاوية. هنا نرى المعركة  
الرهية التي خاضها رب المجد، في سبيل الطاعة الكاملة للآب، لقد كان  
الصليب هو طريق الآب، وكان على الإبن الحبيب أن يحارب معركته حتى  
النهاية، في طريق إتمام إرادة الآب.

٢- ولكن القصة لا تنتهي بالإضطراب، بل بالظفر واليقين. لقد  
امتلاً يسوع يقيناً أنه لو سار في طريقه، فلا بد وأن ينتهي الأمر بهزيمة الشيطان  
وزوال سلطانه، وخرابه الأبدى، فإذا أطاع الآب، وأطاع حتى الموت..  
وسار إلى الصليب بخطوات ثابتة، فإن السيف الذي استيقظ على راعي  
الرعية، لا بد أن يسدد ضربة قاصمة للأسد الزائر الذي يبغى فريسته..  
الشيطان عدو كل خير. لقد وثق بأن الصليب هو الصراع الأخير.. هو  
المعركة الأخيرة مع الشيطان. وأنه حيناً يرتفع عن الأرض، فأنحأ ذراعي  
الحبة على خشية العار، لجميع البشر، فإنه سيجتذب بمحبته وموته قلوب  
الجميع، لقد كانت رغبة يسوع الأولى، أن ينتصر على عدو الخير، ويفسد  
مخططة في الوجود.. لقد كانت رغبته الأولى أن يلتف حوله الناس.  
وكان الطريق الأوحده لغلبة الشيطان، أو السيطرة على قلوب البشر، أن يرتفع  
على الصليب. وهكذا بدأ طريقه برهبة المعركة، وانتهى بالانتصار...

٣- وما الذي حدث حتى تحولت الرهبة والاضطراب إلى انتصار؟  
تقول الفقرة التي أمامنا، إن صوتاً من السماء توسط بين الاثنين.. لقد تحدث  
الآب إليه. وليس هذا بغريب. فكم من مرة في التاريخ المقدس، في لحظاته  
الحاسمة، تحدثت السماء بصوت مسموع. فالله جل جلاله يتحدث إلى  
الصهي صموئيل (صموئيل الأول ٣ : ١ - ١٤). والله يعترض طريق  
إيليا أثناء هروبه من وجه «إيزابل»، ويحادثه حديث الصديق المحب (ملوك  
الأول ١٩ : ١ - ١٨). وفي مأساة «أيوب» نستمع إلى واحد من أصدقائه

الثلاثة - «أليغاز التيماني» - يؤكد أنه يصغى إلى صوت الله (أيوب ٤: ١٦) . ولكن في عصر المسيح ، وقبله بعدة قرون ، في الفترة التي يلقبها اللاهوتيون بفترة ما بين العهدين ، نرى السماء تصمت عن الحديث إلى البشر ، ونرى اليهود يقنعون بأن تتحدث السماء إليهم في وسيط أو معلم ، أو بطل يظهر في التاريخ . لقد مضت الأيام العظيمة القديمة ، وتباعد الله عن البشر . والصوت الذي تحدث يوماً إلى الأنبياء في كلمات واضحة مسموعة ، قد صمت عن الحديث . وهكذا في عصر المسيح قنع اليهود من صوت الله ، بما أسماه «الباث قول» وهي كلمة عبرية معناها بنت القول ، أو ابنة القول الإلهي - قبيل خراب أورشليم إبان حصارها عام ٧٠ م. حدث للهيكل حادث فريد .. فقد انفتحت على حين غرة البوابة الكورنثية التي كانت تحتاج إلى أكثر من عشرين شخصاً ، لكي تدور على أعقابها وسمع من داخل الهيكل زئير كزئير العاصفة ، يتلوه صوت وقع أقدام يبدو وكأنها لجمهور عظيم ، ينزل درج الهيكل ، ومن داخل قدس الأقداس ، سمع صوت جليل يهتف بوضوح باللغة العبرية « فلنغادر هذا المكان ! »<sup>(١)</sup> . أما الكهنة فقد اتكفأوا على وجوههم وهم يهتفون في رعب « الباث قول .. الباث قول .. » . وبين الحضور ، كان الوحيد الذي استطاع أن ينطق بكلمة هو الجلد « يوحنا بن زكا » ، فأشار إلى البوابة المفتوحة وهتف في تأثر : « لقد دنت نهاية الهيكل . فهذا ما قيل بالنبي القائل « افتح أبوابك يا لبنان ، لتلهم النيران أرزك » .

هذه صورة تقرب فكر اليهود في عصر المسيح ، عن طريقة حديث الله إليهم ، ولقد كانوا يعتقدون أن « الباث قول » غالباً ما كانت تقتبس من كلمات الكتاب . فهي ليست صوت الله المباشر للبشر ، ولكن إن جاز

(١) راجع قصة « سقوط أورشليم » للمغرب .

التعبير ، هي صدى صوت الله البعيد ،.. صوت من البعد السحيق ، يأتي كالهمس العميق بديلاً عن الحديث المباشر ، ولكن السماء ما كانت تتعامل هكذا مع «يسوع» . فلم يكن يستمع إلى حديث الله في أعماقه ، ولم يكن يستمع إلى صدى صوت الله البعيد ، أو «الباث قول» ، بل كان الله يتحدث إليه بصوت واضح مسموع ، حديث الند للند .

نلاحظ أيضاً أن صوت الله كان يأتي ليسوع في الساعات العظيمة الفاصلة في حياته . فقد جاءه الصوت عند صعوده من مياه الأردن ، في فرصة عماده ، في مسهل إرساليته للعالم (مرقس ١ : ١١) . وجاء الصوت إليه على جبل التجلي ، حيناً ثبت وجهه للصعود إلى أورشليم .. للصعود إلى جبل الجلجثة والموت (مرقس ٩ : ٧) . وهاهو الصوت يهتف له من الأعلى من عند الآب ... من الأجواء العليا السرمدية ، ليقدم له جرعة من الثبات أمام صليب العار والموت .

وما يقدمه الآب السماوي للإبن الحبيب ، على استعداد أن يقدمه لكل من يؤمن به ، ويحمل على كتفه نير الخدمة .

فالله لا يرسلنا للعمل في كرمه على انفراد . دون أن يؤيدنا بقوته ومعونته . إنه حيناً يكل إلينا مهمة خاصة ، ويوفدنا للقيام بها ، فإنه لا يتركنا نقوم بهذه المهمة بأيدي مرتخية في قوانا الواهية ، إنه يؤيدنا بصوت من السماء إن لم يكن بصورة مسموعة ، فهو يهمس لقلوبنا بهمسات العون ، والتشجيع والتأييد . إن إلهنا لا يصمت صمت عدم المبالاة . وفوق ضوضاء العالم ، وزئير الشيطان ، وضجيج أعداء الحق ، وهممة أمواج المتاعب . يعلو صوت الرب واضحاً جلياً مشجعاً ، فنمضي في طريق الواجب وصوته يرن في أذاننا وقوته تملوننا . إن مشكلتنا الحقيقية ليس لأن الله لا يتكلم إلينا ، بل لأننا لانستمع إلى صوته بما فيه الكفاية .

## من الاضطراب إلى اليقين

(يوحنا ١٢ : ٢٧ - ٢٤)

وهكذا نادى «يسوع» بهذا الحق : إنه حينما يرتفع عن الأرض يجذب إليه الجميع . البعض فهم هذا القول على أنه يشير إلى صعوده بمعنى أنه حينما يتمجد «يسوع» في قوة قيامته ، وصعوده ، فإنه يجذب إليه الجميع . ولكن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة . لقد كان «يسوع» يشير إلى صليبه . وواضح أن الذين حوله عرفوا ذلك ، وأنهم استمعوا إليه غير مصدقين . فما الذى يربط ابن الإنسان بصورته الممجدة بصليب العار ؟ أليس ابن الإنسان رسول الله المرسل إلى البشرية على رأس قوات الجند السماوى ؟ أى اتفاق لصليب العار مع أمجاد ابن الإنسان فى ملء قوته ؟ أليس ملكوته مالا يزول ، وسلطانه مالا ينقطع ؟ «سلطانه سلطان أبدي مالن يزول ، وملكوته مالا يتقرض» (دانيال ٧ : ١٤) ، أما ورد القول عن رئيس العصر الذهبى «وعبدى داود رئيس عليم إلى الأبد» (حزقيال ٣ : ٢٥) أما قال «إشعيا» عن ملك العهد الجديد «نمو رياسته وللسلام لانهاية» (إشعيا ٩ : ٧) ألم يترنم المرنم فى مزموه بأعجاد ذلك الملكوت الأبدى قائلا بلسان القدير ..

« إلى الدهر اثبت نسلك وابنى إلى دور فدور مملكتك» (مزموه ٨٩ : ٤)  
لقد كان اليهود يربطون ما بين ابن الإنسان ، وبين أعجاد الملكوت الأبدى والعصر السعيد القادم . وهاهو «يسوع» يربط ابن الإنسان بخزى الصليب ، وعاره ، وقسوته . فأى صنف يكون ابن الإنسان هذا . ؟ وأى ملكوت يكون هذا الذى ما إن يبدأ بدايته ، حتى ينتهى ؟

ولكن منطق التاريخ والاجتماع ينادى بأن «يسوع» كان على حق . لقد  
علق «يسوع» كل آماله ، ورجائه ، على جاذبية صليبه . ولقد ثبت بالفعل أن  
صليب المحبة والفداء ، كان وما يزال ، وسيظل للأبد قوة جبارة جاذبة  
تجذب الشعوب ، والممالك ، والأفراد إلى مسيح الجلجثة ، ويبقى خالداً  
رفيعاً مجيداً ، حتى بعد زوال قوة العالم ، وبطشه ، وسلطانه .

إن الحقيقة تبقى أن الإمبراطوريات التي قامت على السيف والنار ، تتوارى  
الواحدة بعد الأخرى . وأن الجبابرة الذين دوخوا الإنسانية في موكب  
مطامعهم وأحقادهم ، يطوهم التراب الواحد بعد الآخر ، . ولكن الملكوت  
العظيم الشامل الذى أسسه يسوع بالصليب ، يمتد ، ويتزايد ، وتتسع  
رقعته جيلاً بعد جيل .

في مسرحية «جان دارك» كما صورها الكاتب المسرحى الساخر  
«برناردشو» ، نرى شهيدة الرون تقرب من نهايتها ، وقد خانها أبناء  
أمها ، وهى تنظر إليهم وتقول .. «سوف أمضى .. نعم سأمضى إلى أولئك  
البسطاء أصحاب القلوب الفائضة .. نعم سأذهب إليهم ليعوضنى بريق الحب  
في عيونهم عن التعزيات التى التمسها ولم أجدها فى أحقادكم . ولعلكم سوف  
تستريحون حينما تشاهدون النيران تشتعل فى جسدى ، ولكنى أقول لكم إننى  
فى وسط النيران سأجتاز إلى قلوبهم الرحية ، إلى أبد الآباد» . هذا رمز  
لما حدث ليسوع ، وصورة مصغرة . لقد كان موته على الصليب هو  
الطريق الذى اجتاز فيه إلى البشر إلى أبد الدهور ، قد يكون مسياً اليهود  
الظالم المنتصر ، قد استنزف أجمل ساعات العمر ، فى حياة أكثر من كاتب  
وأديب ليستطر عنه بنات أفكاره . واقتضى من المؤرخين الجهد والعناء ،  
ولكن رئيس المحبة والسلام على صليب العار ، ملك قد تأسس عرشه  
الخالد السرمدى فى قلوب البشر أجمعين ، إن الأساس الثابت الوطيد  
لأبى ملكوت عظيم خالد ، هو المحبة الباذلة المضحية .

## أبناء النور

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ النَّوْرُ مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلًا بَعْدُ .  
فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمْ النَّوْرُ لِئَلَّا يُدْرِكَكُمْ الظَّلَامُ . وَالَّذِي  
يَسِيرُ فِي الظَّلَامِ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيَّنَ يَذْهَبُ . مَا دَامَ لَكُمْ  
النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النَّوْرِ . تَكَلَّمَ يَسُوعُ  
بِهَذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ

(يوحنا ١٢ : ٣٥ - ٣٦)

في هذه الفقرة نجد الوعد الأكيد . جنبا إلى جنب مع التهديد والوعيد .  
وكل من الوعد والوعيد له مكان في جوهر الإيمان المسيحي .

١ - فهناك الوعد لنا بالنور : « النور معكم » إن الذي يسير برفقة « يسوع »  
يسير في النور . الذي يسير مع يسوع يتخلص من الظلال ، والظلام . هناك  
أكثر من ظل تتخبط في استاره البشرية .

هناك ظل الخوف . ألم يحدث لنا ، أننا خشينا أن نتطلع إلى ما هو أبعد من  
موطئ أقدامنا ؟ ألم يحدث أننا توقعنا تغييرات عديدة أن تحدث في فرصة  
الحياة أما منا ، وكنا في توقعنا أكثر من خائفين ؟ ألم تعرنا الرهبة في  
إنتقالنا من بلد إلى بلد ومن مجتمع إلى مجتمع ؟ ألم نشعر بالخوف في

اللمحظات الحاسمة من حياتنا : عند إقدامنا على اختيار مهنة الحياة ، أو عند الارتباط بشريك الحياة ؟

وهناك ظل الشك والتردد : حينما نقف في مفترق الطرق ، ولا نعرف أى الطريقين نسلك . فالضباب أمام عيوننا يلف كل شيء ، فنتخبط في طريقنا ولا ندرى ، وهناك ظل الأحزان ، حين تختفى الشمس ساعة الظهيرة ، وتنطفئ النجوم في ليلنا . ونحس كأن الدنيا خلت من الحبيب أو الصديق .

واكن الذى يختار «يسوع» رفيق الطريق ، يتحور من مخاوفه . . من شكوكه ، ويمتلئ بثقة كاملة لا تستطيع أية قوة أن تنزعها من قلبه . . بفرح عظيم لا تقوى أحزان العالم أن تنزعه أو تطفئه . فطريقه في النور ، نور العالم ، وليس في الظلام ، ظلام هذا الدهر . لأن محضر «يسوع» يحول الظلام إلى نور .

٢ - ولكن هناك التهديد : إن عزمنا على اتباع «يسوع» .. على السير معه .. على إبداع نفوسنا ، وحياتنا وكياننا ، ومصيرنا ، وأبديتنا ، بين يديه ، ينبغى أن يتم في الحال ، وإلا فلن يحدث على الإطلاق . هناك واجب نستطيع أن نتممه ، . ولكن إذا كانت لنا القوة ، وإذا غنمنا الفرصة . ، فإن الدرس والتحصيل واجب ، ولكننا لا نستطيع القيام به إلا في قوة الذاكرة وصفاء الدهن . الكلمة في وقتها واجب ما أحسنه . ولكن إذا ضاعت الفرصة ، ضاع أثرها وأصبحت في غير موضعها ، وهكذا الأمر في السير مع «يسوع» .. في اختياره رفيق الحياة ورفيق الطريق . في نفس اللحظة التي نادى فيها «يسوع» بكلماته هنا ، كان يتقدم لليهود ربما بالفرصة الأخيرة ليؤمنوا به ، فبنالوا الحياة . ليسروا برفقته فيشرق عليهم النور ليغتنموا الفرصة قبل أن يرتكبوا خباياهم الكبرى ، ويقف الصليب كالجرمة



العظمى ، التي تجعل الآب ينتزع الملكوت من أيديهم . ويفتح الباب  
لأمة أخرى تعطى ثماره . من الأمور المؤسفة أن فرص التجديد تزداد  
تصاعدياً حتى سن السابعة عشرة ، ثم تقل تنازلياً حتى تصل إلى منتهيها  
في الثلاثين . وبعد الثلاثين ، يكون من الصعب جداً على الإنسان أن يغير  
طريق حياته ، ويبدأ بداية جديدة مع «يسوع» . إن الذي يرفض الفرصة  
المقدمة إليه مرة بعد أخرى ، يتقسى قلبه ، ويزداد توغلاً في طريقه ، حتى  
يصبح من الأمور القاسية عليه ، أن ينتزع نفسه إنتزاعاً في المسيح يقدم الله  
للإنسان اسمى مراتب البركة والنعمة — من الجانب الواحد ، يقول الله لنا  
إن الفرصة مازالت أمامنا ، ومن الجانب الآخر ، يحذرنا من أنها قد نفلت  
منا ، وأن علينا أن نغتنمها في التو واللحظة .

## عدم الإيمان الأعمى

وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هَذَا عَدَدُهَا  
 لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ . لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَ يَا رَبُّ  
 مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنْ اسْتَعْلِنْتَ ذِرَاعُ الرَّبِّ . لِهَذَا  
 لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا . لِأَنَّ إِشْعِيَاءَ قَالَ أَيْضاً . قَدْ أَعْمَى  
 عِيُونَهُمْ وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعِيُونِهِمْ وَيَشْعُرُوا  
 بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا فَاشْفِيَهُمْ . قَالَ إِشْعِيَاءُ هَذَا حِينَ  
 رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ .

( يوحنا ١٢ : ٢٧ - ٤١ )

هذه الفقرة سببت الحيرة والارتباك لكثيرين . إن البشيريورد فيها  
 إقتباسين من نبوات إشعيا . الواحد من العديدين الأولين للاصحاح الثالث  
 والخمسين ، وفيه يتساءل النبي عما إذا كان هناك من عرف قوة الرب حينما  
 استعلنت ، أو آمن بخبره حينما نادى به . أما الأقتباس الثاني فهو أصعب  
 الاثنين ، وهو الذي يقف أمامه العقل البشري في حيرة . هذا الاقتباس  
 الثاني نجد له قرينا في ( اشعيا ٦ : ٢ ، ١٠ ) « فقال - أي الرب - .  
 اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا ، وابصروا ابصاراً

ولا تعرفوا . غلظ قلب هذا الشعب ، وثقل أذنيه ، واطمأن عينيه .  
لئلا يبصر بعينه ، ويسمع بأذنيه ، ويفهم بقلبه ، ويرجع فيشفي .» نفس  
الفقرة نجدها تتردد صريحاً ، أو في اقتباس ، في ( متى ١٣ : ١٤ ، ١٥ ،  
مرقس ٤ : ١٢ ، لوقا ٤ : ١٠ ، رسالة رومية ١١ : ٨ ، كورنثوس  
الثانية ٣ : ١٤ ) . على أن اللغز المحير الذي تنطوي عليه ، والمبدأ الخطير  
الذي تعلنه ، إن جاز لنا التعبير ، أن الله هو الذي يدفع بالإنسان إلى  
قساوة القلب وعمى البصيرة ، وانسداد الأذنين ، فينتهي به الأمر إلى  
المصير الرهيب . أو بكلمات أخرى ، أنه حينما تلتوى السبيل بالإنسان ، فيجرح  
إلى طريق الخطأ والشر ، ويغلق أمامه باب الإيمان ، فإن الله هو الذي أغلق  
الباب أمامه ، أو أغلق قلبه وبصيرته وضميره ، حتى لا يدخل فيجد الحياة .

مهما حاولنا أن نجد من التبريرات ، أو التأويلات ، لمثل هذه الآية ، فن  
العسير جداً أن نصل إلى تفسير مرض . فكيف يمكن أن يقسى الله قلب  
إنسان حتى يهلك في خطاياها ؟ في هذه الحالة لا بد وأن تنتفي مسئولية البشر ،  
وتنتهي بالتالي مديونيتهم ومدنوبيتهم في نظر الله ، وكيف نضع هذه  
الحقيقة بجوار حقيقة إله المحبة الذي أحب العالم كله حتى بذل ابنه  
الحبيب في سبيل خلاصه ؟

هناك أمران يمكن أن نواجه بها هذه الفقرة .

١ - الأمر الأول أننا ينبغي أن نتبع التسلسل المنطوق في سياق حديث اشعيا ،  
أو حديث الله لأشعيا . لقد تقدم النبي إلى شعب اسرائيل ، برسالة  
الله ، وأعلن لهم حق الله . لقد تقدم إليهم برسالة الله بكل ما آتاه الله  
من قوة وتأثير ، فاذا بهم يصمون آذانهم ، ويقسون قلوبهم . وكأني  
باشعيا يقول : « لقد تقدمت إليهم برسالة الصلاح والمحبة كالم يتقدم

إليهم بها إنسان آخر . وبدلاً من أن تأتي الرسالة بالثمر المطلوب .. بدلاً من أن ترفعهم إلى مستوى أفضل ، إذا بهم يندفعون إلى حال أردأ . إنهم بعنادهم وقساوتهم ، وتمرد قلوبهم ، كأني بهم قد حولوا واسطة البركة والنعمة ، إلى واسطة لعنة وقساوة . . كأني بالله يقول لي أذهب قس قلوبهم .. زد عما هم عمي .. صم أذانهم ، لئلا يحسوا بقلوبهم ويسمعوا بأذانهم ، ويبصروا بعيونهم ف يرجعوا وأشفيهم » . هذا قول «أشعيا» نفسه . وهو قول نابع من نفس متمرمة ، وقلب منكسر . من نفس اكتشفت أن رسالة الحياة قد تحولت في قساوة سامعيها إلى واسطة موت . ورسالة البركة قد تحولت في عناد من قدمت إليهم إلى واسطة لعنة . إن علينا قبل أن نقرأ هذه السطور في حرفيتها الجامدة ، أن نضع في مخيلتنا مرارة قلب من نطق بها ، وانكساره بسبب جحود سامعيه . إنها كلمات مبشر ألقى البذار على تربة ممتلئة بالشوك ، وقاد محرائه ولكن على الصخر الصلب ، وروى التربة بعرقه ودموعه ، فاذا بها تنبت له الحسك والقنادر .

٢ - ولكن هناك أمراً آخر ، ينبغي أن نضعه في الاعتبار . فلقد كانت إحدى العقائد الرئيسية في الإيمان اليهودي ، أن الله وراء كل شيء . . . كل أمر يحدث في الوجود . فلا شيء يحدث خارج دائرة مقاصد الله ، حتى جحود الإنسان وعدم إيمانه ، حتى عدم الإيمان هذا ، هو داخل دائرة هدف الله الأزلي . فهو الذي يسيطر على قلوب الناس ، وهو الذي يتسلط حتى على عدم إيمانهم وجحودهم .

وإذا جاز لنا أن نترجم هذه العقيدة إلى لغة العصر ، فإننا لانقول إن عدم إيمان البشر هو هدف الله وقصده ، بل إن الله في حكمته وقدرته السرمدية ، يستطيع أن يستغل حتى عدم إيمان الإنسان وجحوده

وتمرده لإظهار مجده ، وإتمام مقاصده . فلن يعوقه عائق عن إتمام أغراضه بل حتى شر الشرير ، لا بد وأن يتمم أغراض الله ومقاصده . هذه هي طريقة رسول الأمم ، حينما تعرض لهذا المشكل . فعدم إيمان اليهود ، وقساوتهم ، وعنادهم ، قد استخدمه الله واسطة لخلاص الأمم ، وفتح الباب أمام البعيدين . إن عدم إيمان اليهود ، لم يعطل إتمام مقاصد الله ، بل بالحرى كان الطريق لإتمام تلك المقاصد . وإغلاق الدائرة الضيقة ، قد فتح الباب لدائرة أعظم وأكثر إتساعاً .

حينما تعرض لنا فقرة نظير هذه ، علينا أن نذكر أن الله غير مجرب بالشرور ، وهو لا يجرب أحداً . وإلا فلما إذا يدين الخاطيء ؟ بل علينا أن نعرف بأن المقصود ، هو أن الله في حكمته وقوته السرمدية ، يستطيع أن يستخدم حتى خطية الإنسان لإتمام أغراضه . لقد جاء مسيح الله إلى اليهود . مقدما لهم رسالة الله ، كاشفا لهم قلبه . . . . . معلنا لهم حبه . لكنهم رفضوا الرسالة ، وتمردوا على المحبة ، وتآمروا على الرسول . هذه خطيتهم هم التي عليها يدانون ، وبسببها يتحملون النتائج المرة . . . . . ولكن حتى هذه الخطية لها مكانها في دائرة مقاصد الله . . . . . في برنامج الله الأزلي وهكذا استخدمها الله واسطة لخلاص شامل . إن الله أعظم وأسمى من أن نغيظه بخطايانا ، ونعطل إتمام مقاصده بعصياننا . فهو يستخدم حتى خطيتنا وعصياننا لتمجيد اسمه ، وإتمام قصده .

## إيمان الجبناء

وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَيْضاً  
غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ لِعَلَّا يَصِيرُوا  
خَارِجَ الْمَجْمَعِ . لِأَنََّّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ  
مَجْدِ اللَّهِ .

( يوحنا ١٢ : ٤٢ ، ٤٣ )

إن «يسوع» لم يتحدث على الدوام إلى آذان صماء . لقد كان هناك البعض حتى من رجال السلطات اليهودية ، يقبلون تعاليمه ، ويؤمنون به ، ولكن في قلوبهم . لقد كانوا يخافون أن يعلنوا إيمانهم على رؤوس الأشهاد . لأنهم كانوا يخشون عقاب السلطات ، والفرز من الهيكل . هؤلاء كانوا يتبعون سياسة مستحيلة : لقد أرادوا أن يكونوا تلاميذ ليسوع ، ولكن خفية في السر . وكما يقول الكاتب ، مناقضة في التعبير ، فلا يوجد ما يسمى بالتملذة الخفية ..

إما أن السرية تقتل روح التلمذة ، أو أن التلمذة الحقيقية تنصرف على السرية ، وتنتهي وجودها . فلا يوجد في الإيمان المسيحي أدنى توفيق بين الحالتين ، ولكن أولئك أرادوا أن يصنعوا المستحيل . لقد كانوا يخافون أن يصبحوا مسيحيين ، لأن كونهم يصبحون مسيحيين معناه ، أن يخسروا الكثير . وكم من المرات تخلط القيم في نظر الناس ، ولا تبدو الحدود واضحة . وكم من

المرات ، يتخلى الناس عن مساندة مبدأ عظيم ، لأن هذا المبدأ يتعارض مع مصالحهم التافهة .

حينما عرفت «جان دارك» أن الكل قد تخلى عنها ، وأنها أصبحت وحيدة هتفت « نعم . لقد أصبحت وحيدة معزولة ، وطيلة العمر كنت كذلك . لقد طلب أبي من إخوتي أن يغرقوني في مياه البحر ، إن رفضت أن أبقى معهم لحراسة أغنامه . لقد كانت فرنسا تنزف دما ، ولكن ماذا يهم أبي ؟ لنذهب فرنسا إلى الجحيم مادامت أغنامه تبقى سليمة »  
وكم من واحد نظير هذا الفلاح الفرنسي ، يفضل حفنة من الأغنام على شعب وأمة بأسرها .

هكذا كان أولئك الرؤساء . لقد كانوا يعرفون في قرارة نفوسهم أن «يسوع» على حق .. كانوا يعرفون أن زملاءهم يسعون سعياً حثيثاً ليهلكوا «يسوع» ، ويهلكوا - إن أمكن - عمل الله فيه وبواسطته . ولكنهم ما أرادوا أن يتحملوا مسئولية الوقوف إلى جواره ، واحتمال التضحية إلى جانبه ، والاعتراف به علناً أمام الجميع ، مما يجر عليهم الكثير من المتاعب . لقد كان الاعتراف بيسوع يعنى بالنسبة لهم نهاية مراكزهم ، ومطامعهم ، ومقنناتهم وكل شيء . كان هذا يعنى العزل من الحياة الاجتماعية ، والعزل من المجتمعات الدينية أو الجامع ، وهذا أفسى من أن يحتمله يهودى . لقد كان الثمن باهظاً ، وهكذا عاشوا في أكذوبة كبرى ، لأنهم لم يحسوا بأن لهم الكفاية التي يلاقون بها الحق ويسرون في ركابه ..

وفي جملة واحدة ، يشخص «يوحنا» موقفهم . لقد فضلوا أن يقفوا مع الله . لقد فضلوا أن تكون لهم العلاقة الطيبة مع الناس ، على أن يكونوا في علاقة طيبة مع الله . وفي موقفهم هذا كانوا يظنون أن هذا عين الحكمة والتصرف الصائب .. كانوا يظنون أنهم يلعبون على الجواد الرابع . ولكنهم

ما كانوا يعرفون أن رضى البشر لساعة ، وأن دينونة الله وعدالته إلى قيام الساعة . إنهم قد يصرفون أعواماً قليلة في سلام مع البشر ، لكنهم بهذه الأعوام يبيعون أبديتهم ، ومكافأتهم . من الحكمة والتصرف السليم أن نفضل رضى الله ، على رضى الناس ... أن نحسب حساباً للأبدية الطويلة على سنوات الحياة القليلة .



## الدينونة الحتمية

فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ . الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ  
بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي . وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي .  
أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي  
لَا يَمُوتُ فِي الظُّلْمَةِ . وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلَامِي وَلَمْ يُؤْمِنْ  
فَأَنَا لَا أَدِينُهُ . لِأَنِّي لَمْ آتِ لِأَدِينِ الْعَالَمِ بَلْ لِأُخَلِّصَ  
الْعَالَمَ . مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلَامِي فَلَهُ مِنْ يَدِيهِ .  
الْكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ .  
لِأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ  
أَعْطَانِي وَصِيَّةً مَاذَا أَقُولُ وَمَاذَا أَتَكَلَّمُ . وَأَنَا أَعْلَمُ  
أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ . فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ فَكَمَا قَالَ  
لِي الْآبُ هَكَذَا أَتَكَلَّمُ

( يوحنا ١٢ : ٤٤ - ٥٠ )

هذه بحسب الترتيب المنطقي للأحداث في البشارة الرابعة ، هي آخر  
كلمات نطق بها المسيح للجماهير ، بعد هذا نجاهه ينفرد مع تلاميذه ، معلما

إياهم ، ومشدداً قلوبهم ، وبعد ذلك نراه واقفاً أمام «بيلاطس» متحدثاً إليه ،  
ولكن في هذه الفقرة نرى ختام حديثه إلى الجموع .

في هذه الكلمات ، نرى «يسوع» ينادى بالحق الأساسي ، الذي هو جوهر  
حياته كلها : هذا الحق أن «يسوع» هو إعلان الله للبشر ، وأن البشر في  
مجاہتهم ليسوع ، مجاہبون الله ، ويواجهونه ، ويحددون موقفهم منه .  
فالذي يصغى إلى صوت «يسوع» ، يصغى إلى صوت الله ، والذي يرى  
«يسوع» يبصر الله فيه ، والذي يقبل «يسوع» يقبل الله . هذا هو تفرد «يسوع» على  
الأجيال جمعاء — في «يسوع» يلتقى الله بالبشر ، وتواجه البشرية إلهها . وهذه  
المواجهة لها نتيجتان . وكل من هاتين النتيجتين ، يحدد معنى الدينونة  
وجوهرها بالنسبة للمسيحي .

١ — هنا يعيد معلم الأجيال ، نفس الفكر الذي يتكرر بين حين وآخر  
في البشارة الرابعة ، فلم يأت السيد إلى العالم ليدين البشر . بل جاء هدى  
ورحمة وخلصاً للعالمين ، لقد أتى ليخلص البشرية .. فإله لم يرسل  
الإبن الحبيب إلى العالم بروح النعمة ، والغضب ، بل بروح المحبة . ومع  
ذلك تبقى الحقيقة التي لا مفر منها ، إن مجيء «يسوع» إلى العالم يتضمن دينونة  
العالم . وكيف هذا ؟ ذلك لأن الإنسان في موقفه من «يسوع» من رفض أو  
قبول ، يحكم على نفسه ، أو يحكم لها . يصدر حكم الدينونة على نفسه  
بنفسه ، فإذا اكتشف في «يسوع» الجاذبية العظمى ، فتعلق قلبه به وارتبط  
ارتباطاً ، فهو قد دخل دائرة الأمان ، ولكنه إن لم يكتشف شيئاً في يسوع  
ولم ينجذب قلبه إليه ، وأدار له ظهره ، واحتقر خلاصه ، فهذا يعني  
أنه في دائرة أبعد من دائرة مغناطيسية «يسوع» . وأن قلبه من الجمود بحيث  
لم تؤثر فيه جاذبيته وقوته . فهو في دائرة الحكم والدينونة — على الدوام

تكتشف في البشارة الرابعة هذا الحق الذى يبدو في ظاهره متناقضاً متضارباً ، أن يسوع أتى في روح المحبة ، وأن مجيئه يتضمن الدينونة . وكما قلنا نعود فنكرر ما قلناه من قبل بكلمات أخرى ، إننا قد نقدم في روح المحبة اختباراً أساسياً لإنسان ما . فنجد أنه يفشل أمام هذا الاختبار ، ويجيب انتظارنا فيه ، ويظهر في كيانه ما لم نكن نتوقعه أو نكتشفه ، لو لم نتقدم إليه به ، إن ذلك الاختبار تقدمنا به في روح المحبة ، ولكنه حيناً واجهناه به كشف في كيانه عيباً ، وأظهر قصوراً ، حتى أن نفس الاختبار الذى قدم في روح المحبة ، قد تحول إلى دينونة . إن « يسوع » هو حجر المحك الذى يتقدم به الله ليمتحن البشر . وبموقف الإنسان من « يسوع » يكشف الإنسان عن معدن ذاته ، ويصدر الحكم على نفسه .

٢ - ويقول « يسوع » أيضاً في هذه الفقرة ، إنه في اليوم الأخير تصبح نفس الكلمات التى سمعها البشر شاهداً عليهم ، وهذه هى إحدى الحقائق العظيمة في الحياة ، إن الإنسان لن يوجه إليه اللوم ، ولن يصدر عليه الحكم لأجل حق لم يسمعه على الإطلاق ، ولم تكن له الفرصة لسماعه ، ولكنه إذا عرف الحق ، واقتنع بصحته ، ولكنه سلك سلوكاً مغايراً لذلك الحق ، فدينونته تكون أشد وأقسى ، على هذا الأساس تكون كل كلمة .. كل تعلم .. كل وصية قدمت إلينا ، وكذلك كل فرصة عرضت لنا لنقبل الحق ، ونعمل به ، هى في النهاية ضمن الشهود التى تديننا في اليوم الأخير .. هناك لاهوتى معروف عاش في القرن الثامن عشر ، وقدم أصول الإيمان في صورة سؤال وجواب للبسطاء ، وفي ختام كتابه عرض لهذا السؤال : ماذا يحدث لإنسان يرفض الحق المسيحى ، ورسالة المسيح ؟ ثم يجيب : قد حلت به الدينونة ، وهو في انتظار الدينونة الأعظم . ثم يقول ، وعلى الأخص ، لأن مثل هذا الكتاب قد وقع في يديه ، وأعلن له الحق في كلماته .

إنه تحذير يتقدم به «يسوع» لكل واحد منا. إن كل ما سمعناه ، وما عرفناه ،  
وما قدم إلينا ، سواء في الكلمة المكتوبة أو المسموعة ، أو في فرص الخلاص ،  
أو في معاملات الله معنا ، لا بد وأن ينقلب شاهداً علينا ، يديننا في  
اليوم الأخير .

التاج على رأس الخدمة

الأصحاح الثالث عشر

أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ  
قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْآبِ إِذْ كَانَ قَدْ  
أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى .  
فَحِينَ كَانَ الْعِشَاءُ وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا  
سِمْعَانَ الْإِسْخَرِيوُطِيَّ أَنَّ يُسَلِّمَهُ . يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ  
الْآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ  
وَأِلَى اللَّهِ يَمْضِي . قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَأَخَذَ  
مِنْشَفَةً وَأَتَزَرَ بِهَا . ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ وَأَبْتَدَأَ يَغْسِلُ  
أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَزَرًّا بِهَا .  
فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ فَقَالَ لَهُ ذَاكَ يَا سَيِّدُ أَنْتَ تَغْسِلُ  
رِجْلِي . أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ لَسْتُ تَعْلَمُ أَنْتَ الْآنَ  
مَا أَنَا أَصْنَعُ وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ . قَالَ لَهُ بُطْرُسُ

لَنْ تَغْسِلَ رِجْلِي أَبَدًا . أَجَابَهُ يَسُوعُ إِنَّ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ  
فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ . قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَا سَيِّدُ  
لَيْسَ رِجْلِي فَقَطُ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي . قَالَ لَهُ يَسُوعُ  
الَّذِي قَدْ أَغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلِيهِ بَلْ هُوَ  
طَاهِرٌ كُلُّهُ . وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ . لِأَنَّهُ  
عَرَفَ مُسَلِّمَهُ . لِذَلِكَ قَالَ لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ

فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَأَتَكَأَ  
أَيْضًا قَالَ لَهُمْ أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ . أَنْتُمْ  
تَدْعُونِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا وَحَسَنًا تَقُولُونَ لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ .  
فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ  
فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ .

لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ  
أَنْتُمْ أَيْضًا . الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ  
مِنْ سَيِّدِهِ وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ . إِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا  
فَطُوبَى لَكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ .

(يوحنا ١٣ : ١ - ١٧)

سوف نتأمل هذه الفقرة في أكثر من جانب ، ولكن علينا قبل كل شيء ، أن نتأمل فيها أولاً بصورة عامة .

هناك أحداث كثيرة في قصة الإنجيل ، مثل هذه الحادثة ، تكشف بحق عن شخصية «يسوع» ، وتظهر محبته . وبتأملنا في من هو «يسوع» ، وما كان عليه . وما دفعته المحبة إليه ، يملكنا العجب العجيب ، أمام محبته الفائضة .

١ - يقول البشير : «يسوع» وهو عالم أن كل شيء قد دفع إليه ، هذا هو الجانب الأول في الصورة التي أمامنا . إن «يسوع» كان يعلم أن كل سلطان قد دفع إليه ، في الوقت الذي كان يعلم فيه ، أن الآلام والعار والموت تنتظره . فساعته قريبة ، ساعة هوانه ، وساعته أيضاً قريبة ساعة أجاده . إن عرش الصليب ينتظره ، وعرش المجد أيضاً ينتظره . مثل هذا الفكر ، وهذا الإحساس ، كان يمكن أن يملأه بالكبرياء والاستعلاء . ولكنه أحلى عنه كل شيء ، وفي انضاع ، اتخذ مركز الخادم والعبد ، وغسل أرجل تلاميذه . وفي الوقت الذي كان يمكننا أن يرتفع فيه إلى أعلى درجات استعلائه ، وصل إلى أقصى درجات انضاعه . هذه هي المحبة الصادقة . حيناً يحدث في أسرة مناسكة محبة ، أن فرداً منها يقع مريضاً ، فإن الشريك الآخر المحب ، يبدو على أتم استعداد أن يقوم بأوضاع الأعمال وأكثرها هواناً ، ويجد سروره الكامل في ذلك . . . في بعض الأحيان يظن الإنسان أنه أرفع من أن يقوم بعمل من الأعمال . إن مكانته لا تسمح له بأن يمد يديه إلى عمل وضع من شأنه ، بحسب تفكيره ، أن يحط من مقامه ومركزه . ولكن «يسوع» لم يكن كذلك . لقد كان رب المجد يعلم تمام العلم ، أنه رب على الكل . ومع ذلك خلع عنه ثياب الترفع ، واتخذ منشقة الخدم واثتر بها ، وصب ماء في مغسل ، شأنه شأن العبيد ، وراح يغسل أرجل تلاميذه .

٢ - ولقد كان «يسوع» يعلم كما أسلفنا ، أنه من عند الآب أتى وإلى الآب  
يمضى . وكان ممكنا أن يجربه هذا الشعور بالاستعلاء على أبناء الرب .  
بالاحتقار لهذا العالم وما فيه . فالرسالة قد أكلت . والرسول على وشك  
العودة إلى مرسله ، فإذا بهم بعد من البشر وعالم البشر ؟ إن خطواته تقرب  
من الله ، فلماذا يهتم بالعالم ؟ ولكن يبدو لنا ، أنه كلما ازداد اقترابا إلى الله  
زاد إغراقا في محبته للبشر ، ونزولا إلى أقصى درجات الخدمة الوضيعة .  
لقد كان غسل أرجل الضيوف في وليمة محبة هو واجب العبيد  
ووظيفتهم . حتى التلاميذ التابعين لأى معلم ، لم يكن معلمهم ينتظر منهم  
أن يصلوا إلى هذا المستوى في خدمته . ولكن من العجب أن «يسوع» رغم  
وصوله إلى الخطوات النهائية في خدمته واقترابه من الآب وأعجابه ،  
ووقوفه على عتبة اتمام رسالته ، قد اقترب أكثر إلى قلوب تلاميذه ، ونزل  
درجة أعظم في مستوى خدمته الاتضاعية . إن الذى يكون أكثر قربا إلى  
الله ، هو الذى يكون أكثر اقترابا إلى البشر .

هناك تقليد يروى عن « القديس فرانسز الأسيسى » يقول إنه كان في  
شبابه ثريا إلى حد كبير . كان ارستقراطيا من أسرة ارستقراطية .  
وكان معتادا على نعومة العيش . ولكنه لم يكن مستريح البال . ولم  
يكن حاصلا على السلام في أعماقه . وفي يوم من الأيام ، كان راكبا  
جواده في طريق منفرد خارج المدينة . فإذا به يرى فجأة انسانا ممتلئا  
بالبهرص الكريه ، وقد تحول جسده من هامة الرأس إلى باطن القدم ، إلى  
قرح واحد كثيب . كان الأبرص قادما في الطريق المقابل . ولقد كان  
طبيعيا أن الشاب المنعم يلوى عنان جواده ويسرع عائدا إلى المدينة ، أو  
يطلق العنان لجواده هاربا منه . ولكن شيئا تحرك في أعماق «فرانسز» فترجل



وتقدم مسرعاً إلى ذلك التعس المذبذب ، فاتحاً ذراعيه له ، ثم ضمه إلى صدره وقبله هاتفا : « يا أخى . . يا أخى . » وإذا بذلك الأبرص المشوه يتحول بين ذراعيه إلى شخص المسيح .

إننا في اقترابنا من الله، نقرب أكثر من أخوتنا. وفي اقترابنا من أخوتنا نقرب بالتالي من الله .

٣ - شئ آخر كان يعلمه «يسوع» : لقد كان يعلم أن واحداً سيخونه ويسلمه إلى الأعداء . هذه المعرفة كانت كفيلاً بأن تحول مشاعر أى انسان عادى إلى الحقد والمرارة ، أو على الأقل إلى الإنطواء الحزين . ولكن يبدو وكأن هذه المعرفة ، قد زادت محبته للبشر أكثر من ذى قبل . لقد جعلت قلبه يفيض أكثر بروح الحب . إن الحقيقة العجيبة عن «يسوع» هى أنه كلما زاد الناس فى بغضهم له ، وتدابير المؤامرات ضده ، زاد هو محبة لهم - من السهل اليسير أن يوجب التصرف الردى من نحو انسان ما ، نيران الحقد والغضب ، والمرارة . ولكن «يسوع» قابل أعظم اساءة فى التاريخ وأعظم خيانة عرضت لإنسان ، بروح الاتضاع والمحبة الفائقة .

### التاج على رأس الخدمة

(يوحنا ١٢ : ١ - ١٧)

ولكن هناك سابقة لهذه الحادثة ، لم يذكرها «يوحنا» ، لكنها وردت فى بشارة لوقا . ولو درسنا قصة العشاء الأخير ، كما وردت فى بشارة لوقا ، لوجدنا فى مستهل القصة « وكانت بينهم مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر » لوقا ٢٢ : ٢٤ ) . وياله من تصرف لا يليق من جانب التلاميذ . حتى فى طريقهم إلى الاجتماع الأخير مع السيد . . حتى وشبح الصليب

والموت والموت ، يبدو مخياً على معلمهم ، يتشاجر التلاميذ أحدهم مع الآخر  
فيمن يكون الأعظم ، ومن يحتل مركزاً أسمى .

يبدو لنا أن مشاجرة مثل هذه ، أوحى للسيد بمثل هذا التصرف . بل  
يبدو أن الضرورة أوحى بذلك . فطرقا فلسطين كانت غير معبدة ،  
ممتلئة بالقاذورات ، وفي فصل الجفاف ، كانت الأقدام تغوص في الأوحال . زد  
على ذلك أن الطبقات العادية ، نظير التلاميذ ، كانت تتعل حذاء مكونا  
من سيور متشابكة . وهذا يجعل القدم عارية ، أكثر عرضة للأوساخ .

وبسبب هذا ، كانت توجد أجران عند باب البيت أو مدخله ، ممتلئة بالماء ،  
ولمى جوارها يقف الخادم منزراً بمنزرة ، ومعه مغسلة ، ويحمل على كتفه  
منشفة ، ويقوم بغسل أرجل الضيوف ، قبل دخولهم إلى المنزل . ولكن جماعة  
«يسوع» لم يكن لهم من يخدمهم .

ولقد كان الواجب يحتم ، أن يقوم واحد من التلاميذ ، بهذا الدور  
المتواضع . ولعل كل واحد نظر إلى أخيه في استعلاء ، خاصة وان  
مشادة كانت قد وقعت بينهم قبل ذلك ، حول من يكون الأعظم — لقد كانت هناك  
المنشفة ، والمغسل ، والماء للأغتسال . ولعل صاحب العلية قد أعد  
أدوات الأغتسال ، على أمل أن يأتي «يسوع» وجماعته ، ومعهم خادمهم .  
وربما نلتبس له العذر ، أنه لم يكن له خادم — قصارى القول أنه كان  
من المنتظر ، أن يقوم واحد من التلاميذ بهذا الواجب . فلما رأى «يسوع»  
موقفهم ، أراد أن يعلمهم هذا الدرس ، فقام بنفسه بغسل أرجل التلاميذ .

وهكذا قام «يسوع» بما لم يكن أى واحد منهم ، على استعداد أن يقوم به ،  
ويطلب : «أن يغسل أرجلهم قال لهم : «اتفهمون ما قد صنعت بكم . انتم تدعوننى

معلما وسيدا وحسنا تقولون لأننى أنا كذلك . فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل البعض . الحق الحق أقول لكم أن ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرساه .. لأننى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً ..

إن تصرف السيد فى هذه الفرصة ، نخلق أن يدفعا للتأمل . فكلم من مشادة تقع فى كنائسنا ومجتمعاتنا الروحية، لأجل التنافس على المراكز . وكم من مشاجرة تنشب حتى بين أصحاب المنابر ، لأن الراعى المناسب لا يجد له المنبر المناسب . هنا يقدم لنا «يسوع» الدرس والمثال ، إنه لا يوجد سوى نوع واحد من العظمة ، هو عظمة الخدمة . إن العالم مليء بأناس يقفون مكتوفى الأيدي ، رؤوسهم إلى فوق ، فى الوقت الذى كان ينبغى أن يركعوا فيه على ركبهم أمام حاجات إخوتهم . ان الأنانية ، وحب الذات ، والأثرة ، والمفعة الذاتية ، والكبرياء ، كثيرا ما تفسد برنامجاً طيباً لخير المجتمع . فلا يوجد من يرضى بالمركز الوضيع . ربما يقتضى الأمر فى وقت من الأوقات الايستدعى لاعب الكرة للأشتراك فى مباراة ، فيدفعه هذا التصرف إلى التخلي عن فريقه نهائياً . أحيانا تتخطى الترقية موظفاً ما ، ويفوز بمركز أفضل من هو أقل منه أهلية . فتكون النتيجة أن يهمل هذا الموظف عمله أو يهجره ..

وقد يحدث بين أعضاء الكنيسة ، أن يظهر الراعى حبا وتعاطفا نحو أحد الأعضاء ، ويختاره لخدمة تديرية أو منبرية . فيثير هذا غيرة زملائه . ونقاعدهم عن العمل . وفى فريق الترنيم ، قد يغفل رئيس الجوقة عن اسناد دور مهم لبعضوا بارز ، فيستقيل من عضوية الفريق . فى أى مجتمع

وفي أية دائرة، قد يؤدي خطأ غير مقصود، إلى انطواء أحد الأعضاء على نفسه، أو إلى ثورته، وغضبه. وتشهيره بأخوته - حينما يجربنا عدو الخير بالثورة لكرامتنا، أو مركزنا، أو حقنا، لتأمل في الحال صورة ابن الله، متزرا بمنشفة، راکعاً أمام تلاميذه وهو يغسل أرجلهم.

إن العظيم حقاً.. هو الذى يعرف كيف يضع التاج الملكى على رأس الخدمة، فيكون له هذا الأتضاع الذى يرفعه على عرش قلوب اتباعه، ويتوجه ببيجان محبتهم وتقديرهم. في رواية «القائد المحبوب». للكاتب «دونالد هانكي»، نقرأ وصفاً لعناية القائد بجنده بعد مسيرة شاقة: «لقد كنا نعرف جميعاً أنه رئيسنا - انسان له كيانه الذى يختلف عنا كل الاختلاف. لذلك عرفنا كيف استطاع أن يكون متواضعا إلى هذا الحد الكبير، ولا يفقد باتضاعه جانباً من كرامته. لقد كان وديعاً متضعاً. وهذا أقل ما يقال عنه. إن أقل ضائقة تعرض لنا، لم تكن أتفه من ان تسرعى اهتمامه. فحينما طالت مسيرتنا، وكان ذلك أول عهد لنا بالمشاق، وتورمت والتهبت اقدامنا، بدا لنا من اهتمامه وكأنها أقدامه هو. بطبيعة الحال كان هناك كشف على اقدام الجند بعد كل مسيرة. كان هذا عملاً روتينياً. لكنه بالنسبة له لم يكن كذلك. كان يأتي إلى مجموعتنا، فإذا اكتشف قدماً ملتهبة، ركع على الأرض، وفحصها بكل عناية وكأنه طبيب. ثم وصف العلاج الذى فى متناول يده، والذى - يحمله أحد الجند فى حقيبة خاصة. فإذا كانت هناك ثألولة تحتاج إلى تفريغ قام بذلك بكل دقة حتى لا تتلوث القدم. ولقد كان يقوم بذلك بكل بساطة، واهتمام، لأنه كان يعرف أن اقدامنا لها قيمتها، وأنها كثيراً ما نهمل العناية بأنفسنا. وهكذا بدا لنا فى اهتمامه ولمساته المتواضعة الرقيقة رمزا للمسيح فيما عمله مع تلاميذه. وهكذا زاد حبنا واحترامنا له.

إن الذى يعرف كيف ينحنى جيداً ، كما فعل السيد حين غسل ارجل تلاميذه ، هو الذى يرفعه اتباعه فى النهاية ويتوجونه ملكاً على قلوبهم ، وتظل ذكراه ناطقة خالدة لاتنقطع فى مخيلتهم ..

## الغسل الألزم

( يوحنا ١٣ : ١ - ١٧ )

من تأملاتنا السابقة ، نعرف أنه ينبغي أن نتوقع أن يكون لبعض الفقرات أو الآيات التى يوردها «البشير يوحنا» ، معنيان .. فهناك المعنى الظاهرى السطحي الواضح . وهناك المعنى الأعمق تحت السطح . وفى هذه الفقرة التى أمامنا ، نكتشف معنى خفياً . فى ظاهر الأمر تمجد هذه الفقرة روح الأتضاع والوداعة . ولكن هناك ما هو أكثر من هذا . فضمن سطور القصة ، ترد محاجة بين «يسوع» وبين تلميذه الأول المقدم ، «بطرس» وموضوعها غسل الأرجل . فيسوع يقول لتلميذه كلاماً غامضاً : « إن كنت لا أغسلك ليس لك معنى نصيب» ، وبطرس يقول لسيدته : « يا سيد ليس فقط رجلى بل أيضاً يدي ورأسى » : فيقول له معلم الأجيال «الذى قد اغتسل لا حاجة به إلا إلى غسل رجله ، وإلا فهو طاهر كله» هذه الآية الأخيرة الغامضة ، هى التى تحتل معنيين . فلها معناها السطحي ، ولها أيضاً معناها الخفى العميق .

ما لاشك فيه ، أننا نجد هنا إشارة إلى فريضة المعمودية فى المسيحية : « إن كنت لا أغسلك فليس لك معنى نصيب » بمعنى إن لم تجتز فى مياه المعمودية ، فلن يكون لك نصيب مع رعية المسيح ... مع كنيسته وشعبه . هذا هو المعنى الظاهرى الواضح .

ولقد كان غسل الأرجل، عادة سارية بين يهود فلسطين . فلقد جرى العرف أنه قبل ذهاب إنسان إلى حفل ما ، أو إلى وليمة يدعى إليها ، كان يغتسل جيداً .

فإذا أتى إلى بيت المضيف ، لا يكون به حاجة إلى الأغتسال مرة ثانية ، لأنه قد اغتسل قبل ذلك .

ولكنه يكون بحاجة إلى غسل رجليه من تراب الطريق ، وهكذا قبل الدخول إلى المأدبة كانت تغسل الأرجل . . . . وهذا العمل كان يقوم به العبيد أو الخدم . أو بمعنى آخر كان هذا الأغتسال هو إغتسال الدخول إلى البيت . على هذا الأساس يقول السيد لبطرس « إن أهم ما تحتاج إليه الآن ، ليس الأغتسال الكامل لقد إنتهى زمانه، وأنت لست بحاجة إليه . أما الأغتسال الذي أنت بحق في حاجة إليه الآن، فهو الأغتسال الذي يفتح أمامك باب الدخول إلى أسرة الإيمان » .

وهذا يفتح المجال لمعنى آخر . إن « بطرس » في البداية، بروح التأدب والأحتشام ، يعارض في أن يقوم السيد بغسل رجليه . وإذا بالسيد يقول له إنه إن رفض الأغتسال ، فلن يسمح له بأن يكون له نصيب في المسيح . وكأني بيسوع يقول : « هل تظن يا بطرس ، أن في إمكانك أن تقوم بالأغتسال بدون معونة آخر ؟ هل تظن أن في إمكانك أن تقوم أنت بغسل قدميك ؟ هل تتملكك روح الكبرياء ، فترفض أن أقوم أنا بهذا العمل لك ؟ إذا فسوف نخسر كل شيء » .

لقد كانت فريضة المعمودية هي باب الدخول إلى كنيسة المسيح ، في العصر الرسولي . كما هي في أيامنا الحاضرة ، فالعهاد هو غسل الدخول إلى بيت الله ، وإلى أسرة الله .

ليس معنى هذا ، أنه إن لم يعتمد الإنسان لن ينال الخلاص . فكثيرون لم تتح لهم فرصة المعمودية ، ولكنهم خلصوا بالإيمان بالمسيح ، نظير اللص الذى كان عن يمين المسيح أثناء صلبه . قد لا تيسر الظروف ، ليقبل الإنسان فريضة المعمودية . ولكن إن كانت له الظروف المهيأة ، ومنعته روح الكبرياء من الخضوع لهذا الطقس المبارك ، والدخول من هذا الباب ، فما لاشك فيه ، أن كبرياءه ، تغلق الباب فى وجهه إلى النهاية فلا يكون له نصيب فى المسيح .

ولقد تغيرت الحال فى أيامنا الحاضرة ، فى الكنيسة الأولى ، كانت المعمودية ، من الصعوبة بمكان ، بالنسبة لأولئك الرجال والنساء . بغين ، أو المتقدمين فى العمر ، الذين يريدون أن يعتنقوا الدين الجديد . زد على ذلك أن شهادة الإنسان بالدخول فى مياه المعمودية وهو بالغ ، ليست نظير دخوله فى المعمودية وهو صغير . ومعظم الطوائف المسيحية فى أيامنا الحاضرة ، عدا القليل منها ، شأن الطوائف المعمدانية ، تتيح معمودية الصغار . ومعظمنا نال المعمودية وهو بعد طفل صغير . فلا صعوبة لنا فى هذه الممارسة .

ولكن الصورة التى يقدمها لنا المسيح فى تصرفه هذا ، وفى حديثه الرمزي مع تلميذه ، تؤكد حتمية المعمودية ، كركن ثابت من أركان الفرائض المسيحية ، وحتمية الخضوع لها كختم الأيمان . وكشهادة حية أمام الآخرين ، بأننا قد خلعنا الإنسان العتيق ، ولبسنا الجديد الذى يتجدد حسب صورة خالقه .

وبعض اللاهوتيين ينادون برأى آخر . فالغسل الأول الذى أشار إليه السيد بالقول : « الذى قد اغتسل » ، يشير إلى غسل التجديد . إنه

عملية سرية معجزية تتم في أعماق الإنسان ، يقوم بها روح الله، عند الإيمان بالمسيح . وهذه العملية لا تتكرر ثانية في حياة المؤمن ، أما العملية الثانية (غسل القدمين) فهي إشارة إلى الغسل المستمر في حياة المؤمن، حينما يأتي إلى ينبوع المطهر بين حين وآخر ، فينال تطهيراً مما علق به من غيار الطريق ، وتقديساً لحياته إلى التمام .



## عار الخيانة ومجد الاخلاص

لَسْتُ أَقُولُ عَنْ جَمِيعِكُمْ . أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ أَخْتَرْتُهُمْ .  
لَكِنْ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ . الَّذِي يَأْكُلُ مَعِيَ الْخُبْزَ رَفَعَ عَلَيَّ  
عَقِبَهُ . أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَّى مَتَى كَانَ  
تُؤْمِنُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ . الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ الَّذِي يَقْبَلُ  
مَنْ أَرْسَلَهُ يَقْبَلُنِي . وَالَّذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي

( يوحنا ١٣ : ١٨ - ٢٠ )

في هذه الفقرة نرى لمسات ثلاث واضحة ..

١ - في اللمسة الأولى ، نرى البشر يرسم لنا بأكثر وضوح ، ملامح  
خيانة يهوذا . فيسوع يقتبس ، نبوة من سفر المزامير ، وردت في المزمور  
الحادي والأربعين في العدد التاسع « رجل سلامتي الذي وثقت به آكل  
خبزي رفع علي عقبه » . ونحن نعرف من تقاليدنا الشرقية ، أن اقتسام  
الخبز والملح دليل الاخلاص ، والصدقة ، والمحبة ، والعهد ، بالألحون  
الواحد صاحبه . في سفر صموئيل الثاني الأصحاح التاسع ، يتكرر القول  
كيف أن « داود » أعطى « مفيوشت » ابن يونانان الحق بأن يأكل خبزاً علي  
مائدته ، في الوقت الذي كان ينبغي فيه أن يحذر منه كل الحذر ،  
كواحد من سلالة عدوه ، وورث طبيعي لعرش جده الملك . وفي

سفر الملوك الأول ( ١٨ : ١٩ ) ، نقرأ كيف أن أنبياء البعل كانوا يأكلون خبزاً على مائدة «إيزابيل» الملكة زوجة «آخاب». ان ذاك الذى يأكل خبزاً على مائدة إنسان . قد قطع عهداً على نفسه ، ألا يتنكر لذلك الإنسان أو يضع يده فى أيدي أعدائه ، أو يخونه فى أى طريق ، فإذا حدث منه أى تصرف شائن ، يكون هذا أقسى من أن يتصوره عقل . ونحن نجد المزمع فى المزمور الخامس والخمسين ، يصور لنا مشاعره ضد صديق انقلب عليه : « لأنه ليس جدو يعترنى فأحتمل . ليس مبغضى تعظم على فأبججىء منه بل أنت إنسان عدلى إلقى وصدىقى الذى معه كانت تحلو لنا العشرة . إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور » ( مزمور ٥٥ : ١٢ - ١٤ ) . إن كل الآلام والأحزان ، تركز فى نفسية إنسان إنقلب عليه صديقه ، فلا شيء يعدل فى مرارته مرارة الخيانة . إنها تكسر قلب المحب .

لاحظ أيضاً التعبير : « رفع على عقبه » . إنها استعارة من صورة حيوان تقدم منه صاحبه ، ليقدم له الطعام ، فإذا به يركله بكل عنف ، قضيها الحيوانية ، وفيها النزول إلى مستوى البهائم ، وفيها القسوة فى الخيانة . فقد تصيب الركبة مقتلاً فى الإنسان فتميته . فى الأصل العبرى ، يرد القول حرفياً : « كبر عقبه وخشنه » دليل القسوة ومرارة الخيانة ، والعنف الرهيب . فى هذه الكلمة ، لانبجداشارة إلى غضب الذى أسىء إليه ، بل إلى حزنه وألمه وأنكساره . إن «يسوع» هنا يعلن ، لهوذا حزنه العميق ، ويكشف له فى صورة أخاذه عن قلبه الكسير .

٢ - لكن هناك التأكيد بأن هذه المأساة من أولها إلى آخرها . لها مكانها في المخطط الألهي ، فهي بسماع منه وترتيب ، وان «يسوع» قبلها بكل ارتياح ، لأنها ضمن القصد الإلهي . لقد قال الكتاب هذا ، ولا بد أن يتم المكتوب . فمما لا شك فيه أن هدف الله هو خلاص العالم . وأن ذلك الخلاص على حساب دم المخلص وقلبه الكسير . ولقد كان «يسوع» يعلم ما لا بد أن يتم ، فهو لم يؤخذ على غرة ، ولم يكن ضحية الظروف ، لقد كان سيد موقفه . كان يعرف التكلفة وكان على استعداد لأن يدفع الثمن ، ولقد حرص بالتالي على أن يعلن لتلاميذه هذه الحقيقة . فهو ليس في طريقة إلى الأختيال ، أو المؤامرات التي تنتهي بقتله عنفا وقسراً . بل إنه اختار الموت طواعية وعن طيب خاطر . في ذلك الوقت لم يكشف عن عين التلاميذ ليصروا ذلك . ولم يكشف عن أذهانهم ليدرکوا هذه الحقيقة . ولكنه تنبأ بان يأتي اليوم الذي ينظر فيه رسله إلى الأحداث التي مرت بهم ، ويدکروا ما قاله لهم ، فيعرفوا كل شيء .

٣ - وهناك لمسة ثالثة علاوة على صورة الحياة من جانب التلميذ الخائن ، ولمسة الرضى والتسليم من جانب «يسوع» . هناك لمسة تصور لنا مجد الاخلاص . فيوما من الأيام سيحمل اتباع المسيح رسالته إلى العالم أجمع - - - - - وحينما يفعلون ذلك لن يكونوا في عملهم ، في مستوى أقل ممن يضع يده في يد الله عاملاً معه لإتمام مقاصده . حينما يبعث سفير من دولة ما ، إلى دولة أخرى ، فانه لا يرسل إلى تلك الدولة بصفته الشخصية ... ولا يذهب هناك لمؤهلاته أو صفاته . إنه يذهب محوياً بكرامة أمة ، محملاً بمسئولياتها ، حاملاً لأعبائها .

وفي البلد الغريب قد لا يعرف الناس اسمه الشخصي ، لكنهم يعرفون عنه أنه سفير لتلك الدولة التي أرسلته . لناخذ مثلاً ، سفير مصر في واشنطن ،

إنه يحمل كرامة الشعب المصرى ويتحمل أيضاً مسؤولياته . فحين يتكلم  
تصغى أمريكا فى صوته إلى صوت مصر .

حينما ينادى بحق من الحقوق ، ترى فى مناداته رأى الشعب الذى  
أرسله ، وحينما يدعى إلى حفل تكريم ، يكرم البلد الذى أرسله فى  
شخصه ، وحينما توجه إليه أدنى إهانة ، يكون فى ذلك إهانة لأمتة ، لمن  
أرسله . إن له أعظم الأجداد . وعليه أعظم المسؤوليات .

إن كوننا قد أصبحنا مسيحيين يحيطنا بأعظم كرامة ، كما يفرض  
علينا أعظم مسؤولية... كوننا قد أصبحنا مسيحيين معناه أن «يسوع المسيح»  
قد أرسلنا إلى العالم ممثلين عن شخصه ، وعن جلاله . فنحن نتحدث  
بلسانه ونعمل لمجده ، ونسعى لرفعته . ونرفع صليبه ، وننادى بحقه ،  
ونبذل الجهد لآتى ملكوته . إننا رسله الذين نعمل عنه . وهكذا فإن كانت  
تحيط بنا أجداد مرسلنا فالمسؤولية فى أعناقنا .

## نداء المحبة الأخير

لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا أَضْطَرَبَ بِالرُّوحِ وَشَهِدَ  
وَقَالَ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيَسَلَّمُنِي .  
فَكَانَ التَّلَامِيذُ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَهُمْ مُحْتَارُونَ  
فِي مَنْ قَالَ عَنْهُ . وَكَانَ مُتَكِنًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ  
مِنَ التَّلَامِيذِ كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ . فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ سَمْعَانَ  
بَطْرُسُ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ .  
فَاتَّكَأَ ذَلِكَ عَلَى صَدْرِ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدُ مَنْ هُوَ .  
أَجَابَ يَسُوعُ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللَّقْمَةَ وَأَعْطِيهِ .  
فَغَمَسَ اللَّقْمَةَ وَأَعْطَاهَا لِيَهُودَا سَمْعَانَ الْإِسْخَرِيُوطِيَّ .  
فَبَعْدَ اللَّقْمَةِ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ مَا أَنْتَ  
تَعْمَلُهُ فَأَعْمَلُهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ . وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ  
مِنَ الْمُتَكِنِينَ لِمَاذَا كَلَّمَهُ بِهِ . لِأَنَّ قَوْمًا إِذْ كَانَ

أَلصُّنْدُوقُ مَعَ يَهُودًا ظَنُّوا أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ أَشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ  
إِلَيْهِ لِلْعِيدِ . أَوْ أَنَّ يُعْطَى شَيْئاً لِلْفُقَرَاءِ

فَذَلِكَ لَمَّا أَخَذَ أَللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلوُوقَتِ . وَكَانَ لَيْلًا .

(يوحنا ١٣ : ٢١ - ٢٠)

في تأملنا في هذه الفقرة تتضح لنا أكثر من صورة . . فهناك خيانة  
«يهودا» تبدو في أشنع صورها . لقد كان «يهودا» ممثلاً على مسرح الربا  
أتقن دوره إلى أبعد حدود الاتقان . كان مرئياً ومنافقاً كبيراً . وهذه  
مؤهلات في الأجرام لا تتوفر لكثيرين . فلو عرف بعض التلاميذ ما كان  
مزماً أن يفعله .. لو أدركوا مخطط الخيانة الذي كان يدور في خلده...  
لو علموا أنه بعد ساعة أو بعض ساعة، سيأتي إليهم محوطاً بثلة الغدر والحقد  
والدناء ، فن الأكيد أنه ما كان ممكناً أن يغادر العلية حياً . بل كان سيلقى جزاءه  
العاجل ، وتتوقف للنهية مهمته الدموية . لقد كان ليهودا مظهر قديس ،  
وقلب شيطان . كان في كل لحظة يتظاهر بعمل محبة ، أو يتحدث بكلمة  
إخلاص ، أو يظهر روح التقوى ، حتى انخدع الجميع بمظهره - عدا  
«يسوع» . لم يكن «يهودا» مجرماً خلع عنه برقع الحياء فحسب ، بل كان  
مرئياً ومنافقاً كبيراً . هنا تحذير لنا . إننا بمظهرنا قد نخدع إخوتنا .  
ولكن لا شيء يخفى عن عيني القدير ...

ولكن هناك ما هو أكثر من هذا . حينما نتأمل في منطلق الأحداث في  
تلك الليلة . ، فإنا نرى فيها أكثر من نداء يدعو الحائن للتروى والرجوع  
إلى عقله وضميره .

١ - فهناك وضع الأرائك حول المائدة . فلقد جرت العادة في تلك الأيام أن يتكئ الطاعمون على المائدة لا أن يجلسوا إليها معتدلين كما يجلس نحن في أيامنا الحاضرة . لقد كان الاتكاء من دلائل العز والرفاهية .

لذلك فقد كانت الموائد منخفضة في مستواها ، مصنوعة من الحشب الصلد . وكانت الأرائك تصف حولها من الجوانب الثلاث . أما الجانب الرابع فقد كان مفرغا يصل إلى داخل المائدة بحيث كان منظرها يشبه حرف U في اللاتينية . وكان مركز الأعزاز أو الصدارة للضيف الممتاز هو في قلب الجانب المفرغ . وكان الضيوف يتكئون على جنوبهم مستدين رؤوسهم بالأيدى اليسرى ، أما اليمنى فيتناولون بها الطعام . بهذه الصورة يكون رأس الواحد بالفعل على صدر زميله المتكئ خلفه . ولقد كان « يسوع » يجلس في قلب المكان المفرغ من المائدة . وعن يمينه كان يتكئ التلميذ الذي كان « يسوع » يحبه ، كما أراد كاتب البشارة أن يخفى اسمه . فحين كان يرجع برأسه إلى الوراء كان يسند رأسه بالفعل على صدر « يسوع » - ومع أن المرجح أن التلميذ الذي كان « يسوع » يحبه هو يوحنا كاتب البشارة ، إلا أن هناك من ظن أنه « لعازر » ، لأنه قيل عن « لعازر » أن « يسوع » كان يحبه . ( يوحنا ١١ : ٣٦ ) . وهناك من قال بأنه الشاب الغني ، لأنه ورد القول عنه في بشارة مرقس ، إن « يسوع » نظر إليه وأحبه ( مرقس ١٠ : ٢١ ) وهناك من قال إنه تلميذ آخر مجهول ، كان أثيراً عند « يسوع » وعزيراً عليه معزة الأبن . وهناك من ظن أن هنا القول لا يشير إلى شخص مادي من لحم ودم ، بل هو إشارة إلى مثالية التلمذة في ارتباطها بقلب « يسوع » ! ولكننا نؤكد مرة أخرى ، إستناداً على أقوال الآباء ، ويشاركنا غالبية المفسرين في هذا الرأي ، إن التلميذ الذي كان « يسوع » يحبه ، لم يكن سوى « يوحنا » ، وأنه بصفته كاتباً البشارة ، كان ينجل من ذكر اسمه صراحة .

ولكن الذى يهمنى فى هذه الصورة هو مكان «يهوذا» . من الواضح من تفاصيل القصة ، أن «يهوذا» كان فى وضع قريب جدا ، بحيث يمكن أن يهمس إليه السيد بحديث يسمعه هو ، ولا يسمعه بقية التلاميذ. و«يوحنا» ثبت لنا حديثا سريا أو شبه سري ، دار بين «يسوع» وبين «يهوذا». ولئن كان الأمر كذلك فهناك موضع واحد ، لا بد وأن يكون قد احتله ذلك التلميذ الخائن ..... لا بد وأنه كان متكئا على يسار «يسوع» . وكما كان يوحنا فى حضن «يسوع» ، هكذا كان «يسوع» إذا أسند رأسه إلى الوراى يسنده على صدر «يهوذا» ! وبما يستدعى التأمل أيضاً ، أن الوضع اليسار بجوار المضيف ، كان أسمى مراتب الشرف وكان يحتله أقرب الأصدقاء . وأتأنا نتصور المسيح فى بداية حفل العشاء يقول لتلميذه الخائن : «يهوذا . إن لى حديثاً معك الليلة . تعال واتكىء إلى جانبي» لقد كانت دعوة السيد ليهوذا ، نداء من نداءات المحبة وجهه إلى قلبه .

٢ - ولكن ، هناك ما هو أكثر من هذا . فنحن نرى «يسوع» يغمس اللقمة ويضعها فى فم تلميذه . إن قيام المضيف بنفسه بكسر الخبز ، وغمسه فى الصفحة ، وتقديمه إلى ضيفه ، إشارة إلى أسمى مراتب الصداقة والألفة . فى العهد القديم فى سفر «راعوث» نقرأ عن «بوعز» أنه أكرم «راعوث» إكراماً زائداً ، حينما دعاها لتغمس لقمته فى صفحة الخبز معه . ( راعوث ٢ : ٤ ) ولكن ما هذا إزاء من يقوم بنفسه بكسر الخبز ، وغمسه فى الصفحة بيده ، وإعطائه لمضيفه !

فى لسة طريفة من لسات الحياة فى فلسطين ، يحدثنا «ت.ى . لورنس» إنه جلس مع الأعراب فى خيامهم ، وكان مضيفه الثرى يكرمه . فيقطع قطعة كبيرة من الحروف المشوى بأكملة ، ويضعها فى يد «لورنس» - صورة للأكرام العربى الزائد - ثم يتبع ذلك ، الأصرار على أن يأكلها كلها



بشحمها المكتنز . وهكذا حينما كسر «يسوع» الخبز ، وغمس اللقمة ، وأعطى تلميذه ، كان يعلن له عواطف قلبه ووجه ، ومعزته لديه . نلاحظ أنه حين تقدم «يسوع» باللقمة ، لم يجد «يهوذا» في هذا تصرفاً غريباً . ولعل السيد اعتاد أن يعامله بهذا التدليل . لقد كان «يهوذا» أثيراً عند المسيح .

هنا يكمن جوهر المأساة . لقد تقدم «يسوع» لهذا القلب المتحجر بأكثر من نداء من نداءات المحبة ، وبأكثر من تصرف ينطق بالاعزاز . ولكن قلب يهوذا كان موصداً متجمداً . . الرب يجنبنا هذه الحالة المرة التي تنتهى بصاحبها إلى المصير المظلم القاسى .

### نداء المحبة الأخير (تابع)

( يوحنا ١٣ : ٢١ - ٣٠ )

وهكذا تستمر أدوار الدراما الحزينة إلى النهاية ، فرى «يسوع» يكرر نداء المحبة المرة تلو الأخرى ، مقدماً الفرصة بعد الفرصة لتلميذه ، لكي يرجع إلى صوابه ، فاتحاله أحضان محبته وحنانه وغفرانه . ساعياً ليخلصه من المصير القاسى الذى ينتظره .

ثم تأتى اللحظة الحاسمة فى المسرحية الكثيرة ، هنا يبدو أعظم انكسار فى تاريخ الإنسان ، حينما انكسرت محبة «يسوع» ، أمام عناد وقساوة وخيانة «يهوذا» . فإذا برب الجنود يهمس لتلميذه فى نعمة حزينة : « ما أنت تفعله فافعله بأوفر سرعة » . وكأنى بيسوع قد نقض يده منه إلى الأبد . . وكأنى به قد فشل فى إصلاح تلك الحالة ، فاستسلم فى النهاية للواقع المرير . . ما أنت فاعله ، فقم به ، واتممه دون ابطاء . .

ومع ذلك لم يدرك التلاميذ شيئا . لقد ظنوا أن الرب يأمر تلميذه بعمل استعدادات للفصح القادم ، أو أن يعطي شيئا للفقراء .. فلقد جرت العادة في العيد ، أن من له ينبغي أن يشارك من ليس له ، فالعيد فرصة الأحرار والعطاء للفقراء . إلى يومنا الحاضر جرت العادة في الأعياد على تقديم الهدايا للمعوزين ، وخاصة في الأعياد التي تعقب الأصوام المقدسة. وهكذا ظن التلاميذ أن «يسوع» أرسل حامل الصندوق على عجل ، لتقديم المعونة الواجبة للفقراء في مناسبة عيد الفصح، حتى يشتركوا مع المعيدين في طعامهم وأفراحهم .

وحالما أخذ يهوذا القمعة من السيد ، وبلعها، إذا بالشیطان يملأ كيانه. إنه لأمر مخيف حقا، أن الوسطة التي قدمت بروح المحبة ، وندائها الرقيق، تتحول إلى واسطة لعنة وقساوة . ولا قوة تستطيع أن تفعل ذلك إلا قوة الشيطان، في استسلام الإنسان له، وطاعته العمياء لإرشاداته . فهو يتخذ حتى وسائل النعمة والحياة ، ليحولها إلى وسائل لعنة وهلاك . إنه يأخذ المحبة ، تلك الزينة الإلهية التي وهبت للمخلقة بقصد إلهي مجيد ، ويحولها إلى شهوة ، وهو يأخذ القداسة في حياة أنسان ، ويحولها إلى غرور وتعال على الآخرين، وهو يأخذ روح النظام ، ويحولها إلى مشادة واضطهاد . ينبغي أن نكون على حذر: حتى لا يدخل الشيطان جنة حياتنا ، ويعيث فيها فسادا . ويستخدمها لأغراضه الشريرة .

مدونة وهكذا خرج يهوذا من الدائرة . وكان ليلا : إن البشر يوحنا له القدرة على التخلي عن الكلفة القوية للمعيرة المناسبة، في وضعها المناسب . كان ليلا لأن النهار كان قاصداً والشمس غروباً ، وكان ليلا من نوع أفسى وأشد مرارة بالنسبة للتلميذ الخائن . في الوقت الذي يتباغض فيه الإنسان عن دائرة نور

العالم .. عن دائرة المسيح ، ليتبع أهواءه وشهواته ، يخرج إلى دائرة الظلمة الخارجية ، حيث البكاء وصرير الأسنان .. في الوقت الذي يصغى فيه إلى اغراءات الشرير ، ويتبع رغباته الباطلة يصبح كالأعمى ، في الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى ، لأن الظلمة قد أعمت عينيه ... في الوقت الذي يعنى الحقد القاتل بصيرة الإنسان ، فيفعل كل شيء مدفوعا بروح الإنتقام ، يصبح النور أمامه ظلاما . في الوقت الذي يدبر فيه الإنسان ظهره ليسوع المسيح ، يدخل في دائرة الليل الأبدى .

إن أخضعنا ذواتنا للمسيح ، نسلك في النور . لكن إن أدرنا ظهورنا له نخرج إلى الظلمة . أمامنا طريقان : طريق الليل ، وطريق النهار ، ليت الإله السرمدي يعطينا الحكمة فنحسن الاختيار حتى لا نصل إلى مصير الخيانة والغدر ... ذلك المصير المظلم القاسى .

## أركان المجد الأربعة

فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ يَسُوعُ الْآنَ تَمَجَّدُ ابْنُ الْإِنْسَانِ وَتَمَجَّدُ  
اللَّهُ فِيهِ . إِنَّ كَانَ اللَّهُ قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمَجِّدُهُ  
فِي ذَاتِهِ وَيَمَجِّدُهُ سَرِيعاً .

(يوحنا ١٣: ٣١ و٣٢)

في هذه الفقرة نكتشف أركاناً أربعة للمجد :

١ - يقول «يسوع» الآن تمجد ابن الإنسان. هذا هو مجد الصليب، مجد  
ميتة العار . لقد توقف الصراع وزالت الشكوك ، ومضى «يهوذا» إلى غايته ،  
وأصبحت للصليب واقعيته . ولقد كان مجد «يسوع» في صليبه . في توضيحه  
العظمى . في كفارته ، هذا هو الغرض من مجيئه . بل هذا هدف حياته .  
إن أعظم مجد في الحياة ، هو المجد المبني على التضحية . ونحن نعرف  
ذلك جيداً ، وعلى الأخص في أوقات الحروب . فنحن نضع هالات المجد  
لبس حول هامات الأحياء ، بل حول صور الشهداء . أولئك الذين  
ضحوا بحياتهم في سبيل غيرهم .

وفي ميدان الطب والتمريض ، لا نخلد ذكرى أولئك الذين كرسوا  
الأموال ، واقتنوا الممتلكات ، بل للذين ضحوا في سبيل اكتشاف سر  
مرض من الأمراض ، وطريق العلاج منه . إن منطق التاريخ ينادى ، أن  
أولئك الذين بذلوا العرق والدمع والدم قد دخلوا إلى الأجداد . فقد تنسى  
البشرية الرجل الناجح ، لكنها لا يمكن أن تنسى الرجل المضحي .

٢ - وفي «يسوع» «الابن المبارك»، في ابن الإنسان ، تمجد الله الآب . فطاعة الابن مجدت الآب . هناك طريق واحد يثبت فيه الإنسان محبته وإعجابه وثقته بقائده . وذلك باطاعة أوامره حتى لو انتهت به إلى نهاية قاسية ، الطريق الوحيد الذى يكرم به الجندى قائده هو بالطاعة العمياء دون أدنى اعتراض أو تساؤل ، الطريق الوحيد الذى يكرم به الإبن أباه ، هو طاعته له . ولقد أعطى «يسوع» المجد الأعظم ، والأكرام الأعظم لله ، فى طاعته الكاملة للآب .. الطاعة التى أوصلته حتى إلى ميتة العار . . موت الصليب .

٣ - وفي «يسوع» مجد الله ذاته . لعله من الأمور العجيبة التى تدعو للتأمل ، أن مجد الله الأعظم ، يكمن فى التجسد وفى الصليب . فلا مجد يعدل مجد المحبة . لو بقى الله فى محيطه السرمدى بعيدا عن آلام البشر ومتاعبهم وحاجاتهم ، معظما ، ممجدا ، رفيعا ، لا تصل إليه مشكلات البشر ، لكان البشر يخشونه ، ويعبدونه عبادة الخوف ، لكنهم ما كانوا يحبونه محبة القلب . إن ناموس التضحية لا ينطبق على الأرض فحسب ، بل يسود أيضا على دوائر السماء العليا ، فى التجسد وفى الصليب أعلنت أعظم أمجاد الله .

٤ - وهذه الفقرة تؤكد لنا أن الله سيمجد «يسوع» .

هذا هو الوجه الآخر للمسألة . صحيح أن الصليب فى حد ذاته يمجّد يسوع المصلوب . لأنه أسمى مراتب التضحية والفداء . ولكن بعد الصليب ، والموت والقبر ، ستأتى أمجاد وأمجاد . فهناك القيامة ، وهناك الصعود . . وهناك انتصار المسيح النهائى ، فى مجيئه الثانى لإقامة الموتى ، وتمجيد المؤمنين .

لقد رأى « يسوع » فى الصليب مجده . ولكن اليوم أتى ، واليوم أيضا سيأتى ، حينما يستعلن هذا المجد للعالم أجمع ، إن تمجيد المسيح ينبغى أن يتبع اتضاعه . وتتويج المسيح وجلوسه على العرش ينبغى أن يتلو صليبه وهوانه . إن إكليل الشوك ، ينبغى أن يتحول إلى تيجان المجد . إن الحملة هى حملة الصليب ، ولكن الملك ينبغى أن يدخل إلى الوجود فى موكب انتصارى يراه العالم كله .

## وصية والوداع

يَا أَوْلَادِي أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلًا بَعْدُ . سَتَطْلُبُونِي  
وَكَمَا قُلْتُ لِلْيَهُودِ حَيْثُ أَذْهَبُ أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ  
أَنْ تَأْتُوا أَقُولُ لَكُمْ أَنْتُمْ الْآنَ . وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا  
أُعْطِيكُمْ أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا . كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا  
تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا . بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ  
أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ .

( يوحنا ١٣ : ٣٣ - ٣٥ )

في هذه الفقرة، يقدم معلم الأجيال وصيته الوداعية لتلاميذه . لقد أصبح  
الوقت مقصراً منذ الآن . وإن كان لهم أن يسمعوا صوت الحبيب ، فليستمعوا  
إليه الآن وإلا فلا . إنه يعد العدة للرحلة المنفردة ، التي لن يرافقه فيها أحد منهم  
إنه على وشك أن يبدأ السير في الطريق المنفرد ، الذي لا يشاركه فيه إنسان .  
وهذا قبل أن يبدأ مسيرته إلى الوجود الذي خلف الحجاب ، فليتقدم إليهم  
بوصيته الوداعية ، فيقول لهم : «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تربط أحدكم  
بالآخر برباط الحب ، الذي ارتبطت به معكم ، وأن يظهر أحدكم للآخر  
روح الحب الذي أظهرته من نحوكم ، وأن يضحى أحدكم في سبيل الآخر ،  
إن اقتضى الأمر ، بنفس التضحية التي ضحيتها من أجلكم ، والتي سوف

أضحى - وصية جديدة أنا أعطيتكم أن تحبوا بعضكم بعضا . كما أحببتكم أنا تحبون بعضكم البعض » ، ترى ماذا يعنى هذا بالنسبة لنا ؟ كيف أحب تلاميذه ؟

١ - أولا لقد أحب «يسوع» تلاميذه بكل إيثار وتفضيل . بكل تكران للذات ، فى أسمى درجات المحبة الإنسانية لابد وأن يوجد شىء من الذات . فتحن نحب ، و محبتنا تفكر فيما يمكن أن نفيده من وراء هذه المحبة . . . على أقل تقدير إن لم يكن هناك الكسب المادى ، فالكسب الأدبى - السمعة الطيبة بين الناس ، ومحبة الآخرين لنا . أو السعادة التى نشعر بها حينما نحب الآخرين ونخدمهم ، وتجنب الفراغ الموحش إذا اعتزلنا عنهم فى دائرة الأنانية ، هكذا نفكر ، وهكذا يدفعنا تفكيرنا ، وعلى هذا الأساس نحب . ولكن «يسوع» فى محبته ، لم يفكر قط فى راحته ، ولا سعادته ، ولا كسبه الأدبى ، أو المادى . لقد كانت طبيعته أن يحب ، ويضحى ، ويذلل ، ولا ينتظر شيئاً . هذه هى المحبة الأسمى .

٢ - ولقد أحب تلاميذه بأسمى درجات التضحية . فلم تكن هناك حدود للمحبة التى تقدم بها . إننا نحب فى دائرة محدودة ونتوقف عند حدود تلك الدائرة . ولكن يسوعنا ، أحب وضحى حتى وصل به الأمر أخيراً إلى التضحية بنفسه ، وكما قيل : « الجود بالنفس أسمى غاية الجود » . إن محبته لم تستعظم أية تضحية . ولم تراجع أمام عظم الكلفة . فلو اقتضت المحبة الصليب فمرحبا بالآلام ، والهزء ، والعار ، والجلجثة . و . الصليب . إننا كثيراً ما نخطئ فهم المحبة ، فنظن أنها ينبغى أن تضمن لصاحبها السعادة . ولكن طريقها قد يكون ممثلاً بأشواك الألم والتضحية ، وربما الموت . . . نعم قد تتطلب المحبة الصليب .



٣ - ويسوع أحب تلاميذه بوعى وإدراك . لقد كان يعرفهم ، ويدرك كل شى عنهم . كان يعرف ضعفهم ، وقصورهم ، وعجزهم عن الوصول إلى الكمال ، وتحلفهم في مبادلتهم محبة بمحبة . ومع كل هذا أحبهم . كان يعرف خيانة «يهوذا» ، وجبن «بطرس» ، وشك «توما» . وعدم ثبات التلاميذ أمام العاصفة ، ومع هذا أحبهم . إن الذين يحبوننا . ويتفانون في حينا ، هم أناس لا يعرفون حقيقةتنا ، وربما يتصورون فينا المثالية . فإذا ظهرت عيوبنا بردت محبتهم . أنهم لا يعرفوننا ، لأنهم لا يعاشرونا ، وهكذا يشاهدوننا في أبهى زينتنا . ولكنهم إذا عاشوا معنا ، وكانت لهم العشرة ، فإنهم مهما حاولنا أن نخفي عنهم نقصاتنا ، لا بد أن يكتشفوا الحقيقة ، يوماً أو آخر ، وهكذا نسقط من اعتبارهم . ولكن «يسوع» عاش تلاميذه ، أكل معهم ، وشرب ، وتعب ، ونام معهم تحت سقف واحد . عرفهم في القرية ، واختبرهم في السفينة في البحر ، وسار معهم في المسيرة الموحشة ، واختبر معهم حر الصيف وبرد الشتاء . لقد عرف كل شى عنهم ، ومع ذلك أحبهم .

قد يتمثل البعض بالقول ، إن الحب أعمى . ليس الأمر هكذا مع الفادى ، لأن الحب المبني على الغفلة ، ينتهى حينما تفتح العينان . أما المحبة الحقيقية ، فهى دائماً مفتوحة العينين . أنها لا تحب ما تختيله في الشخص المحبوب ولكنها تحبه كما هو ، بعيوبه وضعفاته ، وميزاته وحسناته . إنها لا تحب جانباً واحداً فقط من المحبوب ، ولكن المحبوب بأكمله . أنها لا تحب للأحسن ، ولكنها تفيض بمحبتها على فرض الأسوأ . إن قلب «يسوع» كبير إلى هذا الحد حتى يحبنا كما نحن .

٤ - ولقد أحب السيد تلاميذه بروح الغفران . فأول من فيهم ، التلميذ المقدام ، «سمعان بن يونا» سينكره . وكلهم في الساعة الحاسمة سيهجره

ويهرب بعيداً . - في وجوده معهم لم يفهمه واحد منهم . لقد كانوا عمياناً أو أقرب إلى العميان ، قلوبهم مغلقة ، أفهامهم بطيئة وفي النهاية قاموا بدور الجبان الرعديد ، فلم يثبتوا أمام العاصفة . ولكن رب الغفران لم يحتجز في قلبه أية اساءة . فلم توجد خطيئة أكبر من أن يغفرها . المحبة التي لا تعرف كيف تغفر مألها إلى الذبول والموت ، فنحن بشر ضعفاء . وهناك طبيعة غيبية في كياننا ، تدفعنا إلى أن نوجه الاساءة لمن تقدم إلينا بالخير . لهذا السبب عينه ، فإن المحبة الحقيقية ينبغي أن تكون محبة غاقرة صفوحة ، فإن لم تكن كذلك فمصيرها إلى الانتهاء .

## الوفاء المترنح

قَالَ لَهُ سِمَعَانُ بَطْرُسُ يَا سَيِّدُ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ . أَجَابَهُ  
يَسُوعُ حَيْثُ أَذْهَبُ لَا تَقْدِرُ الْآنَ أَنْ تَتَّبِعَنِي وَلَكِنَّكَ  
سَتَتَّبِعُنِي أَحْيِرًا . قَالَ لَهُ بَطْرُسُ يَا سَيِّدُ لِمَذَا لَا أَقْدِرُ  
أَنْ أَتَّبِعَكَ الْآنَ . إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي عَنْكَ . أَجَابَهُ يَسُوعُ  
أَتَضَعُ نَفْسَكَ عَنِّي . الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ لَا يَصِيحُ  
الَّذِيكَ حَتَّى تُنْكِرَنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

( يوحنا ١٣ : ٣٦ - ٣٨ )

تري ، ما هو الفارق بين «يهوذا الاسخريوطي» ، و«سمعان الملقب « بطرس» ؟  
لقد أسلم «يهوذا» سيده . وأنكره «بطرس» في ساعة الحاجة المتأزمة ، بحلف  
ولعن . ومع ذلك ففي الوقت الذي تذكر فيه يهوذا بكل احتقار ، ونجمله  
بالخزي والعار ، نحيط «بطرس» بهالة رقيقة حلوة . لماذا؟ أعتقد أن السبب  
يكمن في طبيعة السقطتين فخيانة «يهوذا» كانت اختيارية مائة في المائة ، قام بها  
صاحبها في ملء الصحو واليقين ، وخطط لها بتدبير سابق ، بثوذة وروية .  
أو كما يقول الإنجليز لقد ارتكب جريمته في الدم البارد His crime was  
carried out in cold blood . ولقد دبر لجريمته وأصر عليها ، في الوقت  
الذي تقدم فيه سيده إليه بنداء المحبة تلو النداء .

أما «بطرس» فلم يدبر لسقطته . لقد انزعته العاصفة المفاجئة انزعاجاً من ثباته فسقط . لقد ضعفت ارادته ضعفاً مفاجئاً . ولكن القلب كان سليماً وكانت حالة مرضية ما لبثت أن زالت ، وعاد صاحبها سليماً معافى كما كان .

إن الفارق بين خطية «يهوذا» ، وخطية «بطرس» ، أن الأولى كانت إختيارية استغرقت في إعدادها ، وتدبيرها ، وتنفيذها وقتاً طويلاً ، أما الثانية ، فكانت اضطرارية بنت لحظتها وقعت ، وخلفت بعدها أسى العمر . هناك فارق بين الخطية الشاعرة بمكانها وبوجودها ، بقيمتها ، بدوافعها ، وبتأثيرها ، وبين الخطية القاهرة التي تباغت الإنسان في ضعفه . أو في ظروفه ، الخاصة حتى يفقد وعيه ، ولا يدري ما هو فاعل . الرب يحميننا من أن نفعل بأنفسنا ، أو باخوتنا شيئاً رديئاً !

وهناك طيف جميل جذاب ، في علاقة «يسوع» مع «بطرس» . فلم يعرف إنسان إنساناً ما ، قدر ما عرف «يسوع» تلميذه .

١ - لقد كان «يسوع» يعرف «بطرس» في ضعفه . كان يعرف أنه إنسان مندفع . فهو متقلقل منزوع كالموجة المتأرجحة . كان يعرف أن «بطرس» قد اعتاد أن يتكلم بدافع عواطفه قبل أن يجتر الكلام في فكره كان يعرف قوة إخلاص «بطرس» ، وضعف عزيمته ، لقد كان السيد يعرف تلميذه تمام المعرفة .

٢ - وكان يعرف «بطرس» في قوة محبته ، لقد كان يعرف أنه مهما ضعف أو تعثر فهو ما زال المحب الملتهب جداً . كثيراً ما تقابل باسائة من أخ ، أو بعثرة من صديق ، أو بشيء يجرحنا من محب ، آه لو نعرف أن هذه الأسائة أو العثرة أو الجرح ، ليس نابعا من الإنسان الحقيقي ، وأن

خلف المظهر الجاف يوجد قلب ناصع البياض ؟ إن البعض كثرة جوز الهند التي تبدو جافية خشنة في مظهرها ، وفي الداخل بيضاء و صافية ، فالإنسان الحقيقي ليس هو الذي يجرحنا ... الجوهر ليس القضية الطارئة ، أو الكلمة المتسرعة ، إنه المحبة الكامنة ، لقد كان «يسوع» يعرف «بطرس» ، يعرف محبة «بطرس» ، وصدق «بطرس» ، وإخلاصه ، وقلبه الكبير . كما كان يعرف همومه وتسرعه وضعفه واندفاعه ، وكم نوفر على نفوسنا الكثير من المتاعب والآلام لو نفذنا ببصائرنا إلى الجوهر الطيب ، وأغفلنا السقطة الطارئة .

٣ -- لقد كان السيد يعرف ما كانه «بطرس» وما يكونه ، لكنه عرف أيضاً ما سوف يكونه . لقد عرف أن تلميذه ستعثر قدماه في الطريق عثرة طارئة . لكنه كان موقناً أنه سيأتي اليوم الذي تسير فيه نفس القدمين إلى صليب الأستشهاد . هنا نرى لحظة مشرقة من عظمة «يسوع» وجلاله : إنه يرى البطل المغوار في الرعيد الجبان ا يرى فينا لا ما نحن عليه ، بل ما نستطيع هو أن يصنعه بنا بقوته ، وبروحه ، وبعمل نعمته ، إن «يسوع» هو صاحب القلب الكبير الذي ينفذ إلى أبعدهما نحن عليه ، فيرى ما سنكونه ، وله بالتالي النعمة العظمى ، والقوة التي تجعلنا نصل إلى قمة انتظاراته فينا .

## الأصحاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ

موعد المجد

لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ . أَنْتُمْ تَوَدُّونَ بِإِلَهِ فَاْمِنُوا بِي .  
فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ . وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ  
لَكُمْ . أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا . وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعَدَدْتُ  
لَكُمْ مَكَانًا أَتِي أَيْضًا وَأَأْخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا  
تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا .

( يوحنا ١٤ : ١ - ٣ )

هنا نرى عقارب الزمن تقرب من الساعة الحاسمة . وها شمسهم المشرق  
الساطع سيغرب في ساعة الظهيرة ، ومن بعده يصبح العالم بالنسبة لهم خراباً ويأساً  
وظلاماً . في مثل تلك الحالة ، ليس أمامهم سوى سبيل واحد : أن يتمسكوا  
بإيمانهم بالله .. أن يمسكوا بالله بيد الثقة واليقين . لقد اجتاز المرغم في القديم  
في ظروف نظير هذه . وهكذا نستمتع إلى نعمة الثقة تتردد في أكثر من  
ترنيمة « لقد كاد يغشى على <sup>(١)</sup> لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في  
أرض الأحياء » ( مزمور ٢٧ : ١٣ ) . « لأنه إليك ياسيد يارب عيناى بك

(١) حسب الترجمة الإنكليزية المعتدلة .

احتमित « (مزمو ١٤١ : ٨ ) . حينما أعيت روجي في ذكرت الرب  
فجاءت صلاتي قدامه « ألخ . هناك أوقات تقف فيها القوى عاجزة ،  
والمنطق حائرا ، والنفس خائرة ، في مثل تلك الأوقات حيث يقصر الدليل  
يتقدم الإيمان يمسك بالأيدى ، ويقوم الركب ، ويشدد الكيان . هنا علينا  
أن نقبل بتسليم الثقة ، مالا نستطيع أن ندركه بالعقل البشرى . علينا في أحلك  
الساعات أن نوّمن أن هناك قصداً مستتراً وراء حياتنا وضيقاتنا ،  
وآلامنا . علينا أن ندرك أن اليد التي تكتب مخطط مصيرنا ، هي اليد  
الالهية المحبة . وهكذا تصبح التجربة محتملة « ويحدث أنه في وقت  
المساء يكون نور » .

ولكن « يسوع » يضيف شيئاً جديداً فيقول : « زيادة على إيمانكم بالله  
ضعوا ثقثكم في ... علاوة على تمسككم بالله تمسكوا أيضاً بي » فان  
كانت السماء قد أشرقت بنور الرجاء أمام المرئم في ظلمته ، في تلك العهود  
السحيقة ، عهود الناموس قبل أن يعلن الله قلبه النابض في ابن محبته ،  
فكم بالحرى تشرق لنا نحن الذين عرفنا إشراقة الرجاء في وجه يسوع  
المسيح . فيسوع المسيح عطية السماء للأرض . البرهان الأعظم على أن الله  
على استعداد أن يهبنا كل شيء فيه . أو كما عبر عن ذلك رسول الأمم  
« الذي لم يشفق على ابته بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه  
كل شيء ؟ ( رومية ٨ : ٣٢ ) ان كنا نوّمن بأن الله هو كما أعلنه لنا « يسوع  
المسيح » .. إن كنا نوّمن أننا في « يسوع » نرى صورة الله وجوهه ، ففي نور  
ذلك الإيمان ينتفى كل ظلام للشك في محبة الله ، ويصبح من المحتمل لنا أن  
نقبل كل شيء برضى وتسليم ، حتى ولو لم تتكشف لنا حقيقة الأشياء .  
وهكذا في وسط بحر التجارب الهائج المائج ، نتمسك بمرساة الرجاء الثابتة  
التي تحمينا من الهلاك .

ثم يقول رب المجد : « في بيت أبي منازل كثيرة وأما بيت الآب فهو ولا شك رمز للسماء .. ولكن ماذا يعنى بالقول إن في السماء منازل كثيرة ؟ ... إن الكلمة المستخدمة منازل هي في الأصل « موناى » . وهناك ثلاث تفسيرات محتملة لما تعنيه هذه المنازل ..

١ - الإحتمال الأول يرجع بنا إلى إيمان اليهود وعقيدتهم عن العالم الآخر . فلقد كانوا يعتقدون أن هناك درجات مختلفة أو مراتب في البركة والنعمة للنفوس المطوية في العالم الآخر ، تبعاً للدرجة صلاحهم في حياتهم على الأرض . في « سفر أسرار أخنوخ » وهو أحد الأسفار غير القانونية نقرأ : « في العالم الآتى هناك منازل كثيرة معدة للبشر . صالحة للصالحين وردية للاردياء ، وعلى أساس العقيدة اليهودية ، نستطيع أن نشبه السماء بمكان فسيح به أكثر من غرفة أو منزل . وكل منزل يبينه الإنسان بحسب استحقاقه على الأرض وأعماله .

٢ - فإذا رجعنا إلى الكتاب الإغريق ، نجد أحدهم « بوزانياس » يتحدث عن المنازل كدرجات على الطريق ، أو مراتب للبشر . وعلى أساس هذا المعنى ، تشير إلى درجات تقدمية ، يتدرج فيها السائح إلى السماء ، من تقدم إلى تقدم ، ومن ارتفاع إلى ارتفاع . أى أن هناك ما يشبه التطور الإرتقائى في حياتنا في العالم الآخر . مثل هذا الرأى اعتنقه كثيرون من مفكرى المسيحية القدامى . فلقد نادى به «أوريجانوس» ، فقال إنه حينما تنتهى حياة إنسان ، فإن روحه تنتقل إلى مكان ما في الأرض ، يعرف بالفرديوس . وهناك يتلقى التعليم والتدريب والتهذيب ، حتى يصبح أهلاً لأن ترتقى روحه إلى أعلى . وهكذا تمر الروح في ارتقاء في سلسلة من المنازل «موناى» التى يدعوها الإغريق دوائر ، ويدعوها المسيحيون



سموات ، حتى تصل أخيراً إلى المملكة السماوية. إن كان هذا حقاً ، فإن الروح تتبع يسوع في هذا الإرتقاء ، الذي عبر عنه كاتب رسالة العبرانيين بأنه «أجتاز في السموات» (عبرانيين ٤ : ١٤) . وهناك تفسير يتقدم به «إرنيوس» مستنداً إلى أقوال السيد في مثل حبة الخنطة التي تأتي بأثمار ثلاثين ، وستين ، ومائة ، (متى ١٣ : ٨) فيقول إن هذا يشير إلى حصاد متباين . وبالتالي إلى مكافآت متباينة . فالبعض يقضون أبديتهم في الفردوس ، والبعض الآخر يصبحون مجرد مواطنين في المدينة السماوية ، ولكن هناك البعض الذين يتمتعون بروية وجه الله ، والتمتع به إلى أبد الآباد. وأيضاً نادي أكلمندس الاسكندري ، بأن هناك درجات في المجد . وأن هذه الدرجات والمكافآت تختلف على أساس سمو الإنسان وتقدمه في حياة القداسة هنا على الأرض .

ومما لا شك فيه ، أن نظرية كهذه لها جانبها الجذاب ، فالتطور والإرتقاء ليس غريباً عن نوااميس الحياة الأرضية ، ويكون شيئاً جميلاً جذاباً لو انطبق بالتالي على نوااميس الحياة السماوية . وبحسب فكرنا الجسدى المادى نقول إننا لانتصور نفساً خرجت من حدود المادى ، نقول إننا لانتصور نفساً خرجت من حدود المادة وقيودها ، وضعفها ، وقصورها ، تصل فجأة إلى الأبهاء المحيطة حيث النور الذى لا يدنى منه . إن الإنسان منا لو قضى فترة في غرفة مظلمة ، فإنه يحتاج إلى وقت طويل ، وتدريب أطول ، حتى يعرف كيف يفتح عينيه في نور الشمس الساطع . فكم بالحري نحتاج إلى تدريب ، وتوجيه ، واغتسال وتنظيف ، وصقل وتهذيب ، حتى نصبح مستأهلين أن نقف في حضرة ملك الملوك ، وننظر مجده بوجه مكشوف ؟ إننا لا نستطيع أن نجزم إن كانت هذه الأفكار صحيحة . لكننا لا نستطيع أن نجزم أيضاً إن كانت عارية عن الصحة .

٣ - ولكن قد يكون معنى هذه العبارة سهلاً بسيطاً لا يحتاج إلى كل هذا التأويل . قد يعنى أن في العالم الآخر متسعاً للجميع . فقد تكتظ مدينة كالأورشليم في عيد الفصح بالقادمين إليها من كافة أنحاء العالم ، فلا يوجد موضع لقدم . وقد يزدحم كل منزل في ضواحي أورشليم بالحجاج القادمين للعيد ، فلا يوجد مكان لمزيد . ولكن في السماء يختلف الأمر كل الاختلاف . في بيت الآب متسع ، كذلك بيت الآب رحب متسع ، نظير قلبه . إن «يسوع» يقول لتلاميذه «لا تخافوا إن البشر قد يغلقون الأبواب في وجوهكم لأنه لا موضع لكم في المنزل . بل ثقوا في بيت أبي منازل كثيرة .

### موعد المجد (تابع)

( يوحنا ١٤ : ١ - ٣ )

هناك أكثر من حق عظيم تعلنه هذه الفقرة ..

١ - فهى تتحدث إلينا عن أمانة «يسوع» . «ولإفاني كنت قد قلت لكم أنا ماض لأعد لكم مكاناً» . لا يوجد واحد يستطيع أن يحتج بأن المسيحية خدعته بوعود عريضة لا أساس لها . لقد تقدم «يسوع» بخطابه الوداعي هذا ليعلن لأتباعه أن طريق الضيق والمتاعب في انتظارهم ، وهكذا تقدم إليهم بكلمات التعزية . لقد أخبرهم صراحة بالأضطهادات ، والعقوبات ، والمتاعب التي تنتظرهم . (متى ١٠ . ١٦ - ٢٢) بل إنه أخبرهم بأن عليهم أن يحملوا الصليب في صبر وإنكار ذات (متى ١٢ : ٢٤) . ولكنه أخبرهم أيضاً بالمجد الذى ينتظرهم في نهاية الطريق . نعم إن «يسوع» لم يخدع أتباعه بوعود براقعة . لقد أخبرهم عن الطريق . وعن الهدف والنهاية . أما

الطريق فهو التضحية ، والألم ، والموت ، أما الغاية والنهاية فهي الجهد .  
إنه لم يكن نظير القائد الذى يحاول أن يجمع حوله أتباعاً بأن يعدهم بطريق  
مفروش بالورد ، لقد كان كالقائد العظيم الذى يدرّب أتباعه على صعود  
مدارج جبل الجهد ، ولو كان المرتقى صعباً قاسياً عسيراً .

٢ - وهذه الفقرة نخبرنا عن عمل «يسوع» ووظيفته... أنا ماض لأعدلكم  
مكاناً» إن أحد الأفكار العظيمة فى العهد الجديد عن «يسوع» ، إنه يقود مقدمتنا  
لتبعه . ممهّد يفتح الطريق حتى نسير خلفه ، ونتبع أثر خطواته . وأحد  
الأسماء الكبرى التى تصف «يسوع» هى الكلمة الواردة فى الرسالة إلى العبرانيين  
فى الأصل «برودروموس» ( ٦ : ٢٠ ) التى ترجمت فى لغتنا بكلمة  
السابق أو ممهّد الطريق «Forerunner» وهذه الكلمة تستخدم فى صورتين  
توضحان لنا معناها . أما الاستخدام الأول فزراه فى فرق الاستطلاع التى  
تتقدم كتائب الجيش الرومانى . لقد كانت «برودروموى» أو فرق  
الاستطلاع تتقدم الجيوش لتمهّد الطريق . ولتلهب حماس الجنود ، ولتستطلع أية  
متاعب أو أخطار قد تكمن فى المسير . وهكذا تتقدم والجيش يتبعها ،  
وهناك صورة أخرى نراها فى ميناء الاسكندرية الذى كانت تقصده السفن  
الرومانية للتزود بالغلال . ولم يكن الدخول إلى هذا الميناء سهلاً يسيراً .  
فكانت السفن ، ترسل قوارب استطلاع تتقدمها والسفن تتبعها ، حتى  
تجنبها أخطار الصخور القاسية . هذه القوارب كان يطلق عليها لقب  
«برودروموى» . كانت تؤمن طريق السفن . وهذا ما فعله «يسوع» ، لقد  
أمن الطريق إلى السماء ، حتى نسير خلفه فى ثقة واطمئنان .

٣ - وهى نخبرنا بانتصار «يسوع» النهائى . إنها تقول «إن مضيت  
وأعددت .. آتى أيضاًه .. هذه العبارة تشير بكل تأكيد إلى مجيء المسيح

الثاني ... إن مجيء « يسوع » ثانية عقيدة قد سقطت من تفكير جمهور كبير من أتباع المسيحية ولاهوتيتها ، وهكذا أغفلوا المناداة بها . ولعلمهم يعتذرون بصعوبتها ، ولعلمهم يعتذرون بأن عليهم أن يدربوا أتباعهم على مقابلة الموت وكفى ، مع أن أعظم انتصار على الموت ، هو مجيء المسيح الثاني لإقامة الموتى المؤمنين . صحيح أن هناك بعض الصعوبات التي تعرض لنا في طريق هذه العقيدة ، فهناك على سبيل المثال الصعوبة الحسابية أو متى سيحدث مجيء المسيح ؟ إن أكثر من رأى متضارب في حساب الأزمنة والأوقات قد ظهر خلال أجيال المسيحية ، وفي حساب الأحداث ، التي ترافق هذا المجيء ، قد دفعت الكثيرين إلى التخلي كلية عن هذه العقيدة . ولكن هناك شيء واحد أكيد . إن عجلة التاريخ تسير إلى الأمام ... إلى هدف ما . وبدون هذا الهدف يصبح التاريخ ناقصا مبتورا ، ويصبح منطلق الأحداث بلا معنى ولا غاية . إن التاريخ ينبغي أن يكون له هدف . . . إتمام . . . كمال . وكمال التاريخ وغايته ، هو في انتصار المسيح ، يوم انتصار له وتمجيد لأحبابه .

٤ - وتنادى هذه الفقرة بحق آخر مجيد ، له مكانه ضمن عقائد المسيحية العظمى : إن السماء بالنسبة للمسيحي ، هي حيث يكون « يسوع » . يقول السيد : « .. حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً » . إننا لا نحتاج إلى كثير عناء . لتتصور السماء .. يكفيننا أن نعرف أننا سنكون مع حبيبنا إلى الأبد .

لنأخذ مثلا بشريا . حينما نحب إنسانا ما من كل قلوبنا ، فإن الحياة تبدأ حين نكون مع ذلك الإنسان . في صحبة ذلك الإنسان نشعر حقا بأننا أحياء . وهكذا مع المسيح .

إن صلواتنا في هذا العالم ، مهما سمت هذه الصلة ، هي مثل بسيط لما سنكون عليه ، وصورته في قلوبنا مهما صورها الإيمان لنا ، ليست سوى

صورة غائمة باهتة ، لأننا كما يقول الرسول . ننظر في مرآة تعكس لنا لغزاً  
محيراً . إن حياتنا مع سيدنا على الأرض ، حياة متقلبة لأننا بشر لانستطيع على  
الدوام أن نحيا في قمم الجبال ، ولكن أعظم أمجادنا أننا سنكون في حالة  
أسمى .. سنكون مع الحبيب «يسوع» على الدوام .. سنكون معه ولن يفصلنا  
عنه مرور الزمن أو تقلبات الأحداث ، أو ضعف الجيلة البشرية .. سنكون  
معه لئلا نراه بعد ، بعين الأيمان ، بل لنراه وجها لوجه بالعيان .. سنكون  
معه ونسير في تلك الأهباء السرمدية إلى أبد الآبدين .

## الطريق والحق والحياة

وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ . قَالَ  
لَهُ تُوْمَا يَا سَيِّدُ لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ  
نَعْرِفَ الطَّرِيقَ . قَالَ لَهُ يَسُوعُ أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ  
وَالْحَيَوَةُ . لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِى .

( يوحنا ١٤ : ٤-٦ )

في أكثر من فرصة تحدث السيد إلى تلاميذه ، معلنا لهم أين سيذهب  
ولكن يبدو أن أفهامهم كانت غليظة فلم يدركوا حديثه ، « أنا معكم  
زمانا قليلا بعد » هكذا قال لهم « ثم أمضى إلى الذي أرسلني » ( يوحنا  
٧ : ٣٣ ) . لقد قالوا صراحة من قبل ، إنه في طريقه إلى الآب ، الذي ،  
هو واحد معه . ولكنهم لم يفهموه . بل لم يفهموا بالحرى الطريق الذي  
يسلكه في ذهابه للآب لأن ذلك الطريق كان الصليب . في هذه الساعة  
كان التلاميذ في حيرة وارتباك ، وكانهم يضطجعون في قلب البحر . ولكنهم  
لم يفتحوا أفواههم . كان بينهم واحد فقط دفعته الشجاعة ألا يصمت ، بل  
يقول السيد إنه لم يفهم مالم يستطع فهمه ، وهذا هو «توما» . لقد كان «توما»  
هو التلميذ الوحيد الذي كان أكثر أمانة مع نفسه ، وأكثر جدية مع ضميره ، حتى  
لا يرضى بصورة باهتة ، ولا يقبل ذهنه حقيقة يغطيها الضباب ، وهكذا  
أراد أن يوقن من كل شيء ، فأعلن شكوكه ، وأعلن أنه لم يفهم ، وأنه

عجز عن إدراك كل شيء - من الغريب أن تساؤل إنسان شاك وليست تأملات تلميذ محب، هو الذى دفع «يسوع» إلى المناذاة بأعظم الحقائق التى نادى بها ، ينبغى ألا ننجس من شكوكنا ، فهى تنطبق عليها الوصية : «اطلبو تجدوا» . ان الذى يطلب حتى فى روح الشك لابد وأن يكتشف فى النهاية كل الحق .

وقال «يسوع» لثوما «أنا هو الطريق ، والحق ، والحياة» هذا قول عظيم من أقوال المسيح المجيدة . ولقد كان قولاً أكثر غرابة لليهودى الذى يسمعه للمرة الأولى. ففيه أمسك «يسوع» بالخيوط الثلاثة الرئيسية التى يتكون منها نسيج العقيدة اليهودية ، ونادى بالحق الجبار ، بأن فيه وحده ، وليس فى سواه تتجمع كل هذه الخيوط ، وتجد كمال تحقيقها ، وإعلانها ... فلقد تحدث اليهود كثيراً عن الطريق الذى ينبغى أن يسلكه الإنسان ، طريق الله ، فنجد القول فى سفر التثنية : «احترزوا لتعملوا كما أمركم الرب الهكم . لا تزيغوا يمينا ولا يساراً . فى جميع الطريق التى أوصاكم بها الرب الهكم تسلكون لكي تحبوا ويكون لكم خير» . ( تثنية ٥ : ٣٢ ، ٣٣ ) ، وفى نفس السفر أيضاً يقول موسى للشعب : «إني عارف انكم بعد موتى تفسلون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به» ( تثنية ٣١ : ٢٩ ) فإذا اتجهنا إلى نبوات إشعيا نسمع القول : «أذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة هذه هى الطريق اسلكوا فيها حيناً تميلون إلى اليمين وحيناً تميلون إلى اليسار ، (إشعيا ٣٠ : ٢١) ان عالم العهد الجديد ، سوف تكون فيه طريق سلطانية اسمها طريق القداسة ، ومن سلك فى هذه الطريق حتى الجاهل لا يضل (اشعيا ٣٥ : ٨) أما المرئم فيهتف مصليا «علمنى يارب طريقك ، واهدنى فى سبيل مستقيم» (مزمور ٢٧ : ١١) ، لقد كان اليهود يعرفون الكثير عن الطريق .. طريق الله .. طريق القداسة ، التى ينبغى أن يسلك فيها الإنسان

إذا أراد الحياة . وهاهو يأتي في ملء الزمان واقفاً على قمة جبل التاريخ ،  
ليعلن لليهود ، وللإنسانية جمعاء ، هذا الحق العظيم فيقول : « أنا هو الطريق »  
تري ماذا يعنى بهذا القول ؟

لنفرض أننا هاجرنا إلى بلد غريب ، وسألنا الإرشاد والهداية في طريق  
لا نعرفها . ولنفرض أن واحداً تطوع لإرشادنا فقال لنا : « سر إلى الإمام  
حتى تلتقي بعطفة في الطريق تتجه بك يمينا ، سر في تلك العطفة فإذا بك  
تلاقي طريقاً متقاطعاً إلى اليسار ، اتخذ هذا الطريق فتصل إلى غايتك » . لو حدث  
هذا وسلكنا المسيرة بمفردنا فرجما نضل ولا نعرف شمالنا من يميننا بعد  
خطوات قليلة .

ولكن لنفرض أن آخر قال لنا « هلموا ورائي وأنا أوصلكم إلى غايتكم »  
في هذه الحالة يصبح ذلك الإنسان المرشد طريقاً لنا ، ولن يكون هناك  
أدنى احتمال للضلال . وهذا ما يفعله « يسوع » .. هذا ما يعنيه بقوله أنا هو  
الطريق . أنه يأخذ بأيدينا ويقودنا ، ويسير معنا خطوة فخطوة . إنه  
لا ينصحنا ويرشدنا وكفى ، ثم يتركنا بعد ذلك . بل إنه يسير معنا بروحه ،  
ويؤيدنا بقوة . إنه لا يجبرنا عن الطريق . بل إنه يصبح لنا الطريق .

ويقول « يسوع » أيضا « أنا هو الحق » . ونحن نصغي إلى المرتم في صلواته  
بتضرع إلى إله قائلنا : « علمني يارب طريقك اسلك في حقلك » (مزمو  
٨٦ : ١١) . « الآن رحمتك أمام عيني ، وقد سلكت بحقلك » (مزمو  
٢٦ : ٣) وفي المزمور المائة والتاسع عشر « اخترت طريق الحق ،  
جعلت أحكامك قدامي ( ١١٩ : ٣٠) . وفي معرض الحديث عن الحق  
نقول إن كثيرين نادوا بالحق ، ولكن لم يكن واحد منهم هو الحق الجسد .  
هناك أمر جوهرى بخصوص الحق الأدبي ، إنه كثير ما ينادى إنسان بذلك



الحق ، ويفصل بنوده ، ويدعو الآخرين إلى اتباعه ، في الوقت الذي لا يمس فيه الحق قلبه ، ولا يغير حياته . وإنه بذلك يهدم بتصرفه ما ينادى به . إن معلم الحق الأدبي يختلف عن أى معلم آخر . فمعلم الرياضة أو علم تقويم البلدان ، أو اللغة اللاتينية قد لا يكون هناك من داع أن يتأيد تعليمه بتصرفاته الخاصة . فما ينادى به لا يمس حياته من قريب أو بعيد . ولكن معلم الحق الأدبي يختلف كل الاختلاف . وكيف نتصور زانيا ملوث السيرة والسريرة ينادى بناموس الطهارة الأدبية ؟ أو كيف يدعو البخيل المقتر إلى البذل والتضحية ؟ وكيف نرى متهورا مندفعاً ينادى بفضائل الحكمة والتعقل وضبط النفس ؟ أو شخصاً يغلى قلبه بالأحقاد وينادى بالحبّة والأخاء ؟ إن مثل هؤلاء تنقض حياتهم تعاليمهم فتصبح بلا فائدة . فالحق الأدبي ينبغى أن يتجسم فى مثال حتى إن كان يقدر له أن يخلد ويصبح قوة فعالة بين الناس . هنا مقياس العظمة الحقيقية فى حياة أى معلم . بل هنا مقياس العظمة الذى لم يصل إليه أى معلم فى تاريخ الانسانية سوى واحد : يسوع المسيح . إن كثيرين أنبياء ، وكثيرين فلاسفة ، وكثيرين مشرعون ، وكثيرين لمعوا فى تاريخ البشرية الطويل . وهؤلاء وأولئك يستطيعون أن يهتفوا بملء القم : « لقد علمنا الناس الحق » . ولكن لا يوجد سوى واحد يستطيع أن يقول : « أنا هو الحق » إن الحقيقة العظمى عن يسوع المسيح ، ليس أن الحق وصل إلى قمة سموه فى تعليمه ، ولو أن هذا صحيح ، بل لأنه هو فى ذاته الحق الجسد . بمعنى أن الحق الأدبي قد وصل إلى سمو تحقيقه فى شخصه المبارك .

ويقول « يسوع » : « أنا هو الحياة » . يقول « حكيم » قديم « الوصية مصباح والشريعة نور . وتوبيخات الأدب طريق الحياة » ( أمثال ٦ : ٢٣ )  
« وحافظ التعليم فى طريق الحياة » ( أمثال ١٠ : ١٧ ) ويقول المرثم

«تعرفنى سبيل الحياة» (مزمو ر ١٦ : ١١) . إن الحياة هي الهدف النهائي للإنسان ، فهو دائب السعى إليها . وخلف هذا الهدف ينجي كل هدف ويستتر كل سعى .

- ويسوع هو الحياة ، لأن الحياة مع «يسوع» هي الحياة الحققة ، فلن نعرف معنى الحياة المباركة إلا في صلتنا بيسوع . بل إن «يسوع» هو الحياة لأنه مصدر هل نقول حياة الزمن ؟ هذا حق لأن كل شيء به كان . ولكننا نقصد بالحري حياة الروح حياة الأبد . ألم نجد الحياة الأسمى والأرفع فيه ؟ لقد قال «جئت لتكون لهم حياة» حياة أفضل وأسمى من الحياة الأرضية ، ويسوع هو الحياة لأنه حافظ الحياة . لأننا به نجيا ونتحرك ونوجد . فهو حافظ كل الأشياء بكلمة قدرته . ويسوع هو الحياة لأنه باعث الحياة . وكما فعل قديما حينما وهب الحياة لسكان القبور ، سوف يفعل بصورة أكمل وأشمل وأعظم ، في إقامة أجساد الراقدين ، وتغيير الأحياء ، حينما يأتي على سحاب مجده .. «أنا هو الطريق والحق والحياة» والغاية ! والهدف ! «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» . فيسوع هو الطريق الذي يوصلنا للآب وهو الحق الذي نتمسك به فنصل إلى الآب ، وهو الحياة التي تملؤنا وتفيض فينا فتأهلنا للشركة مع الآب . إنه الوحيد الذي يستطيع أن يقود البشر إلى الله .  
الوحيد الذي يمسك بيد الإنسان ويقوده دون خوف أو خجل إلى محضر الله .

## رؤيا القدير

لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا . وَمِنَ  
الآن تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ . قَالَ لَهُ فِيلِبُّسُ يَا سَيِّدُ أَرِنَا  
الآبَ وَكفَانَا . قَالَ لَهُ يَسُوعُ أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ  
وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ . الَّذِي رَأَيْتَنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ فَكَيْفَ  
تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ . أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ  
وَالآبُ فِيَّ . الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ  
مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ .  
صَدَّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبُ فِيَّ . وَإِلَّا فَصَدَّقُونِي لِسَبَبِ  
الْأَعْمَالِ نَفْسِهَا .

( يوحنا ١٤ : ٧ - ١١ )

لقد كان إعلان «يسوع» في هذه الفرصة ، أقوى إعلان سبب صدمة  
عنيفة لسامعيه . فلقد كان الله في الفكر الأغريقي ، يعبر عنه بغير المنظور .  
وكان أحد بنود الإيمان اليهودي : « الله لم يره أحد قط » . لمثل هذا الجمهور  
من السامعين نادى «يسوع» : « لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضا .  
من الآن تعرفونه وقد رأيتموه » . وإذا بفيلبس يطلب المستحيل فيقول :

« أرنا الآب وكفانا » ، ولعله كانت في فكره ، صورة موسى في ذلك اليوم الرهيب ، حينما طلب من إلهه أن يعلن ذاته له (خروج ٣٣ : ٢ - ٢٣) . ولكن لم يجب الله موسى لطلبه : « أضعك في نقرة من الصخرة ، واسترك يدي حتى اجتاز . ثم ارفع يدي فتنظر ورائي أما وجهي فلا يرى » . في أيام « يسوع » كان الناس في دهشة وذهول ، لما سميه ترفع الله واستعلاءه .

كان يضايقهم أكثر ما يضايقهم صمت السماء عن الأرض ، وارتفاع الله عن البشر . فلقد كادوا ينسون صوت الله المتحدث في أنبيائه ، لأن مئات السنين كانت قد مضت منذ تكلم آخر نبي للبشر ، بأقوال الله . وهكذا ما عادوا يتظنون أن يروا الله ، أو يسمعوا صوته . فاذا يسوع يقول لهم في بساطة وثقة « الذي رأي فقد رأى الآب » . وكأنني به يقول لسامعيه « هل تريدون أن تعرفوا ما هي صورة الله ؟ كيف يكون ؟ ما هي صفاته المباركة وتعاليمه ؟ ما هي مشاعره نحو البشر ؟ إن أردتم أن تعرفوا كل هذا ، تأملوا في تشاهدون الله .. يقول أحد الكتاب في تعليق له على بشارة لوقا ، إن كاتب البشارة قد رسم الله بريشة عائلية ، مضميا عليه صفات البيت والأسرة . وهو يعنى بهذا القول ، أن « لوقا » قد أعلن الله في « يسوع » ، مشاركا لنا في أبسط صور حياتنا العائلية . إننا حينما نتطلع إلى « يسوع » نستطيع أن نقول : « هذا هو الله شريكا لنا في تجاربنا . محاربا حروبنا ، مختبرا وعائشا حياتنا » . إن كان الأمر هكذا ، وهو بالفعل كذلك ، فاننا نستطيع أن نعرف الكثير عن ذات الله ، وجوهره ، وصفاته ، عند تأملنا في « يسوع » .

١ - فنحن نرى الله في « يسوع » يحيا في بيت ريفي . . في عائلة متواضعة .

كما تقول أبيات يرددھا الأطفال في الغرب .

« في بيت لحم فارس

« ثروته الدموع .

« جنوده حملانه !!

« هاسبجوا «يسوع»

إن الله في «يسوع» الطفل قدس الطفولة ، وفي ولادة يسوع من امرأة ، قدس الأمومة ، وفي حياة «يسوع» وسط عائلة فقيرة ، قدس البساطة والفاقة ، وأحاط الأسرة العادية بهالة من الجلال .

٢ - والله في «يسوع» لم يرفع عن القيام بأدنى الأعمال. لقد دخل الله إلى عالمنا في ثياب عامل فقير فقد كان نجاراً في الناصرة . اتنا لن نستطيع أن نصل حقاً إلى ادراك تلك الحقيقة العظمى المذهلة ، أن الله يعرف كل شيء عن تفاصيل أعمالنا العادية ، التي نبذل العرق فيها كل يوم . فهو يعرف صعوبة ارضاء الطرفين . وهو يعرف العنلاء العصبيين الذين يصعب ارضائهم والعنلاء أصحاب الظم المتسعة ، الذين ينسون ما عليهم من ديون . ولقد عرف السيد أيضاً البيت ، ومتاعب المعيشة مع أنداد كثيرين ( ربما كان أولئك الذين يشار إليهم بلقب إخوة الرب ، أبناء ليوسف من زوجة سابقة ، أو أبناء خثولة أو عمومة ليسوع ) . لقد كان يعرف كل مشكلة تعرض لنا في حياتنا اليومية . أما العهد القديم فقد كان يعتبر العمل لعنة حلت بالإنسان . فالعمل على اساس قصة التكوين ، نجم عن لعنة «آدم» بسبب خطيته وتمرده « بعرق وجهك تأكل خبزاً » ( تكوين ٣ : ١٩ ) . فإذا بالعهد الجديد يشرق ، ليعلم كرامة العمل ، ويحبطه بهالة من الشرف والكرامة حينما تقدم ابن الله ، وأحنى ظهره لئير الخدمة العاملة .

٣ - بل إن الله في يسوع ، قد اختبر قسوة التجربة . إن أعجب ما في حياة السيد ، أنها لا تعلن لنا ثبات الله وجبروته فحسب ، بل بالحري صراعه . إن أى فكر يتخيل أن الله ساكن في دائرة الهدوء والسلام . . . في دائرة لا تدنو منها - أمواج الأضطراب ، ولا عواصف الصراع ، ولا بحار هذا العالم الهائجة . ولكن «يسوع» ، أعلن للبشرية إلهاً من نوع جديد . . . إلهاً يجتاز المياه التي نجتازها ، وتقاومه التيارات التي تقاومنا ، إن الله الذي أعلن لنا في «يسوع» ، ليس نظير القائد الذي يقود مؤخرة الجيش . بل هو القائد الملهم الذي يقود المقدمة ، ويحتمل الأخطار ويواجهها ويشعر في ذاته بقوة التجربة وقسوتها .

٤ - وفي «يسوع» نرى الله محبا عطوفاً فائض القلب . . . ومع المحبة يأتي الألم ، فالألم هو التوأم الشقيق للمحبة . إننا إن فصلنا أنفسنا عن البشر . . . عن محبة البشر . . . عن التعلق بهم ، فإننا نتحرر من آلام البشرية وأجزائها وهمومها . . . إن ربنا حياتنا على أنه لا اهتمام لنا بالأحياء . . . ولا اهتمام لنا بأمر الحياة . ، فإننا نريح أنفسنا من تعب القلب والفكر ، ولكننا نرى الله في «يسوع» مهتما بنا ، حاملاً أحمالنا ، باذلاً مضحياً في سبيلنا ، يلحنا ساعياً خلفنا ، مشاركاً لنا في مشاعرنا ، معالماً في آلامنا ، محباً لنا بكل ما في الكلمة من معاني مشرقة عميقة . . . حاملاً في قلبه جروح تلك المحبة .

٥ - وفي «يسوع» نرى الله مضحياً على الصليب . . . وهذا أبعد وأعظم من أن يصدقته العالم . إن العالم يقف في ذهول أمام هذا الزكن الرئيسي في العقيدة المسيحية . فمن السهل على الإنسان أن يتصور إلهاً يرسل صواعق غضبه وديفونته على البشرية الخاطئة . . . من السهل اليسير عليه : أن يتصور الله في صورة «ثور» ، إله الشمال الذي كان يركب العاصفة ، ويضرب

بمطرقته أعالي الجبال ، فتدوى الرعود القاصفة . . يتخيله في صورة  
«مولوك» الإله الدموي ، متطلباً ضحاياه من الأطفال .

نعم، من السهل على الإنسان أن يتصور إلهاً جباراً يحق من يقاومه ،  
ويبيد من يقف في وجهه ، ولكن من في الوجود يتصور الله متأماً في  
يسوع . . ؟ مهاناً فيه . . ؟ مقوداً إلى الجلجثة كشاة تساق إلى الذبح ؟  
مستسلماً لجلاديه الذين يثقبون يديه وقدميه ؟ مرفوعاً على صليب العار  
والهوان ؟ من يتصور إلهاً يرضى بالصليب في سبيل خلاص البشرية ؟

« من رآني فقد رأى الآب » هكذا يقول رب المجد ، إن يسوع ،  
المسيح هو إعلان الله للبشر ، وهذا الإعلان العظيم الجبار ، يدفع المؤمنين  
بذلك الحق ، إلى الوقوف أمامه في ذهول ، وفي حب ، وفي تمجيد . .

## رؤيا القدير

(يوحنا ١٤ : ٧ - ١١)

ولكن «يسوع» يتقدم خطوة أخرى، ليقدم لنا حقاً جديداً . هناك بتدبير  
من بنود العقيدة الموسوية ، كان اليهودي يتمسك به كل التمسك ، ويحرص  
عليه كل الحرص : هذا البند هو تفرد الله وجلاله ووحدانيته . لقد كان  
اليهود موحدين إلى أبعد ما تشير إليه هذه الكلمة . إن آخر ما يتعرض له كل  
مفكر من ديانة أخرى ، أنه يتصور المسيحيين ، وقد اعتبروا «يسوع» إلهاً  
ثانويًا . هنا نرى «يسوع» يقدم إعلاناً فريداً للبشر ، فهو يقول بأن ما يقوم به  
من أعمال ، وما يتقدم به من تعاليم وأقوال ، لم تنبع من ذاته ، أو من دوافعه  
الدائحية ، بل أعمال الله قدمت إلى البشرية بواسطة ، وتعاليم الله أعطيت للناس  
عن طريقه . فهو مجد الله الجسم للبشرية . . وهو حق الله المقدم للإنسان .

دعونا نأخذ مثلاً بشرياً ولو أنه ضعيف هش ... يقول أحد الثقات (١) عن اللاهوتي الكبير والمفسر العظيم « أ. ب. روش » إن الناس كانوا يتهاقون عليه لبروا في الإنسان مجد الله ، لقد كان معلم جيل . وكل معلم تقع عليه مسئولية إعلان أمجاد الموضوع الذي ينادى به ، لمن يعلمهم . فإذا كان ذلك الموضوع ليس سوى يسوع المسيح ، فهو يستطيع إن كان يمتلك شفافية الحياة الثقية المقدسة ، أن ينقل محضر المسيح وصورته ومجده ، لتلاميذه .

وهذا ما عمله « أ. ب. روش » بل هذا صورة ضعيفة مهتزة لما قدمه يسوع المسيح عن الله ، في أعماله ، وتعاليمه . لقد نقل إلى البشر وأعلن لهم مجد الله ، ومحفته نحو البشرية .

وكتب « جون كيرنز » لأستاذه « سيروليم هاملتون » :

« إنني لا أعرف شيئاً عن كياني السابق ، ولكنني أعرف شيئاً واحداً : إنني للنهاية سوف أحمل أمام الأجيال ، طابعك في حياتي » .

أحياناً يتعلم طالب لا هوب على يدي أستاذ يجله ويحبه ويحترمه ، فيتشبع به كل التشبع ، حتى يرى في التلميذ صورة حية مجسمة لأستاذه الكبير . حتى صوته ربما يتطور ليحبه صوت معلمه . فنقول « هذا الراعي أو المبشر يتعلم على يدي فلان . . » ويقول كثيرون « لو أنعمضنا عيوننا فإننا نستطيع أن نتصور أن فلاناً بعينه هو الذي يعظ » وهذا أيضاً صورة لما عمله « يسوع » وليكنها صورة ضئيلة ، كقطرة أمام المحيط الزاخر . لقد أتى « يسوع » إلى البشرية بتعليم الله ، ورسالة الله ، وفكر الله ، وقلب الله . قصارى القول ينبغي أن نضع في فكرنا على اليوم ، أن « يسوع » إن كان قد تقدم للبشرية بتعليم فن الله ،



أو بمعجزة فبقوة الله، أو بكفارة فبترتيب الله، وقصده الأزل . لقد أتى إلى العالم لأن الله، أحب العالم . فخلف «يسوع» وفي كيانه نرى الله .

بل إن «يسوع» ليس إعلان قلب الله ، وفكره للبشر فحسب . إنه ذات جوهر الله متجسداً في جسم بشريتنا ، ظاهراً في ملء الزمان بيننا ، معلناً ذات الله لنا ، أو كما كتب الرسول : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » .

ثم نستمع أيضاً إليه في هذه الفقرة ، وهو يتقدم لسامعيه طالباً منهم أن يمتحنوا الحق الذي ينادى به ، يضعوه في الميزان . . وعلى الدوام يضع «يسوع» أساسين لذلك الإمتحان : أقواله ، وأفعاله ..

١ - فليمتحنوا إدعاءه في امتحانهم لتعاليمه . وكأني بيسوع يقول لهم : « حينما تستمعون إلى ، ألا تستطيعون أن تتحققوا بأنفسكم أن ما أتقدم به من تعاليم ليس سوى حق الله ؟ » إن حديث أى إنسان يتم عن شخصيته ويفصح عن كيانه ، ويترجم عن حقيقته ، ويكشف عن ذاته . إن كلمات أى عظيم هي أعظم الأدلة عليه . قد نقرأ سطوراً من الشعر الرائع فنقول في الحال : « لا يمكن أن يكون سوى شيكسبير وراء هذه السطور » . قد يستعصى علينا تحليل تلك الأبيات ، أو الوصول إلى عمق معانيها ، ولكن نغمها ومضمونها العام ، يعطينا الفكرة بمن تكون تلك العبقرية التي تقف وراءها . وهكذا الأمر في كلمات «يسوع» . إننا حينما نصغى إليها ، فإننا لانهاك أنفسنا من أن نهتف : « لا بد أن هذا صوت الله لاصوت إنسان . آه لو عرف العالم كيف يسلك في نور هذه المبادئ ، ويطيع هذه التعاليم ؟ آه لو كنا نطيعها ونسلك بموجبها ، كم كنا نصبح أناساً آخريين ؟ »

٢ - ولیمحتنوا ادعاءه فی نور أعماله . یقول «یسوع» لتلميذه «فيلبس»  
« صدقوني إني في الآب والآب في . وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها .. هذا  
هو عين الجواب الذي أرسله «يسوع» للمعمدان في سجنه . فلقد أرسل يوحنا إليه  
تلميذه متسائلاً ، ان كان «يسوع» هو المسيا أو ينتظر معلماً سواه . فكان جواب  
السيد للتلميذين : «إذها وأخبرنا» يوحنا» بما تسمعان وتنظران العمى يبصرون ،  
والعرج يمشون ، والبصر بطهرون والصم يسمعون ، والموتى يقومون  
والمساكين يبشرون» (متى ١١ : ٥)

إن أعظم برهان على أن «يسوع» هو وليس سواه بقدرته على شفاء الجسد  
بالعمل المعجزى ، وشفاء النفس بالكلمة المعجزية . فلم يظهر في التاريخ سواه  
من استطاع أن يغير القلوب والنفوس ، ويخلق الإنسان من جديد ...

لقد قال «يسوع» لفيلبس .. « استمع إلى تصنع لصوت الله .. أنظر إلى  
ر صورة الله .. ثق بي وأنت تضع ثقك في الله » . وهذا هو الطريق  
إلى الإيمان المسيحي بل هو أساس العقيدة المسيحية . إن الطريق إلى الإيمان المسيحي  
لا يقوم على أساس الخادلات العقيمة عن يسوع ، بل يقوم على أساس النظرة  
السليمة إليه والإصغاء إلى تعاليمه ، والإيمان به .. وهذا هو الأساس المثلث  
الأركان ، الذي تقوم عليه المسيحية .. إننا إن قمنا بهذا فإننا نتحقق صدق  
كلمات «يسوع» الذي رأى «آب» ..

## وَعُودُ ثَمِينَةَ

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالْأَعْمَالُ الَّتِي  
أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا لِأَنِّي  
مَاضٍ إِلَى أَبِي . وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ  
لِيَتِمَّ جَدُّ الْآبِ بِالْأَبْنِ . إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَأِنِّي  
أَفْعَلُهُ

( يوحنا ١٤ : ١٢ - ١٤ )

ربما لا توجد في الكتاب المقدس وعود أقوى من هذين الوعدين، اللذين  
تتضمنهما هذه الفقرة . ولكن هذين الوعدين، هما من نوع خاص، ومن  
طبيعة خاصة ينبغي أن نصل إلى فهمهما ودراستهما حتى ندرك متضمناتهما.  
فما لم نصل إلى المعاني التي ينطوي عليها هذان الوعدان ، فإن اختبارنا  
في الحياة تكون عتيدة أن تسبب لنا الفشل .

١ - يقول السيد إنه يوما من الأيام ، سيصل الحال بتلاميذه إلى أن  
يقوموا بنفس الأعمال التي يقوم بها السيد وبأعظم منها . نرى ماذا يعنى  
يسوع بهذا القول ! ؟

( ١ ) من الأكيد أن الكنيسة الرسولية في أيامها الأولى، كانت لها  
القدرة على القيام بمعجزات شفاء . وبولس الرسول يعدد ضمن مواهب

الروح التي نالها البعض ، موهبة الشفاء ( اكورنثوس ١٢ : ٩ ، ٢٨ ، ٣٠ )  
والرسول « يعقوب » ينادى أنه في حالة مرض - أى مؤمن ، عليه أن يدعو شيوخ  
الكنيسة فيدهنوا جسده بالزيت ويطلبوا من الله من أجله ، وصلاة الايمان  
تشفى المريض ( يعقوب ٥ : ١٤ ) . ولكن من الواضح ان هذا  
ليس كل ما قصده « يسوع » ، أو ما كان يرمى إليه . لأنه حتى إن سلمنا بأن  
الكنيسة الأولى قامت بنفس المعجزات التي قام بها مؤسسها ، إلا أنها على  
الأقل لم تقم بأعظم من تلك المعجزات .

(ب) ومن الأكيد أيضاً ، أنه بتقدم العلم ازدادت فرص الانتصار على  
الأمراض المختلفة ، إن طيب اليوم له من الخبرة ، والإمكانيات . ما يستطيع  
أن يجابه به أى مرض - عدا القليل - وينتصر عليه . إن له من الوسائل ما لم  
يتوافر لرجل الطب في العصور القديمة . ولو ظهر أحد أطباء اليوم في  
تلك العصور السالفة ، لألتفوا حوله . ورأوا فيما يقوم به أكثر من معجزة  
إن المضادات الحيوية قد بدأت نشق طريقها بسرعة مذهلة في عالم العلاج  
وتقوم بما يشبه المعجزات أو يفوقها .

فإن كانت الكنيسة قد ضعفت عن التمسك بالوعد ، فليس معنى هذا أن  
الوعد قد بطل . ويكفى قول السيد : « وهذه الآيات تتبع المتبعين .  
يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » ( مرقس ١٦ : ١٧ ) .

ومع أنها مازالت تخطو خطواتها الأولى ، فإن قلعة بعد قلعة من قلاع الألم  
والعذاب والمرض ، تنهار أمام العقاقير المعجزية .

ولماذا لا نقول إن هذا من نتائج روح المسيح العامل في البشر ؟ ما الذي  
يدفع الإنسان إلى البلبط والتضحية والعراق والدم ، وتعريض الحياة للخطر ،  
بل بالفعل تقديم الحياة على مذبذب التضحية ؟ وفي اكتشاف هذه الأمراض

ومسبباتها، وطرق الانتصار عليها، أكثر من قصة عن إنسان، ضحى بحياته في سبيل نفع إخوته ؟ لماذا يبذل الإنسان نفسه في انقاذ المريض : ولإزالة أسباب الألم عن المتألم : ولإبعاد شيخ الموت ما أمكن ذلك ، عن غرفة العليل ؟ لماذا يرهق إنسان نفسه لشفاء مريضى الجسد والنفس ؟

تحت النظام النازى القاسى ، كانت الإبادة هي مصير العجزة ، والمشوهين والمرضى الذين لا رجاء لهم فى الشفاء ، .

ولكننا بين آن وآخر ، نجد شابا موهوبا يتسم له المستقبل ، ويحمل أكثر من اجازة علمية ، نظير « البرت شويتزر » ، يدبر ظهره للمستقبل الباسم ، ويغادر بلاده إلى قلب أفريقيا السوداء ، ليعالج أدواء البشرية ويخفف آلامها ، ويضمد جروحها الفاغرة - ما الذى يدفع مثل هذا الشاب وغيره ، إلى سلوك طريق التضحية والبذل ؟ الجواب يسوع المسيح ، ومثاله ، وتضحيته وبذله وصلبيه وموته . وكأنى بيسوع يقول لهؤلاء وأولئك فى روحه العظيم « هؤلاء المرضى . المتعبون والمتألمون ، يرفعون أكف الضراعة لكم ، إن المرض يذيب أجسادهم ، كما تذيب النار الشمع . عليكم تقع المسئولية ، ولكم أيضاً الأمتياز ، بأن تقدموا لهم كل ما فى وسعكم » . ألم يقل السيد يوماً لتلاميذه ، وهو يشير إلى الجموع الجائعة الحائرة المرهقة « أعطوهم أنتم ليأكلوا .. ؟ صحيح أن البعض يعطى لقباً آخر لعمل التضحية فيسميه بالشفقة أو العطف أو الروح الإنسانية ، وغير ذلك من التعبيرات الحديثة ، لكن الدافع الأساسى الأول ، لكل عمل صالح ، ليس أقل من مثال المسيح وروح المسيح .

(ج) على أن هناك معنى آخر تضمه دائرة هذه الأعداد . لاحظوا خدمة «يسوع» فى أيام وجوده على الأرض بالجسد ، وكيف أنها لم تتعد حدود فلسطين ،

بل ربما وجدت بقاع في تلك الرقعة الضيقة لم تطأها قدماه . فلم يرتفع صوت السيد بعيداً عن القرى والضباع التي افتقدتها ، ومع أننا رأينا بعض اليونانيين يأتون إليه ، إلا أن صوته لم يصل إلى بلاد الأغر يق .

ومع أننا سنرى واحداً من عسكر الرومان ، يقول عنه ، بالحقيقة كان هذا أين الله ، إلا أن روما لم تسمع تعاليمه ، ولم يصل صوته إليها ، لقد جابه يسوع مشكلات فلسطين الروحية ، وربما الإجتماعية ، ولكنه لم يواجه متاعب أثينا ، ولم يسهم في حل مشكلات روما ، ولم يلدو صوته في ربوع وادي النيل داعياً المتعبين والثقيل الأحمال إلى الراحة ، إن يسوع حينما ظهر على مسرح الخدمة الدينية في بلاده ، وجد الجو مهياً والطريق معبداً . فالكتبة والفريسيون وهبوا حياتهم للدين والحفاظ عليه ، في حدود دائرة تفكيرهم وتقاليدهم . ومما لاشك فيه أنهم ، برغم تزمهم ، أسدوا خدمة كبرى للروح الدينية في بلادهم ، وللمحافظة على تعاليم الدين ووصاياه ، ونقاوة الحياة . فحينما تقدم «يسوع» ببشارته ، لم يجد أمامه أسراً منحلّه ، أو رجلا يطوف مدينته وإلى جواره زوجة غير شرعية ، أو مأبوين يبلطخون وجوههم بالمساحيق والأصباغ كالبغايا ، أو قبائح ترتكب في المعابد باسم التعبد للآلهة ، لقد كان مسرح الخدمة الدينية في فلسطين أكثر نظافة ، وأكثر تيمواً لقبول رسالة المسيح . ولكن قذارة الأمم ونجاساتهم ، وفضائح الوثنية وممارساتها ، ومرارة الاستعباد وقساوته ، وكل ما أحاط بالحياة الاجتماعية بين الأمم من مظاهر ملوثة تعيسة ، هي التي قدر للتلاميذ أن يواجهوها ، ويحاربوها ، وينشروا رسالة المسيح هناك ، ويرفعوا علم المسيحية في وجه العار والحديد والنار . لقد خرجت المسيحية الطفلة لتحارب حربها ، وتكسب معركتها ، في ميادين أفتنى تملاً يقاس من الميدان الذي حارب فيه سيدها وانتصر . . .

وهكذا نعرف ماذا يعنى السيد بقوله إنكم ستقومون بكل هذه الأعمال وأعظم منها، لأنى ماض إلى أبى، إنه يعنى أنه فى أيام خدمته على الأرض كان محددًا بحدود فلسطين . ولكنه حينما يرتفع عن الأرض على الصليب ، ويقوم من الأموات، ويصعد إلى الآب ، سوف تتسع تلك الحدود، لتشمل العالم كله . سوف يتحرر من حدود الجسد ويعمل روحه الجبار فى ميادين أكثر اتساعاً . إن يسوع حين مضى إلى بيت الآب، استطاع ، على وجه التحديد ، أن يرسل روحه كالبحر المحيط الخضم ليغطى العالم أجمع .

٢ - وفى الوعد الثانى، يقول «يسوع» إن أية طلبية تقدم باسمه سوف تنال القبول . هذا هو أساس الصلوات المحبابة : ينبغى أن ندرسه جيداً لنقيم عليه بناء طلباتنا . إنه لم يقل إن كل طلباتنا تجاب، بل قال إن الطلبات التى تقدم فى اسمه سوف تقبل وتجاب . إن المحك الحقيقى الذى يظهر طبيعة صلواتنا ، هو هل نستطيع أن أقرن اسم يسوع بهذه الطلبية التى أطلبها؟ لن نستطيع على سبيل المثال أن نطلب المصالح الشخصية أو نطلب التفوق على الآخرين ، أو نتقدم بطلبية غير مسيحية، لاتفق مع إسم المسيح وكرامته . فحينما نصلى، علينا أن يسأل كل منا نفسه، هل ما أتقدم به من صلاة أو طلبية، أستطيع أن أتقدم به فى روح المسيح ؟ أم أنى أطلب لتحقيق مصالحى الشخصية وأغراضى الأنايية ؟ إن أية صلاة تستطيع أن تثبت أمام هذا المحك ، أمام هذا الامتحان ، هى الصلاة الحقيقية ، والطلبية التى نستطيع أن نقرنها بالقول : «لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض» هى الطلبية المستجابة . ولكن الصلاة التى نبنينا على الذات ، ومطامعها هى صلاة فى إسم الذات ، وليست فى إسم يسوع المسيح ، وهى بالتالى صلاة لا ينبغى أن تنتظر إستجابة لها .

## المعين - الوعد القديم

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاَحْفَظُوا وَصَايَايَ . وَأَنَا  
أَطْلُبُ مِنْ الْآبِ فِيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمَكُثَ مَعَكُمْ  
إِلَى الْأَبَدِ . رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ  
يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ  
مَا كَثُرَ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ .

( يوحنا ١٤ - ١٥ - ١٧ )

خلال فصول البشارة الرابعة، تتردد نعمة واحدة تعلن امتحان المحبة ،  
وهذه النعمة هي الطاعة . فدليل المحبة الحقيقية الصادقة هو حفظ الوصايا .  
حتى ربّ المجد نفسه لم يستثن من هذه القاعدة ، فطاعته للآب قد  
أعلنت محبته له . وبالتالي طاعتنا نحن لوصايا يسوع برهان محبتنا الصادقة  
له . يقول « لك . باريت » إن المحبة في البشارة الرابعة لا تدور في دائرة  
خيالية جاملة تسبح بين النجوم ، وتعانق الكواكب ، بل أن تعبيرها يترجم  
في بنود البامبوس الأدبي ، وإعلانها يتجسم في الطاعة الكاملة .. « إننا نعرف  
من اختياراتنا في الحياة اليومية، كثيرين يعلنون عن محبتهم بالكلمات المنمقة  
الجوفاء ، ويتخذون من المظاهر الخارجية الخداعة، تعبيراً لها ومع ذلك فهم في



نفس الوقت يجلبون المتاعب على من يدعون أنهم يحبونهم ، وبتصرفاتهم وأفعالهم ، يكسرون قلوبهم . هناك أبناء يقبلون والديهم في الصباح عند خروجهم للدراسة ، وفي المساء قبل ذهابهم إلى الفراش . ولكنهم بعدم طاعتهم يسببون مضاعفات للوالدين ؟ أزواج يتنادون بأنهم بنو يوبون حبا لزوجاتهم ، وزوجات لا يدعن فرصة تمر دون أن يعبرن باللسان عن حبهن لأزواجهن ، لكن الذى يفحص داخل القلب ، يعرف أن عقارب الغيرة ، والحسد ، والنفعية ترعى في القلوب .

إن الحبة الحقيقية في ناموس «يسوع» ليست شيئا عاديا هينا ، إن برهانها الوحيد الأكيد هو الطاعة . لذلك فما يدعى البعض بأنه حب ، ليس كذلك على الإطلاق لأن الحب الحقيقي الإيثاري المضحى العامل ، هو أندر شيء في الوجود .

من الواضح إذا أن الحب شيء نادر .. الحب الحقيقي الذى يتجسم في روح الطاعة . ولكن «يسوع» لا يتركنا نصارع بمفردنا في هذا الميدان . إنه يرسل لنا معيننا يسندنا ويؤازرنا ويرفعنا . من هو هذا المعين ؟ يتقدم السيد باسم تصعب ترجمته أو تستحيل . هذا الاسم في الأصل اليونانى يعبر عنه بكلمة « بارا كليتوس » أو الباراكليت ، أما الترجمة المعتمدة الإنجليزية ، وتسير في ركابها ترجمة فانديك العربية ، فقد نقلت كلمة بارا كليتوس على أنها « المعزى » ، وبالرغم من أن هذه الترجمة تقر بنا قليلا من المعنى ، كما أنها تقدست بمرور الزمن والإستعمال ، إلا إنها ليست كافية لتقدم لنا المعنى الأصلى في قوته . في ترجمة موفات ترد كلمة « المعين » . وحتى هذه لا تقدم لنا الأصل في ملء غناه .

إننا لو فحصنا اللفظة « بارا كليتوس » فلإننا نجدها تعنى حرفيا «شخصا استدعى

إلى « . ولكن السبب الذي بمقتضاه استدعى هذا الشخص هو الذي يحدد صفته، ويضفي على كلمة باراكليتوس صبغتها المميزة . ولقد استخدم اليونانيون الكلمة في أكثر من طريق . استخدموها للدلالة على الشهادة أمام القضاء . فالباراكليتوس هو الشاهد الذي يدعى إلى المحكمة للدلاء بشهادته ولا يشترط أن يكون هذا الشاهد محترفاً كبعض الشهود الذين يستدعون للدلاء بشهادتهم . فقد يكون إنساناً له كرامته ومركزه، نظير محام أتي ليدافع عن موكله ، وبناء على دفاعه عنه تترتب أخطر النتائج . وقد يكون خبيراً استدعى للاستعانة برأيه في قضية من القضايا ، أو مشكلة من المشكلات .

بل قد يكون الباراكليتوس وسيطاً ، بل من الحكمة والمقدرة والمواهب ، ما يستطيع به أن ينفخ الهمّة في فصيلة من الجند أصابها الأعياء واليأس ، وراودها الفكر بالنكوص على أعقابها . وهكذا يدعى إلى هذه الفصيلة ليعيدها إلى القوة والنشاط .

إن الباراكليتوس ، هو على الدوام شخص يدعى إلى مهمة عاجلة تقتضيها المعونة في الأزمات ، أو اليأس ، أو الضيقات .

أما كلمة المعزى ، فربما يرجع دخولها إلى أكثر من ترجمة من ترجمات الكتاب في أكثر من لغة ، إلى عهد « ويكيليف » ، فهو أول من استخدمها في اللغة الإنكليزية . ولقد كانت الكلمة تعني أكثر مما تعنيه الآن . كان أحد مقاطعها « فورت Fortis » في اللاتينية يعنى الشجاعة . ولذلك كانت كلمة المعزى تعني في تلك العصور السالفة ، الشخص الذي ينفخ في إنسان ثبطت همته ، معاني الشجاعة وأسباب القوة . أما الآن ، فإن كلمة المعزى ، لا تزيد في معناها عن إنسان يؤامى إنساناً آخر ، في حزن أو مضاب

وبما لا شك فيه أن هذه هي إحدى وظائف الروح القدس . ولكن عمل الروح لا يقتصر على هذا فحسب ، إننا إن جعلناه معزيا فقط نقلل من عمله ، وننتقص من وظيفته . هناك كلمة قد تكون أكثر خصوبة ، وتعطي دلالة أكثر ، وهي كلمة مكافح أو مناضل أو منهض . إن الروح القدس هو المناضل المكافح فينا ، الذي يحول هزيمتنا وفشلنا وهزالنا ، إلى قوة وانتصار .

وهكذا فإن ما يقصد «يسوع» أن يقوله لنا، هو على هذا النحو «إنني مرسلكم في ميدان قاس ، وواضح عليكم نيرا ثقيلًا ، ومحملكم مسئولية عظمى . ولكني لن أرسلكم بمفردكم . سأرسل معكم الباراكليتوس الذي يقويكم ، ويشجعكم ، ويؤازركم حتى تستطيعوا أن تقوموا بواجبكم ، وتحملوا أحمالكم . إن الروح القدس روح الحق ، سوف يرشدكم إلى الحق ، وينهض عزائمكم الفاترة المرتخية ، حتى تستطيعوا أن تكافحوا وتناضلوا في الجهاد الموضوع أمامكم في سبيل الحق .»

ثم يتقدم «يسوع» خطوة أخرى ، ليعلم أن العالم لا يعرف روح الحق . أما العالم فيعني به ذلك «القطيع» من البشر الذي يحيا بلا إله . . . أولئك الذين حذفوا اسم الجلالة من برنامج حياتهم . أما مركز الدائرة في هذا القول الإلهي فهو هذا : إننا نستطيع أن نبصر ما نهبأ في الداخل لرؤيته . فقد يحدث أن أسير جنبا لجنب مع عالم من علماء الفلك ، ونرفع نحن الأثنين أبصارنا إلى السماء ، لكن عالم الفلك يستطيع أن يرى في صفحة السماء ، ما لا أراه أنا . وقد أسير في الحديقة إلى جوار عالم من علماء النبات . لكن الزهرة النافهة الرابضة بين العشب ، والتي تطوأها قدمي في غير

اهتمام ، تبدو في مخيلته زاخرة بالصور والمعاني . وقد يتاح لي أن أقف إلى جوار طبيب يجري الكشف على إنسان . لكن ما يراه الطبيب في أعماق كيان ذلك الإنسان المريض ، لا أستطيع أن أراه أنا . وقد يعرض لي أن أدخل مع أحد خريجي كلية الفنون ، إلى متحف من متاحف الفن ، ونقف سويا أمام صورة من الصور . لكن كل خط من الخطوط المتقاطعة التي تخف في سوادها ، أو تكتف ، أو تتوزع هنا وهناك على اللوحة ، تكشف أمام عيني صديق عن معان لا أستطيع أن أصل أنا إلى إدراكها بنظرتي السطحية غير المدربة - دائما ما نستطيع أن نفهمه ونقبله ، يتوقف على الصورة السابقة التي تكونت في مخيلتنا على أساس اختباراتنا ومعرفتنا السالفة . وعلى هذا الأساس ، فإن الإنسان الذي اعتاد على إبعاد الله عن دائرة تصوره ، وتفكيره ، وبرنامج حياته ، لن يكون لديه أدنى وقت ، في يوم من الأيام لينتظر الله ، ويصغى إلى صوته . انه يعتبر الوقت الذي يقضيه مع الله وقتا مضيعا بلا جدوى . وما لم نتعلم كيف نتظر في صمت وثقة وتسليم في محضر الله ، فاحصين ذواتنا ، منكرين أنفسنا ، فاننا لن نقبل روح الله ، ولن تكون لنا المقدرة على معرفته المعرفة الاختبارية .

إن العالم لا يعرف روح الله ، ولا يستطيع أن يقبله ، لأن العالم لا يملك نظرة التقدير والاعتبار لكل ما هو إلهي ، ولأنه أكثر مشغولية من أن يتخلى مع الله ، ويفحص نفسه في نوره الفاحص ، ويعطى الروح القدس الفرصة لدخول القلب والسيطرة على الحياة .

إن كنا نريد أن نتمتع بدخول الروح القدس إلى قلوبنا ، ونملكه

على حياتنا ، إن كنا نريد أن نتمتع بقوته وتعزيزه ، وإلهاضه لنفوسنا ،  
إن كنا نريد أن نحيا في ملء القوة والثمر المبارك ، ثمر الروح القدس ،  
ينبغي أن نحلى أنفسنا من العالم واهتماماته ، ونفرز وقتنا منتظرين في  
صمت ، وإيمان وتسليم ، حتى يتنازل الرب إلينا بموعده الآب .

## الطريق إلى الشركة والإعلان

بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنِي .  
إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ . فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي  
أَنَا فِي أَبِي وَأَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ . الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ  
وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي . وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا  
أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي .

قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الْإِسْخَرِيُّوطينَ يَأْسِئُ مَاذَا حَدَّثَ  
حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ .  
أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ إِنَّ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي  
وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا . الَّذِي  
لَا يُحِبُّنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي . وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ  
لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أُرْسَلَنِي .

( يوحنا ١٤ : ١٩-٢٤ )

لابد أن شعورا بالوحشة قد ساد على التلاميذ، وهم يصغون إلى حديث  
سيدهم . لابد أنهم أحسوا أمام ذلك الخطاب الوداعي الممتلئ بأكثر من

تعزية وتشجيع ووعد ، أن هناك مأساة تلوح في الأفق . ولكن «يسوع» يعود فيطمئنهم بالقول : « لا أترككم يتامى » . ونحن نستخدم كلمة يتامى للأشارة إلى من فقد أحد الوالدين . ولكنها كانت تطلق في القديم على تلاميذ فقدوا معلمهم الحبيب .

يتحدث «أفلاطون» أنه حينأما «سقراط» ، ظن تلاميذه أنهم سيقضون سحابة العمر في وحشة اليتامى الذين فقدوا عائلهم ، ولا يعرفون ماذا يفعلون من بعده . ولكن «يسوع» يقول لتلاميذه إنهم لن يصبحوا كذلك . ولن يتركهم في وحشة اليتيم ، بل سيرجع إليهم . وبهذا القول كان يشير إلى قيامته من الموت ، وظهوره لهم . إنهم سيرونه بأعينهم بعد أن يغيب وراء جدران القبر . . سيرونه حيا متصراً لأن الموت لن يسود عليه ، وسيرونه أيضاً لأنهم أصبحوا أحياء فيه ، وهو يعنى بذلك الحياة الروحية . إنهم في هذه الساعة في ذهول وخوف أمام العاصفة التي تبدو نذرها في الأفق . ولكن سيأتي اليوم ، الذي تفتتح فيه بصيرتهم الروحية ، وتفتتح عقولهم المغلقة ، فيرونه ويعرفونه حقا . وهذا ما حدث تماما حينما قام «يسوع» من الأموات . إن قيامة السيد ، قد حولت بأسهم إلى بأس ، وضعفهم إلى قوة ، فتحققوا يقينا أن يسوع المسيح هو بالحقيقة ابن الله .

في هذه القطعة التي تبدو أماننا مثل سيمفونية الرجاء ، نستمع إلى بعض الأنغام المتميزة .

١ - فهي تسود عليها نغمة المحبة . والمحبة في البشارة الرابعة أساس كل شيء ، ليس فقط لأن البشارة الرابعة هي بشارة المحبة فالآب يحب الأبن ، والأبن يحب الآب . والله يحب العالم ، وكذلك يسوع - يحب العالم . والبشر

في يسوع يحبون الله ، ويرتبطون ، الواحد مع أخيه برباط المحبة . إن المحبة هي الرباط الأسمى الذى يربط السماء بالأرض والإنسان بإلهه ، والإنسان بأخيه . بل هي الناموس الأعظم الذى يسود دوائر السماء العليا .

٢ - ومرة أخرى، نستمتع إلى نعمة الطاعة تتردد في هذه الفقرة . فالطاعة برهان المحبة الأوجد . ولأولئك الذين أحبهم ظهر «يسوع» حينما قام من الأموات .. أولئك الذين أظهروا محبتهم له بطاعتهم العملية .

٣ - وهذه المحبة الواثقة المطيعة تصل بنا إلى نتيجتين ، فهي توصلنا إلى الأمان الكامل . فإن أولئك الذين أحبوا «يسوع» وأظهروا محبتهم له في طاعة عملية ، سوف يكونون في أمان في يوم انتصار المسيح ، حينما تنهاوى أطمع العالم وتبيد الممالك . وهي أيضاً تقودنا إلى الإعلان الكامل ، لأن الذى يحب يسوع في غير فساد ، يكشف له أكثر فأكثر عن ذاته . وصفاته . إن معرفة الله ، وإعلان الله للإنسان ، هما أتمن ما في الوجود . وهناك أساس أدنى لتلك الكشف أو الإعلان . فالذى يريد أن يرى الله في المسيح ، أن يعلن له المسيح ذاته ، هو الذى يحفظ الوصايا الإلهية . لا يمكن أن يتمتع إنسان بعيد رؤية القدير . إن الله قد يستخدم الإنسان الشرير لخدمته ، ولكنه لن يعلن له ذاته ، ولن تكون له الشركة معه - الذى يسعى إلى الله بالمحبة الصادقة الطيعة ، هو وحده الذى يعلن له ذاته والذى يسعى للصعود إلى جبل الله رغم ضعفه ، هو الذى ينزل الله إليه ويتنازل .

٤ - إن البشر كتميع الله ، وإعلان الله للإنسان ، يتوقفان على المحبة . والطاعة هي برهان المحبة الأوجد . فكلمة «أطعنا الله أكثر فأكثر» ، كشف لنا ذاته . وكلمة «سرنا في وصاياهم» ، يسر معهم ويوتمتع به .



## تركة المسيح

بِهَذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ . وَأَمَّا الْمَعزَى الرُّوحُ  
الْقُدُسُ الَّذِي سِيرَسِيهِ الْآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ  
شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ .

سَلَامًا أَنْتَرُكُمْ لَكُمْ . سَلَامِي أُعْطِيكُمْ . لَيْسَ كَمَا يُعْطَى  
الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا . لَا تَضْطَرِبُ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبْ .  
سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ . لَوْ كُنْتُمْ  
تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ . لِأَنَّ  
أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي . وَقُلْتُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَّى  
مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ . لَا أَتَكَلَّمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا لِأَنَّ  
رَبِّي هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ . وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ  
الْعَالَمُ أَنِّي أَحِبُّ الْآبَ وَكَمَا أَوْصَانِي الْآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ .  
قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ هَهُنَا

( يوحنا ١٤ : ٢٥ - ٣١ )

هذه الفقرة ذاخرة بالحق . وفيها يتحدث «يسوع» عن خمسة أمور ..

١ - فهو يتحدث أولاً عن الروح القدس روح الحق . وهو يذكر أمرين أساسيين عن الروح .

(أ) فالروح القدس يعلمنا كل شيء . إن المسيحي ينبغي أن يتخذ طفلة حياته، وضع من يريد أن يتعلم ، ومن يسعى للتعليم ، والروح القدس يقوده يوماً بعد يوم ، إلى مجالات أعمق وأعمق في حق الله . لا يوجد مسيحي مهما تعمق في المعرفة ، يستطيع أن ينادى بأنه قد عرف كل الحق . ولا توجد اعذار في دائرة الإيمان المسيحي لأصحاب العقول المخلقة المكتفية . إن المسيحي الذي يشعر بأنه قد وصل في المعرفة إلى درجة الاكتفاء ، لم يتعرف قط على الروح القدس في حياته ، ولم يتلمذ على يديه .

(ب) والروح القدس يذكرنا بكل ما قاله السيد لنا . وهذا يعني أنه في دائرة إيماننا الأقدس يذكرنا روح الله بكل ما قاله لنا يسوع . إن عقولنا تفكر وتصل في تفكيرها إلى نتائج ، لكننا ينبغي أن نخضع الفكر لقياس تعليم المسيح الكامل . ومهما سمونا في تفكيرنا فلن نصل إلى فكر الله . علينا أن نقبل حق الله الذي أعلنه لنا «يسوع» . إن مهمة اكتشاف الحق لم تعد بعد علينا . كل ما علينا فقط أن ندرك مضمون الحق ، أن نعرفه .. أن نصل إلى أعماقه .. أن نعرف كل ما قاله «يسوع» لنا . فالروح يذكرنا بكل ما قاله السيد لنا ، ويحفظنا أيضاً من الشطط في الفكر والاستنتاج .

(ج) والروح القدس يقوم حياتنا وسلوكنا - وكم من مرة يتكرر هذا الاختبار في حياتنا كموثمين . كم من مرة نجرب بأن نخطئ في آياتنا في الحال قول من أقوال المسيح ، أو صورة آلامه على الصليب ، أو آية من

المزامير ، أو نصيحة نطق بها صديق نجله ونحترمه ، أو تعليم وضعناه مع لبان أمهاتنا . ما الذى يذكرنا بكل هذا ، ويرسم هذه الصور أمامنا ؟ من الذى يتقدم إلينا بالتذكيرة فى اللحظة الحاسمة ؟ هذا هو عمل الروح القدس فى ساعة التجربة ، فهو الذى يذكرنا بكل ما قاله لنا «يسوع» .

٢ - ويتحدث إلينا بهبة عظمى مباركة . هبة السلام . والسلام فى الكتاب المقدس « شالوم » لا يعنى غياب المتاعب . ولكنه يعنى ما من شأنه رفعتنا ووصولنا إلى أسمى حالة من الهدوء والسعادة . إن السلام الذى يهبه العالم هو سلام الهروب من المتاعب ، وتجنب المضايقات ، سلام عدم مواجهة العاصفة ، والاختباء منها . لكن السلام الذى يقدمه لنا «يسوع» هو سلام الانتصار . . الذى لا تنزع أية هموم أو متاعب ... السلام الذى لا يوهنه الحزن والضيق والألم . . السلام العميق المستقل عن كل الظروف الخارجية .

٣ - وفى هذه الفقرة يتحدث إلينا «يسوع» عن غايته ، فهو سيعود إلى الآب . . وهو يقول لتلاميذه إنهم إن كانوا يحبونه حقاً فينبغى أن تفيض قلوبهم بالفرح لأجل هذا ، فهو سيتحرر من محدودية الوجود المادى ستتحطم أمامه الحدود . . سيدأ استعلان أعجابه الحققة . . لو تأملنا هذا الحق لأمتلأت قلوبنا فرحاً ، حينما نرى واحداً من أحبائنا المؤمنين ينطلق إلى المجد . ليس معنى هذا ألا نحس بلوعة الحزن ، ولوعة الفراق . ولكن معناه أننا فى حزننا ، وفى وحشتنا ينبغى أن نمتلىء بشعور الأرتياح والتسليم ، لأن أولئك الذين نجبهم قد استراحوا من أمواج الحياة ، وعواصفها ، ووصلوا إلى الميناء بسلام ، ينبغى ألا نقلل فى ساعة أحراننا من قيمة الراحة التى يتمتع بها أحيائنا ، والأعجاء التى ينعمون بها ..

٤ - ويتحدث «يسوع» أيضاً عن الصراع الذى ينتظره، والمعركة التى أصبحت على الأبواب، ولقد كان الصليب هو آخر معركة خاضها «يسوع» ضد قوات الشيطان ، ولكن يسوع لم يخش الصليب لأنه كان يعلم أن النصر النهائية ليست للشر بل للحق ، لقد سار إلى صليبه بروح الثقة والانتصار ، وليس بخطوات اليأس والانكسار .

٥ - وفى هذه الفقرة يتحدث عن انتصاره . حتى هذه الساعة لم يكن الناس يرون فى الصليب سوى العار والمذلة . ولكن سيأتى اليوم الذى يصبح فيه صليب يسوع رمزاً لطاعته للآب ، ومحبه للبشر . إن مفاتيح أسمى ما فى حياة يسوع من أهداف ومعان ، قد وجدت تحقيقها فى الصليب ، هنا أعلنت بطريقة تفوق العقل والأدراك ، طاعة الابن للآب ، ومحبة الآب والابن للعالم أجمع .

## الأصحاح الخامس عشر

### الكرمة والأغصان

أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ . كُلُّ غُصْنٍ فِي  
لَايَاتِي بِشْمَرٍ يَنْزِعُهُ . وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِشْمَرٍ يُنْقِيهِ لِيَأْتِي بِشْمَرٍ  
أَكْثَرَ . أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُمْ  
بِهِ . اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ . كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ  
يَأْتِيَ بِشْمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ كَذَلِكَ أَنْتُمْ  
أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ . أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ .  
الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِشْمَرٍ كَثِيرٍ . لِأَنَّكُمْ  
بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا . إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ  
فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ  
فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ . إِنْ ثَبْتُمْ فِيَّ وَثَبْتَ كَلَامِي فِيكُمْ  
تَطْلُبُونَ مَا تَرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ . بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي أَنْ  
تَأْتُوا بِشْمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلَامِيذِي . كَمَا أَحَبَّنِي الْآبُ

كَذَلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا . اثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي . إِنَّ حَفِظْتُمْ  
وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا  
أَبِي وَأَثْبَتُ فِي مَحَبَّتِهِ .

( يوحنا ١٥ : ١ - ١٠ )

في هذه الفقرة يستعير السيد من مملكة النبات صورة متواضعة ليرمز  
بها لحقائق عظمى . صورة كانت وما تزال ركنا جوهريا في التراث  
الديني اليهودي . فأكثر من مرة في العهد القديم يصور الوحي اسرائيل في  
صورة كرمة القدير . يقول اشعيا « ان كرم رب الجنود بيت اسرائيل »  
( اشعيا ٥ : ١ - ٧ ) ويتكلم الرب على لسان ارميا قائلا عن اسرائيل  
« وأنا قد غرستك كرمة سوري » ( ارميا ٢ : ٢١ ) أي كرمة نبيلة  
كريمة .

فإذا أتينا إلى نبوات حزقيال ، نسمعه يكرر نفس التشبيه في أكثر من  
موضع ( حزقيال ١٥ ، ١٩ ، ١٠ ) .

أما هوشع فيقول : « اسرائيل جفنة ممتدة » ( هوشع ١٠ : ١ ) .  
أي كرمة فارغة بلا ثمر . أما المرثم فإنه يذكر إحسانات الرب لشعبه في  
إخراجه من أرض مصر فيقول « كرمة من مصر نقلت » ( مزمو  
٨٠ : ٨ ) .

وهكذا أصبحت الكرمة رمزا لأمة اسرائيل ، حتى أننا نجد النقود التي  
صكت في عصر المكابيين تحمل صورة الكرمة . وأما أحد أجداد الهيكل  
وروايته ، فقد كان الكرمة الذهبية الضخمة على مدخل الموضع المقدس .  
ولقد كان الأثرياء والعظماء يتنافسون في تقديم عطايا ذهبية لتسيك وتضاف

إلى الكرمة الذهبية في صورة عنقود عنب ، أو حتى حبة واحدة ، لقد كانت الكرمة جزءاً لا يتجزأ من التراث الروحي والفني لليهود . بل كانت رمزاً للأمة بأكملها .

ويأتى « يسوع » في ملء الزمان لينادى بأنه هو الكرمة الحقيقية . ماذا يعنى بكلمة الحقيقية والأصلية ؟ في الواقع إننا لو تأملنا في الوحي في صورة الكرمة في العهد القديم ، فإننا نجدها تقترن في غالبية الأحوال بالتدهور والانحلال . فاشعياء يتحدث عن كرم تالف يشمر عنبا مرأراً رغم كل ما بذل له من عناية ورعاية . أما أرميا فشكواه تدور حول كرمة برية منحلة إشارة إلى أمة ابتعدت عن إلهها وأصبحت غريبة عنه فدب فيها الانحلال . على نفس الوتيرة يتحدث هوشع عن كرمة تمد خراعيها الخاوية ، فتبدو من بعيد شيئاً كبيراً وهي لا تحمل ثمراً على الإطلاق ، وإذا صنعت تصنع ثمراً مرأراً لحساب نفسها . وكأني يسوع يقول لتلاميذه : « انكم تظنون انكم بانتمائكم إلى اسرائيل أنتم أغصان في الكرمة الحقيقية . انكم تظنون انكم لكونكم يهوداً أنتم شعب الله المختار . . إنكم تظنون انكم بمولدكم ، وبجنسيتكم ، أنتم فروع في الكرمة الإلهية ، ولكني أقول لكم إنه ليس إسرائيل كرم الله ، ولا جنس يعقوب جفنة القدير . ان إسرائيل كشعب فد أصبح كرمة برية منحرفة تقدم الثمر المر ، كما تحدث بذلك أنبياءكم . إن حقيقة كونكم يهوداً لن تخلصكم ، ولكن الطريق الوحيد للخلاص ، هو أن تكون لكم شركتكم الحية معي . . أن تنقطعوا في وتتأصلوا كما يتأصل الغصن في الكرمة . لأنني أنا كرمة الله الحقيقية ، وأنتم ينبغي أن تصبحوا أغصاناً في . لقد وضع يسوع المبدأ أن ليس الدم اليهودي أساس خلاص الله ، ولكن الإيمان به ، هو الأساس فالمؤهلات الخارجية لا تجدى . ولكن الارتباط الحي بالإيمان بيسوع المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص .

## الكرمة والأغصان ( تابع )

( يوحنا ١٤ : ١ - ١٠ )

حينما رسم « يسوع » أمام أنظار تلاميذه صورة الكرمة والأغصان ، كان يستوحى من البيئة صورة شعبية مألوفة . فقد كانت الكرمة هي المنظر الذى يتكرر فى فلسطين فى أكثر من مكان . والكرمة نبات يحتاج إلى أكثر من عناية ، حتى يقدر له أن يعطى ثمرا جيدا . فالقربة ينبغى أن تكون نظيفة تماما ، والدعائم والتكعيبات الخشبية قريبة من الساق حتى تتعلق بها الأغصان الغضة . وفى الحدائق كان يسمح للساق بأن ترحف قريبة من الأرض مرفوعة قليلا بدعائم خشبية على شكل حرف ٠ ٨ . وكان يفسح المكان بين كرمة وأخرى ، لأن فروع الكرمة الواحدة كانت تنتشر على مساحة واسعة . أما الكرمة الناشئة فلا يسمح لها بأن تنمر إثماراً . لمدة ثلاث سنوات كاملة . فكانت تقرض فروعها كل عام حتى لاتصل إلى حد الإثمار ، فتحتفظ بحيويتها ونشاطها . فاذا وصلت إلى سن النضوج ، تشذب الأغصان فى الشهر الأخير من العام ، والشهر الأول من العام الذى يليه . فالكرمة لها نوعان من الأغصان : أغصان مثمرة تثقل بالعناقيد ، وأغصان بلا ثمر . أما الأغصان العقيمة التى لاتحمل سوى الأوراق الخضراء ، فهى تقطع بلا شفقة حتى لاتمتص رحيق الحياة من الكرمة ، وحتى تتيح الفرصة للأغصان الأكثر نفعاً بأن تنضوى وتؤتى ثمارها . وبدون هذا التشذيب القاسى ، لن يتاح للكرمة أن تأتى بثمارها وتثقل بالعناقيد .

زيادة على ذلك ، فإن إحدى « ميزات » خشب الكرمة ، انه لا يصلح لشيء . فهو هش لا يناسب أعمال التجارة . حتى بلديح المحرقات ما كان



خشب الكرمه يصلح للإيقاد . ولقد كانت هناك مواسم لتقديم عطايا الأخشاب للمحرقة، وكانت التعليقات تقضى ألا يقدم خشب الكرمه . فالمنفعة الوحيدة للأغصان الخشبية التي تقطع ، أن تطرح خارجا في حرارة الشمس لتجف ، ثم تجمع وتطرح في النار فتحترق — ربما تجمعها النسوة للإيقاد . ولقد كان « يسوع » يعرف هذه الحقيقة التي تضى على الصورة معاني أعمق .

وهكذا يقول معلم الأجيال ، إنه ان كانت صورة الكرمه تنطبق عليه . فإن الأغصان صورة لأتباعه . فالبعض من هذه الأغصان — أتباعه — أغصان مثمرة . والبعض الآخر أغصان بلا نفع ، لا تحمل ثمراً على الإطلاق ترى ماذا كان السيد يقصد بالأغصان التي بلا ثمر ؟

هناك جوابان لهذا السؤال . أما الجواب الأول أنه كان يعني شعبه . . أمته . . مواطنيه . إنهم أغصان في الكرمه بطبيعة كونهم يهوداً ، سلالة ابراهيم بالجسد . أليست هذه هي الصورة التي رسمها لهم الأنبياء الواحد بعد الآخر ؟ ولكنهم رفضوا أن يستمعوا له ، أن يقبلوا تعاليمه . . أن يرتبطوا به ، وهكذا لم يثبتوا في الكرمه فكان مصيرهم الانفصال . . وكان مصيرهم الذبول والجفاف ، وكان مصيرهم مصير كل غصن لا يأتي بثمر . وإن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق .

أما الجواب الثاني لهذا السؤال ، فهو يتجه إلى صورة أكثر شمولا وأكثر تحميماً . فلا بد أن « يسوع » كانت في مخيلته صورة المسيحيين بالاسم الذين بلا ثمر في كل العصور والأجيال ، الذين يظهرون أمام الناس شيئاً كبيراً كالغصن المورق المزدهر ، ولكنهم في واقع الحال بلا ثمر .

بل كانت في مخيلته صورة المرتدين الذين سمعوا يوماً بشاراة الحياة وقبلوها بفرح ، ولكن لم يكن لهم أصل في ذواتهم ، فسرعان ما ارتدوا ونكصوا على أعقابهم ، وأنكروا الإيمان ، وخنأوا المرسل والرسالة .

هناك طرق ثلاثة تنهى بالإنسان إلى حياة العقم العديم الثمر : أن يرفض الإنسان الإصغاء إلى صوت السيد وقبول حقه ، شأنه شأن اليهود في عصر المسيح : أو أن يصفى لبشارة الحياة ويرحب بها مقدما خدمة الشفاء فقط دون أن تتأيد بالأعمال . أو أن يقبل يسوع سيدا على حياته . فإذا حدث ضيق أو إضطهاد أو جباهته صعاب ، أو وجد الحياة الجديدة تتعارض مع مصالحه ورغائبه ، يرتد في الحال ، ويصبح شرأمن غير المؤمنين ولكن ينبغي أن نذكر شيئا جوهريا . إن عدم الإلتزام ينتهى على الدوام بكارثة أو مأساة ، فالغصن الذى لا يقدم ثمرا هو فى طريقه إلى الحريق .

### الكرمة والأغصان ( تابع )

( يوحنا ١٥ : ١ - ١٠ )

في هذه الفقرة تردد أكثر ما تردد ، فكرة الثبات فى المسيح . ترى ماذا يعنى السيد بقوله « إلتبوا فى » ؟

صحيح أن هذا القول له مضمونه السرى الصوفى . وأن هناك معنى صوفيا عميقا سريا خلف ثبات المؤمن فى المسيح ، وثبات المسيح فى المؤمن . ولكننا لانستطيع أن نقول ، بأن كل المؤمنين لهم اختباراتهم الصوفية . فمعظمهم أناس مجاديون . لذلك علينا أن نبحث عن طريق أكثر بساطة : ومفتوحا أمام الجميع للثبات فى المسيح . ولناخذ مثلا ماديا بشريا رغم أننا نعرف أن الأمثلة البشرية ، تقصر عن أن تصل إلى المستوى الروحى الذى

ترمز إليه . لتأخذ على سبيل المثال إنسانا ضعيفا واهن الشخصية ، ما أن تعرض له التجربة حتى يسقط فيها . لنفرض أنه ضل تماما ، والتوت به السبل ، وهو الآن في طريقه للانهايار الروحي ، والنفسى ، أيضا ولنفرض أن لذلك الإنسان صديقا له شخصيته القوية المتكاملة المحبة . وأن ذلك الصديق صاحب الشخصية القوية أراد أن ينقذ ذلك الإنسان من تهوره . هناك طريق واحد يستطيع به الإنسان الضعيف أن يستعيد ذاته ويعود إلى نفسه ، أن يلتصق التصاقا كاملا بصديقه القوى . فاذا فقد أسباب الالتصاق أو الإتصال ، يعود إليه ضعفه وينتصر عليه وتبرز رؤوس الأفاعى من جحورها . وتثور عليه عواصف التجربة فيسقط . إن خلاصه يمكن فى الاتصال الدائم ، والاتصاق القوى بصديقه ، وهلاكه فى فقدان ذلك الاتصال .

فى بلدان الغرب ، نجد أكثر من هيئة نظير جيش الخلاص وغيرها تهتم بايواء المشردين ، والسكيرين ، والذين وقعوا تحت سلطان الانحراف والرذيلة . وهناك تحيطهم بأسباب التقاوة والصدقة البريئة . والجو الطاهر ، الذى يعيدهم إلى أنفسهم الحقيقية . ولكن يحدث فى بعض الأحيان ، أن ذلك السكير أو المنحرف . يحن إلى حياة الظلام فيهرب من محيطه الجديد . إنه حالما يترك دائرة النور ، تجتلبه عناصر الظلام ، وتهاجمه عقارب الشر والرذيلة ، بأكثر قوة وضراوة ويصبح نظير قطعة الحديد التى تباعدت عن مجال التأثير الممغنط لمغناطيس قوى . ولكن أعضاء الهيئة لا ينفضون أيديهم يأسا ، لا بل يبحثون ويجدون ، حتى يعيدوه مرة ثانية إلى الجو النقى وتأثيرات الصدقة المباركة .

ينبغي أن نكون على اتصال دائم بكل ماهو نجميل نقى طاهر ، حتى تغلب الشر الكامن في أعماقنا، والشر المحيط بنا . إن الإنسان يتحول عن قصد أو غير قصد إلى الصورة التي يجها ويلتصق بها ، فإذا كانت الصورة نيرة مشرقة تأثرت حياته بالنور . أما الصورة المظلمة الملوثة ، فتدفع الإنسان إلى الظلام .

يروى تاريخ الخدمة المنبرية عن « روبرتسون من برايتون » أنه كان من أفقر من اعتلى المنبر . وفي دائرته كان يعيش تاجر في محل متواضع . كان يحفظ في الخزن الداخلى بصورة « روبرتسون » . فحينما كانت تراوده التجربة لكسب غير مشروع أو سلوك غير مناسب ، كان يسرع إلى الداخل ويتطلع إلى الصورة ، فينال القوة والإلهام للانتصار على التجربة . . . . . وحينما سئل « كنجسلى » يوما عن سر حياته ، أشار إلى « ف . د . موريس » قائلا « هو صديقى هذا . إن الصداقة الجميلة طبعته حياته بصورة جميلة . . . بشيء أسمى بما لا يقاس من هذه الصور الهزيلة المهترئة ، نستطيع أن نتحدث عن تأثير صلتنا بالمسيح واثباتنا فيه . إن سر حياة « يسوع » وقوته تكمن في صلته بالآب ، وطاعته له واثباته فيه فكم من مرة نراه يعتزل بعيداً ليختلى مع الله ، ويقضى الليل في الصلاة وعلى نفس القياس ينبغي أن تكون صلتنا بيسوع . ينبغي أن نكون في شركة دائمة معه والتصاق دائم به . ولكننا لا نستطيع أن نصل إلى هذا المستوى ، ما لم نتم من جانبنا بالخطوات التي توصلنا إليه . ينبغي أن يكون « يسوع » في فكرنا ، وقلبتنا ، واختبارنا على الدوام . ينبغي أن نختبر حضور « يسوع » في حياتنا .. أن نحيا دائماً في محضره . لنأخذ مثلاً واحداً ، الصلاة ساعة الصباح . فحين نقضى في محضر الله عند قيامنا من النوم ، ولو دقائق قليلة ، فإن هذه الدقائق تصبح بمثابة طاقة مخزنة في

الداخل، تحفظنا في نعمة وبركة المحضر الإلهي كل اليوم . لأن ذات إحساسنا بأننا نتمتعنا بمحضر الملك ، يحميننا من التلوث بالدنيا .

إن الثبات في المسيح ، هو صلة سرية عميقة صوفية بين النفس وبين المسيح ، واختبار روحي سام يسمو على كل تعبير وتفكير . إنه يعني العيشة الدائمة في محضر رب المجد . . الإلتصاق المستمر بيسوع المسيح . . ترتيب برنامج حياتنا . أعمالنا . . أقوالنا . . صلواتنا . . سكناتنا حتى لا يمر علينا يوم فيه ننسى وجودنا الحي في «يسوع» ، ووجوده الحي فينا .

في القرن السادس عشر ، ظهر «القديس لورنس» الذي عرف في التاريخ باسم الأخ «لورنس» ، من رهبانية الإخوة الكرمليت في باريس ، وقد جمعت اختبارات تحت عنوان « إختبار حضور الله » وفيها يقول : « بعد أن سلمت نفسي تسليماً كاملاً لله ، هجرت في سبيل محبته كل شئ سواه ، وبدأت أحيا في الوجود وكأنه لا وجود لأحد سوى هو وأنا » . وأخيراً نلاحظ في هذه الفقرة أساسين للتلمذة الحقيقية والتلميذ الصادق الأمين . أما الأساس الأول ، فهو الحياة الزاخرة الغنية المثمرة . ان ثبات الفرع في الكرمة ، وثبات الكرمة في الفرع ، يأتي بالثمر المتكاثر . والأساس الثاني تمجيد الله . إن حياة الفرع المثمر ، توجه أفكار الناس ، للإله الذي أثمر في الإنسان . للكرمة التي سرى منها عصير الحياة إلى الغصن فجاء بالثمر . وكما يقول السيد : « بهذا يتمجد الآب أن تأثروا بثمر كثير . مظهرين بذلك أنكم تلاميذي . إن أعظم أمجاد الحياة المسيحية الصادقة أننا نصبح أداة لمجد الله بحياتنا وسلوكنا :

## حياة شعب يسوع المختار

كَلَّمْتُمْ بِهَذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَجِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ  
هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا  
أَحَبَبْتُمْ . لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ  
أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ . أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ  
مَا أَوْصِيَكُمْ بِهِ . لَا أَعُودُ أَسْمِيَكُمْ عِبِيدًا لِأَنَّ الْعَبْدَ  
لَا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ . لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لِأَنِّي  
أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي . لَيْسَ أَنْتُمْ أَخْتَرْتُمُونِي  
بَلْ أَنَا أَخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ  
ثَمَرُكُمْ . لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ الْآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي .  
بِهَذَا أَوْصِيَكُمْ حَتَّى تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا

( يوحنا ١٥ : ١١ : ١٧ )

إن مركز الدائرة في هذه الفقرة ، هي التي يقول فيها «يسوع» لتلاميذه  
ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم : اننا لسنا نحن الذين اخترنا الله ،  
بل إلنا كبير القلب متسع المراحم ، فائض النعمة ، هو الذي اختارنا في

محبته : وهذه الفقرة تقدم لنا قائمة الأشياء التي اختارنا الرب لها ودعانا للتمتع بها :

١ - فهو قد اختارنا للفرح : فمهما كان طريق المسيحي شاقا مرهقا، فقد زرع له الفرح في طريقه ، والبهجة في غايته : هناك فرح عميق اسمه فرح القيام بالواجب . إننا أحيانا نحاول أن نتجنب واجبا من الواجبات ، فإذا قمنا في النهاية به ، فإن الفرح يملأ قلوبنا . إن المسيحي هو إنسان الفرح . . المسيحي فارس المسيح الميَّسج - أما المسيحي المكند الوجه ، الحزين الملامح ، الدامع العينين ، فهو أسوأ دعاية للديانة المسيحية بل إننا نقول إن الوجوه الطويلة والمسوح السوداء، وارتباط المسيحية بها في تاريخها الطويل ، قد أضربها أكثر مما أفادها . صحيح أن المسيحي كإنسان هو إنسان خاطيء . ولكنه خاطيء مفدى بالنعمة ، وهنا يكمن سر أفراحه . وكيف يعجز الإنسان عن أن يصبح سعيداً ، إذا كان يقطع طريق الحياة في صحبة «يسوع» ؟

٢ - وهو اختارنا للمحبة . لقد أرسلنا إلى العالم برسالة معينة، وهدف ثابت ، المحبة . . أن يحب أحدنا الآخر . أحيانا نجيا في العالم وكأننا وجدنا لينافس أحدنا الآخر ، أو حتى ليتشاجر الواحد مع الآخر . ولكن رسالة المسيحي في الوجود ، أن يجيا بالصورة التي يعلن فيها محبته للآخرين . هنا ينادى «يسوع» بواحد من الحقوق التي له . فإذا تقدم واحد ليسأله بأي حق تطلب منا أن يحب أحدنا الآخر ؟ بأي حق تضع على أكتافنا حمل المحبة ومسئولياتها؟ يجيبنا لقد سبقتكم في هذا المجال . فأصبحت مثالا لكم . إنى أطلب منكم ضريبة المحبة أحدكم للآخر ، لأنى أنا قد أحببتكم حباً لا يفوقه حب . . فليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع

أحد نفسه لأجل أحبائه. « هناك كثيرون من رجال المنبر لا يفتأون ينادون للشعب بأن يحب أحدهم الآخر، ولو رأيت معاملتهم بعضهم لبعض ، والمنافسة على المناصب، التي تدفعهم إلى جد البغضة والأحقاد ، لقلت لهم بأى حق تنادون بالحبية وهي منكم براء ؟ أما يسوع فقد عاش حياة المحبة ، وسدد التزاماتها وتحمل تضحياتها ، ونفذ الوصية إلى أبعد حدود التنفيذ .

٣ - وهو دعانا لتكون أحبائه وخلانته . فهو لم يدعنا عبيداً لم يضعنا في مركز العبيد . بل رفعنا إلى مقام الأبناء . إن هذه الصفة قد فقدت في تكرارها قوتها وعمقها بالنسبة لنا ، ولكنها بالنسبة لمن سمعها لأول مرة كانت قوية معبرة فائضة بالمعاني . إن لقب عبد ( في اليونانية « دولوس » والجمع « دولوى » ) لم يكن لقب مهانة أو مذلة .

لقد كان يطلق على خادم الرب وعبده . فهو لذلك لقب غاية في السمو والكرامة . فنحن نجد « موسى » « دولوس أى عبد الرب » وخادمه ( تثنية ٣٤ : ٥ ) . وهكذا كان « يسوع » ( يسوع ٢٤ : ٢٩ ) و « داود » ( مزمو ٨٩ : ٢٠ ) بل إننا نجد « بولس » رسول الأمم يعتبره شرفاً لا يذانيه شرف أن يكون عبداً ليسوع المسيح ( تبطس ١ : ١ ) وأيضاً يعقوب الرسول ( يعقوب ١ : ١ ) .

لقد كان رجال الله في القديم، ينشرفون بأنهم - دولوى - عبيد الله . فيلقب « يسوع » وينادى لأتباعه قائلاً : لا أعود أسميكم عبيداً بل أحبائه . إن هذا قمة الإكرام والنعمة الإلهية ، التي ما كان يحلم أعظم أعظم العالم أن يحصل إليها قبل مجيئه . . . إن « يسوع » يفتح الطريق أمامنا إلى مقام عظيم ، وألفة حبيبة قريبة مع الله ، حينما يدعوننا أحبائه الله أو خلانته .

ولكن مقام أحبائه الله أو أصدقائه وخلانته ، له مكانه في التاريخ المقدس . فإبراهيم دعى لتحليل الله ( أشعيا ٤١ : ٨ ) . وفي سفر الحكمة



( ٧ : ٣٧ ) ، يرد القول عن الحكمة أنها تجعل الناس أصدقاء الله . ولو أتجهنا إلى التاريخ الروماني فإننا نجد إشارة إلى عادة ملكية في بلاط القيصرية ، تلقي ضوءاً كبيراً على هذا اللقب .

فلقد كان البلاط القيصري - ومنه سرت العادة إلى بلاط الملوك الشرقيين في القديم - كان البلاط يضم مجموعة من المنتخبين ضمن حاشية «قيصر» يعرفون بأصدقاء قيصر ، أو ناصحيه ، أو مشيريه ، هؤلاء الأصدقاء كان لهم الحق في الدخول إلى جناح قيصر الخاص ، في أي وقت من الأوقات حتى في غرفة نومه في الصباح الباكر . كان يتحدث إليهم ويستشيرهم قبل أن يستقبل كبار رجال الدولة وقواد الجيش ، والوزراء ، والنبل والسفراء وغيرهم . لقد كان أصدقاء الملك يحتلون أضيقت الدوائر حول الملك ، وكانت لهم مكانتهم الأثيرة لديه .

وهكذا عرفنا «يسوع» لنصبح أصدقاء لملك الملوك ، ورب الأرباب . أصدقاء لله جل جلاله ، هذا مركز رفيع معناه أننا لم نعد بعد نتطلع إلى الله ، كما يتطلع الفأر الخائف من شقوق الصخر ، إلى البرق الخاطف في السماء ، في الليلة العاصفة الممطرة ، وزئير الرعد يجعله يرتعد . إننا لن نتطلع إلى إلهنا في رعب ، كما يتطلع العبد المرتعد من بعيد ، إلى سيده الغاضب في جناحه الخاص ، وهو لا يتجاسر أن يقترب منه . إننا لن نتطلع إلى الملك العظيم ، كما ينظر رجل الشارع في لهفة إلى الموكب الملكي ، وهو يدفع الجموع بمنكبيه ، ويقف عند حد معين لا يتعداه . لقد صنع «يسوع» المعجزة ، وفتح الطريق ، وقربنا إلى الله ، فلم يعد بعيداً عنا ، غريباً علينا ، بل صار صديقنا وحيينا ..

## حياة شعب يسوع المختار

( يوحنا ١٥ : ١١ - ١٧ )

٤ - ولكن «يسوع» لم يدعنا إلى هذه الامتيازات العظمى فحسب ، لقد دعانا أكثر لنصبح شركاءه. إن العبد لا يمكن أن يصبح شريكاً لسيدته ، وبحسب تعبير القانون اليوناني ، ما العبد إلا أداة حية .. آلة حية ، هذا هو وضعه ومقامه وكيانه ، فلا يمكن أن ينتظر العبد من سيده أن يفتح قلبه له ، ولا يمكن أن يشرح له السيد الدافع لعمل من الأعمال ، أو واجب يقوم به. إن عليه أن يعمل ما يأمره به بلا شرح ولا جدال ، ولكن «يسوع» يقول «إني لن أسميكم عبيداً» .. لن أدعوكم إلى مقام العبيد ، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده ، ولكني دعوتكم لتكونوا شركاء أحياء ... لأعلمكم بكل ما يعمل سيده ، ولأخبركم بكل ما عمله ، ولماذا عمله . لأخبركم بكل ما أخبرني به الآب : لقد شرفنا «يسوع» بأن جعلنا شركاء له في عمله .. في خدمته ، لقد فتح قلبه لنا وشاركنا أفكاره ، وآماله ، وأهدافه . بل إنه أعطانا الامتياز العظيم أن يكون لنا مطلق الحرية في العمل على هداية العالم إلى حق الله المعلن في المسيح .

إنه يفتخر وهو دعانا لتكون سفراءه ، « اخترتكم وأرسلتكم » إنه لم يختارنا لمجمله حياة منعزلة عن العالم ، بل اختارنا لتكون ممثلين له في العالم وفي تاريخ البشرية في إنكلترا ، لانجد أن الفارس كان يأتي إلى قصر الملك آرثر ، ليقتضي أيامه في الحفلات ، وليلاليه في مآدب التكريم ، والسهر مع زملائه الفرسان . ولكنه كان يأتي إلى الملك قائلاً : « أرسلني لعمل عظيم أقوم به لخدمتك ، ولكرامة الدعوة التي إليها دعيت » . لقد اختارنا «يسوع» لتكون

شركاءه ، وفى اختياره أيضاً تكليف . لقد دعانا لنخرج فى اسمه إلى العالم . هذا ينبغى أن يكون برنامجنا اليومي ، وعلى أساسه ينبغى أن نرتب نظام حياتنا .

٦ - و «يسوع» دعانا لنكون إعلاناً حياً له . لقد دعانا لشمر ثمرآ مباركاً ، ويدوم ثمرنا ، ويستمر ذلك الثمر متحدياً الزمن والتجربة . إن الطريق الوحيد لنشر المسيحية ، أن نصبح نحن أنفسنا مسيحين .. الطريق الوحيد لاجتذاب النفوس البعيدة ، واكتسابها لحظيرة الإيمان ، أن نظهر ثمار الحياة المسيحية فى حياتنا ، إن «يسوع» لم يرسلنا إلى العالم لتجادل الآخرين عن حق المسيحية ، أو لتحدث إليهم عن المسيحية ، أو لزرعهم ، إذا كان لنا السلطان ، على اعتناق المسيحية ، لقد دعانا لتجذب الآخرين إلى المسيحية لنحيا حياة الثمر المبارك ، الذى يشواق الآخرون إليه .

٧ - بل لقد دعانا لنكون أعضاء فى أسرة الله ، ولل فرد فى الأسرة الحق فى أن يطلب فينال استجابة لطلباته . هنا يتقدم «يسوع» إلينا بحق عظيم عن الصلاة ، ينبغى أن ندركه ونصل إلى أعماقه ، أحياناً نخيل إلينا - استناداً إلى هذا الوعد - أن كل مانطلبه من الآب يجاب لنا ، ولقد أشرنا إلى ذلك فى فرصة سابقة ، ولكن دعنا نعيد التأمل فيه .. فالعهد الجديد يعلن لنا أساساً ثابتة عن الصلاة ..

(١) فصلواتنا ينبغى أن نتقدم بها بروح الإيمان ( يعقوب ٥ : ١٥ )  
فحينها تكون الصلاة شكلية روتينية طقسية ، نردد فيها بضع كلمات محفوظة موضوعية ومرتببة ، لا ينبغى أن نتنظر استجابة لها . وحينها تكون الصلاة غير مقترنة بالثقة فلا رجاء فيها ، فأى نفع فى طلبه إنسان يطلب أن ينال تجديداً لحياته ، إن لم يكن مؤمناً بإمكانية حدوث ذلك ؟ إن الصلاة الفعالة المملئة بالقوة ، هى الصلاة المقترنة بالإيمان بمحبة الله الفائقة .

(ب) وصلواتنا ينبغي أن تقترن باسم «يسوع المسيح». ينبغي أن نتقدم بها في ذلك الإسم المبارك ، وحينما تمسك بحتم «يسوع» ، فإننا لا يمكن أن نضعه على طلبات أنانية ، أو طلبات لا يوافق هو عليها . إننا لن نطلب ، على سبيل المثال ، أن نمتلك شيئاً ممنوعاً ، أو نتحقق لنا طلبه أنانية ، إذا كان في هذه الطلبة ضرر لسوانا ، وجرح له ، ونحن لن نطلب في اسم ذلك الذى هو محبة ، أن ينزل بصواعق الغضب والدينونة على أعدائنا . حينما نحاول أن نستخدم الصلاة كوسيلة لإتمام أغراضنا الأنانية ، وإشباع رغائبنا الذاتية ، لن تصبح الصلاة بعد صلاة ، ولن تنتظر لها استجابة من الله .

(ج) وطلبائنا ينبغي أن تقترن بالقول : « لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض ، حينما نصلى ينبغي أن نوقن بأننا لا نعرف أكثر من الإله الكلى الحكمة والعلم . كثيراً ما نكرر صلواتنا وطلبائنا ، ونصر عليها كل الإصرار ، وكأنى بنا نقول لإلهنا « غير مشيئتك » . ولكن ما أحرانا أن نتعلم روح التسليم فنقول « لتكن مشيئتك » ، إن الصلاة الحقيقية المستجابة قد يحدث أن يجيب الله عليها بكلمة « لا » لمصلحتنا الروحية ، وتدريبنا وتعمقنا فى الإيمان ، لكنه مع كلمة « لا » يعطينا روح الرضى ، ونعمة القبول والتسليم .

(د) وصلواتنا ينبغي ألا تكون بروح الأنانية . تقدم إلينا «يسوع» بصيغة عابزة ، بفكر ملهم قوى عن الصلاة فى إنجيل متى ( ١٨ : ١٩ ) فقال «إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات . لأنه حينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » ، نقول إن كثيرين يأخذون هذا القول مأخذاً حرفياً . فحينما يستلخى الأمر يحشدون أكبر عدد ممكن ، ليصلوا لأجل هدف واحد ليضمنوا استجابة الصلاة . ولكن ما يقصده السيد هو هذا ، إننا لو

استطعنا أن نذيب مصالحنا المتعارضة الأناية، في سبيل هدف واحد، أو غاية واحدة ، حتى لو تعارضت هذه الغاية مع مصالحنا الفردية .

فإن الله على استعداد أن يحل وسطنا ويتنازل بالجواب ، لناخذ مثلا :  
الفخارى يطلب الشمس لتجف أوانيهِ ، والفلاح في الحقل المحاور يطلب من الله المطر ليروى الزرع ! إننا حينما نطلب ينبغي ألا نقول : هل هذا لمصلحتي ؟ بل : هل هذا لفائدة إخوتي ؟ إن أقوى تجربة تجاهاها في الصلاة ، هي أن نصلي وكأنه لا يوجد في الوجود سوانا . مثل تلك الصلوات الأناية ، ينبغي ألا ننتظر لها جوابا .

لقد اختارنا «يسوع» وشرفنا لنكون أفراداً في أسرة الله . ينبغي أن نأتي بكل طلباتنا وتوسلاتنا وصلواتنا إلى العرش ؟ ولكننا لما نفعل هذا ، لا ينبغي أن نتوقع من الله الاستجابة التي نجهزها نحن في أفكارنا بل الاستجابة التي يتقدم بها هو إلينا في حكمته ومحبه الكاملة ، إننا كلما أحببنا الله أكثر ، أصبح من السهل علينا أن نقبل إرادته في حياتنا ..

## كراهية العالم

إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي  
قَبْلَكُمْ . لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ .  
وَلَكِنْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنَا أَخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ  
لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ . أَذْكُرُوا الْكَلَامَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ  
لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ . إِنْ كَانُوا قَدْ أَضْطَهَدُونِي  
فَسَيَضْطَهَدُونَكُمْ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلَامِي فَسَيَحْفَظُونَ  
كَلَامَكُمْ . لَكِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ بِكُمْ هَذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ  
أَسْمِي لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي .

( يوحنا ١٥ : ١٨ - ٢١ )

في البشارة الرابعة على الدوام ، نجد «يسوع» يتطلع إلى الأمور بنظرة  
صریحة ، فيضع الأسود في مكانه والأبيض في مكانه . فهناك العالم ، وهناك  
الكنيسة . العالم هو العالم لا يتغير ، والكنيسة هي الكنيسة ، ولا صلة ، ولا اتفاق ،  
ولا مخالطة بين الاثنين . إن «يسوع» لا يعرف أنصاف الحلول ... لا يعرف  
معنى المهادنة ... لا يعرف موقف المحايدة . فإما أن يكون الإنسان في  
جانبه ، أو في صف العالم . ولا موقف وسط بين هذا وذاك .

لنذكر أيضاً أن الكنيسة في ذلك الحين، كانت نحياً في ظل الاضطهاد الذي تبدو ندره في الأفق . ففي اسم المسيح، وبسبب تمسكهم بذلك الاسم المقدس عليهم ألا يتوقعوا رياحاً هادئة . لقد كانت المسيحية ديناً غير قانوني . وما كان الحاكم يحتاج إلى كبير عناء، لبحث الجرائم التي يمكن أن يدين بها مسيحياً . لقد كان يكفي أن يسأله إن كان مسيحياً أم لا . فإن أجاب بالإيجاب فلا يهم أي اعتبار آخر . فلا مركزه، ولا ولاؤه لقيصر ، ولا خدماته للأمة كفضيلة بأن تشفع له عن تلك الجريمة النكراء . إن يسوع لا يرسم بريشته صورة متشائمة مكتئبة، بقدر ما هي صورة حقيقية واقعية . في ملء قسوتها وبشاعتها .

ولم يخف السيد عن اتباعه الطريق الوعر الذي ينتظرهم . لم يظهر لهم الجانب المضيء ، ويخفى الجانب المظلم الكئيب . لقد كان صريحاً كل الصراحة، فأخبرهم بما هو عتيد أن يقع بهم قبل وقوعه : « لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس . وتجلدون في مجامع . وتوقفون أمام ولاة وملوك من أجل شهادة لهم ... وسيسلم الأخ أخاه للموت والأب ولده ، ويقدم الأولاد شهادة على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص .. » (مرقس ٣ : ٩ - ١٣ بالمقارنة مع متى ١٠ : ١٧ - ٢٢ ، ٢٣ - ٢٩ ولوقا ١٢ : ٢ - ٩ ، ٥١ - ٥٣ ) . لقد سبق السيد وحذر تلاميذه مما ينتظرهم في مقبل الأيام .

وفي الوقت الذي سجل البشير فيه بشارته ، كانت العاصفة قد انفجرت بالفعل . وإننا نجد « تاسيتوس » المؤرخ الروماني يكتب عن « الطائفة التي يدعوها الرعاع بالمسيحيين ، الذين يبغضهم المجتمع بسبب جرائمهم ... » وسوتنيوس يتحدث عن « ذلك الجنس من البشر الذي ينتمي إلى خرافة

جديدة شريرة . ترى لماذا كانت كراهية المجتمع للمسيحيين إلى هذا الحد ؟ .

لقد كانت السلطات الرومانية تبغض المسيحيين ، لأنها كانت تعتبرهم عنصر خيانة في قلب الأمة . ونحن نلتبس للحكومة الرومانية في موقفها من المسيحيين أكثر من عنذر . فلم تكن الأمبراطورية تضم رقعة محدودة . لقد كانت ممتدة الأرجاء من وادي الفرات شرقاً إلى جزيرة بريطانيا غرباً ، ومن بلاد الجرمان شمالاً إلى شمال أفريقيا جنوباً . كانت تضم أكثر من شعب ، وأكثر من جنس . ولذلك كان من اللازم أن يوجد رباط واحد قوى ليربط هذه الشعوب المتباينة في وحدة كاملة .

وهذا الرباط وجد في عبادة قيصر . ولا ينبغي أن يفوتنا أن نذكر أن عبادة قيصر لم تفرض فرضاً على العالم ؛ لقد نبعت من رغبة الشعوب نفسها . إن الحكومة لم تفكر فيها ، لقد ترعرعت من الشعب . فمنذ سحيق الزمن ، اعتقد الشعب بما أسموه الإله روما ، أو روح روما . وليس من العسير أن تقترن صورة الأمبراطور ، قيصر العظيم ، بهذه الربة ، وأن روا في عاهل البلاد ، الصورة المجسدة لمعبودتهم . لقد كانت روما بكل أيجادها تتمثل في الإمبراطور ، فلماذا لا يكون الامبراطور ربة الشعب المتجسد ؟ ولماذا لا تجدد تلك الربة مسكنها وراحتها في شخص قيصر ؟

ومن الخطأ أن نتصور أيضاً أن الشعوب التابعة لروما كانت تائرة عليها خضراً ضمنية عن حكمها . لقد كان معظمها شاكراً للظروف التي أتاحت لها الإنضواء تحت لواء روما . فلقد حررتهم من طغاة الملوك . وجلبت معها الأمن والسلام والعدالة . وتقدمت بأحوالها الاقتصادية .



وطهرت البلاد من اللصوص والمجرمين والخارجين على القانون . لقد كان « السلام الروماني » ( باكس رومانا ) الذى تغنى به شعراء العصر ، بمد ألويته على ربوع العالم الكائن حينذاك .

وفى مقاطعة آسيا الصغرى بدأ الناس يفكرون فى « قيصر » كظهر الألوهية المتجسد ، وبدأوا يعدون العدة لتكريمه وعبادته عرفانا منهم بالجميل . فى بادئ الأمر لم يرض الأباطرة عن هذا ، معارضين بأنهم بشر ، ولا حق لهم فى الانضمام إلى مصاف الآلهة . ولكن الحركة الجديدة التى وجدت حقولا خصبة ، فى أكثر من مكان من أرجاء الإمبراطورية المتسعة الأرجاء ، كانت أقوى وأعنف من أن تقاوم . وأخيرا رأت السلطات أنها تستطيع استغلالها والإفاده منها . فهذا هو الرباط الواحد الذى كانوا يشددونه فلا يجدونه ، الرباط الذى يجمع اللويلات والشعوب والأجناس فى وحدة متماسكة . وهكذا جاء الوقت ، الذى حدد فيه يوم من كل عام تقام فيه الاحتفالات والمهرجانات فى كافة البلاد ، ويتقدم كل فرد بقبضة من البخور ، يلقي بها فى المحمرة أمام تمثال قيصر لإكراماً له قائلا : « قيصر رب » . بهذا الطريق وليس بسواه يعلن إخلاصه وولاه لقيصر . وإخلاصه وولاه لحكومة قيصر . وبعد أن يقوم بهذا العمل ، تعطيه السلطات شهادة على أنه نفذ أوامر قيصر ، وأثبت أنه مواطن صالح . هذه هى العادة التى رأت فيها روما المظهر الذى يوحد الشعوب المتنافرة ويجمعها فى رباط واحد ، ويضمن إخلاص المواطنين لها .

وزيادة على هذا المظهر الروتينى ، ما كانت روما تتدخل فى شئون عبادة أى شعب ، بل أحيانا كانت تشجع تلك العبادات ، وتعطى لرجال الدين أكثر من سلطة ، مظهرة روح التسامح والتفكير المتسع .

ولكن هذا الخلق الرهيب ، كان يظهر في الحال معدن المسيحي الحقيقي ،  
فما كان يرضى المسيحي ، وإنصافا للتاريخ نقول ، ومعه اليهودي أيضاً ،  
أن يبخر لغير الله .

لقد كان المسيحي يهتف لمسيحه ، وليس لسواه ، قائلاً « ربى وإلهى »  
وكان اليهودى يردد بين الحين والحين ، البند الأول الأعظم من بنود  
الشما « اسمع يا إسرائيل . الرب الهنا إله واحد » فلا إله إلا الله - وهكذا  
رأت سلطات روما فى اليهودية بصورة عامة ، وفى المسيحية كإحدى  
الطوائف المتزمنة النابعة من اليهودية ، أخطر الهيئات التى لا تدين بالولاء  
للجالس على عرش قيصر ..

من هنا بدأت العاصفة تنفجر على رؤوس المسيحيين . لقد كان  
المسيحيون ينادون بأنهم يدينون بالولاء لقيصر . ولكنهم يتقدمون  
بتعبدهم لواحد لا سواه . فإن كان سيدهم قد قال لهم « أعطوا ما لقيصر  
لقيصر » فإنه لم يأمرهم بأن يعطوا ما لله لقيصر ..

« وللرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » . هذا هو السبب الذى  
من أجله قاسى المسيحيون ويلات الإضطهاد ، وجزوا فى نيرانه ،  
لأنهم كانوا يرفعون اسم المسيح فوق كل قوة ، وسلطان ، وكل  
اسم يسمى بين الشعوب والأمم .

## كراهية العالم

( يوحنا ١٥ : ١٨ - ٢١ )

ولكن لم يكن المسيحيون هدفاً لسهام السلطات فحسب ، لقد دخلت عناصر أخرى ، في مجال الكراهية والإضهاد . لقد كانت الشعوب نفسها نبغض المسيحيين . ترى ما هو الدافع الذي دفع رجل الشارع في تيار البغضة القاسي ؟

لقد سادت روح البغضاء لأن الشائعات قد أعطت رجل الشارع فكرة بغضة رهيبية عن المسيحيين ، ولعل اليهود كان لهم الضلع الأكبر ، في بث تلك الأنباء والترويج لها ، بالرغم من أنهم كانوا يعلمون تمام العلم بطلان تلك الشائعات .

ولنأخذ أمثلة أربعة ، من الشائعات الكاذبة ، التي وجهت ضد المسيحيين .

١ - لقد وجهت إليهم التهمة بأنهم عنصر دخيل على الأمة ، غير موالي للحكومة ، غير مخلص للجانس على العرش . ولقد عرفنا السر الكامن وراء هذا الاتهام ، كما أوضحنا بطلانه .

فلم يوجد في التاريخ ، ولن يوجد إلى نهاية الأجيال ، مواطن صالح مخلص لوطنه ، قدر المسيحي الحقيقي . أترك المسيحي في دائرة دينه ، ولا تمس عقيدته ، وأنت ترى فيه أصلح مواطن . ويكفي أن يوصى رسول الأمم اتباع المسيحية في مثل تلك الأوقات ، أن تقام صلوات وابتهاالات لأجل الحكام والولاة ، وكل الذين هم في منصب ، لخيرهم وسلام الأمة . لقد كان المسيحيون في دائرة أعمالهم ، وصلتهم بالمجتمع . أكثر المواطنين إخلاصاً وأمانة . التهمة الوحيدة التي وجهت إليهم ، أنهم لا يبخرون لصورة قيصر .

ولا يهتفون كما يهتف غيرهم « السلام لقيصر الرب » .. ولهذا السبب وصموا بوصمة العار والخيانة .

٢- وقد قيل عنهم إنهم متبررون ، متوحشون ، يمارسون ممارسات بربرية وحشية . ولعل هذا الإتهام يرجع إلى إساءة فهم قول المسيح : « هذا هو جسدى المكسور من أجلكم » و « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمى » . على أساس هذه الكلمات ، لم يكن من العسير إطلاق الشائعات بين طبقات العامة ، والعامة على استعداد أن يصدقوا كل قول ، إن المسيحيين فى ممارستهم السرية ، يرتكبون جرائم دموية ، فيذبحون طفلاً ويأخذون دمه فى كأس . ثم ينهشون اللحم ، ويشربون الدم ، كما يفعل أكلة لحوم البشر . لذلك لاغرابة إن كانت الجموع تنظر فى احتقار واشمئزاز ، إلى كل من يتسمى إلى المسيحية .

٣- بل وجهت إلى المسيحيين تهمة الإباحية وارتكاب أقدس القبائح . ولعل هذه التهمة كان مصدرها ولية المحبة الأسبوعية التى كانت تدعى «الأجاني» وكان المسيحيون على عادة أن يحبوا بعضهم بعضاً بقبلة السلام ، التى تطورت فيما بعد إلى ممارسة ثابتة فى وصية القديس : « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » . نقول لم يكن من العسير على أعداء المسيحية أن يطلقوا الشائعات ، بأن هذه القبلة هى علامة التواعد بين اثنين رقب أحدهما للآخر ، حيث يصطحب الواحد أخاه لارتكاب أفظع النجاسات .

٤- كما وجهت إليهم التهمة بأنهم مخربون ، يعملون على تخريب المجتمع وإحراقه ، ويتوقعون نهايته وزواله . ولقد كان المسيحيون يتوقعون بين لحظة وأخرى نجيء الرب ثانية . وكلما زادت الأزمات ، وزجرت الإضطهادات ، زادوا انتظاراً ورتقياً لهذا الوعد . ومع عقيدة مجيئ الرب

ثانية ، قرنوا الصور الواردة في العهد القديم عن يوم الرب ، تلك الصور التي لخصها الرسول بطرس في القول ، بأن العناصر سوف تنحل بضجيج ، والسماء والأرض محترقة تذوب . لأن الأرض وكل ما فيها محفوظة لتلك الساعة عينها للحريق بالنار ( ٢ بطرس ٣ : ١٠ ) . ولقد حدث بالفعل في عصر نيرون ، الحريق الذي دبره الطاغية ، لإزالة روما القديمة بأحيائها المسكنة ، وبناء عاصمة جديدة على هواه . ولم يكن من العسير عليه ، أن يلصق التهمة بالمسيحيين الذين ينادون باحتراق الوجود ونهايته . وأنهم قاموا بهذا العمل الخنون ليعجلوا مجيئ مسيحيهم ، ليؤسس ملكة العظم العتيد على انقاض العالم القديم .

٥ - تهمة خامسة وجهت إلى المسيحيين ، وكان لها أساسها المنطقي ، وهي أن المسيحيين كانوا يخربون العائلات ، ويحطمون الروابط العائلية . إنهم كانوا يحدثون الشقاكات في البيوت ، ويقلبون كيان الأسر . ولقد كان هذا الاتهام صحيحاً إلى حد ما ، لقد قال السيد : « ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً . فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والإبنة ضد أمها . والكنة ضد حماها وأعداء الإنسان أهل بيته » ( متى ١٠ : ٣٥ ) وكان يحدث بالفعل أن الأبناء يصبحون مسيحيين ويبقى والدهم ، في هذه الحالة تنقسم الأسرة ويسود الخلاف ، وتحدث المآسى الكثيرة . لقد كان على المسيحي أن يحب مسيحه ، ويتفانى في طاعته وخدمته ، أكثر من حب الابن لأبيه ، أو أمه ، أو أخوته . وأكثر من حب الزوجة لزوجها ، أو الزوج لزوجته .

ولا شك في أن المسيحية قد أتت ومعها الخلافات والشقاكات ، بين الأفراد والعائلات .

هذه بعض التهم التي وجهت في القديم إلى المسيحية . وكان اليهود وراء صنعها ، وترويجها . لذلك لا غرابة أن يقترن اسم المسيحي بالبغضة والكراهية والثفور .

## كراهية العالم

(يوحنا ١٥ : ١٨ - ٢١)

هكذا كانت كراهية العالم في القديم للمسيحية والمسيحيين ، وهكذا كانت أسبابها . ولكن العالم ما زال يكره المسيحيين . أما العالم كما أسلفنا فيقصد به «يسوع» ذلك القطيع من البشر ، الذي رتب برنامج حياته ، على أن يحيا بدون إله . هناك فارق كبير ، بين الإنسان الذي رتب حياته على أن يكون الله هو الأول في برنامج وجوده وكيانه ، وبين الإنسان الذي نحى الله جانبا ، ورأى فيه عنصراً يعترض رغائبه وكيانه . وهذا الفارق لا بد وأن يدفع العالم إلى نظرة التوجس ، التي تنقلب إلى عداوة وبغضة .

١ - فالعالم يتوجس خيفة من كل ما يغيّره . هذا يحدث في أبسط الأمور . لتأخذ صورة مبسطة استخدام المظلة في الوقاية من المطر ، وحرارة الشمس . فالمظلة أصبحت شيئاً عادياً في حياتنا . ولكنها لم تكن كذلك حينما أدخلها «يوناس هانوي» في انكلترا . لقد كانوا يرمونه بالأحجار والقاذورات وهو يسير في الشوارع حاملاً مظلته . وفي أيامنا ، تنتشر بين الشباب مودة إطالة السوالف ، وإرخاء شعر الرأس . ونحن نعرف ، وعلى الأخص في مصر ، ما يلاقه أي شاب يظهر بهذا المظهر من الذين يحيطون به ، وكيف تشاع عنه الشائعات: إن أي إنسان يظهر بمظهر ، مخالف ، أو يرتدي ثياباً مخالفة للعرف ، أو ينادى بعقائد مخالفة ، يثير الخيفة والتوجس وقد يعتبره المجتمع مجنوناً ، أو شاذاً ، أو خطيراً . ويقف منه - موقف العداوة .

٢ - والعالم يبغض بالفعل ، أولئك الذين حياتهم ، توبخ تصرفاته وحماقته . فمن الخطر على العالم أن يكون الإنسان صالحاً . وهناك في التاريخ القديم . ما حدث للمدعو « أرسطيدس الأثيني » الذي كان يلقب بأرسطيدس البار . لقد انتهت حياته في المنفى . وحينما سئل أحد المسئولين لماذا صوت مع المصوتين بنفيه ؟ كان الجواب : « لقد تعبت من دعوة الناس له بالبار » هذا هو السبب الذي جعل العالم يدفع إلى «سقراط» كأس الهملوك السام<sup>(١)</sup> . لقد كان يدفع الناس دائماً إلى التفكير . . إلى فحص أنفسهم . والناس يبغضون من يدفع مرآة الفحص أمامهم ، من يجابههم بعيوبهم . . من يظهر لهم سوءاتهم . وهكذا أبغضوه . وأسرعوا فقتلوه ، . من الخطر أن يكون للإنسان مثل أعلى من مستوى العالم .

٣ - وبصورة عامة شاملة نقول ، إن العالم ينظر برية إلى من لا يلتزم بطاعة نوااميسه . إن للعالم نوااميسه ، وهو يجب أن يضع كل إنسان في قلبه ، ويشكله فيصبح وفق كيانه وإرادته . أما ذلك الذي يتسع في إدراكه ، أو ممارساته ؛ أو عقائده ، أو تفكيره ، فيضيق به القلب ، ويضيق به العالم أيضاً ، حتى في دائرة الدواجن ، لو أتيت بدجاجة مرقطة ووضعها وسط دجاج أبيض ، لكان نصيبها التمزيق والموت .

أيها المسيحي ، لك الشرف وعليك المسئولية . أما الشرف والكرامة فهما لك ، لأنك أصبحت مغايراً للعالم . وريثاً للعهد الجديد ، ابنا لله ، غريباً عن الوجود ، تنتمي إلى مملكة أسمى وأعلى من ممالك الأرض ، تدين بالطاعة لإله يسمو عن إله هذا الدهر .

---

(١) خلاصة بلر الخلل الشيطاني .

ولكن عليك المسئولية أيضا ، ولا ينبغي أن تنتظر من عالم تجابهه بصورة  
مغايرة إلا كل الضيقات . لتكن لك الشجاعة الكافية للثبات في وجه العاصفة .  
إن شئت أن تكون مسيحيا فعليك الكلفة . وما أعظم الفارق بين إنسان  
الله ، وإنسان هذا الدهر . .



## المعرفة والمسئولية

لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ  
وَأَمَّا الْآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عَذْرٌ فِي خَطِيئَتِهِمْ . الَّذِي يُبَغِّضُنِي  
يُبَغِّضُ أَبِي أَيْضًا . لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ عَمِلْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالًا  
لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ غَيْرِي لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ . وَأَمَّا الْآنَ  
فَقَدْ رَأَوْا وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي . لَكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ  
الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلَا سَبَبٍ .

(يوحنا ١٥ : ٢٢ - ٢٥)

هنا يعود «يسوع» إلى فكر ليس غريباً عن البشارة الرابعة ، فالمعرفة التي  
توهب لإنسان ، والامتيازات التي تقدم له ، تحمل معها بطبيعة الحال  
مسئولية عظمى .

إلى أن جاء المسيح ، لم تكن للبشر الفرصة الكاملة ليعرفوا الله المعرفة  
الحقة . فلم يسمعوا صوت الله واضحاً . . ولم تعلن لهم الحياة التي يريدونهم  
الله أن يحيوها ، لذلك فقد نلتمس لهم بعض العذر ، لأن عقولهم لم تتفتح بعد .  
وإعلانات الله لم تكشف لهم بعد . هناك أمور قد تتسامح فيها مع الطفل .  
لأن مستواه لم يصل بعد إلى النضج الكافي ، ولكننا لن نسمح لإنسان بالغ  
أن يرتكبها ، ولن نهاون معه إذا وقع فيها ، هناك أمور يسمح بها لإنسان

لم تنهياً له الفرصة الكافية للتدريب المنزلى ، ولم تتح له الظروف لينال قسطاً كافياً من التعليم . إن زيادة المعرفة لإنسان ، وزيادة الامتيازات التي يتمتع بها ، تضع على كتفيه مسؤوليات أعظم وأقسى .

وحينما أتى «يسوع» إلى الإنسانية تقدم بأمرين : فهو أعلن البشر أولاً حقيقة الخطية . لقد أخبر الناس عن الأمور التي تغضب الله ، وكشف لهم الطريق الذي يسر قلبه... طريق الحياة الحق... كما أنه قدم للبشر ثانياً العلاج الأكيد من الخطية . وهذا قام به بصورتين : فهو فتح الطريق للغفران بالنسبة لماضي الخطية ، ووهب البشر القوة التي تعينهم على الانتصار على خطاياهم ، والقيام بمسئولياتهم ، والسير في طريق الحق . هذه هي المعرفة ، وهذه هي الامتيازات التي قدمها «يسوع» للبشر .

ولنفرض أن مريضاً قصد عيادة طبيب ، فإذا بالطبيب يقوم بتشخيص المرض ، ويصف العلاج ، فإن أهمل المريض خطورة المرض ، ورفض استخدام الدواء ، فلا لوم يقع على أحد سواه إن ساءت حالته ، ووصل إلى الموت ، أر إن قدر له أن يعيش ، ولكن حياة محطمة بئسة ، وهذا ما فعله اليهود . لقد ارتكبوا حماقتهم الكبرى حينما احتقروا طبيب النفوس ، ورفضوا الدواء المقدم لهم ، ولقد فعلوا ما سبق أن أنبأ به كاتب المزامير « أبغضوني بلاسبب » (مزمو ٣٥ : ١٩ ، ٦٩ : ٥) .

وهذه الحماقة المميتة يمكن أن يقع فيها البعض ، إنهم لا يبغضون «يسوع» علانية ، ولا يضمرون له روح العداة . ولكنهم كثيراً ما يرتبون أمور حياتهم ، وتصرفاتهم ، كأنما لم يأت «يسوع» على الإطلاق .

ولكننا لن نختبر الحياة الحق في هذا الوجود ، وبالتالي لن نعرف الحياة المباركة السعيدة في الدهر الآتي ، إن أخرجنا من برنامج حياتنا رب كل صلاح ، وأهملنا وصايا السيد المسيح .

## الشهادة البشرية والشهادة الإلهية

وَمَعِيَ جَاءَ الْمَعزَى الَّذِي سَأرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنْ  
عِنْدِ الْآبِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ  
يَشْهَدُ لِي . وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْآبِتِدَاءِ

( يوحنا ١٥ : ٢٦ - ٢٧ )

هنا يستخدم السيد فكرين توأمين متلازمين في أقواله : أما الأول فهو  
شهادة الروح القدس . نرى ماذا يعنى السيد بشهادة الروح ؟

سوف تكون لنا فرصة أخرى لتأمل في هذا الموضوع بصورة أعمق ،  
ولكن يمكننا في هذه العجالة أن نوضح الحقيقة على النحو التالي :

حينما نتلى على مسامعنا تفاصيل قصة يسوع ، ما الذى يدعنا أن نصدق أن  
تلك الصورة لا يمكن أن تكون إلا صورة السيد المبارك ؟ وحينما تفصل أماننا  
تعاليم «يسوع» ، وأمثاله ، ووصاياه ، ما الذى يجعلنا نؤمن بأن مثل تلك  
التعاليم والأمثال والوصايا هي كثر الحكمة الإلهية المعلنة للبشر ؟ وحينما نرى  
يسوع حاملاً صليبه سائرآ فى طريق الجلجثة ، مهاناً مرفوعاً على خشبة العار ،  
ما الذى يجعلنا نرى فيه طريق الله الوحيد للحلاص ؟ هذا التجاوب الفكرى  
هذا الصدى الذى نتجاوب به قلوبنا مع أنعام محبته ، هذا الإيمان الطيع  
الذى يسيطر علينا ما هو إلا عمل الروح القدس فى حياتنا ، إن الروح القدس  
هو الذى يدفعنا إلى التجاوب مع يسوع المسيح .

أما الثاني فهو الشهادة التي لا بد أن يعلنها البشر عن «يسوع». «وتشهدون أنتم لي» هكذا يقول «يسوع» لتلاميذه. وهناك عناصر ثلاثة في الشهادة المسيحية...

(1) فالشهادة المسيحية تأتي من العشرة الطويلة مع المسيح، إن التلاميذ هم شهود «يسوع» لأنهم عاشروه وأختبروه من البداية. الشاهد هو الذي يقول عن شيء ما «هذا حق لأنني أعرفه». فلا شهادة دون اختبار شخصي، إننا نستطيع أن نشهد عن «يسوع» إذا كنا قد عرفناه حقًا واختبرناه.

٢- والشهادة المسيحية تأتي من الإقتناع الداخلي. فإذا بدأ الإنسان حديثه نستطيع أن نميز إن كان يؤمن حقًا بما يقول أو لا يؤمن به. ولن تكون الشهادة المسيحية قوية مقنعة - بلون الإقتناع الداخلي الذي ينبع من العشرة، الشخصية مع المسيح.

٣- والشهادة المسيحية تتقدم للآخرين بصورة حية ملموسة مسموعة. إن الشاهد ليس هو فقط الإنسان الذي يعرف أن شيئًا ما حقيقي، بل هو الإنسان الذي يكون على استعداد أن يشهد على رؤوس الأشهاد بأن هذا الشيء هو بالفعل حقيقي. فالمسيحي هو الذي يقرن معرفته بيسوع واختباره له، بشهادته الحية الظاهرة عنه.

## الأصحاح السادس عشر

### التحذير مع التحدى

قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَيْ لَا تَعْتُرُوا . سَيُخْرِجُونَكُمْ  
مِنَ الْمَجَامِعِ بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ  
يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلَّهِ . وَسَيَفْعَلُونَ هَذَا بِكُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
الْآبَ وَلَا عَرَفُونِي . لَكِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ  
السَّاعَةُ تَذْكُرُونَ أَنِّي أَنَا قُلْتُ لَكُمْ . وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ  
الْبِدَايَةِ لِأَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ .

( يوحنا ١٦ : ١ - ٤ )

في الوقت الذي سجل فيه «يوحنا» بشارته ، كانت عاصفة الإضطهاد قد  
انفجرت بالفعل على رؤوس المسيحيين . كان من الطبيعي أن يرتد البعض ،  
وأن يتنكر آخرون للإيمان . في سفر الرؤيا نجد أن الدينونة سوف  
تحل على « الخائفين وغير المؤمنين » ( رؤيا ٢١ : ٨ ) في عهد «تراجان»  
الإمبراطور ، كتب «بليبي» حاكم بيثينية إليه يقول ، إنه قام بفحص البعض  
ليرى إن كانوا مسيحيين أم لا . « والبعض منهم قال إنه دخل دين المسيح  
منذ سنوات طويلة وصلت في حالة منها إلى عشرين عاما . لكنهم هجروا

ذلك الدين » . حتى وسط مظاهر البطولة والتضحية التي تفوق الوصف ، والتي بدت في استشهاد الكثيرين ، نرى البعض منهم يتزعرع إيمانهم ، ويجبنون أمام الأضطهادات النارية ، فيتعثرون في الطريق .

ولقد رأى « يسوع » كل هذا . وبروح النبوة تقدم لأتباعه منبئاً بما سوف يلاقونه في طريق إيمانهم به — حينما حاقت الاضطهادات بعالم المسيحية « وليم تندل » ، بسبب ترجمته الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية ، وسعى أعداؤه لإهلاك حياته ، قال في هدوء : « ما كنت أتوقع أقل من هذا » ، لقد وهب « يسوع » المجد لأتباعه . لكنه قدم لهم معه الصليب والهوان .

وفي حديث يسوع الواضح نراه يتنبأ عن الإضطهاد العتيد في صورتين . أتباعه سوف يفصلون من الجامع ، هذا كان عقاباً مؤلماً للغاية بالنسبة ليهودى ، لقد كان للمجمع — بيت الله — مكانه الخاص في حياة اليهودى ، حتى وصل بعض الأخبار إلى القول بأن الصلوات لافائدة منها ما لم تقدم في المجمع ..

ولكن كان هناك ما هو أكثر من هذا . فربما لا يحتاج الخبر أو المعلم لللاهوتى إلى رفقته سواه ، ربما يستطيع أن يحيا وحيداً مع أفكاره ، ودراساته ، ورقوقه . ولكن التلاميذ كانوا أناساً عاديين بسطاء . كانوا يحتاجون إلى المجمع وعبادته ، والإجتماع بالآخرين هناك . فليس من الهين اليسير على القروى الغريب القادم إلى بلد آخر لأول مرة . أن يجد الأبواب كلها موصدة أمامه . إنه على الأقل ينبغي أن يجد أمامه المجمع مفتوح الأبواب لاستقباله والتعرف على الآخرين هناك ، بل إن العبادة تشعر الإنسان بالأمان والاطمئنان . وكما تقول « جان دارك » « أجمل الأشياء أن يكون الإنسان وحيداً مع الله » .

ثم يقول «يسوع» إنه سيأتي الوقت الذي يظن فيه من يقتلهم أنه يقدم خدمة لله ، أما كلمة خدمة التي يستخدمها «يوع» فهي في الأصل «لأثرياء» وهي ذات الكلمة التي يقدم بها الكاهن أمام المذبح في هيكل الله — إنها التعبير الأمثل للخدمة الدينية .. لخدمة الله المقدسة . ولعله أسوأ ما ؛ في الروح الدينية أن يظن الإنسان أنه يقدم خدمة لله باضطهاده لمن يخالفه الرأي . ولعل «شاوول الطرسوسي» هو أقوى مثال لدينا في هذا المجال . فهو في غيرته الدينية المتطهبة كان يعتقد ، أن أعظم خدمة يقدمها لله هي محو اسم يسوع . وإزالة شأفة المسيحية . ( أعمال ٢٦ : ٩ - ١١ ) . إن اضطهادات محاكم التفتيش وفظائعها في أسبانيا ، قد خلفت سماً بغيضاً وذكري كريمة في النفوس . ولكنهم كانوا يظنون أنهم يؤدون خدمة لله . لا تقاس بلزائنها خدمة إكراه المراطقة تحت الإرهاب والتعذيب ، إلى ما ظنوه الإيمان الحق ، وانقاذهم من ويلات الجحيم . وإن كانت «مدام رولان» قد صاحت صيحتها المشهورة « أيتها الحرية كم من الجرائم قد ارتكبت باسمك » فإننا نقول أيضاً « أيتها الديانة كم من الجرائم قد ارتكبت باسمك » .

« ولكنهم يعملون هذا ، كما يقول «يسوع» ، لأنهم لم يعرفوني » ولم يعرفوا الآب » . إن مأساة الكنيسة تكمن في أن البشر يبذلون قصارى الجهد في نشر أفكارهم عن الديانة .. ويظنون في أنفسهم أنهم قوامون على ما يعتقدون أنه الحق الإلهي الأوحيد ولا سواه . وحتى أيامنا الحاضرة ، تقف حواجز العقيدة حائلاً دون الوحدة الحبيبة المرتقبة من الجميع .. الوحدة بين الكنائس . وسوف تظل روح الكراهية والبغضة ، توأماً ملازماً للتمسك بالرأي والتعصب له ، سيتبع ذلك إن لم يكن القتل وسفك الدماء ، فعلى الأقل العزل من بيت

الله، وتحريم مشاركة الأخ لأخيه بركات المائدة الإلهية الواحدة ، والعشاء التذكارى ، طالما يعتقد كل إنسان أنه هو وحده ولاسواه ، الذى يمسك بخاصية الحق .

ولقد عرف « يسوع » نفسية الإنسان ، وعرف كيف يتعامل مع البشر .  
وها نحن نسمعه هنا يقول لتلاميذه : « إننى أتقدم إليكم بأقضى مهمة فى الوجود ، إننى أتقدم إليكم بمهمة فيها مصيركم وتحطيم قلوبكم وتمزيق أجسادكم ، هل تقبلون هذه المهمة ؟ وهل تحنون أكتافكم تحت هذا الصليب ؟ .. »

كل العالم يعرف صبيحة « غاريبالدى » فى جنوده ، بعد حصار روما فى منتصف القرن الماضى حينما هتف لهم : « أيها الجنود ، إن كل مجهوداتنا التى بذلناها ضد قوى تفوقنا عدداً وعدة قد ذهبت هباء . وإنى أقول لكم إننى لأملك ما أعطيكم سوى الجوع ، والظمأ ، والموت ، ولكنى أدعو كل جندى يحب وطنه أن ينضم إلى .. والتف حوله مئات المئات فحاز النصر .

وحيثما كان الأسبان يكتسحون أقاليم أمريكا الجنوبية ، هتف فيهم قائدهم « تستطيعون أن تمتلكوا ثروات بيرو مع أخطارها ومتاعبها ، أو أن تبقوا مع الأمان والفاقة فى بناما » ، ثم صاح فى رجاله « أيها الرفاق فى هذا الميدان لا أعدكم إلا بالتعب والجوع والعرى والعواصف والوحشة والموت . بالمقارنة إلى الأمان والراحة على الجانب الآخر . أمامكم ، أراضى بيرو بغناها ، وأمامكم أيضاً بناما بفقرها ، اختاروا الآن ما تختارون . أما من جهنى فإن وجهتى إلى الجنوب » . وكان صمت وتردد ، لكن بحاراً عجوزاً ، وأثنى عشر جندياً تقدموا ، ووقفوا إلى جانب بيزارو القائد ، وبهذه الحفنة من الرجال القلائل بدأ تحزو واكتشاف بيرو ...



إن «يسوع» يقدم لنا في هذه الفقرة ، لا طريق الراحة بل طريق المتاعب ،  
والضيقات والآلام والعرق والدموع والدماء ، ولكنه الطريق الذى يؤدى  
بنا إلى الأجداد. وهو ما زال يدعو كل إنسان راجع العقل، كبير القلب، مفتوح  
العينين ، إلى الإنضواء تحت لوائه ، ويخاطر مخاطرته لأجل مجد اسمه ..

## عمل الروح القدس

وَأَمَّا الْآنَ فَآنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أُرْسِلَنِي وَلَيْسَ أَحَدٌ  
مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي أَيْنَ تَمْضِي لَكِنْ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ  
مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ . لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقُّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ  
أَنْ أَنْطَلِقَ . لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزَى . وَلَكِنْ  
إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ . وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يَبْكُتُ الْعَالَمُ  
عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ . أَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلِأَنَّهُمْ  
لَا يُؤْمِنُونَ بِي . وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلِأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا  
تَرَوْنِي أَيْضًا . وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلِأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ  
قَدْ دِينَ .

( يوحنا ١٦ : ٥ - ١١ )

لقد أصاب الحزن تلاميذ «يسوع» بارتباك بالغ ، وبطبيعة الحال كان سر  
حزبهم أنهم على وشك أن يفقدوا معلمهم . ولكن «يسوع» أخبرهم أن النهاية  
لحزبهم ، لأنه في الوقت الذي فيه يفارقهم ، سيرسل لهم المعزى ، الروح  
القدس ، المعين المشجع في الأزمات - حينما كان معهم بالجسد ، لم يكن

ممكنا أن يرافقهم إلى كل موضع ، ويباركهم بمحضه في كل الظروف ... حينما كان معهم بالجسد ما كان ممكنا أن يصل إلى عقولهم وقلوبهم ، ويتغلغل إلى ضمائرهم ، ولو أننا رأينا في بعض المواقف يعرف أفكارهم وينتقد لها . لقد كانت تحده قيود الجسد ، والمكان ، والزمان . ولكن لامحدودية للروح ، ولا قيود زمنية . ولا مكانية تستطيع أن تقيده . إن حلول الروح إتمام للوعد : « ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » ( متى ٢٨ : ٢٩ ) . فالروح سيوحد البشر أجمعين في رباط الشركة الذي لا يتقطع إلى الدهر ، وسيعطي خدام الكلمة القوة والتأثير الكامل ، في أي مكان يقصدونه ، وتحت أية ظروف تحيط بهم .

وهنا يتقدم الرب بملخص دقيق عن عمل الروح القدس في الحياة . والكلمة المستخدمة هنا عن عمل الروح ، هي في الأصل « إلبشين » . وقد وردت في الترجمة المعتمدة بيكت أو يدين ، وفي الهامش يقنع .

والسبب في هذا أن الأصل لا يمكن التعبير عنه بكلمة واحدة — الكلمة في الأصل كانت تستخدم لمناقشة شاهد ، أو لاستجواب متهم ، أو لمحاورة خصم في قضية . إنها تحمل فكرة مداورة الإنسان ، ومحاورته حتى يعترف بخطئه أو يستسلم لمن يحاوره ، وكان اليونان يستخدمون الكلمة أيضا للتعبير عن مناوشة ضمير الإنسان لقلبه وعقله . أما هذه المحاورة فلها نتيجتان . إنها تستطيع أن تدين إنسانا ارتكب جرما أو تستطيع أن تقنع إنسانا بضعف حجته وبطلان دعواه ، أمام قوة الخصم الذي يناوئه . في هذه الفقرة نحتاج إلى المعنيين : نحتاج إلى الدينونة ، ونحتاج أيضا إلى الاقتناع ، وسرى في السطور التالية ماذا يعنى السيد بالقول : بيكت العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة .

١ - فالروح القدس يدين الخاطيء على خطيته . حينما أسلم اليهود «يسوع» للصلب ، لم يكونوا يعتقدون أنهم يرتكبون خطية ، لقد كانوا يظنون أنهم يقدمون خدمة لله . ولكن حينما وقف «بطرس» في يوم الخمسين وجابههم بجريمتهم ، «نحسوا في قلوبهم» (أعمال ٢: ٢٧) . لقد اقتنعوا بخطيتهم ، وانضحت أمامهم جريمتهم ، فعرفوا أنهم ارتكبوا أفسى فعلة في الوجود ، حينما أسلموا السيد للصلب . ترى ما الذى يدفع الإنسان إلى الاقتناع بخطيته ؟ ما الذى يدفعه إلى الشعور بمذنبيته أمام صليب المسيح ؟ .

قيل إنه في إحدى القرى في بلاد الهند ، وكان أحد المبشرين يعتقد اجتماعات دينية ويؤيدها بصور ضوئية ملونة عن حياة المسيح ، تنعكس على أحد جدران المنازل . وما أن وصل مدار قصة المسيح إلى الصليب ، حتى هب أحد الهنود من مكانه ، وأسرع إلى حيث كانت تظهر الصورة ، وهتف قائلاً « ياسيدى ، إنزل أنت عن الصليب . إن هذا مكانى ، لا مكانك » .  
إننا لن نستطيع أن نوقن بحاجتنا إلى مخلص بدون الشعور بالخطية . ترى ما الذى يذيب قلب الإنسان أمام الصليب ؟ أمام حادثة وقعت في فلسطين منذ ألى عام ؟ ما الذى يكسر قلبه أمام صايب يسوع ؟ ألم يظهر في التاريخ أنبياء وقادة ومصلحون ، قابلتهم أشنع الميئات وأقساها ؟ فإذا في صليب المسيح يدفع الناس إلى الانكسار أمامه ؟ هذا عمل الروح . إنه تأثير الروح القدس في قلب الإنسان ، لأنه ييكت على خطية .

٢ - الروح القدس ييكت العالم على بر . ماذا يعنى هذا القول ؟ إننا نستطيع أن نذكر بكل وضوح ما يعنيه ، حينما نعرف أن البر الذى يشير إليه هو بر المسيح . لقد صلب «يسوع» كجريم أثم - حوكم ووجد مذنباً ، فصدر عليه الحكم ، ونفذ فيه الموت صلياً ، وهكذا اعتبر في نظر اليهود هرطوقياً شراً ، واعتبر لدى الرومان ثائراً خطيراً ، فعوقب بأقسى ما تملكه البشرية من عقاب

لقد صدر عليه الحكم كتمرد خطيرٍ ثائر ، وكعدو الله . ترى ما الذى بدل صورة الجريمة إلى صورة بر؟ ما الذى جعل الناس يتطلعون إلى « يسوع » المصلوب ، فيرون فيه مارآه قائد المئة الرومانى عند الصليب ( متى ٢٧ : ٥٤ ) ؟ وما شاعده « بولس » فى طريق دمشق ( أعمال ٩ : ١-٩ ) ؟ حينما نتأمل فى هذا الأمر نراه شيئاً عجيباً مذهلاً ، أن يتعلق البشر بـ مذنب يهودى أصدرت عليه السلطات حكمها ، ودانته القوانين الوضعيه . . . أن يضعوا ثقتهم فى « مجرم » قاسى الموت صلباً . ترى ما الذى يقنع الناس بأن ذلك المصلوب رمز العار والهوان ليس أقل من ابن الله ؟ ما الذى يحول صورة الجريمة إلى مثال البر ؟ إنه الروح القدس الذى يقنع العالم بـ المسيح ، استناداً إلى قيامته وصعوده إلى الآب .

٣ - والروح القدس يكت العالم على دينونة « يسوع » على الصليب .  
وفيه ترى دينونة الله الحتمية التى تدين الخطية ... وفيه ترى بالتالى خطية البشر وقد دينت ، وقهرت ، وصدر عليها الحكم . ما الذى يجعلنا نؤمن بعدالة الله . أو على حد قول الكاتب ، ما الذى يجعلنا نؤمن بخطر الله ؟ ما الذى يواجه الإنسان الخاطى بحتمية الدينونة التى تنتظره ، والعقاب الأكد الذى سيناله ؟ لماذا لا يستطيع الإنسان أن يقوم بعمل ما يمتناه ؟ لماذا يوفن فى قرارة نفسه بأنه إن تكب السبيل السوى فلا مناص من العقاب ' هذا هو عمل الروح القدس . إن الروح القدس هو الذى يهنا الاقتناع الداخلى الأكد ، بأن دينونة الله وعدالته حقيقة حتمية رادعة .

٤ - يبقى أمر آخر لم يحن الوقت بعد للتصريح به : حينما يقع الإنسان تحت الشعور بالمدنوية ، وحينما يقتنع بـ المسيح الكافى ، وتمثل أما الدينونة القادمة ، ما الذى يهيه اليقين بأن فى صليب المسيح خلاصه ، وفى

المسيح كفايته ، وفي كفارة المسيح نجاته من ويلات الدينونة ؟ . هذا أيضا من عمل الروح القدس. ولكن «يسوع» لم يجبر تلاميذه لأن الصلب لم يكن قد تم بعد. إن يسوع المصلوب هو رئيس الخلاص ومصدره لكل من يؤمن به ، في القديم ، كما بالنسبة لنا ، والروح القدس هو الذي يدفعنا إليه . فهو يدين على خطية ، ويقنع بوجود بر ، ويؤكد لنا الدينونة ، فلا نجد طريقا للخلاص إلا في صليب يسوع .

## روح الحق

إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ  
لَأَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ . وَأَمَّا مَعِيَ جَاءَ ذَلِكَ  
رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ  
مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ  
أَيَّةٍ . ذَلِكَ يَمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ . كُلُّ  
مَا لِلآبِ هُوَ لِي . لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ .  
(يوحنا ١٦ : ١٢ - ١٥)

إن الروح القدس في تعليم «يسوع» هو روح الحق ، لأن مجال عمله العظيم هو أن يأتي بحق الله ، ويعلنه للبشر . ونحن نسمى هذا إعلاناً ، أو وحيًا . فالإعلان أو الوحي هو تقديم حق الله ، وتقريبه للبشر ، ولا توجد فقرة في الكتاب تعلن لنا مبدأ الوحي قدر ما تعلنه هذه الفقرة .

١ - فالوحي في إعلانة للبشر يتبع مبدأ تدرجياً تقديمياً .

لقد كان ليسوع الكثير ليعلمه لتلاميذه ، ولكنه في ذلك الحين ما كان يستطيع أن يعلن لهم كل شيء ، لأنهم لا يقدرُونَ أن يقبلوه . ونحن الطبيعي أن تقدم للإنسان الحق الذي يستطيع أن يدركه ويقبله . فليس من المنطقي أن تقدم نظرية «اينشتاين» في النسبية ، لطفل في سنواته الأولى من التعليم . من المعقول أن تقدم له مبادئ علم الحساب ، فإذا شُبه عن الطورق ووصل

إلى سنوات الجامعة ، أو ما بعد الجامعة نستطيع أن نتدرج معه فنقدم له مبادئ نظرية النسبية . إننا لا نتقدم بالنظريات المعقدة لعقل غض . ولا نطلب من إنسان ليست له دراية في اللغة اللاتينية ، أن يترجم لنا سطوراً من «فرجيل» ، أو خطاباً من «شيشرون» ، ووحى الله للبشر يسير على هذا المنهاج . إنه وحى تدرجى تقدمى . فالله يعلم الإنسان بقدر ما يستطيع هذا الإنسان أن يقبل . هذه الحقيقة لها نتائجها الهامة التي تعيننا على دراسة وتفهم كتابات الوحي الإلهي .

(1) ولن يصيد منا على سبيل المثال ما يقدمه الوحي للإنسان في فصول من العهد القديم . فلعله في تلك الفترة من تاريخ الإنسان ، كان هذا هو كل الحق الذي تحتاجه البشرية ، والذي تستطيع أن تقبله . ولتأخذ مثلاً واقعياً ...

في العهد القديم ترد فقرات يوصي فيها الله شعبه عند انتصارهم على الأعداء ، أن يحرموا الغنم والبقر والماشية مع النساء والأطفال ، وحتى الغنائم المادية والمقتنيات ، كانت الوصية تحتم أن تحرق بالنار . وهناك حكمة خالدة وراء هذه الوصية التي تبدو في ظاهرها وحشية دموية : إن شعب الله ينبغي ألا يتلوث بأي مظهر من مظاهر الوثنية والعبادات الفسجة التي كانت سائدة قديماً .

فيحى يحافظ الله على نقاوة شعبه ، لزم الأمر بأن تمحى كل عبادة أجنبية ، مع أصنامها وأصنامها ومظاهرها . بمعنى أن اليهود أدركوا قديماً أن نقاوة الدين الحق ، تقتضى كل تضحية ، ولا تستبعد أية وسيلة حتى ولو كان فيها الأباداة وسفك الدماء . فلو ارتبط الواحد بزوجة من الأعداء ، أو اقتنى مثلاً ذهباً من معبودات تلك القبائل ، فمما لا شك



فيه، أن النتيجة ستكون انحراف الشعب بأكمله إلى تلك العبادات . لقد كان الهدف من ذلك هو الحفاظ على نقاوة الديانة الموسوية .

فلما أتى «يسوع» بروح العهد الجديد ، أعلن حقاً جديداً : إننا نستطيع بطريق آخر أن نحافظ على نقاوتنا ونقاوة التعاليم التي نعتقها ، أفضل من أن نتمسك بالسيف ونطيح برؤوس الآخرين ... نستطيع أن نحولهم إلى ديننا وعقيدتنا . فنكسب مكسبين : نكسبهم ونكسب نفوسنا وعقيدتنا ... لقد تفهم أبناء العهد القديم الحق ، ولكن جانباً منه . وبقي أن تدور دورة الزمن دورتها الطويلة ، حتى نستطيع أن تستوعب الإنسانية الذي قدمه المسيح .

(ب) وسوف نعرف أيضاً ، أن إعلانات الله للبشرى بلانهاية ، فهي لا تقف عند حد ، ولا تنتهى عند عصر من العصور . إننا نعتقد أن بين دفتي العهد الجديد، إعلان الله الكامل للبشر . هذا حق . ولكننا نخطيء إن كنا نظن أن السماء قد أغلقت أبوابها ، وأنها لم تعد تتحدث بعد إلى الأرض . إن روح الله مازال يعلن لنا إعلانات جديدة ... والله كل يوم يعلن لنا ذاته بصورة مستمرة لا تتوقف ولا تنقطع . صحيح أن كمال الوحي الالهى قد ظهر في «يسوع المسيح» ، فهو إعلان الله الأسمى للبشر . ولكن «يسوع» ليس صورة مجمدة في كتاب . إنه كيان حي ، وفيه يستمر على الدوام إعلان الله للبشرية . إن يسوع أعمق من أن يكتشف في فترة من الزمن . إن الأبدية لا تكفى لتعلنه لنا . والله كل يوم يعلن لنا أكثر فأكثر عن طبيعة المسيح ، وحقه ، عن ذاته وتعاليمه . إن الله لم يختم على أقوال النبوة ( رؤيا ٢٢ : ١٠ ) . ولم يتوقف عن إعلان ذاته عند تاريخ عام ١٢٠ للميلاد . إنه مازال يقود البشرية إلى اكتشاف أعظم وأعظم ، عن يسوع المسيح ، والحق المقدم فيه للإنسانية ..

٢- وسنرى هذه الحقيقة بأكثر وضوح ، حينما نتأمل في المبدأ الثاني للوحي أو الإعلان . وهو أن وحي الله ليس وفقاً على الأنبياء والرسل فحسب ، وليس محددأً بما نسميه بالحق اللاهوتي . فاللاهوتيون ليسوا هم فقط الأشخاص الذين يستخدمهم الوحي .

حينما يتقدم شاعر عظيم برسالة إلى البشر تتضمنها سطور قصيدة رائعة شأن « تيسون » في قصيدته الخالدة « للذكرى (١) » .

حينما تدفع العاصفة عصفورا إلى صدر « تشارلس وسلي » فتواتيه كلمات الترنيمة الحلوة « خبثي ياإلهي ساتراً لي في الحبيب » .. حينما يسطر الموسيقار « هاندل » في أوبرا المسيا قرار « هلوليا » ويقول « لا حينما كنت أسطره رأيت السماء مفتوحة أمام نظاري وإله العظيم فوق العرش ، ألا نرى في هذا وحياً وإلهاماً ، شأن الوحي الذي ألهم كاتب المزامير كلمات مزمور الراعي ، والذي فاض في قلب الحكيم القديم بنشيد الانشاد ؟ .

وفي ميدان الإكتشافات والإختراعات العلمية والطبية ، التي أفادت الإنسانية ، وعادت عليها بالخير الوفير ، ألا نرى وحي الله ؟ حينما توانى الصدفه « فلمنج » فيرى الدائرة الشفافة تحيط بفطر البنسليوم في مزرعة البكتريا ، ويؤدى هذا إلى اكتشاف البنسلين ، وإنقاذ حياة الألوف المؤلفه . والقياس على هذا المثال كثير ، ألا نرى في هذا وحياً وإعلاناً من الله ؟

إن الذي يحدث في غالب الأحيان ، أن العالم أو المكتشف أو المخترع يقوم بالتجربة تلو التجربة ، ويسهر الليالي وراء الليالي . ويجس نفسه في

نجبره بعيداً عن المجتمع ، ثم يصل في النهاية إلى عقدة يستعصى حلها ،  
وكأنني به أمام باب مغلق ، وفي لحظة ... وكما يقولون عن حق ، في  
لحظة تجلي ، يشرق عليه الإلهام من مصدر لا يدريه .. من مصدر أعلى  
من فكره ومقدرته وذكائه .. من الله . وبكلمات أخرى حينما ينتهي الإنسان  
عند حد العجز ، تبدأ قدرة الله .

بماذا نسمى هذا إن لم يكن إلهاماً ؟ .

إن وحي الله وإعلانه ، غير مقصور على الجانب اللاهوتي فحسب . إن كل  
الحق هو حق الله . وإعلان الحق في كل مجال هو من عمل الروح القدس .

٣ - وهنا نأتي إلى مبدأ آخر من مبادئ الوحي . إن كل إعلان نافع  
هو من الله . فهو مالك كل حق ، وواهب كل حق . إن الحق ليس من اكتشاف  
الإنسان ، إنه عطية الله . إن ما يقدمه الروح إلينا هو حق الله . إن الحق  
لا تخلقه خلايا أدمغتنا ، أو نصنعه في مصنع أفكارنا . إنه شيء موجود  
بالفعل نحتاج أن نكتشفه .. شيء في حوزتنا ولكننا لا نخلقه . فخلف كل  
حق الذي هو هبة الله ، ليس هناك سوى الله نفسه .

٤ - والوحي هو توصيل أفكار يسوع إلينا : وإعلان مدلولها بالنسبة لنا .  
إن عظمة «يسوع» تكمن في عمقه وغناه الذي لا يستقصى . فلم يوجد واحد  
وصل إلى عمق ما جاء «يسوع» ليعلمه لنا . ولم يستطع مفكر أن يستجلي كل  
جوانب الجمال ، والسمو ، والعمق ، والحكمة ، فيما قاله معلم الأجيال .  
ولم يصل إنسان إلى معرفة ما تعنيه تعاليمه للحياة ، وللعقيدة ... للفرد  
وللعالم .. للمجتمع وللأمة . إن الوحي هو إعلان مستمر دائم لا ينقطع ،  
عن معنى « يسوع المسيح » ، وعن دلالاته للمجتمع .

هنا يمكن سر الأمر كله . فالوحي قد يصل إلينا عن طريق كتاب ،  
أو كلمة مطبوعة أو عقيدة متواترة ، ولكن الإله الحي هو الذى يعلنه لنا  
بواسطة الروح القدس . وكلما اقتربنا أكثر لنحيا مع مسيحتنا ، عرفناه أكثر  
فأكثر . وكلما ازددنا تشبها به في حياتنا ، يعلن ذاته أكثر لنا . فتحن  
إذا أردنا أن نتمتع بإعلانه ، ووحيه ، علينا أن نتعلم كيف نقبل سلطانه  
وسيطرته . إن معرفة المسيح تتمشى جنباً لجنب مع الخضوع له .  
ولن يعلن الله ذاته ، إلا لأبنائه الخاضعين المكرسين . هنا الطريق ، والإمتياز ،  
وهنا أيضاً المسئولية ..

## الحزن يتحول إلى فرح

بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تُبْصِرُونِي . ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً  
تَرَوْنِي لِأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ .

فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا هُوَ هَذَا  
الَّذِي يَقُولُهُ لَنَا بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تُبْصِرُونِي ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً  
تَرَوْنِي وَلِأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ . فَقَالُوا مَا هُوَ هَذَا  
الْقَلِيلُ الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ . لَسْنَا نَعْلَمُ بِمَاذَا يَتَكَلَّمُ .  
فَعَلِمَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ  
أَعَنْ هَذَا تَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ لِأَنِّي قُلْتُ بَعْدَ قَلِيلٍ  
لَا تُبْصِرُونِي ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً تَرَوْنِي . الْحَقُّ الْحَقُّ  
أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ . أَنْتُمْ  
سَتَحْزَنُونَ وَلَكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ . الْمَرْأَةُ  
وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لِأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ . وَلَكِنْ مَتَى وَكَلَدَتْ  
الطِّفْلَ لَا تَعُودُ تَذْكُرُ الشَّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ لِأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ

إِنْسَانَ فِي الْعَالَمِ . فَأَنْتُمْ كَذَلِكَ عِنْدَكُمْ الْآنَ حُزْنٌ .  
 وَلَكِنِّي سَارَاكُمْ أَيْضاً فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ وَلَا يَنْزِعُ أَحَدٌ  
 فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ . وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا تَسْأَلُونِي شَيْئاً .  
 الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الْآبِ بِاسْمِي  
 يُعْطِيكُمْ . إِلَى الْآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي . اَطْلُبُوا  
 تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً

( يوحنا ١٦ : ١٦ - ٢٤ )

في هذه الفقرة ، يحترق رب المجد بأبصاره الحاضر المرير الذي  
 يحياه ، والمستقبل القريب المؤلم الذي ينتظره ، إلى عهد جديد سيشرق  
 متألقاً صافياً مجيداً .. وهو في هذا لا يتأى في تفكيره ، عن الفكر اليهودي  
 السائد . لقد كان اليهود يعتقدون أن الزمن ينقسم إلى دهرين ، الدهر الحالى  
 والدهر الآتى . أما الدهر الحالى فهو ردىء بالكلية . تحت اللعنة ، أما  
 الدهر الآتى ، فهو عصر الله الذهبى . وقبل انبلاج فجر العهد المشرق  
 الذهبى ، يأتى يوم الرب الذى يمهد لإشراقة ذلك العهد السعيد . أما يوم  
 الرب فيوم مرير رهيب مشتعل بغضب القدير ، فيه تنحل العناصر محترقة ،  
 وتزلزل العروش والممالك ، وتقلب أساسات الوجود .

ثم يشرق بعده العهد الذهبى . ولقد كان اليهود يعبرون عن الفترة  
 الرهيبية ما بين العهدين ، بالآلام مخاض العالم ، لقرب أيام المسيا . وكانت  
 الصورة مستعارة من آلام الأم الحامل ساعة الوضع ، تلك الآلام التى تمهد

لدخول حياة جديدة إلى عالم الوجود . والعهد القديم ، وبالأخص أدب  
ماين العهدين ، يزخر بمثل هذه الصور الرهيبة عن يوم الرب ، يوم الرهبة  
والرعب ، فنجد «إشعيا» ينادى قائلاً « ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم  
كخراب من القادر على كل شيء . لذلك ترتجى كل الأيادي ، وينوب  
كل قلب إنسان فيرتاعون . فأخذهم أوجاع ومخاض ، يتلوون كوالدة » .  
(إشعيا ١٣ : ٦ - ٨) بينما يدوى التحذير من شفَى يوثيل النبي .. « ليرتعد  
جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب ، يوم ظلام وقمام .  
يوم غيم وضباب . شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل ولا يكون  
أيضا بعده ، قدامه نار تأكل وتخلقه لهيب يحرق » (يوثيل ٢ : ١ - ٣)  
فإذا أتينا إلى «ملاخي نسمعه يهتف » هو ذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل  
المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي .. فلا يبقى  
أصلا ولا فرعا . « (ملاخي ٤ : ١) فإذا أتى إلى نهاية نبواته ، تحدث عن  
مراحم الله في إعطاء الفرصة الأخيرة للبشر قائلاً « هأنذا أرسل إليكم  
إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والخوف » ( عدد ٥ ) ، وفي  
كتابات الأبوكريفا نقرأ في سفر باروخ الثاني :

« يتحول المحل إلى خزي وعار ، والقوة إلى احتقار ، ..  
والجمال يتحول إلى قبح » (باروخ الثاني ٢٧) .

فإذا اتجهنا إلى رسل العهد الجديد، نجد «بطرس» رسول الختان يقول في  
رسالته الثانية (٣ : ١٠) « ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي  
فيه تزول السموات بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتتحرق الأرض  
والمصنوعات التي فيها » .

هذه هي صورة الآلام .. آلام المخاض التي تحمل بالعالم ، وتسبق  
مجىء المسيح ثانية لإعلان ملكه العتيق ، وبداية العهد الجديد .

ولقد كان «يسوع» يعرف الكثير ، ولم تكن تلك الصور غريبة عنه .  
لقد كانت في ذاكرته وفي خياله ، وهو هنا يقول لتلاميذه « إنني على  
وشك أن أفرق عنكم ، ولكني سأعود ثانية . سيأتي اليوم الذي يبدأ فيه  
سلطاني ، وتشرق أمجاد ملكوتي ، ولكن قبل هذا لا بد أن تجتازوا في  
البلوى المحرقة .

لا بد وأن تجوزوا في آلام الخاض ، فإذا احتملتم بصبر ، ووقفتم  
ثابتن في وجه العواصف القادمة ، فسوف تكون لكم البركات العظيمة .

ثم يتطرق الحديث إلى حياة المسيحي الذي يحتمل بصبر .

١ - فحزنه يتحول إلى فرح : في أوقات الأزمات ، يبدو وكأن الجو  
الحاقق يكتم الأنفاس ، وكأنني بدوائر الوجود كله في راحة وسرور ، عدا  
دائرة المتمسكين بالدين .

ولكن سيأتي اليوم الذي تتحول فيه أفراح العالم إلى أحزان ، وتبدل فيه  
أحزان المسيحي إلى أفراح وأمجاد ، حينما يرى المسيحي إيمانه باهظ التكاليف ،  
ليذكر أن هذا الوجود ليس نهاية كل شيء ، وأن العبرة بالنهاية ، وكما  
يقول «شيكسبير» خير ما نهايته خير ..

٢ - وهناك أمران جوهريان يتصلان بفرح المسيحي .

(١) فهو ثابت لا يتزعزع .. مستقل عن الظروف والإضطرابات ،  
وأمواج الوجود الهائجة . إنه لا يتزعزع لهجوم الأعداء ، ولا يهتز أمام نشاطهم .  
هذه ليست كلمات على الورق ، ولكنها حقيقة فعلية اختبارية في حياة كل  
مؤمن . فكم من كثيرين تجازوا في وادي الألم ، في وادي الحزن .. في وادي



التجربة والدموع ، فإذا بهم تحولونه إلى نبع فائض بالبركة والتعزية ، ومنهم من سجل اختباراتهم .

واختباراتهم تتحدث بصدق قول المرثم « عند كثرة هموى فى داخلى نعرىاتك تلذذ نفسى » . إن الفرح الذى يهبه « يسوع » مستقل عن العالم بما فيه ، إنه لا يتوقف على ما يعطيه العالم أو يمنعه ، ولكنه مبنى على محضر المسيح ، وتعمق جذوره فى الإله الحى .

(ب) وهو ليس ثابتا فقط ، إنه كامل كاف . فى أسمى أفراح العالم هناك عنصر ناقص .. هناك عنصر يبحث عنه . الإنسان يبحث فى أفراحه عن الإكتفاء ، فإذا به يجد مكانه الأسمى والحزن . إنه يبحث عن السلام ، فإذا بنعمة ربما لا تزيد فى حجمها عن كفى إنسان ، تتلبد فى أفق ذاكرته ، وتملؤه بالندامة والحزن الذى لا يدرى كنهه ، إنه يبحث عن الراحة ، فيكتشف أنه لا راحة فى مباحج العالم ، إنه يبحث عن الرى ، ولكن كما قال رب المجد للسامرية « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا » ( يوحنا ٤ : ١٣ ) ولكن الذى يختبر « يسوع » يجد سرور محضه ، وهناك النبع الصافى الذى يقدمه له ، يملأه بالراحة والإكتفاء .

٣ - ثم يقول السيد ، إن من يختبر هذا الفرح العميق ، ينسى الآلام التى سبقته . فالأم وهى تلد تجتاز فى آلامها المبرحة ، ولكن متى ولدت الطفل ، تنسى كل متاعها فى فرحة الطفل الوليد ، والشهيد ينسى عذابات الاستشهاد فى إشراق نور الأجداد أمامه ، كما كتب براوننج فى قصيدة له بلسان شهيد يحترق .

« فى وسط النيران فى . . .

« يومى الرهيب .

- « بدأت يد تجذبني
- « من جوف اللهب .
- « وعندها نفسي غدت .
- « مع المسيح .
- « في حضنه يضميني
- « فأستريح .
- « وهذه شهادتي .
- « نسيت كل ضيقتي .

إن كان إخلاصنا ليسوع يكلفنا الكثير ، فإننا لابد أن ننسى الثمن الغالي ، في فرحة رجائنا بأن نكون مع حبيبتنا إلى أبد الأبد ، وفي فرحة يقيننا بأننا آتمنا كل ما علينا .

٤ - والمسيحي الصابر المحتمل ، يصل إلى كمال المعرفة « في ذلك اليوم لا تسألونني شيئا » . هناك أسئلة كثيرة في الحياة لا نجد لها جوابا .. هناك مشاكل لا نجد لها حلا ، وسيلنا للثبات أمام مشاكل الحياة المحيرة ، أن نسلك بالإيمان لا بالعيان .. أن نقبل في خضوع وتسليم ما لا نستطيع أن نصل إلى فهمه .. إنها كسور من الحق نستطيع أن نحصل عليها ... لمحات خاطفة من نور الله نستطيع أن نراها ، ولكن في الدهر الآتي ، سيكون لنا كل الإدراك ، ونصل إلى ملء المعرفة .

٥ - سوف نكون في علاقة جديدة مع الله :

فحينما نعرف الله المعرفة الصادقة ، نستطيع أن نذهب إليه : ونسأله طلباتنا بكل ثقة .. عند ذلك يصبح الباب مفتوحا على مصراعيه ، ونثق حقا

بأنه أبونا المحب ، وأن قلبه فياض بالمحبة ، حينذاك لن يساورنا أدنى شك ،  
في أن الآب يسر بنا ، ويرحب بطلباتنا . ونستطيع أن نتحدث إليه بقلب مفتوح .

ويقول السيد إننا في ظل هذه العلاقة الجديدة نسأل أى شيء فيكون لنا .  
دعونا نتأمل في هذا في حدود مفاهيمنا البشرية القاصرة – حينما يحب طفل  
أباه ، ويتقوه ، فإنه يعرف جيداً أن لأبيه المعرفة الأسمى ، والمحبة الأعظم  
والحكمة الأرفع ، التي تدفعه إلى أن يقول له في بعض الأحيان : « لا » . إن  
صلتنا الجديدة بإلهنا تتيح لنا أن نأتي بكل مشاكلنا إليه ، ونقدم بكل طلباتنا .  
لكن علينا أن نختم هذه الطلبات بالقول : « لتكن مشيئتك » .

هـ – وهذه العلاقة الجديدة أصبحت سهلة ميسورة في « يسوع » . إننا أصبحنا فيه  
مقبولين .. في محبته نجد رضى الله . وفي غفرانه نجد قبول الله . وفي ثباتنا  
في ذلك الذى وجد الآب سروره فيه ، نجد الآب سروره فينا ، بسبب من  
هو يسوع ، وما عمله بسوع يكمل فرحنا ويثبت .. وتزداد معرفتنا وتسمو ،  
ويفتح الطريق أمامنا إلى قلب الآب . إن كل مالنا قد نلناه ووصلنا إليه  
في يسوع المسيح . ففي اسمه المبارك نطلب .. وفي اسمه نجد قبولاً ..  
وفي اسمه العظيم نقرب من الآب ، فنجد منه رضى وترحيباً .

## الطريق المباشرة

قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا بِأَمْثَالٍ وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ  
لَا أَكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ بَلْ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الْآبِ عَلَانِيَةً .  
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَطْلُبُونَ بِاسْمِي . وَلَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي  
أَنَا أَسْأَلُ الْآبَ مِنْ أَجْلِكُمْ . لِأَنَّ الْآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ  
لِأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي وَأَمَنْتُمْ أُنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ .  
خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الْآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ وَأَيْضاً  
أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الْآبِ

(يوحنا ١٦ : ٢٥ - ٢٨)

يقول يسوع لتلاميذه في هذه الفقرة ، إنه حتى تلك الساعة كان يتحدث  
إليهم بأمثال . والكلمة في الأصل هي «بار وإميا» وهي تستخدم للدلالة على الأمثال ..  
وهي تعني أساساً قولاً عسيراً على الفهم . قولاً معمى يخفى على مدارك المستمع ..  
قولاً يحتاج إلى الجهد والتقليد حتى يصل الإنسان إلى مضمونه ، ويمكن أن  
تستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى أقوال الحكماء القصيرة المضغوطة التي لا يستطيع  
العقل العادي استيعابها لا كتنازها ، وقوتها ، ويمكن أيضاً أن تشير إلى اللغز  
الذي يجهد الإنسان فكره للوصول إلى حله .

وهكذا يقول معلم الدهور : « حتى هذه اللحظة كنت أعطيتكم رموزاً وصوراً ، وإشارات » . كنت أقدم لكم الحق مقنعاً بقناع الرمز والمثل . كنت أقول لكم أموراً أدفعكم إلى أن تحلوها بأنفسكم .. ولكني الآن سأحدث إليكم بالحق في أجلى صورته .

هنا قال لهم علانية أنه أتى إليهم من عند الآب ، وأنه ماض بعد قليل إلى حيث أتى . هنا تقدم بالحق الأعظم المجيد الذي أعلنه عن نفسه ، إنه ليس سوى ابن الله المجيد . . . هنا أعلن لهم أن الصليب ليس نهاية الازدراء والعار وميته المذلة . بل هو الطريق إلى بيت الآب وأجداد الآب .

وهنا يعلن حقاً مجيداً ينبغي أن يثبت على الدوام في أذهاننا . فهو يقول لنا إننا نستطيع أن نقرب من الآب السماوي لأنه يحبنا . نستطيع أن نتقدم بطلباتنا إلى الله رأساً . ونحن كثيراً ما ترسم في مخيلتنا صورة خاطئة . . . صورة تتخيل فيها إلهاً غاضباً ثائراً ، والابن الحبيب يبدو إلى جواره محاولاً أن يستعطفه ويهدئ من ثأرته علينا . ولكن «يسوع» محو من أمامنا هذه الصورة ليرسم بديلاً عنها ، صورة إله محب عطوف يذوب قلبه الكبير عطفاً وحناناً من نحونا . فيقول لنا : « لا تمتثلوا رعباً من إله المحبة . . . تقدموا إليه . . . قدموا بطلباتكم له . . . وسوف تكتشفون أنه يحبكم لأن الله محبة . . . لاحظوا أن يسوع يقول لنا هذا قبل اجتيازه في مرارة الصليب ، وكأني به يقول . . . إنني لن أموت لأغير قلب الله وعواطفه من جهتم . ولكني سأقاسي آلام الصليب ومرارته وعاره لأثبت لكم أن الله يحبكم . . . لقد جئت إلى العالم . . . لقد أرسلني الآب إلى العالم . ليس لأن الله يبغض العالم . بل لأنه يحب بهذا القدر ، حتى يبذل ابنه الوحيد في سبيل خلاصه .. «فخلف لإرسالية يسوع ، وخدمات يسوع ، وانضاع يسوع ، ودماء يسوع المراقبة على الصليب ،

نوجد محبة الله الفائضة من نحنونا . وما كان ممكنا أن ندرك هذه الحقيقة  
لولم نجبرنا السيد بهذا بنفسه . لقد أعلن « يسوع » محبة الله للبشر .

في هذه الفقرة يعلن لنا رب المجد أن عمله قد أكمل ، والمهمة التي جاء  
من أجلها قد وصلت إلى تمامها . لقد أتى من الآب إلى البشر في ثوب المهانة  
والانضاع ، في جسم بشرتنا ، وسوف يعود إلى الآب في طريق المهانة  
والعار ، طريق الصليب . وهكذا فتح لنا طريق القبول عند الله الآب ،  
ليس لأن يسوع استعطف الآب بألامه . بل لأننا عن طريق محبتنا ليسوع  
أصبحنا أعضاء على قلب الله .

## المسيح وهياته

قَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ هُوَذَا الْآنَ تَتَكَلَّمُ عَلَانِيَةً وَكَسْتَ  
تَقُولُ مَثَلًا وَاحِدًا . الْآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ  
وَكَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يُسْأَلَكَ أَحَدٌ . لِهَذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنْ  
اللَّهِ خَرَجْتَ . أَجَابَهُمْ يَسُوعُ الْآنَ تُؤْمِنُونَ . هُوَذَا  
تَأْتِي سَاعَةٌ وَقَدْ أَنْتِ الْآنَ تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى  
خَاصَّتِهِ وَتَتْرُكُونِي وَخَدِي . وَأَنَا لَسْتُ وَخَدِي لِأَنَّ الْآبَ  
مَعِي . قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي سَلَامٍ . فِي  
الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ . وَلَكِنْ ثِقُوا أَنَا قَدْ غَلَبْتُ  
الْعَالَمَ .

( يوحنا : ١٦ : ٢٩ - ٣٣ )

هنا يبدو لنا نور غريب ، يكشف أمام عيوننا الطريق الذي أوصل  
التلاميذ أخيراً إلى التسليم الكامل ليسوع . هنا نراه قد قفزوا إلى قمة الإيمان  
الكامل . لأنهم كما يقولون تحققوا بأن يسوع ليس بحاجة إلى سؤال إنسان عن  
أى أمر من الأمور . ترى ماذا يقصدون بهذا القول ؟ لو رجعنا إلى  
العدد ١٧ السابع عشر والثامن عشر من نفس الاصحاح . نراه يتناقشون

فبما بينهم عن معنى ما قاله يسوع ، وهم في حيرة من أمرهم . فإذا بنا نرى السيد في العدد التاسع عشر يجيب عن أسئلتهم دون ما حاجة إلى أن يسألهم فيم كانوا يحتاجون أو بكلمات أخرى استطاع يسوع أن يقرأ أفكارهم كما من كتاب مفتوح .

هذا هو السبب الذي من أجله آمنوا به . لقد رأوا أنفسهم أمام من يعرف دخيلة قلوبهم ، ويجيبهم عن كل مشاكلهم قبل أن يسألوه . إن يسوع يعرف أفكارنا ، وهمومنا ، ومتاعبنا الداخلية ، وهو يستطيع أن يتعامل مع كل واحد بحسب مشاكله الخاصة . إن معرفته بالله ، وإعلان أعجابه أمام التلاميذ ، ومعرفته بطبيعة القلب البشري ، وكشف أسراره الخفية قد أفتنا تلاميذه بأنه بالحقيقة ابن الله . فلم يوجد من عرف الله ، وعرف البشر نظير يسوع . ولكن المعلم العظيم كان واقعياً . فلم يندفع في موجة الحماس الطارئ وتأخذة النشوة . لقد أنبأهم بأنه بالرغم من إيمانهم ، فستأتي الساعة التي فيها يتخلون عنه ويهجرونه . هنا نرى شيئاً عجباً ، بل نكاد نقول أعجب الأشياء عن يسوع . فهذا نحن نراه يصل إلى أدق الأسرار في حياة تلاميذه . فيعرف ضعفهم ، ويعرف أنه في أخرج أوقاته . . . في الوقت الذي سيكون فيه أحوج ما يكون إلى وجودهم بجواره ، سوف يتخلون عنه هاربين . ومع ذلك استمر في محبته لهم . . . بل الأعجب من ذلك أنه استمر في ثقته بهم . إنه يعرفنا في أردأ نقاط ضعفنا . ومع ذلك يحبنا ويثق بنا ، وبضعفنا في كثير من الأحيان . قد يكون من السهل علينا أن نعفو عن إنسان أساء إلينا أو تخلى عنا .

وقد نجد من الصعب أن نعود إلى محبة ذلك الإنسان كما كنا في الماضي . ولكن من أفسى الأمور أن نعود إلى الثقة الأولى التي كنا نضعها في ذلك الإنسان . توكلنا عليه كل الاعتماد ، كما كان شأننا في الماضي . ولكن يسوع



يقول لتلاميذه : « إني أعرف أنكم في ضعفكم ستهجروني وتركوني وحيداً . أنا أعرف أن أحدكم سيخونني . والآخر سينكرني وكلكم ستفضون عني هارين في الساعة الحاسمة . ومع ذلك ما زلت أثق بكم . وأثق بأنكم ستعوضون عن ضعفكم وستنصرون » . إن هذه الثقة المقرنة بالغفران يندر أن نجد نظيراً لها في تاريخ الإنسانية جمعاء . ترى ماهو الدرس الذي يريد السيد أن يلقنه لنا من خلال هذا التصرف ؟ إنه يعلمنا كيف تتسامح مع الذين يخطئون في حقنا ، وكيف نضع ثقتنا فيمن تصرفوا معنا تصرفات خاطئة .

هناك أربعة أمور واضحة تعلمها هذه الفقرة عن يسوع . .

١- فهي تعلن لنا عما سيعاينه يسوع من وحشة . . إن البشر سيتركونه وحيداً . . ولكنه لن يكون وحيداً لأن الله ما زال معه . ونحن إن وقفنا بجانب الحق . . إن بدلنا وضحينا في سبيل الحق . . إن وصلت تضحيتنا حتى إلى التضحية بالذات ، فلنثق بأن الله على الدوام سيكون معنا ، مؤازراً ، ومشجعاً وسنداً . إن الله لن يترك رجاله الصالحين العاملين معه بمفردهم في الساعات الحرجة . بل إننا في مثل هذه الساعات نتحقق وجود الله إلى جوارنا . لأن الصداقة الحقة ، تظهر بوضوح في الأزمات .

٢- وهي تعلن لنا غفران يسوع . ولقد تأملنا على التو في سمو هذا الغفران لقد كان يعرف ضعف تلاميذه ، وكان يعرف أنهم ستهجروونه . ولكنه لم ينزعهم من دائرة قلبه وفكره ، ولم يذكر لهم تلك الخطية في مقبل الأيام . ولم يتمسك بضعفهم وثيقة ضدهم . لقد أحبهم في ضعفهم . . رأهم في ضعف جسم بشريتهم ، فأحبهم إلى الأبد ، واختارهم ليكونوا خاصته . إن الحب الذي يقدر له أن يبقى ويخلد ، ينبغي أن يبنى على النظرة

سليمة . . . على المعرفة الكاملة . أما الحب الذى يبنى على معرفة ناقصة...  
على قناع زائف يغطى حقيقة الإنسان . على مثالية أبعد ماتكون عن  
الواقع ، فخصيره إلى النفور ، والكراهية ، والإحتقار ، حينما يسقط القناع  
وتظهر حقيقة الإنسان ، وحينما تسقط الغشاوة عن العينين فيظهر الإنسان  
كما هو . إذا كان هدفنا هو الحب الصادق -ينبغي أن نحب لا المثال . لا  
الصورة المثالية التى ترسمها مخيلتنا ، بل الواقع الفعلى، مفسحين فى قلوبنا مكانا  
لأكثر من ضعف وقصور ، لنحب الإنسان كإنسان لا غير .

٣ - وهى تصور لنا عواطف يسوع . هناك آية فى هذه الفقرة، يبدو لنا لأول  
وهلة أنها وضعت فى غير موضعها . وهى التى يقول فيها السيد « كلمتكم  
بهذا ليكون لكم فى سلام » . والفكرة الرئيسية التى تقدم لنا مفهوم هذه  
الآية هى على النحو التالى: لو لم يكن يسوع قد تنبأ لتلاميذه عما سوف يحدث  
لهم من ضعف فى تراجعهم ، وهروبهم بعيداً فى ساعة محنته .. لو كانت  
قد فاجأتهم التجربة دون أن يعلموا بما سيحدث لهم . لكان اليأس يتولاهم  
نظير «يهودا» ، حينما يرون أنفسهم وقد سقطوا من النعمة، وقاموا بدور الجبان  
المتنكر لسيد . ولكنه حذرهم بأن العاصفة ستهب عليهم، وأنهم سيتزعزعون  
من ثباتهم . نعم أخبرهم بأن الشيطان سوف يغربلهم كما تغربل ربة البيت  
الخطئة. أماهم، فسوف يترنحون ويهتزون من عنف الصدمة، شأن حبات القمح  
وهى تتأرجح وترنح على الغربال. وهكذا يقول السيد لهم: « لقد صرحت لكم  
بما سوف يحدث ليكون لكم فى سلام . لئى أعرف ما سوف يحدث . .  
وأخبرتكم بكل شئ . لا تظنوا أن تراجعكم وسقوطكم سيكون مفاجأة لى .  
لئى أعرف ما سوف يحدث ولن يقلل هذا من محبتى لكم . ولئى أحدثكم  
بهذا حتى تجلبوا سلامكم الأعظم فى لا فى نفوسكم المقلبة - حينما تتفكرون  
فى كل هذا فى مقبل الأيام اطرءوا عن نفوسكم كل يأس » .

هنا نرى العطف الإلهي مقترنا بالغفران المحيد . لقد كان كل تفكير يسوع منصبا ليس على ما سيلحق به من ضرر وأذى بسبب خطية البشر ، بل على ما تلحقه الخطية بأصحابها من ضرر وأذى - إننا لو استطعنا أن ننظر إلى أخطاء الآخرين من نحنونا ، بنفس النظرة التي ينظر بها يسوع ، فإننا سنألم ونحزن ، ليس لأن أخطاءهم سببت لنا المتاعب ، بل لأنها سببت لهم الندامة ، والألم ، وعذاب الضمير .

٤ - بل إنها ترسم لنا صورة حياة هبات يسوع ... لما يقدمه لنا . هو يقدم لنا الشجاعة في مواجهة العاصفة ، والانتصار الكامل عليها . فهناك مأساة على وشك أن تتم أدوارها على مسرح التاريخ . وسوف يرى التلاميذ بأعينهم أن العالم سيبدل قصارى الجهد ، ليقدم أسوأ ما لديه ليسوع ، ومع ذلك لن يغلبه ، ولن ينتصر عليه . وسوف يرى التلاميذ ، أبناء الأرض يتقدمون ليسوع بالعار والألم والصليب ، والموت . ولكنهم سيشاهدون أيضاً سلطانه الذي لا يقهر ، حينما يقوم من الأموات ظافراً منتصراً . وهو على هذا الأساس يقول لهم : «إن الانتصار الذي سوف أحققه لن يكون فريداً من نوعه . . لن يكون قاصراً على أنا . إنه فتح عظيم لكل من يؤمن بي . إن العالم سيبدل قصارى جهده ليخمد ذلك الصوت الصارخ في برية الوجود ، وينتهي من صاحبه إلى الأبد . ولكن الحق لن يقبر . . لن يقدر له أن يموت وينتهي . إنه لا بد وأن يخرج في النهاية ظافراً عزيزاً منتصراً . وهذا ما سوف يحدث لي . وإني أقول لكم إنكم انتم أيضاً ستحتبرون الانتصار الأعظم في . سوف يقاومكم العالم بكل ما أوتي من قوة . سوف يسلمكم للعذاب والموت . . وسوف يدوسكم بأقدامه لعله يسحقكم . ولكن نظير الحنطة حينما تدفن في الحقل ، سوف تخرجون في ملء الازدهار والانتصار . امتثلوا شجاعة في ، وكونوا منتصرين في انتصاري في الصليب .

## الأصحاح السابع عشر

### مجد الصليب

تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ  
أَيُّهَا الْآبُ قَدْ أَنْتِ السَّاعَةُ . مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُصَلِّدَكَ ابْنُكَ  
أَيْضاً إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَاناً عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَوَةَ  
أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ . وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَوَةُ الْأَبَدِيَّةُ أَنْ  
يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ  
الَّذِي أَرْسَلْتَهُ . أَنَا مَجِّدْتُكَ عَلَى الْأَرْضِ . الْعَمَلُ الَّذِي  
أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ . وَالْآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا  
الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ  
العالمِ

( يوحنا ١٧ : ١-٥ )

لقد كانت حياة يسوع قمتها ، وكانت هذه القمة الصليب . لقد كان  
الصليب ليسوع هو مجد الحياة الحاضرة ، والطريق إلى أمجاد الحياة المقبلة  
« قد أنت الساعة ليمجد ابن الإنسان » ( يوحنا ١٢ : ٢٣ ) . هكذا يقول

السيد. في أى عنصر تكمن أجداد الصليب ؟ وماذا يعنى يسوع في حديثه عن الصليب بأن فيه مجده ، وتمجيده ؟ هناك أكثر من جواب .

١ - فن الحقائق الواضحة في التاريخ ، أنه في موت العظماء مجدهم . وكلما كانت للموت ظروفه الخاصة ، أحاط صاحبه بهالة أجدد - فالمكان الذى فيه انتهت حياة الإنسان ، والظروف التى رافقت موته ، هى التى تظهر بحق من هو ، وماذا يكون . قد يسيء الناس فهم الإنسان في الحياة ، وقد ينتقصون من مقامه ، وقد يصل بهم الأمر إلى الحكم عليه ، وربما وصل الحكم إلى الموت كمجرم أثم . ولكن موت الإنسان هو الذى يبرره ويضعه في وضعه الصحيح بحسب ترتيب الأشياء .

لقد كان لآبراهام لنكولن رائد تحرير العبيد في أمريكا ، أعداؤه في حياته ، ولكن حتى أولئك الذين وجهوا إليه سهام النقد ، وناصبوه العداء ، اشتركوا في تمجيده حينما مات . فمن الغرفة التى سجن فيها جسده بعد أن أطلق عليه الرصاص ، خرج أحدهم وهو يهتف « لقد أصبح آبراهام ملكاً للأجيال جمعاء » . أما وزير حريته الذى كان يرى فيه مخلوقاً فظيماً غير مهذب الطباع ، وما كان يدع فرصة تمر دون أن يبدى احتقاره له ، قال مشيراً إلى جثته الدامية ، والدموع تملأ عينيه « هنا يرقد أعظم حاكم في تاريخ الإنسانية » .

وهناك مثل آخر في تاريخ العظماء : شهيدة الروان التى عرفتها الأجيال باسم « جان دارك » ، والتى حكمت عليها الإنكليز بالموت حرقاً كساحرة هرطوقية . وبين الجموع التى شهدت إعدامها ، تقدم واحد ، كان قد عزم أن يزيد النار اشتعالاً ، ووقف واجماً أمامها وهو يقول « ياليت نفسى تجدد الراحة حيث تكون نفس هذه المرأة » . وأحدسكرتيرى ملك انكلترا

عاد من موكب الإعدام بعد أن أحرقت «جان دارك» - عاد وهو يخبط كفاً بكف ويقول : « لقد حلت علينا اللعنة جميعاً ، لأننا أحرقنا قديسة مباركة » .

وحيثما كان الأعداء يسوقون «منروز» وهو أحد شهداء اسكتلندا إلى ساحة الإعدام ، وكانوا قد دسوا كثيرين على طول الطريق للهتاف ضده ، وتحقيره ، لكن لم يرتفع صوت واحد . كان برتدى أفخر ملبسه ، والجموع تحوطه وكأنه ملك يسير إلى حفل تنويجه . كما يقول أحد شهود العيان « لقد كان يسير في الطريق في جلال ، وكرامة ، وجمال أذهل كل أعدائه ، فاعترفوا بأنهم لم يشهدوا شجاعة نظير هذه » . وكتب أحد المراقبين العسكريين الإنكليز لرئيسه يقول « من الأكيد أنه كسب بموته أكثر ممن كان يمكننا أن يكسبهم لو عاش ، لأنني مارأيت في حياتي مثل هذه الشجاعة » . وكم من مرة ظهرت دلائل السمو والجلال والكرامة ، في اللحظات الأخيرة في حياة الشهداء . وهكذا كان «سوع» مع الفارق ، حتى أن قائد المئة هتف في ذهول : « بالحقيقة كان هذا ابن الله » ، لقد كان في الصليب مجد يسوع ، لأن يسوع لم يكن أكثر جلالاً قدر ما كان في موته ... لقد كان في الصليب مجد يسوع لأن جاذبية الصليب قد اجتذبت إليه الجموع أكثر مما اجتذبهم حياته وتعاليمه ومعجزاته . وما زال الصليب إلى يومنا الحاضر وإلى نهاية الأجيال ، سيظل أقوى مغناطيس يجتذب القلوب ، ويجمع النفوس حول «يسوع» .

## مجد الصليب

( يوحنا ١٧ : ١ - ٥ )

٢ - زد على هذا أن الصليب كان مجد يسوع ، لأن فيه تتويج عمله وكماله « العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته » هكذا يقول . إن الوقوف دون الصليب معناه التوقف عن إتمام العمل الذى كلف به ولماذا هذا ؟ لأنه قد جاء إلى العالم برسالة محددة : أن يخبر الناس عن محبة الله ، وأن يظهر في حياته تلك المحبة الإلهية ، وما كان الصليب إلا برهان محبة الله ، ودليل فيض القلب الإلهى من نحو البشر ، فلو لم يخط «يسوع» خطوته الحاسمة نحو الصليب لرأينا محبة الله تقف عند حدود لا تستطيع أن تتعداها . وكأنى بالله يقول للمحبة « إلى هنا وكفى » . لكن فى الصليب أعلن لنا «يسوع» أن المحبة الإلهية تفيض وتطفى وتغضى كل شىء ولا يعسر عليها أمر فى سبيل محبة البشر ، ولا حدود لها فى سبيل خلاصهم ، وعودتهم إلى أحضان المحبة الإلهية . هناك قصة برويا أحدهم ، عن صبي مراسلة كان يعمل فى أحد الميادين فى الحرب العالمية الأولى ، حينما عهد إليه بتوصيل رسالة . وركب الصبي دراجة للقيام بمهمته ، وفى الطريق جرح جرحاً مميتاً ، على أثر أصابته بشظية من قذيفة . ومع ذلك لم يتوقف عن المسير . وحينما اكتشف فى النهاية ، وكان يلفظ أنفاسه الأخيرة ، همس قائلاً : « لقد أوصلت رسالتى » . لقد كلفته تلك الرسالة حياته ، ومع ذلك لم يتراجع عن القيام بواجبه .

هذه صورة ضئيلة لما قام به «يسوع» . لقد أكمل رسالته ، وأوصل محبة الله للبشر . وكان إعلان محبة الله هو الصليب ، لكنه لم يتراجع . وهكذا كان فى الصليب مجد «يسوع» لأنه كمال العمل الذى أعطاه الله إياه . كما كان فيه إعلان محبة الله للبشر .

٣ - هذا يأتي بنا إلى سؤال آخر : كيف كان في صليب يسوع مجد الله ؟  
هناك طريق واحد لمجد الله ، وهو إطاعة وصاياه . فالابن يكرم والديه حينما يطيعهما . والمواطن يكرم أمته ، حينما يطيع قوانينها ، ويحيا بموجبها ، والتلميذ يكرم أستاذه حينما يطيع تعاليمه ويسير وفق إرادته . ولقد مجد يسوع الآب السماوي وأكرمه ، حينما أطاع وصاياه إن قصة البشائر تظهر لنا بوضوح أنه كان في إمكانه أن يتجنب الصليب . كان ممكنا بحسب الفكر الإنساني ، الايذهب على الأطلاق إلى اورشليم ، بل يبقى في دائرة الجليل ، محوطاً بأحيائه ومواطنيه ، لكنه نخطى ثابتة سار إلى ميدان الموت حتى أننا نستطيع أن نقول : أنظروا كيف أحب الله ؟ أنظروا إلى أي نقطة أوصلته طاعته للآب ؟ لقد كان في الصليب تمجيد الآب ، بطاعته الكاملة ، في ملء المحبة والنضحية .

٤ - بل إن هناك ما هو أكثر من هذا . لقد صلى «يسوع» طالبا من الآب أن يمجده ، وأن يمجد ذاته . فالصليب لم يكن نهاية الشوط . لقد كان لا بد وأن تتبعه القيامة ، والقيامة كانت إعلان مجد «يسوع» . . . . تمجيذا لإرسالته . . . . وتأكيذا لانتصاره وسلطانه .

لقد كان الصليب أقوى شاهد ، على أن البشر يستطيعون أن يتقدموا بأردأ ما ليسهم ، وأن يسوع يستطيع أن ينتصر عليهم . وكأني بالآب السماوي ، يشير إلى الصليب ويقول « هذا ما استطاع البشر أن يفعلوه بالابن الحبيب » ، ثم يشير إلى القبر الفارغ ويقول : « وهذا ما أستطيع أن أريه بوعلى أيديهم » . لقد كان الصليب أردأ ما استطاعت البشرية أن تقدمه إلى «يسوع» . ولكن أردأ ما في مقدور البشر لن يززع يسوع ، ولن ينتصر عليه ، ولن يحطمه . . . لقد لحقت أمجاد القيامة عار الصليب ، وبددت أنوار فجر الأحد ، ظلمات يوم الجمعة الحزينة .



هـ - ولقد كان الصليب بالنسبة ليسوع عودة إلى أجداد الماضي . ونحن نستمع إليه يصلى قائلاً :

« مجدنى بالمجد الذى كان لى قبل كون العالم » . لقد كان يسوع « شأنه شأن ابن الملك العظيم ، الذى أوكلت إليه مهمة عسيرة خطيرة ، فى بلد بعيد نادر فترك القصر وأجداده ، ليقوم بمهمته حتى أنجزها على آتم مايرام ، فلما انتهى من مهمته ، عاد منتصراً إلى القصر الملكى ليعتصم بشار ظفروه - من عند الآب آتى يسوع وإلى الآب يمضى ، وبين الرحلتين كانت معركة قاسية هى معركة الصليب . . . من عند الآب آتى وإلى الآب يمضى ، وكان طريق الرجوع هو طريق الصليب ، ولذلك فقد كان الصليب طريق المجد بل بوابته ، فلو أنه رفض أن يسلك الطريق ، ويدخل من الباب ، فكيف كان سيصل إلى الأجداد ؟

### الحياة الأبدية

(يوحنا ١٧ : ١ - ٥)

هنا فى هذه الفقرة فكر آخر غاية فى الأهمية ، لأنها تقدم لنا أعظم تعريف للحياة الأبدية ، فالحياة الأبدية هى معرفة الله ، ومعرفة يسوع المسيح . دعنا نتأمل فى مضمون الكلمة . إنها فى الأصل اليونانى «أيونىوس» . وهذه الكلمة لا تلتزم بمعنى الطول أى طول الحياة . فليس طول الحياة بالضرورة نعمة على اللوام ، أو شيئاً مرغوباً فيه . إن المعنى الأساسى لهذه الكلمة ، يدور حول نوعية الحياة . والحياة الأبدية يمكن أن تطبق على واحد ، هذا الواحد هو الله . فالحياة الأبدية ليست أقل من حياة الله نفسه وهكذا فإن الدخول فى الحياة الأبدية ، دخول إلى حياة الله ، وامتلاك الحياة الأبدية ، امتلاك حياة التقدير ، بمعنى أنها اختبار فى هذه الحياة ، لجزء من

أجماد حياة الله في ملها ، وأفراحها ، وسلامها ، وبهاثها ، وقداستها  
وسمها .

نقول إننا لورجعنا إلى العهد للقديم ، لوجدنا أن الفكر الأساسي الذي  
تلور حوله أسفار العهد القديم هو معرفة الله . فالحكمة « شجرة حياة  
لمسكياها والتمسك بها مغبوط » (أمثال ٣ : ١٨) . . وعن كتاب الحكمة  
أحد أسفار الابوكريفا نقتبس القول : « إن معرفة قوتك أساس الخلود »  
(سفر الحكمة ٥ : ٣) . وفي الأمثال « بالمعرفة ينجو الصديقون »  
(أمثال ١١ : ٩) . أما حلم «حبقوق» النبي عن العصر الذهبي ، فهو أن  
« الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما تغطى المياه البحر » (حبقوق  
٢ : ١٤) . فإذا آتينا إلى نبوات «هوشع» فإننا نستمتع إلى صوت الله متحدثا  
عن شعبه بالقول « قد هلك شعبي من عدم المعرفة » (هوشع ٤ : ٦)  
وقد تباحث أحبار اليهود عن أصغر فقرة في التوراة تضم وصايا الناموس  
بأكملها ، ووصلوا إلى القول للوارد في سفر الأمثال « في كل طرقك اعرفه  
وهو يقوم سبلك » (أمثال ٣ : ٦) .

وهناك أيضا قول آخر ، ورد في نبوات «عاموس» ، وأجمع الأحبار  
وأئمة الشريعة على أن فيه قد جمع النبي كل وصايا الناموس ، حين قال متكلم  
بلسان الله : « وأطلبوني فتحيوا » (عاموس ٥ : ٤) . لأن طلب الله  
معناه طلب معرفة الله . إن معلمى اليهود قد اتفقوا منذ زمن طويل ، على أن  
معرفة الله ، هي ألزم شئ للحياة الصادقة . ترى ماذا تعنى هذه المعرفة ؟

١ - مما لا شك فيه أن هذه المعرفة تحوى إشارة إلى المعرفة اللهنية . إنها  
تعنى على أقل تقدير ، معرفة كيف يكون الله . وفي محاولتنا معرفة كنه  
الجلال الإلهي ، تطبع حياتنا بأقوى مظاهر التغيير . لناخذ مثلين . لناخذ

بادئ ذي بدء المجتمعات الوثنية . إن مثل هذه المجتمعات ، وخاصة في المناطق البدائية ، تؤمن بالعديد من الآلهة . وهذه الآلهة قد تتخذ معظم مظاهر الطبيعة الناطقة والجامدة . فالإله قد يكون شجرة ، أو نهراً ، أو جبلاً ، أو هضبة . كل هذه قد تكون آلهة ، أو قد تكون لها أرواحها . كروح الجبال ، وروح الأشجار ، والأنهار وغير ذلك . مثل هذه الآلهة أو الأرواح هي على الدوام في صراع مع البشر ، وعداء معهم . ولذلك فالجموع هناك تعيش في رهبة دائمة ، وتخشى من أن تغضب واحداً من هذه الأرواح أو الآلهة ، لئلا توقع بها الضرر .

ونحن نرى المرسلون الكثير من القصص عن مشاعر أولئك البسطاء حينما يكتشفون أن هذه الأعداد الكبيرة من الآلهة لا وجود لها . وأنه لا يوجد إلا إله واحد . وأن هذا الإله هو المحبة المحسنة .

إن هذه المعرفة الجديدة تطبع الحياة بطابع مغاير بالكلية ، وتغير نظرة الإنسان للوجود ، وعاداته ، وتقاليده . إن إله المحبة على النقيض من هذه الآلهة الوحشية ، آلهة الرعب والانتقام ، وسفك الدماء ، إله مملأ النفس بالهلو ، ويسكن القلب في سلام . ونحن نعرف هذه الحقيقة المحيية ، ولكننا ما كان مقدراً لنا أن نصل إلى هذه المعرفة ، لو لم تعلن لنا محبة الله في المسيح يسوع . إننا ندخل في حياة جديدة . . . نشترك مع الله بصورة خفية في طبيعته وحياته ، حينما نصل إلى معرفة الله الاختبارية عن طريق يسوع المسيح وعمله الكامل . إن معرفة الله تعني بالنسبة لنا حياة الأبد . . . حياة الله .

٢- ولكن هناك شيئاً آخر . إن كلمة « يعرف » المستخدمة هنا ،

يستخدمها الوحي في أكثر من موضع في العهد القديم ، للإشارة إلى الصلة الجسدية بين رجل وامرأته . « فعرف آدم امرأته فجلت وولدت قايين » ( تكوين ٤ : ١ ) . أما معرفة الرجل بزوجته ، فهي أصدق وأقوى أنواع المعرفة . ففيها يصير الإثنين لاثنين بعد بل واحداً . ولا تركز هنا على الجنس في مظهره ، أو مفهومه ، أو ممارسته ، فهذا ليس بالأمر الجوهري . ولكننا نقول إن أقوى ما في صلة الجنس ، وحدة القلب ، والعقل ، والمشاعر ، والنفس . ورباط الحب الذي يوحد الإثنين إلى واحد . على هذا الأساس ، فإن معرفة الله ، لا تعني تفهمه بالعقل في مدركاته ومصنوعاته أو حتى في كنهه وذاته ، بل أن تكون لنا الصلة الشخصية مع الله ، وربطنا بجلاله ورباط الحب .

نعود فنقول إنه بدون «يسوع» ، ما كان ممكناً أن نرتفع إلى هذا المستوى .. ما كان ممكناً أن نصل إلى هذا الارتباط السامي ، وهذه الصلة القريبة الحبيبة الشخصية بالله . إننا في «يسوع» ... في تعاليمه .. في عمله .. في خلاصه .. في ذاته . قد وصلنا إلى معرفة الله معرفة اختبارية ، وارتبطنا به برباط الحب السامي ، وأصبحنا واحداً في ذلك الذي اسمه محبة .

إن معرفة الله هي أن نصل إلى إدراك كنهه الله . . أن نكون في صلة محبة معه . والطريق الوحيد إلى الوصول هو «يسوع المسيح» . ففي «يسوع المسيح» نعرف من هو الله ، وفيه نصل إلى الارتباط الأسمى مع الله .

## عمل يسوع

أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ  
الْعَالَمِ . كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي وَقَدْ حَفِظُوا كَلَامَكَ  
وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ . لِأَنَّ  
الْكَلَامَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتَهُمْ وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا  
بِقِيْنِي أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي .

( يوحنا ١٧ : ٦ - ٨ )

هنا يعطينا «يسوع» تعريفاً مركزاً عن خلاصة ما عمله . فنحن نستمع إليه  
في هذه الفقرة يقول للآب : « أنا أعلنت اسمك » . هناك فكرتان عظيمتان  
تدوران حول هذا التصريح .

١ - في صفحات العهد القديم ، تستخدم كلمة « الاسم » بصورة فريدة  
مميزة . فهي لا تعني ببساطة ، الاسم الذي أطلق على الإنسان لينادي به . إنها تعني  
طبيعة الإنسان كله ، وصفاته التي يعرف بها ، والتي تميزه عن سواه ، يقول المزمور :  
« يتكل عليك العارفون باسمك . لأنك لم تترك طالبك يارب » ( مزمور  
٩ : ١٠ ) . هنا اسم الرب لا يعني على الإطلاق أن أولئك الذين يعرفون  
بماذا يلقب الله يتكلمون عليه . بل بالحري ، الذين يعرفون صفات الله وطبيعته  
المحبة ، يتكلمون عليه بكل ثقة ، ويضعون رجاءهم فيه . ويقول المزمور أيضاً .

« هولاء بالمركبات ، وهولاء بالخليل ، أما نحن فاسم الرب إلهاً نذكر ، ( مزمور ٢٠ : ٧ ) . وواضح أيضاً أن المزمع هنا يضع ثقته في طبيعة الله وصفاته . إنه يثق بالله ، لأنه يعرف من هو الله . وفي مزمور آخر نستمع إليه يقول « أخبر باسمك إلهوتي » ( مزمور ٢٢ : ٢٢ ) .

وهذا المزمور الأخير ، مزمور نبوي اعتقد اليهود أنه نبوة عن المسيح ، وعمما سيقوم به من إعلان طبيعة الله للبشر . أما إشعيا فإنه يرى أن أسمى خصائص العهد الجديد « يعرف شعبي إسمي » ( إشعيا ٥٢ : ٦ ) . بمعنى أنه في العهد الذهبي ، سيعرف الناس طبيعة الله ومن يكون .

وهكذا حين يقول « يسوع » « أنا أعلنت اسمك » فإنه يقول « أنا أعنت البشر ليصلوا إلى المعرفة الحقيقية عن طبيعة الله وعن صفاته » . أو هي صورة أخرى لما أعلنه من قبل « الذي رأي فقد رأى الآب » ( يوحنا ١٤ : ٩ ) ففي يسوع يرى البشر فكر الله ، وطبيعة الله ، وقلب الله .

٣ - ولكن هناك فكراً آخر ، ففي الأوقات المتأخرة . حينما كان

اليهود يتحدثون عن اسم الله ، أو اسم الجلالة ، كان يقصدون الاسم المقدس ذا الحروف الأربعة : « يهوه » . هذا الاسم كان عظيماً مقدساً بحيث ما كان يجرؤ يهودي أن ينطق به بلسانه . وما كان يستطيع أن يذكره سوى رئيس الكهنة ، حينما يدخل إلى قدس الأقداس في يوم الكفارة العظيم . فليس لمخلوق آخر بين البشر أن تنطق شفتاه هذا الاسم . ومن الملاحظ أن الكلمة في العربية تتفق في حروفها الأربعة مع الأصل العبري . ففي العبرية كما في العربية نضع الإشارات فوق أو تحت الحروف المتحركة . وليس الأمر هكذا في اللغة الإنكليزية . ولذلك فقد اختلف منطوق الكلمة في الترجمة الإنكليزية ، Jehovah . وليس Yahweh .

وربما كانت كلمة « جيهوفا » ترجمة لحروف « أدوناي » ، وهو أيضاً اسم الجلالة في العبرية . وكان يوضع حركاته تحت اسم يهوه حتى إذا جاء الكاهن في القراءات المرتبة إلى الاسم المقدس ينطق بكلمة « أدوناي » بدلا من يهوه .

وهكذا كان اسم الله مقدساً عظيماً في عصر «يسوع» ، حتى أن الرجل العادي ما كان يعرف شيئاً عنه ، وما كان مفروضاً أن ينطق به . لقد كان الله أرفع وأعظم من أن يعرفه رجل الشارع أو ينطق باسمه . وهكذا يقول «يسوع» : « لقد أعلنت لكم اسم الله ، هذا الاسم المقدس الذي لا يستطيع إنسان أن ينطق به . لقد أعلنته لكم في العمل الذي أكلته ، والمهمة التي من أجلها جئت . لقد قربت إليكم الله العظيم السامي البعيد ، حتى أن أبسط إنسان يستطيع أن ينطق به ويعرفه » .

إن «يسوع» في هذه الفقرة ، يتحدث عن حقه الأعظم ، كمن أعلن لنا طبيعة الله وصفاته ، وكن قرب إلينا جلال الله ، حتى أن أقل إنسان يستطيع أن يأخذ الاسم المقدس على شفثيه دون خوف أو رهبة .

### معنى التلمذة

(يوحنا ١٧ : ٦-٨)

في هذه الفقرة نكتشف نوراً يعلن لنا معنى التلمذة .

١ - فالتلمذة أساس اليقين بأن يسوع قد أتى رأساً من الله - فالتلميذ هو إنسان تحقق قبل كل شيء بأن «يسوع» رسول الله . بل أنه هو إعلان ذات الله . وأننا في صوت يسوع نسمع صوت الله ، وفي عمل يسوع نرى عمل الله ، وفي شخص «يسوع» نرى ذات الله .

التلميذ إذاً هو الذى يرى الله فى «يسوع» ، ويوقن بأنه لا يوجد من يستطيع أن يعلن الله للبشر سوى يسوع ، ولا يوجد من يستطيع أن يقول «أنا والآب واحد» سواه .

٢ - والتلمذة لیسوع مظهرها الطاعة. فهي تتمثل فى إطاعة وصايا «يسوع» . إن التلميذ الحقيقى هو الذى يحفظ وصايا الله كما قدمت فى «يسوع» . فكيف تكون هناك تلمذة ما لم تتمثل فى الطاعة ؟ إن الذى يريد أن يكون تلميذاً عليه أن يقبل سلطان معلمه . والذى يريد أن يكون تلميذاً لیسوع عليه أن يقبل سلطان يسوع . ويجعل وصاياه ناموس حياته . فطالما نتمسك بذاتيتنا وتريد أن نسلك كما نهوى ، لن نكون تلاميذ يسوع . فالتلمذة تقتضى الخضوع وتقوم على أساس الطاعة ..

٣ - والتلمذة هى شىء مرتب من قبل . لقد أعطى الله للإبن الحبيب أولئك التلاميذ . وفى مخطط الله عين له تلاميذه . هنا نصطدم بعقيدة الاختيار المسبق . ولكننا لا نقصد أن نقول إن الله عين البعض ليكونوا تلاميذ ، والبعض الآخر ألا يكونوا تلاميذ . إن هذا لا يعنى اختياراً للتلمذة ، واختياراً لرفض التلمذة . ولكن دعنا نقدم مثلاً واقعياً للتوضيح .

فقد يكون للإنسان ابن . وحول هذا الإبن تدور أحلام الأب . أحلام عظيمة لأسم كبير ومركز ممتاز فى المجتمع ، وبتصور نبي فى الحيال . ولكن الإبن يستطيع بمحض إختياره أن يرفض طريق الأب ، ويحطم أحلامه ، ويتخذ لنفسه الطريق الذى يختاره .

... أو نجد يكون معلم فى هذه المرة ، يتوسم فى تلميذ له علامات النجاة فيتوقع له المستقبل الزاهر ، والمركز الاجتماعى العظيم فى خدمة الله ، والمجتمع .



ولكن التلميذ قد يرفض الطريق المرسوم، ويتكاسل عن الاجتهاد، وينتهي إلى الفشل .

إن كنا نحب إنساناً، فإننا نحلم الأحلام العريضة عن ذلك الإنسان ، ونخطط لمستقبله . ولكن هذه الأحلام والخطط قد تفشل كلها . وعن الفريسيين نقول إنهم كانوا يؤمنون بالقدر ، ولكنهم آمنوا أيضاً بجزية الإرادة، ومن أقوالهم : « كل شئ معين بترتيب إلهي ، عند مخافة الله » . إن الله خطته .. برناجه ، ترتيبه لكل نفس بشرية ، والمسئولية علينا في قبول هذه الخطة ، وذلك الترتيب ، أو عدم قبوله ، إننا حقاً لسنا في أيدي القدر ، ولكن في أيدي الله . وكما يقول أحدهم « إن القدر معناه طريق الله الذي علينا أن نسلكه باختيارنا » . إننا لانستطيع أن نفلت من قبضة الأقدار ، ولكننا نستطيع أن نرفض أو نقبل الطريق المرسوم أمامنا .

خلال هذه الفقرة ، بل بين سطور الأصحاح بجملته ، نستمع إلى نعمة الثقة الكاملة، عن المستقبل في حديث «يسوع» . إنه مع تلاميذه .. مع أولئك الذين أعطاهم الآب له .

وهو يشكر الله من أجلهم . ولا يساوره شك في أنهم سيحملون الرسالة التي جاء ليقدمها .. سيحملون المشعل . بعد أن تنتهي خدمته بالجسد تذكر من كان هؤلاء، كما يقول مفسر كبير « لم يكونوا أكثر من أحد عشر جليلاً من البسطاء ، عمل معهم ثلاث سنين ولكن كانت في هذه الكفاية في هذه الحفنة البسيطة القليلة ، رأى يسوع القوة الكامنة، لاستمرار عمل الله في الأرض » .

وحينما ترك «يسوع» هذا العالم ، لم يكن من الظاهر أن البذور التي يذرهما في التربة ورواها بدم قلبه ، سيقدر لها أن تظهر للوجود ، وتوثق ثمارها .

لقد بدا وكأن يسوع قد حقق نجاحا قليلا ، وفشلا أكثر . فهو لم يشق طريقه وسط دوائر الارستقراطية الدينية . ولم يؤمن به واحد من الرؤساء . بل إن أحبار الهيكل وكهنته ، وكبار الفريسيين من أعضاء مجمع السنهدريم . قد ثاروا عليه .

ولكنه كان ممتلئا بالثقة الكاملة النابعة من الله . لقد بدأ بداية صغيرة . ولكنه كما قال : «أليست الحميرة صغيرة ومع ذلك تخمر العجين كله ؟ وأليست حبة الخردل صغيرة ، ومع ذلك إذا دفنت في التربة تصبح شجيرة تتناول إلى الأشجار الكبيرة ، حتى أن طيور السماء تأتي وتتاوى في أغصانها؟ إن يسوعنا لم يخش البدايات الصغيرة . لقد كان متفائلا إلى أبعد الحدود لأنه كان يخترق الحجاب ، ويرى المستقبل . وكأنه يقول : « يكفيني أحد عشر رجلا .. وبهذا العدد الضئيل مع الإيمان بالله ، أستطيع أن أخير العالم كله » .

لقد كان هناك أساسان يعتمد عليهما «يسوع» : الإيمان بالله والإيمان بالإنسان ، كان يشق بالله ، وكان يشق أيضا بالإنسان . وإنه لمن أقسى الدعائم التي تسندنا في الحياة ، أن نعرف بأن يسوع قد وضع ثقته في أناس نظيرنا . وعلى ذلك ينبغي ألا نخور عزائنا أيام الضعف البشري ، أو البدايات الصغيره . ينبغي أن يكون رائدنا نفس الإيمان الذي كان يملأ نفس يسوع : الإيمان بالله ، والإيمان بإخوتنا في الإنسانية . . .

فإن كنا نضع ثقتنا في الله ، وفي البشر : فإن إمكانيات الحياة بين أيدينا تصبح بلا حدود .

## صلاة يسوع لأجل تلاميذه

مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ . لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ بَلْ  
مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لِأَنَّهُمْ لَكَ . وَكُلُّ مَا هُوَ لِي  
فَهُوَ لَكَ . وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي وَأَنَا مُمَجِّدٌ فِيهِمْ . وَلَسْتُ  
أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ . وَأَمَّا هَوْلَاءُ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ . وَأَنَا آتِي  
إِلَيْكَ . أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ أَحْفَظْهُمْ فِي أَسْمِكَ الَّذِينَ  
أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ . حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ  
فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي أَسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي  
حَفِظْتُهُمْ وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ابْنُ الْهَلَاكِ لِيَتِمَّ  
الْكِتَابُ . أَمَّا الْآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ . وَآتَكَلَّمُ بِهِذَا فِي  
الْعَالَمِ لِيَكُونَ لَهُمْ فَرَحِي كَامِلًا فِيهِمْ . أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ  
كَلَامَكَ وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي  
أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ . لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنْ  
الْعَالَمِ . بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشَّرِيرِ . لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ .

كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ . قَدَّسْتُهُمْ فِي حَقِّكَ .  
كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ . كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا  
إِلَى الْعَالَمِ . وَلِأَجْلِهِمْ أَقْدَسُ أَنَا ذَاتِي لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا  
مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ

( يوحنا ١٧ : ٩ - ١٩ )

هذه الفكرة غنية مكتنزة بالحق، حتى أننا لن نفعل أكثر من تقديم  
تأملات خاطفة بين سطورها .. فهي نخبرنا قبل كل شيء عن تلميذ  
يسوع ...

١ - فالتلميذ هو عطية الأب للابن . ماذا يعنى هذا ؟ معناه أن روح  
الله يحرك القلوب لتستجيب لنداء « يسوع » .

فحينما تلهب قلوبنا في دواخلنا ، ونستسلم لجاذبية محبته ، فهذا هو ثمر  
عمل الروح في قلوبنا .

٢ - وعن طريق هذا التلميذ يتمجدة يسوع . فالمرضى الذى ينال  
الشفاء العاجل بمجد الطيب الماهر . والطالب النابعة بمجد أستاذه . والرياضى  
بمجد مدربه . إن أولئك الرجال الذين افتقدتهم « يسوع » فأنقدهم ، وافتداهم  
ومجدهم في حياة نقية عاملة ، هم الذين يمجدونه ... إن الفاسد حينما  
يتحول إلى قديس .. والخائر حينما يمتلئ شجاعة وقوة .. والسكير يوم  
يحطم عنه قيود الخمر ، إن هي إلا أمثلة تمجد رب النعمة .

٣ - والتلميذ هو إنسان كلف بعمل ومهمة . وكما أرسل الله « يسوع » إلى  
العالم برسالة الخلاص ، هكذا يرسل « يسوع » تلاميذه . وهنا نجد تفسيراً

لنكير محير يبدو لنا في هذه الفقرة . فيسوع يقول إنه لا يطلب من أجل العالم . ومع ذلك نعرف أنه أتى إلى العالم ، لأن الله أحب العالم . ترى هل نجد تناقضاً بين الفكرين ؟ أعتقد أن مفتاح حل هذا المشكل نجده في كلمة العالم .

ولعلنا قد عرفنا معنى الكلمة في قاموس البشارة الرابعة . فالعالم في عرف «يوحنا» هو المجتمع ، أو مجموعة المجتمعات ، التي رتبت كيائها على أساس عدم الاعتراف بالخالق ، وبالتالي عدم الخضوع له .

وعلى ذلك فإن «يسوع» يرسل تلاميذه إلى مثل هذا العالم ، لإرجاعه إلى الله . فهو يصلي من أجل هؤلاء الرسل أو التلاميذ ، لكي ينجحوا في مهمتهم ، ويكسبوا العالم إلى صفه .

وعلاوة على ما تقدمه الفقرة التي أمامنا عن تلميذ «يسوع» ، وعمله ، واهتمام السيد في الطلب من أجله ، فإنها تخبرنا عما يقدمه السيد لتلاميذه .  
١ - فهو يقدم لتلاميذه الفرح .. فرحه الكامل المجيد . إن كل ما يقدمه يسوع إلينا كفيل بأن يجلب الفرح لنفوسنا .

٢ - ولكنه يتقدم إليهم بالتحذير . إنه يقول لهم إنهم ليسوا من العالم . وإنهم بسبب مغايرتهم للعالم ، لن يجدوا منه سوى النفور والبغضة والإضطهاد . إن معاييرهم هي معايير الحق ، ومكاييل العالم هي مكاييل البطل . إن مثالهم في إله الحق ، ومثال العالم يكن في رئيس هذا الدهر . إن بضاعتهم الحياة الأبدية ، وبضاعة العالم شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة . إن مفاهيمهم تختلف بالكلية عن مفاهيم العالم . لذلك لن ينتظروا طريقاً مفروشاً بالورد ، ولكنهم حتى في صراعهم مع العالم ، سيملاً الفرح قلوبهم . إله فرح الصراخ ، فرح الوقوف في وجه التيار ، وبالتالي . فرح الانتصار . إننا بوقوفنا في وجه عداوة العالم ، نختبر الفرح الإلهي الغامر ..

٣- زيادة على ذلك، يعلن السيد في هذه الفقرة عن أعظم حق له، فهو يصلى قائلاً للآب : «كل ماى فهو لك ومالك فهو لى» . أما الجزء الأول من هذه الآية الغريبة، فهو طبيعى ومنطقى، لأن كل شىء من الله ، وهو بالتالى ملك له ، وقد تكرر على لسان «يسوع» أكثر من مرة . ولكن الجزء الثانى من الآية هو الذى ينادى بحق عجيب . وكما يقول «لوثر» « منذا يستطيع أن يقول للجلال الإلهى كل مالك هو لى ؟ أى مخلوق يتجاسر وينادى بهذا الحق ؟ إن لم يكن هو الله » . إن هذا التصريح عن ذلك الحق الأسمى الأجد ، يشير بمنطق لا يقبل الجدل أو المناقضة ، إلى وحدة يسوع مع الله .. إلى جوهره المساوى للآب . إن «يسوع» واحد مع الله حتى أن له سلطان الله ، وأجداد الله ، وحقوق الله .

### صلاة يسوع لأجل تلاميذه

( يوحنا ١٧ : ٩ - ١٩ )

وهذه الفقرة غاية فى الأهمية . وأهميتها تكمن فى أنها تقدم لنا صورة لصلاة يسوع من أجل تلاميذه ، ومطالب تلك الصلاة .

١ - فىسوع لم يطلب من الآب أن ينتزع تلاميذه من هذا الوجود . إن يسوع لا يصلى أبداً ليهرب اتباعه من الميدان . إنه يطلب بالحرى أن يجابه أتباعه متاعب المعركة ، ويقاوموا ماوسعهم أن يقاوموا بأسلحة الروح ، ويتوجوا فى النهاية بالنصر الأكيد . إن المسيحية التى تنعزل بعيداً عن الميدان ، ليست المسيحية التى ينادى بها «يسوع» . إن «يسوع» لم يطلب ليدفن اتباعه أنفسهم فى المغائر؛ والبرارى ، والأديرة والصوامع . فهذا النوع من التدين كان أبعد من أن يلقبه «يسوع» بالمسيحية .

إن المسيحية التي تدور في دائرة التعيد ، والتأمل ، والدراسة وكنى ، في دوائر تعزل العالم، يرى فيها السيد فيها ناطقاً لرسالة المسيحية الحقة، التي من أجلها طأطأ أمجاده ، وفي سبيلها تحمل . إن مسيحتنا ينبغي أن تظهر لا في العزلة والتوحد ، بل في البيت . . في الشارع . . في مكان العمل ، وسط صخب الحياة وضجيجها ومتاعها . صحيح إننا بحاجة إلى فترات نختل فيها مع الله . . فترات نخلو فيها مع أنفسنا ومع إلها . . ، فترات نغلق فيها الباب بيننا وبين العالم . مطيعين قول السيد « أدخل مخدعك وأغلق بابك » ولكن هذه ينبغي أن تكون وسيلة لا غاية . إنها ليست هدف الحياة المسيحية . إنها الطريق الذي يوصلنا إلى ذلك الهدف . أما ذلك الهدف ، فهو إظهار الحياة المسيحية الصادقة ، في حياتنا العملية وتصرفاتنا . حينما كان بطرس ويعقوب ويوحنا مع المسيح على جبل التجلي ، ورأوا لحة من أمجاد السيد ، قال بطرس : « جيد يارب أن نكون ههنا » ، ولكن سرعان ما اختفى المشهد وإذا بالرب ينزل بهم إلى وادي الخدمة ليخففوا آلام ابن معذب ، وأحزان أب متألم .

فالمسيحية الحقة ، لا تهدف إلى عزلنا عن المجتمع . إن هدفها هو تجهيزنا وإعدادنا وإمدادنا بالسلاح لمجابهة المجتمع . إن المسيحية لا تمهد لنا سبيل الهروب من المشكلات . إنها تقدم لنا المفتاح لحل المشكلات . إن المسيحية لا تقدم لنا سلاماً زائفاً مبنياً على الهروب والإنزواء . إنها تقدم لنا معركة نهايتها النصر . المسيحية لا تمهد لنا فراشاً خالياً من المتاعب . إنها تقدم لنا حياة نجاحه فيها متاعبنا فننتصر عليها . ومع أنه من الأمور الصحيحة أن المسيحي ليس من العالم ، إلا أنه ليس من العالم ، ليمتلك القوة التي تؤيده ليكتصر على العالم . فمسيحيته لا بد وأن تظهر في الوسط الذي يعيش فيه . . لا بد

وأن يعيشها في المجتمع وليس بعيداً عنه . إن علينا لا أن نهجر العالم بل لنعمل  
لنكسب هذا العالم .

٢- ولقد طلب يسوع لأجل وحدة تلاميذه . لقد كانت طلبته أن يكونوا  
واحداً ، كما أنه هو والآب واحد . لقد طلب أن يعيشوا لا كوحيدات بل  
كوحدة فحيث هناك انقسامات . . . حيث توجد تحيزات . . . حيث تسود  
منافسات رديئة . . . حيث يكون تشويش وعدم سلام ، فإن دعوة المسيحية  
تضار وتعطل رسالتها ، ولا يتحقق رجاء «يسوع» في طلبته من أجل الوحدة ،  
حتى في المجتمع الواحد . . . في الكنيسة الواحدة ، لا يمكن تقديم رسالة  
المسيح لأعضاء منقسمين يجارب أحدهم الآخر ، لا يمكن ، تنصير العالم  
واكتسابه للمسيح ، بكنائس يطعن أحدها في الآخر .

وهكذا صلي «يسوع» طالباً من أجل وحدة تلاميذه ليكونوا واحداً كما  
أنه والآب واحد . ونقول مع الأسف ، إنه لا توجد صلاة تقدم بها «يسوع» ،  
وتعطلت عن أن تتم بسبب المطامع والحزبيات والذات ، قدر ما تعطلت  
هذه الصلاة . ألفا عام مرت عليها ، ولم تتحقق حتى الآن .

٣- لقد طلب «يسوع» لأجل حماية تلاميذه من مهاجمات عدو الخير . إن  
الكتاب المقدس ليس كتاب فلسفة . إنه لا يتجه إلى دراسة مشاكل  
فلسفية مثل نشأة الشر وأصله وغير ذلك . ولكنه لا ينكر بأن في  
الوجود قوة شريرة هدامة تناقض قوة الله للصلاح والبناء . . .  
قوة تحاول إغراء الناس لتبعدهم عن السلوك في طريق الصواب ، وتدفعهم  
إلى طريق الأثم . . . وإنه لأمر جميل يرفع الإنسان ويسمو به ، حيناً يوقن  
بأن الله يسهر عليه حارساً ، وحافظاً ، ومدافعاً ، ضد قوى الشر  
ومهاجمات الشيطان . إن مرسقوطنا في بعض الأحيان ، هو أننا نحاول أن نجابه



الحياة متاعها وضائقاتها، بقوانا الذاتية، بدلا من الأتكال على ذراع الله ، والثقة بأن القدير إلى جوارنا يعضدنا ويرفعنا ويدافع عنا .

٤- وضمن صلاته، طلب أيضاً، أن يتقدس تلاميذه في الحق . والأصل في كلمة يتقدس هو « هاجيا زين » أو « اجيازين » وهي مشتقة من لفظة « اجيوس » ولقد ترجمت الكلمة « اجيوس » في الترجمة الإنجليزية المعتمدة كما في ترجمة فان ديك العربية ، قدوس . ولكن المعنى الرئيسي هو مفرز أو مختلف - إذا كان هناك شيء نصفه بكلمة اجيوس فهو معناه مختلف عن نظائره وعن غيره من الأشياء العادية .

وهكذا فإن كلمة « أجيازين » تقدم لنا معنيين :

(أ) المعنى الأول فرز الشيء وعزله لعمل معين . فحينما دعا الله أرميا قال له « قبلما صورتك في البطن عرفتك . وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب » (أرميا ١ : ٥) . حتى قبل أن يتكون أرميا ، قبل أن يولد ، كان له مكانه في برنامج الله ، وكان مخصصا لعمل معين . وحينما كان الله يوضح أساس الكهنوت في إسرائيل ، أمر «موسى» بأن يفرز أبناء هارون ويقدهم للخدمة في وظيفة الكهنوت (خروج ٢٨ : ٤١) . هنا نرى أيضاً أبناء هارون يفرزون لقصد معين وخدمة معينة .

(ب) ولكن « أجيازين » لا تعني فقط الفرز لأجل خدمة خاصة وعمل معين ، إنها تعني أيضاً تهيئة الانسان وإعداده عقليا ، وقلبيا ، بالصفات والمواهب اللازمة له للقيام بهذا العمل . إن فرز إنسان لعمل معين ، يقتضى أن تكون له المواهب التي تؤهله لهذا العمل . وتكريس الإنسان لعمل الله ، يقتضى أن يتزود هذا الإنسان بصلاح الله وحكمة الله . إن من يخدم الإله القدوس ، ينبغي أن تكون له قداسة الله ، والخدام ينبغي أن يحمل طابع سيده . وعلى

هذا الأساس فإن الله لا يختار الإنسان لخلعته وكفى ، لكنه بعده إعداداً كافياً  
بالصفات والمؤهلات التي تعينه لإتمام هذه الخدمة .

ينبغي أن تضع على الدوام في ذاكرتنا ، أن الله قد اختارنا وكرسنا وأعدنا  
لخدمة مجيدة . وهذه الخدمة أن نجبه ونطيعه ونجتذب الآخرين ليكونوا  
ضمن دائرته . وعلينا أن نذكر أيضاً أن الله لا يتركنا بمفردنا للقيام بهذه  
الخدمة في قوتنا الذاتية الواهية . ولكنه في نعمته ، يعدنا لهذا العمل الكبير  
ويؤيدنا بروحه وبنعمته ، إن سلمنا حياتنا بكل خضوع بين يديه .

## لمحة من المستقبل

وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً مِنْ  
أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ .. لِيَكُونَ الْجَمِيعُ  
وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا  
هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي .

(يوحنا ١٧ : ٢٠ - ٢١)

وهنا نرى «يسوع» يوسع دائرة صلواته لتشمل أقاصي الأرض. في البداية نراه يصلي لأجل ذاته وشبح الصليب يبدو ماثلاً أمامه . ثم نراه يطلب من أجل تلاميذه لكي يؤيدهم الله بقوته ورعايته . ولكننا نستمع إليه في هذه الفقرة ، يفتح أحضانه ليضم المستقبل البعيد ، والأجيال القادمة . إنه يطلب لأجل أولئك الذين في أماكن بعيدة ، وأجيال آتية ، يقبلون حقه ، ويستسلمون لعمل نعمته ، ويدخلون في دين الله أقواجاً ..

وفي هذه الفقرة ، نرى صفتين متميزتين تتضحان عن «يسوع» : فأمامنا قبل كل شيء ثقته العظمى وإيمانه الكامل الذي لا يتزعزع ، وهو يطلب من الآب لأجل كل من يؤمن باسمه . وهذه الفقرة ينبغي أن تكون ثمينة في أنظارنا ، عزيزة على قلوبنا ، لأنها صلاة «يسوع» لأجلنا .

الأمر الثاني نرى في «يسوع» ثقته الكاملة في أتباعه . لقد كان يعلم أنهم بعد فترة قصيرة سيهجرونه في أقسى ساعات الحاجة . ولكن إلى نفس

أولئك الرجال اتجه ، واثقا كل الثقة ، من أنهم سيقومون بنشر الإسم المقدس في كافة أرجاء المعمورة .

إن أسمى ما يميز حياة «يسوع» ، هو ثقته الكاملة في الله، وثقته في البشر

وماذا كانت طلبته لأجل الكنيسة ؟ لقد طلب من الآب أن تكون واحدة فيه ، كما أنه هو والآب واحد . وما هو نوع الوحدة التي من أجلها يطلب يسوع ؟ إنها ليست وحدة تنظيم . وليست وحدة نظام كنسي معين ، إنها وحدة صلة وعلاقة ذاتية . فالوحدة الكائنة بين «يسوع» وبين الآب تبدو في مظهرين : المحبة والطاعة ...

وهكذا ، فإن الوحدة التي يريدها لكنيسته العتيدة هي وحدة يربطنا فيها جميعاً رباط المحبة والتضامن .

إنها ارتباط القلب بالقلب . هذه الوحدة لا تعنى على الإطلاق ، الإنضواء تحت لواء هيئة معينة ، أو طائفة خاصة ، أو مذهب له صفته المميزة ، ولكنها تعنى الإنضواء تحت علم المحبة . وحدة فيها يجب أحداً الآخر حتى إن كنا نحفظ بطاعتنا الخاص . إنها لا تعنى عبادة الله بطقوس واحدة معينة ، وبفكر واحد مرتب ، وبعقيدة واحدة ثابتة .

ولا تعنى أن نقيم أماكن عبادتنا على نمط واحد ، أو نجتمع في مكان واحد . ولكن الوحدة المقصودة تتخطى كل هذه الشكليات ، وتسمو على هذه الفروق ، في روح المحبة المتبادلة ورباط التضامن . إن رجاء وحدة للمسيحية في عصرنا الحاضر ، قد تعثر وأصيب بصدمة كبرى ، لأن كل واحد يجب عقيدته ، يجب تقاليده . . يجب مفهومه الخاص لكلمة الله ، أكثر من محبه لأخيه .

إن كنا نحب حقاً أحدنا الآخر كما نحب سيدنا ، فإننا لن نغلق الباب في وجه أخ من طائفة أخرى ، ولن نمنعه من الجلوس إلى مائدة أبيه – المحبة الإلهية فقط ، المحبة وليس سواها ، هي التي تحطم الحواجز التي أقامتها الطائفية ، لخدمة هيئات المحترفين للدين ، واكتناز مخازنهم وامتلاء بطونهم ، وإثرائهم على حساب أشلاء جسد المسيح الممزق ..

زد على ذلك، فإن هذه الوحدة كما رآها «يسوع»، هي التي تقنع العالم بحق المسيحية، وبمركز المسيح في الكنيسة. إن روح البشر تتجه إلى التنافر والإنقسام أكثر من التآلف، وهذا طبيعي. فالإنقسام يخدم الذات والغرور، ويشيع كبرياء القلب. شئ يتفق مع الطبيعة البشرية أن أهجر أخى وأفتر منه. وعلى ذلك فالوحدة المسيحية الحقيقية التي يقدر لها أن تلوم وتثبت، هي وحدة فوق طبيعة الإنسان تحتاج إلى مفهوم يسمو على تفكيره، ومن الأمور المؤسفة، أن رؤساء الطائفية، يبذلون أقصى ما يبذلون من جهد، ليقبموا أمام العالم واجهة متنافرة منقسمة، تعطى العالم فكرة رديئة عن المسيح وعن المسيحية، بدلا من بناء يقوم على أساس المحبة، ويقدم رسالة المسيح واضحة أمام البعيدين. إن على الرؤساء يقع كل العبء.. وما أحرى الشباب الناضج المفتتح المؤمن بالمسيح الواحد، أن يقوم من جانبه، بما لا يستطيع أن يقوم به رؤساء الطائفية ودعاتها، ويمد يد الإخاء والتضامن والمحبة لأخوته في كل مكان، وفي كل طائفة. ونحن نشكر الله لأجل حركات مثل هذه، قد بدأت تظهر للوجود في كثير من الجمعيات الدينية ونرجو أن يطغى هذا التيار الجديد على كافة المجتمعات المسيحية.

## العطية وموعد المجد

وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا  
وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا  
مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ  
كَمَا أَحْبَبْتَنِي. أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَلاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي  
يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي  
أَعْطَيْتَنِي لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. أَيُّهَا الْآبُ  
الْبَارُّ إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفِكَ. أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ وَهُوَلاءِ  
عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَفْتُهُمْ أَسْمَكَ وَسَاءَ عَرَفْتُهُمْ  
لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونُ أَنَا فِيهِمْ  
( يوحنا ١٧ : ٢٢ - ٢٦ )

يقول أحد المفسرين القدامى، في معرض تعليقه على هذه الفقرة : « آه ما  
أعظم الأجماد المنخرة للمؤمن بالمسيح » وهذا حق . فهذه الفقرة تتحدث  
عن الأجماد التي أعطاها « يسوع » لتلاميذه ، والتي يطلب من أجلها .

وقبل كل شيء ، يتحدث « يسوع » قائلا ، إنه أعطى تلاميذه المجد الذي أعطاه

الآن إياه . دعونا نحاول أن نستجلى غموض هذه الحقيقة . ترى ما هو  
مجد « يسوع » ؟

هناك ثلاث طرق تحدث عنها « يسوع » كأنما تعلن أجماده :

(1) الطريق الأول الصليب . إن « يسوع » لم يتحدث عن الصليب كهوان أو  
عار، بل تحدث عنه كأمجاد . إنه لم يخبر تلاميذه أنه سيصلب ، لقد تحدث  
إليهم بأنه سيتمجد . لذلك ينبغي أن تكون هذه نظرنا للآلام والتجارب  
الحارقة التي قد تصادفنا، إن كنا نحمل صليبنا، لنعرف أن في ذلك الصليب  
مجدنا . كما قال جورج مائيسون .

« أيها الصليب .

يا رافع نفسى إلى العلا .

إنى لن أطلب النزول عنك .

بل سأدفن في التراب مجد الحياة الزائل ..

ومن أعماق القبر سوف تنفتح لى ..

ورود الحياة الأبدية » ..

فينبغي ألا ننظر أن الصليب الذى يوضع على كاهلنا عقاب لنا . ينبغي  
أن نكتشف فيه مجدنا . وسواء كان ذلك الصليب واجباً نكلف به ، أو  
ضائقة نجتازها، أو تجربة نتعرض لها ، لنعرف أن ذلك لرفعتنا . وكلما كان  
الصليب أثقل، كان اخذ أعظم . إننا كثيراً ما نقول إن ذلك العبء لن  
يقوم به إلا هو لا سواه . يكفيننا فخراً أن نعامل نظير سيدنا، وأن نأخذ  
مكاننا إلى جواره، حتى على تلة الجلجثة : ولذلك إن كان الطريق يبدو وعراً  
لأقدامنا ، شاقا علينا ، لنثق أنه نفس الطريق الذى سلكه سيدنا وفادينا .

(ب) الطريق الثاني للمجد كما يراه يسوع ، هو طريق الطاعة . لقد كانت حياته مثال الطاعة الكاملة للآب . وفي طاعته كانت أجماده . إننا لن نصل إلى أجمادنا ، كرامتنا .. سمونا ، في السير على هوانا ، ولكن في عمل إرادة الله . حينما نشق طريقنا بارادتنا وكما نهوى، نجد في النهاية الضيق والألم والحزن لأنفسنا ولمن حولنا . ولكن حينما نختار إرادة الله ، وتقبلها بكل اتضاع ، وتمثلها في حياتنا ، نصل عن طريق إطاعتها إلى قمة مجدنا . وكلما كانت طاعتنا أعمق وأعظم ، كان مجدنا أسمى وأرفع .

(ج) الطريق الثالث للوصول إلى المجد ، كما رآه «يسوع» وتمثل عن صدق في حياته ، يكن في شركته العميقة مع الله . في حياة «يسوع» .. في أعماله . . في أقواله في تعاليمه . . في معجزاته ، استطاع الجميع أن يعرفوا عمق شركته مع الآب السماوي : لقد رأوا فأقروا أنه لا يمكن أن يحيا إنسان الحياة التي يحياها، ما لم يكن قريباً من الله، في شركة قوية معه . إن مجدنا يتألق بنور أسمى ، حينمانعكس نور الله في حياتنا . إننا نتمجد ونسمو في أنظار الآخرين ، حينما يرى الناس في الخدمة التي نقوم بها ، في روح المحبة التي نظهرها، والتضحيات التي نقدمها ، إنعكاس محبة الله وخدمته، وتضحيته . وكما كان الأمر مع المسيح ، هكذا نكون أيضاً : لن نصل إلى مجدنا، إلا إذا أبصر الآخرون حياة الله فينا .

الأمر الثاني الذي نكتشفه بين سطور الفقرة التي أمامنا ، هو أن «يسوع» يريد أن يكون تلاميذه حيث يكون هو في السماء ، ليروا الأجماد السماوية التي له . ولعله من أقوى بنود الإيمان المسيحي أننا لا بد وأن نشارك المسيح كل اختباراته . فإن كنا نشترك معه في صليبه وهوانه ، فلا بد أن نشترك أيضاً معه في أجماده . وكما يقول رسول الأمم « صادقة هي الكلمة إن كنا



قد متنا معه فسنجياً أيضاً معه . إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه . ( ٢ )  
تيموتاوس ٢ : ١١ ، ١٢ ) . إننا في هذا العالم في أسمى حكمتنا نرى  
كل شيء منعكساً أمام أنظارنا كما في مرآة سحرية . ولكننا سنبر كل  
شيء هناك وجها لوجه . ( ١ كورنتوس ١٣ : ١٢ ) .

وما الفرح الذي نختبره في حياتنا الروحية في شركتنا مع الله ، إلا  
قطرة من أنهار الفرح المدخر لنا هناك . وها هو وعد «يسوع» لنا أننا إن كنا  
نشترك معه في آلامه .. في هوانه .. في عاره .. في تجاربه .. في صليبه  
على الأرض ، فإننا لا بد وأن نشترك في أمجاده وانتصاره ، حينما تنتهي رحلتنا  
على الأرض . وأي وعد أعظم من هذا الوعد ؟

ومن هذه الصلاة قام «يسوع» على التو ، ليلتقى بالغير والحيانة والمحاكمة  
والصليب . لقد انتهت سويغات الحديث ، وستأتي ساعات التجربة والموت .  
ولنذكر أنه قبل أن يطبق ظل الموت بمرارته ، كان حديث «يسوع» لتلاميذه  
نمئذ بالفرح ، فائضا بالإشراق والرجاء ، معلنا الأجداد العتيقة .

## الْأَصْحَاحُ الثَّامِنُ عَشَرَ

### إِلْقَاءُ الْأَيْدَى فِي الْبَيْتَانِ

قَالَ يَسُوعُ هَذَا وَخَرَجَ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى عِبْرِ وَاْدَى  
قَدْرُونَ حَيْثُ كَانَ بَيْتَانُ دَخَلَهُ هُوَ وَتَلَامِيذُهُ وَكَانَ  
يَهُودًا مُسَلِّمُهُ يَعْرِفُ الْمَوْضِعَ . لِأَنَّ يَسُوعَ اجْتَمَعَ هُنَاكَ  
كَثِيرًا مَعَ تَلَامِيذِهِ . فَأَخَذَ يَهُودًا الْجُنْدَ وَخُدَامًا مِنْ  
عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيْسِيِّينَ وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ  
وَمَصَابِيحَ وَسِلَاحٍ . فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ  
مَايَأْتِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ تَطْلُبُونَ . أَجَابُوهُ يَسُوعُ  
الْنَّاصِرِيُّ . قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَنَا هُوَ . وَكَانَ يَهُودًا مُسَلِّمُهُ  
أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ إِنِّي أَنَا هُوَ رَجَعُوا إِلَى  
الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ . فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا مَنْ تَطْلُبُونَ .  
فَقَالُوا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ . أَجَابَ يَسُوعُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ  
إِنِّي أَنَا هُوَ . فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هَؤُلَاءِ يَذْهَبُونَ .

لِيَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أَهْلِكْ  
مِنْهُمْ أَحَدًا

ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بُطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ فَاسْتَلَّهُ  
وَضْرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى . وَكَانَ اسْمُ  
الْعَبْدِ مَلْخَسَ . فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي  
الْعِمْدِ . الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ أَلَا أَشْرَبُهَا .

( يوحنا ١٨ : ١ - ١١ )

بعد أن فرغ المسيح من عشائه الأخير مع تلاميذه ، وبعد أن انتهى  
من حديثه معهم ، وصلاته من أجلهم ، قام مع التلاميذ ليغادر العلية .  
كانت وجهتهم بستان جنسيفاني . واتجهوا إلى بوابة المدينة . ومن خلالها  
هبطوا إلى الوادي وعبروا النهر الصغير لنهر قدرون .

هناك لابد أنهم شاهدوا صورة رمزية تجرى أمام أنظارهم . فقد كان  
ذلك وقت ذبح حملان العيد . وكانت دماء حملان الفصح ترش على المذبح  
تقدمة لله . كان عدد الحملان كثيراً جداً . ويروى التاريخ أنه في فرصة  
لاحقة ، بعد ثلاثين عاماً من صعود المسيح ، وصل عدد الذبائح التي  
قدمت في عيد الفصح ، إلى ما يزيد على ربع مليون رأس من الغنم . ولنا أن  
نتصور ساحة الهيكل العارفة في دماء هذا العدد الهائل<sup>(١)</sup> من الذبائح .

(١) لمن يريد الاستزادة بالتأمل في صورة من أصدق الصور التي رسمتها ريشة كاتب عن  
جمعة الآلام والأحداث التي مهدت لها ليقرأ كتاب : « اليوم الذي صلب فيه المسيح » .

ومن المذبح كانت هناك قناة في الصخر، توصل إلى مجرى نهر قدرون .  
وخلال هذه القناة كانت تجري الدماء لتختلط بمياه النهر . وحين كان يسوع ،  
يعبر المجرى مع تلاميذه ، لا بد أن المياه كانت حمراء اللون ، ولا بد أنه طافت  
بخطره صورة دمائه السائلة على تلة الجلجثة .

وبعد أن عبرت الجماعة الصغيرة وادي قدرون، صعدت إلى جبل  
الزيتون . وفي سفح الجبل كانت هناك ضيعة جثسياني أو بستان جثسياني .  
أما ذلك الاسم فمعناه معصرة الزيت ، حيث كانوا يحضرون ثمار الزيتون من  
أشجاره التي تنمو في الحدائق المجاورة ، لتعصر ويستخرج منها الزيت . وكان  
لأكثر من واحد من آثرياء أورشليم ، بستانه الخاص في تلك البقعة ، لأن  
رقعة المدينة الضيقة ، ما كانت لتسع لذلك ، وما كانت تصلح أرضها الصخرية  
لهذا الغرض ، لأن أورشليم تقوم على جبل . زد على ذلك أن هناك موانع  
شرعية كانت تمنع قيام الحدائق في المدينة المقدسة . فما كان مسموحاً  
جلب السجاد « النجس » لتلويث الأرض وتنجيسها .

لهذا السبب اختار الأثرياء الأراضي الواقعة خارج دائرة أورشليم ،  
وأقربها سفح جبل الزيتون . وحتى يومنا الحاضر ، يستطيع السائح المسيحي  
أن يشاهد بنفسه حديقة على سفح الجبل ، يتعهد بها الأخوة الفرنسيسكان ،  
وفيها تقوم ثمانى شجرات عتيقة من أشجار الزيتون ، يقول عنها « ه . ف .  
مورتون » ، إنها أصبحت أكثر شها بالصخور ، منها بالأشجار الحية . فهي  
عتيقة جداً ، وربما يرجع تاريخها إلى ما قبل الفتح الإسلامي لفلسطين .  
ولكن لا يمكن للمرء أن يصدق ، أنها نفس الأشجار التي استظل بها المسيح ،  
لأن « نيطس الروماني » ، في حصار أورشليم ، قام بقطع كل الأشجار ، لكشف  
مشارف المدينة للعمليات الحربية ، كما لاستخدامها في صنع الصلبان التي

كان يقوم بصلب الأسرى من اليهود عليها . يكفى أن نقول إن الماشى المتقاطعة الصاعدة سفح الجبل ، هي التي كانت تطؤها أقدام المخلص .

نقول لعل أحد الأثرياء ممن آمنوا بيسوع ، ومن كانت لهم حدائقهم الخاصة ، قد أعطى «يسوع» مفتاح البستان. وغالبا ما كان «يسوع» يصطحب تلاميذه ليقضى سويعات الليل الهادىء هناك، حيث السكينة والسلام والطبيعة الحية . ولقد كان «يهوذا» يعرف البستان . وكان يتوقع أن يجد سيده هناك . فطالما كان «يسوع» فى أورشليم ، كان البستان مكانه المفضل ، أو دار أصدقائه فى بيت عنيا . على هذا الأساس، دبر «يهوذا» خطة للقبض على «يسوع» .

وهناك صورة تدعو للتأمل، فى القوة التي أرسلت للقبض على «يسوع» . يقول عنها «يوحنا» إنها ثلة من الجند مع خدام رؤساء الكهنة والفريسيين . أما الخدام هنا فهم حرس الهيكل . وحرس الهيكل كانت له صفة الضبطية ، وكان منوطاً به حراسة الهيكل ، وكذلك إلقاء القبض على من يخالف الناموس ....

بقيت لدينا كلمة الجند، وفى الأصل «سبيرا» . هذه الكلمة تحتمل معان ثلاثة : فهى كلمة يونانية تطلق على كتيبة من جند الرومان . والكتيبة لا تقل عن سبائة جندى . فإذا كانت الكتيبة إضافية وصل عدد «سبيرا» إلى ما يزيد على ألف من الجند، ومائتين وأربعين من الفرسان . وفى صورة ثالثة ، كانت الكلمة تستخدم نادراً، للإشارة إلى فصيلة صغيرة تصل إلى مائتى جندى .

فلو اتجهنا إلى العدد الأصغر من هذه الصور الثلاث ، نستطيع أن

تكون فكرة عن الجمهور الكبير المسلح الذي أرسل للقبض على نجار جليل  
أعزل .

ولم يكن من العسير جلب هذا العدد من الجنود إلى المدينة المقدسة . أو  
استدعائهم من أماكن بعيدة نظير مدينة قيصرية . فقد كانت قلعة أنطونيا  
التي تشرف على الهيكل تعج بالجنود الرومان ، وخاصة في أعياد الفصح ،  
للمحافظة على النظام وإخماد أدنى ظاهرة للتمرد بين الشعب . ولكن أية  
تحية تعظيم ليسوع المسيح ، وأية صورة تشير إلى قوته ، وبالتالي إلى  
الخوف منه ، لقد أرسلت السلطات جيشاً كاملاً للقبض على إنسان  
واحد . فقد كانت تعرف أنه في هذا الواحد، تكمن قوى معجزية تتحدى  
البشر والحديد والنار .

## إلقاء الأيدي في البستان

( يوحنا ١٨ : ١ - ١١ )

هناك مواقف قليلة في الكتاب تظهر لنا صفات يسوع في ملء جلالها.  
وهذا الموقف أحدها .

١ - فهو يظهر لنا «شجاعة» يسوع . في الصورة التي أمامنا تظهر لنا تحية  
خفية . فالجنود كانوا يحملون المشاعل . ولكن عيد الفصح كان يأتي في  
وقت يكون فيه البدر تماماً، حتى يتحول الليل إلى ما يقرب من النهار . فلماذا  
المشاعل ؟

لقد كانوا يتوقعون أن يجذوا «يسوع» مختبئاً في المغاير .. في الكهوف ..  
في شقوق الصخور ، وهكذا رتبوا أمرهم، على أن يبحثوا عنه لعله يكون  
مختبئاً عن الأنظار . ولكنهم لدهشتهم، شاهدوا «يسوع» يقف أمامهم بلحمه

ودمه ويقول لهم « من تطلبون؟ » وفي دهشة وتلعثم يجيبون « يسوع الناصري » فيقول لهم « يسوع » « أنا هو » إن ذلك الذى ظنوه محتبنا فى المغاير .. ذاك الذى اعتقدوا أنهم سيبحثون عنه فى نور المشاعل بين تلافيف الأشجار .. ذاك الذى قالوا فيما بينهم : « سنتعب أنفسنا فى البحث عنه فى منحنيات الصحور » ، يقف أمامهم فى شجاعة نادرة وتحد صارخ . هنا نرى شجاعة « يسوع » فى مواجهة الأزمات . خلال الحرب الأهلية فى أسبانيا ، قام الأعداء محاصرة لإحدى المدن . وكان من رأى البعض أنه لا جدوى من مقاومة أعداء تفوقهم عدة وعدداً ، وألا مناص من الاستسلام .

لكن قائداً شجاعاً ، قام فى وسط جنده وهتف فيهم « من الأفضل لنا أن نموت واقفين على أقدامنا ، من أن نحيا راكعين على ركبتنا . لقد اختار « يسوع » وقفة البطل ، ونهاية البطل .

٢ - وهو يظهر لنا سلطان « يسوع » : فها هو أمامنا وحيد بلا سلاح . وها فى مجابته جيش كامل مسلح . ولكنه حين يعلن لهم أنه يسوع المسيح ، تراجعون متعثرين ، ويسقطون أمامه . فى نظراته كانت القوة والسلطان التى جعلته فى وحدته ، أقوى منهم جميعاً مجتمعين مسلحين ..

٣ - وهو يربنا أن « يسوع » اختار الموت بنفسه : فقد كان ممكناً له فى ارتباكهم واضطرابهم ، أن ينهز الفرصة ويمتاز فى وسطهم ، دون أن يستطيع أحدهم إلقاء القبض عليه .

ولقد حدث ذلك فى فرصة سالفة ، حيناً أراد اليهود أن يلقوا به فى كفر ناحوم من قمة الجبل المقامة عليه مدينتهم . ولكنه اجتاز فى وسطهم ومضى ، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد . ولكنه فى هذه الفرصة أعان الأعداء على القبض عليه . لقد اختار الموت .

٤ - وهو يكشف عن محبة يسوع : فهو في هذه الفرصة الحرجة .  
هذه الفرصة الحاسمة ، لم يفكر في نفسه . لقد كان تفكيره مركزاً في  
أحبائه . « إن كنتم تريدونني فدعوا هؤلاء يعضون » هكذا قال للجد .  
لقد كان تلاميذه هم شغله الشاغل . وكانت عواطفه بهذه الصورة من نحوهم ،  
حتى أنه نسي الخطر المحدق به ، وتركز اهتمامه كله فيما يحيط بهم من  
أخطار .

هناك أقاصيص تروى عن أعمال البطولة في الحرب العالمية الثانية، لعل  
أروعها قصة بطولة « الفريد سد » المرسل في جزيرة تاراو . فحينما  
استولى اليابانيون على الجزيرة ألغوا القبض عليه، وعلى عشرين آخرين من  
جنود نيوزيلندا الذين يكونون حامية الجزيرة .

وأتى اليابانيون بعلم الاتحاد وفرشوه على الأرض، وطلبوا من المرسل أن  
يسير عليه بقدميه . ولكن المرسل تحاشاه أكثر من مرة، وفي النهاية طواه بين  
يديه وهو يقبله . وحين اقتاد الأعداء الجميع للأعدام، كان المرسل يشجع  
الجنود بكلمات القوة والتعزية ، وتقدم أمامهم ليلتقي بأول رصاصة تطلق  
وهو يهتف هتاف الانتصار . لقد كان يفكر في زملائه أكثر من نفسه .  
وهكذا كانت محبة يسوع لتلاميذه .

٥ - وهو يبين لنا مدى طاعته الكاملة : « الكأس التي أعطاني الآب  
الآن أشربها ؟ » . هذه إرادة الله . وفي هذا الكفاية .

في القصة شخصية نود أن نشير إليها . بكلمة إنصاف ، هي  
شخصية « سمعان بطرس » ، نراه يستل سيفه الواحد في وجه  
مئات السيوف .



وسوف نرى «سمعان» في فرصة لاحقة، يقوم بدور الجبان .، ولكنه في تلك الساعة كان على استعداد أن يقاسى مائة مائة في سبيل سيده . فإن كنا نتحدث عن إنكار «بطرس»، وتراجع «بطرس» ، وجبن «بطرس»، علينا أن نتذكر أيضاً شجاعة بطرس في تلك اللحظة الحاسمة .

## يسوع أمام حنان

ثُمَّ إِنَّ الْجُنْدَ وَالْقَائِدَ وَخُدَّامَ الْيَهُودِ قَبَضُوا عَلَى  
يَسُوعَ وَأوثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ إِلَى حَنَانَ أَوْلًا لِأَنَّهُ كَانَ حَمًا  
فِيآفَا الَّذِي كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . وَكَانَ  
قِيَافَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى الْيَهُودِ أَنَّهُ خَيْرٌ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ  
وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ

فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلَامِيذِهِ وَعَنْ  
تَعْلِيمِهِ . أَجَابَهُ يَسُوعُ أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً . أَنَا  
عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ  
الْيَهُودُ دَائِمًا . وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِتِي . لِمَاذَا  
تَسَأَلُنِي أَنَا . إِسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ . هُوَذَا  
هُؤُلَاءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا . وَلَمَّا قَالَ هَذَا لَطَمَ يَسُوعُ  
وَاحِدًا مِنَ الْخُدَّامِ كَانَ وَاقِفًا قَائِلًا أَهَكَذَا تُجَابِبُ رَئِيسَ  
الْكَهَنَةِ . أَجَابَهُ يَسُوعُ إِنَّ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا

فَاشْهَدْ عَلَيَّ الرَّدِّيَّ وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي . وَكَانَ  
حَنَانٌ قَدْ أَرْسَلَهُ مُوثِقًا إِلَى قَيْافَا رَئِيسَ الْكَهَنَةِ

( يوحنا ١٢ : ١٩ - ٢٤ )

لكي نحفظ تسلسل القصة ، سوف نتأمل في إيجاز في الفقرتين اللتين  
تحدثان عن محاكمة «يسوع» أمام «حنان» ، وسوف نضم أيضاً على نفس  
النمط الفقرتين اللتين تحدثان عن مأساة «بطرس» .

ويوحنا هو الوحيد الذي يحدثنا عن محاكمة «يسوع» أمام «حنان». وقد  
كان «حنان» ، بشهادة «إدرشيم» ، شخصية رهيبة كريمة خدمه الحظ في  
أكثر من موقف . فقد كان القوة الكامنة وراء كرسي الحكم في أورشليم .

واستمر بنفسه رئيس كهنة تسع سنوات كاملة ، من السنة السادسة لميلاد  
المسيح حتى السنة الخامسة عشرة ، وعلى كرسي «موسى» جلس أربعة من أبنائه .  
أما «قيافا» فقد كان زوج ابنته . هذه حقيقة تستحق التأمل . فقد مرت  
حقبة طويلة في تاريخ الأمة اليهودية ، كان رئيس الكهنة يجلس فيها على  
كرسي الرئاسة حتى نهاية العمر ، وذلك حينما كان اليهود أحراراً وليسوا تحت  
نير أجنبي .

ولكن تحت حكم الولاة الرومان ، أصبح منصب رئاسة الكهنة في مهبط  
الريح .. أصبح موضوع مساومة يصل إليه من هو على استعداد أن يدفع  
أكثر من سواه ، ومن يقبل في استسلام أن يكون بوقاً للرومان ، وسند  
للوالى . لقد أصبحت رئاسة الكهنوت ميدان رشوة ، ومكايد ، وفساد  
ومطامع . وعلى من يريد أن يحتل مكانه في سلام ، ويحيا في بجموحه ،  
أن يدوس ضميره ، ويغمص عينيه ، ولا يستبعد أى طريق يسلكه في

سبيل الإثراء وابتزاز أموال الشعب . ومحاولة استرضاء الوالى بالهدايا والرشا ، والتأثير فى المواطنين ليكونوا تحت سلطانه فى قياد أعمى .

لا غرابة إذاً أن يروى التاريخ اليهودى الكثير عن الثراء الفاحش الذى وصلت إليه أسرة «قيافا» . ولا غرابة أن تسيطر هذه الأسرة على كرسي رئاسة الكهنوت لمدة طويلة بالدس ، وبتقديم الرشا، بينما يستمر «حنان» العجوز القوة المسيطرة واليد العاملة فى الخفاء فى كل هذه الفترة .

ولقد كانت لحنان طرقه الملتوية للحصول على المال . حتى أنه ما كان يتورع عن مشاركة التجار فى ساحة الهيكل . فى ساحة الأمم، كان يتكلس الباعة من الذين يتاجرون فى الذبائح التى تتطلبها مراسم العبادة . وهم الذين قام يسوع بطردهم . هؤلاء لم يكونوا تجاراً بمعنى الكلمة ، بل كانوا سماسرة محتالين . كان الناموس يطلب مواصفات خاصة فى الذبائح التى تقدم وهى أن تكون فى سن معينة وبلا عيب .

وكان هناك مشرفون يقومون بالتحقيق على الذبائح وفحصها بدقة قبل الذبح وبعده . فإذا تجاسر أحد العابدين وأحضر معه ذبيحة مشتراة من السوق الخارجى ، فلا بد أن تكتشف فيها كل العيوب . وعلى المسكين أن يلتقى بها لتجار الماشية بأجنس الأثمان ويعود إلى شراء الذبيحة من التاجر المعتمد فى ساحة الهيكل .

هناك كانت الذبائح تؤسم بميمم الهيكل دلالة على مطابقتها للمواصفات المطلوبة ، وعلى أنها فحصت فحصاً دقيقاً من قبل المختصين .

على هذا الأساس ، كان التجار يغالون فى الأثمان إلى درجة لا يتصورها العقل . فإذا كان زوج الحمام خارج الهيكل لا يزيد ثمنه عما يعادل خمسة

فروش، فإنه في داخل ساحة الهيكل، كان يصل إلى خمسة وسبعين قرشاً .  
لقد كانت تجارة الهيكل كلها قائمة على النصب والإحتيال ، والإغتصاب .  
وكانت سوق الهيكل تعرف باسم « سوق حنان» . كانت كلها ملكاً لأسرة  
رئيس الكهنة . وبهذه الطريقة ، باغتصاب أموال العابدين ، وبالإحتيال  
باسم الدين ، استطاع «حنان» أن يكسب ثروة كبرى، حتى أن اسم رئيس  
الكهنة كان بغيضا إلى اليهود أنفسهم .

بل إننا نجد التلمود نفسه يتحدث بالويلات على حنان وأسرته قائلا:  
« ويل لبيت حنان ! ويل لفحيج الأفاعى ! إنهم رؤساء كهنة . وسلاتهم  
حفظة الخزانة . وأنساباؤهم سدنة الهيكل ، وخدامهم يضربون الشعب  
بالعصى ! . » . هكذا كان «حنان» وبيته . وهكذا تحدث عنهم اليهود .

وإننا نستطيع أن نستنتج أن محاكمة «يسوع» على يديه كانت من تربيته  
هو . فيسوع قد هاجمه في أدق مصالحة ، فهو الذي طرد الباعة من الهيكل  
وقلب موائد الصيافة ونادى بالكلمة الخالدة « بيتي بيت الصلاة يدعى  
وأتم جعلتموه مغارة لصووس» . لقد مس «يسوع» «حنان» في ضمير حياته ..  
في جيبه وماله . وكان من الطبيعي أن ينهز «حنان» الفرصة ليرد ليسوع  
الصاع صاعين .

وكانت محاكمة «يسوع» أمام «حنان» مهزلة على مسرح العدالة . كان التاموس  
اليهودى يقضى بالأ يوجه أى سؤال أو استجواب للمتهم ، يكون من نتيجه  
إمسالك المتهم بجملة ينطق بها ، وإثبات الذنب عليه . وإننا نستمع إلى المفكر  
اليهودى المعروف «موسى بن ميمون» يقول «إن ناموسنا لا يوقع عقوبة الموت  
على إنسان ما على أساس اعترافه هو » . وهكذا كسر «حنان» ناموس العدالة  
اليهودية حينما وجه أسئلته إلى «يسوع» . ونحن نجد «يسوع» يذكره بهذا الخطأ ،

ويحاول أن يوجهه التوجيه الصحيح فيقول له « لماذا تسألني أنا ؟ إسأل  
الذين سمعوا مني » . لقد كان السيد يقول بالفعل لرئيس الكهنة : « إتجه  
في محاكمتك لي إلى الطريق القانوني الصائب . لا تتبع طريقاً ملتويًا . إبحث  
عن الدليل فيمن سمعوني . إسأل الشهود وافحصهم ما شاء لك الفحص .  
فهذا هو الطريق الصحيح . ولكن قف عند حدى أنا . فهذا ليس من  
حقك . » . حينما تحدث «يسوع» هكذا مفحماً رئيس الكهنة ، إذا بواحد من  
الخدم يضربه على وجهه قائلاً له : « أهكذا تحاول أن تعلم رئيس الكهنة  
العظيم ، كيف يقوم بمحاكمة منم ؟ » فيجيبه «يسوع» في انضاع : « إن  
كنت قد تكلمت كلاماً يتعد عن روح القانون فاشهد بذلك . ولكن إن  
كنت قد تكلمت بالحق فلماذا تضربني » .

إن «يسوع» كان واثقاً من أن موازين العدالة لن تقام هناك . لقد أصاب  
الضرر مصالح «حنان» وأسرته . وعلى ذلك فالحكم لا بد وأنه قد صدر من قبل  
أن تبدأ المحاكمة . حينما يكون الإنسان مندفعاً في عماء في طريق خاطيء ،  
فالموت لمن يحاول أن يعترض طريقه . إنه سيدل أقصى الجهد ليريح من  
أمامه كل من يعترضه ، إن لم يكن بالحق ، بالوسائل القانونية ، فبالطرق  
الملتوية . والقصة التي يجلس فيها العدو قاضياً ، ويسودها روح الحق  
والتعصب ، وترى فيها الضربات تكال للمتهم قبل النطق بالحكم ، ليست  
قضية على الإطلاق .

## البطل والجبان

وَكَانَ سِمَعَانُ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الْآخَرُ يَتَّبَعَانِ يَسُوعَ .  
وَكَانَ ذَلِكَ التِّلْمِيذُ مَعْرُوفًا عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَدَخَلَ  
مَعَ يَسُوعَ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ . وَأَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ  
وَاقِفًا عِنْدَ الْبَابِ خَارِجًا . فَخَرَجَ التِّلْمِيذُ الْآخَرُ الَّذِي  
كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَكَلَّمَ الْبَوَابَةَ فَأَدْخَلَ  
بُطْرُسَ . فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ الْبَوَابَةُ لِبُطْرُسَ أَلَسْتَ أَنْتَ  
أَيْضًا مِنْ تَلَامِيذِ هَذَا الْإِنْسَانِ . قَالَ ذَاكَ لَسْتُ أَنَا .  
وَكَانَ الْعَبِيدُ وَالْخُدَّامُ وَاقِفِينَ وَهُمْ قَدْ أَضْرَمُوا جَمْرًا .  
لِأَنَّهُ كَانَ بَرْدٌ . وَكَانُوا يَصْطَلُونَ وَكَانَ بُطْرُسُ وَاقِفًا  
مَعَهُمْ يَصْطَلِي

وَسِمَعَانُ بُطْرُسُ كَانَ وَاقِفًا يَصْطَلِي . فَقَالُوا لَهُ  
أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا مِنْ تَلَامِيذِهِ . فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ لَسْتُ  
أَنَا . قَالَ وَاحِدٌ مِنْ عِبِيدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَهُوَ نَسِيبٌ

الَّذِي قَطَعَ بِطَرَسُ أُذُنَهُ أَمَارًا أَيْتُكَ أَنَا مَعَهُ فِي الْبُسْتَانِ .  
فَأَنكَرَ بِطَرَسُ أَيْضًا . وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ

(يوحنا ١٨ : ١٥ - ١٨ ، ٢٥ - ٢٧)

حينما هجر التلاميذ معلمهم وهربوا ، لم يقبل «بطرس» أن يفعل نظيرهم .  
لقد تبع «يسوع» حتى بعد أن ألقى الجند عليه الأيدي ، لأن جاذبية «يسوع»  
كانت تقيده . وهكذا جاء مع التلميذ الآخر إلى بيت رئيس الكهنة .  
وكان ذلك التلميذ معروفا هناك . أما التلميذ الآخر فقد تضاربت الآراء  
عنه لأنه لم يذكر بالإسم . قال البعض إنه تلميذ خارج دائرة التلاميذ  
المعروفين . وقال آخرون إنه لا بد أن يكون إما «نيقوديموس» أو «يوسف  
الرامي» . وكل من الإثنين كان عضوا في مجمع السنهدريم ، وكان معروفا  
لدى رئيس الكهنة . ووصل البعض إلى خد الظن أن ذلك التلميذ قد يكون  
يهودا الاسخريوطي نفسه ! . «يهودا» من كثرة تردده على دار الرئيس  
لا بد أنه كان معروفا بين دوائر الخدم وأهل البيت ، وهكذا وجد طريقه  
إلى الداخل بكل سهولة . ولكن لا يمكن أن نصدق الإفتراض الأخير .  
لأن دور «يهودا» بعد القبض على «يسوع» كان واضحا جليا . ولا يمكن أن  
«بطرس» يضع يده في بد ذلك الحائن ، أو يكون له أدنى تعامل معه .

أما النظرية التقليدية فهو أن ذلك التلميذ الآخر لم يكن سوى يوحنا  
نفسه ، وهي نظرية لا يمكن رفضها بسهولة . والسؤال الذي يبرز أمامنا الآن :  
كيف يمكن أن «يوحنا» الصياد الخليلي يكون معروفا ، ومعروفاً بصدقة  
ودلال ، لدى أعلى دوائر الكهنوت اليهودي ؟ وبأى حق يصل إلى هذا  
الشرف ؟



هناك رأيان يفسران هذه العلاقة بين «يوحنا» وبين بيت رئيس الكهنة .

(أ) فبعيد العصر الرسولي، ظهر كاتب يدعى «بوليكراطس» قام، بكتابة تعليق على بشارة يوحنا وعلى كاتبها التلميذ الحبيب - هذا الكاتب لا يشك لحظة في أن كاتب البشارة الرابعة هو «يوحنا» وليس سواه . ثم يضيف شيئاً غاية في الغرابة عن يوحنا فيقول ، إنه كان بمولده من سلالة الكهنوت . وكان يلبس الشعار الكهنوتي، وهو شريط من ذهب نقشت عليه هذه الكلمات : «قدس للرب» فوق جبهته . وعلى ذلك ليس مستغرباً أن يكون «يوحنا» معروفاً في دار رئيس الكهنة . .

ولكن من الصعب علينا تصديق هذا الخبر، لأن البشائر تخبرنا صراحة أن «يوحنا» كان صياداً جليليا ، وكانت له تجارته الناجحة في هذا المجال .  
(ب) الرأي الثاني يرجح أن الصلة بين «يوحنا» وبين بيت رئيس الكهنة جاءت عن طريق التجارة .

فلقد أسلفنا أن «يوحنا» كان يدير تجارة ناجحة من صيد الأسماك وتمليحها لحفظها . وكانت له مجموعة من قوارب الصيد والعمال وغير ذلك (مرقس ١ : ٢٠) . أما السمك الطازج فقد كان ترفاً غير شائع في فلسطين . فوسائل النقل غير السريعة ، وحرارة الجو الشديدة لم تكن تتيح للإنسان ، وبخاصة في اليهودية في الجنوب تناول لحم السمك الطازج الوارد من منطقة نائية كبحر الجليل . أما السمك المملح ، فيمكن حفظه ، وتداوله بدون أن يفسد عليه من التلف . وهكذا كان ركناً أساسياً في الطعام . ومن الجائز أن والد يوحنا كان يوالى ارسال احتجاجات بيت رئيس الكهنة مع ابنه من حين لآخر .

فكان «يوحنا» معروفاً هناك ، ويبدو أنه يوجد في التقليد ما يؤيد هذه النظرية . يقول «هـ . ف . مورتون» في كتابه الذي أشرنا إليه أكثر من مرة ، إنه حتى يومنا الحاضر، توجد في أورشليم بناية قديمة تستخدم كمقهى يديره العرب ، وقد استخدمت في إقامته أحجار من كنيسة أثرية . ويعتقد الإخوة الفرنسيسكان أنه كانت تقوم في موقع هذه الدار، كنيسة في نفس البقعة التي يظن أن «زبدي» والد «يوحنا» كان يمتلكها وكان يقيم عليها بيته . وقد كان هذا البيت يضم فرعاً من فروع التجارة الرابحة التي كان مركزها الرئيسي هناك في الجليل .

ومهما يكن من أمر التفاصيل، فالخلاصة أن «بطرس» وجد له مكاناً في دار رئيس الكهنة . وهناك وقف يستدفئ وسط الخدم ، لأن الليلة كانت باردة ، وكان ما كان من أمر إنكاره لسيدته ثلاث مرات .

هناك أمر يستحق الإشارة ، بشأن صياح الديك، الذي جعله السيد علامة لإنكار بطرس . فقد اعترض البعض بأن التاموس ما كان يبيع تربية الدواجن في أورشليم، خوفاً من أن تنجس فضلاتها تراب المدينة . فمن أين أتى ذلك الديك ؟

ولكن قيل إن الرومان كانت لهم طريقتهم في معرفة الوقت . كانوا يقسمون الليل إلى حراسات أربع . من الساعة السادسة بعد الظهر إلى الساعة التاسعة ثم من التاسعة إلى نصف الليل ، ومن نصف الليل إلى الثالثة من صباح اليوم التالي ، ومن الثالثة إلى السادسة أو مطلع الشمس . هذا كله أشبه بنظامنا الحالي في تقسيم الليل والنهار . كان الحارس يستبدل بآخر حينما تنتهى نوبته . وساعة تغيير التوبات في الساعة الثالثة. كان ينفخ في البوق. أما نفخة البوق، فكانت تعرف في اللاتينية بكلمة «جالسنيوم»، وفي اليونانية

« الكترو فونيا » ومعنى الكلمتين واحد : (صياح الديك) . وهكذا قال يسوع « لتلميذه » قبل أن ينفخ في البوق بصيحة الديك سوف تنكرني ثلاث مرات . لقد كان كل واحد في أورشليم يعرف صيحة الديك . ويعرف أنها تم في الثالثة بعد منتصف الليل . وهكذا انطلق الصوت يهتف في ظلام تلك الليلة ، فتذكر « بطرس » كلام المسيح .

## البطل والعجبان

( يوحنا ١٨ : ١٥ - ١٨ : ٢٥ ، ٢٧ )

وهكذا أنكر « بطرس » سيده . نقول إنه لا يوجد واحد لى من الوعاظ والمنابر قدر ما لقي « بطرس » . دائماً يجد الوعاظ لذتهم في الحديث عن سقوط بطرس وجبن بطرس . ولعله من النافع أن نتذكر بعض ملاحظات القصة ..

١ - علينا أن نذكر أن التلاميذ كلهم هربوا عدا « يوحنا » . وجميعهم لم يمدوا أيديهم للدفاع عن سيدهم ساعة القاء الأيدي عليه في الإستان عدا « بطرس » . تأمل فيما فعله « بطرس » . لقد مد يده واستل سيفه . .

استل سيفه وهو يعرف تماما أن في ذلك الموت المحقق .

استل سيفه في وجه جيش كامل مسلح . ثم نراه بعد ذلك يتبع الموكب الثائر ليرى ما سوف يتم لسيدة .

إن الصورة الأولى صورة إنسان شجاع لا يتراجع في الأزمات ، تحفظه شجاعته مدافعا عن سيده حيناً ترنخى كل الأيدي . . وتدفعه شجاعته إلى السير وراء سيده وهو يعلم المصير الرهيب الذى ينتظره لو اكتشف أمره . لقد تبع سيده حتى إلى دار رئيس الكهنة . . وإلى عرين الأسد دخل غير

هباب ولا وجل . فإن كنا نرى العاصفة تثور عليه فجأة . . وإن كنا نراه يسقط من ثباته في لحظة من لحظات الغفلة . . وإن كنا نرى التجربة أقوى من أن يجابهها فسقط ، فينبغي ألا نأسى أنه سقط لأنه جبان حريص على الحياة ، بل لأنه شجاع اندفع في الميدان إلى آخر لحظة . لقد كانت سقطته لا سقطه الجبان ، بل سقطه الشجاع .

٢ - وعلينا أن نذكر كم أحب بطرس يسوع . ولقد أثبت الامتحان محبته . ففي الوقت الذي هرب فيه الجميع وقف هو إلى جواره . وفي الوقت الذي تخلى فيه الكل عن معلمهم ، تبعه هو بعزم وإصرار . لقد كان بطرس «محب» سيده ولم يشأ أن يتخلى عنه . صحيح أنه سقط . ولكن سقطته حدثت في ظروف وملابسات دفعته إليها محبته الشديدة لسيده .

٣ - وعلينا أن نذكر أيضاً كيف عاد «بطرس» إلى صوابه ورجع إلى مخلصه . لقد كان ممكناً أن يهلك «بطرس» . كان ممكناً أن يتأرجح ويهتز فيسقط وينتهي ويكون سقوطه عظيماً . إن قصة إنكاره لسيده كان يمكن أن تكون السطور الأخيرة في قصة حياته . نظير «يهوذا» كان يمكن أن ينهي حياته بيديه ، ويكفر عن فعلته بسفك دمه . لقد انتشرت ولا شك قصة إنكاره . والناس تسهونهم على الدوام عثرات الناس . . يجدون لذتهم الكبرى في الحديث عن سقطات الآخرين . ولعله من المملدنا أن نتصور ما يصوره التقليد . . . نتصور الناس يقلدون صياح الديك حين يشاهدون «بطرس» سائراً في الطريق ، إمعاناً في السخرية منه . ولكن «بطرس» استلهم عزيمته وعاد إلى نفسه ، لقد عزم أن يستعيد مركزه الأول ، حتى ولو اقتضى الأمر أن يبدأ كل شيء من جديد . لقد كان هناك «بطرس» آخر ، في داخل «بطرس» المهتز الخائر أمام الجارية والخدم . .

إن خلاصة الأمر كله ، أن «بطرس» الحقيقي الذى أعلن ولاءه لسيدته فى العلية .. هو الذى مديده واستل سيفه مدافعاً عن سيده فى نور القمر .. «بطرس» هو الذى تبع سيده لأن قلبه قد ارتبط به برباط الحب ، فلم يشأ أن يتركه وحيداً فى محنته .. هذا هو «بطرس» الحقيقي . أما «بطرس» المهتز الخائر .. الجبان الذى أنكر سيده ، فلم يكن «بطرس» على الإطلاق . وهذا ما رآه «يسوع» .. لقد نظر إلى «بطرس» .. نفذ بأبصاره إلى «بطرس» الحقيقي الذى فى الداخل ليوقظه من نومته . إن أروع ما فى «يسوع» هو أنه فى وسط فشلنا .. ضعفنا .. عجزنا ، يستطيع أن ينظر فى الإنسان الحقيقي فى أعماقنا . إن «يسوع» يفهمنا بالرغم مما نصل إليه فى تهورنا ... يحبنا رغم الظروف التى نخلفها بتصرفنا أو تخلفنا . وتسيطر علينا وتصبح فى بعض الأحيان جزءاً من كياننا .

إنه يحبنا لا بسبب ما نحن عليه ، بل بنظرته الثاقبة التى ترى ما سوف نكون عليه . إن محبة «يسوع» العظمى ، أكبر من ضعفنا وعجزنا وعدم أمانتنا ، بل محبته ترى الإنسان الحقيقي فىنا — ليس فى عدم أمانتنا ، بل فى إخلاصنا : ليس فى هزيمتنا أمام التجربة ، بل فى قيامنا من سقطتنا ، وسعيينا الحثيث وراء الصلاح الذى ينادينا ويهيب بنا ويستحثنا حتى فى أحلك ساعاتنا ...

## الأضحاح التاسع عشر

يسوع أمام بيلاطس

ثُمَّ جَاءُوا بِيَسُوعَ مِنْ عِنْدِ قَيْسَا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ .  
وَكَانَ صُبْحٌ . وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ لِكَيْ  
لَا يَتَنَجَّسُوا فَيَأْكُلُونَ الْفِضْحَ . فَخَرَجَ بِيَلَاطُسَ إِلَيْهِمْ  
وَقَالَ آيَةَ شِكَايَةٍ تَقَدِّمُونَ عَلَيَّ هَذَا الْإِنْسَانَ . أَجَابُوا  
وَقَالُوا لَهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرِّ لَمَا كُنَّا قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ .  
فَقَالَ لَهُمْ بِيَلَاطُسَ خُذُوهُ أَنْتُمْ وَأَحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ  
نَامُوسِكُمْ . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا .  
لِيَتِمَّ قَوْلُ يَسُوعَ الَّذِي قَالَهُ مُشِيرًا إِلَى آيَةِ مِيتَةِ كَانَ  
مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ

ثُمَّ دَخَلَ بِيَلَاطُسَ أَيْضًا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَدَعَا يَسُوعَ  
وَقَالَ لَهُ أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ . أَجَابَهُ يَسُوعُ أَمِنْ ذَاتِكَ  
تَقُولُ هَذَا أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي . أَجَابَهُ بِيَلَاطُسَ

أَلْعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ . أُمَّتِكَ وَرُؤْسَاءُ الْكَهَنَةِ اسْلَمُوكَ إِلَى .  
 مَاذَا فَعَلْتَ . أَجَابَ يَسُوعُ مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا  
 الْعَالَمِ . لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَايَ  
 يُجَاهِدُونَ لِيكَي لَا اسْلَمَ إِلَى الْيَهُودِ . وَلَكِنْ الْآنَ لَيْسَتْ  
 مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا . فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ أَفَأَنْتَ إِذَا مَلِكٌ .  
 أَجَابَ يَسُوعُ أَنْتَ تَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ . لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا  
 وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ . كُلُّ مَنْ هُوَ  
 مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي . قَالَ لَهُ بِيلاطُسُ مَا هُوَ الْحَقُّ .  
 وَلَمَّا قَالَ هَذَا خَرَجَ أَيْضاً إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ أَنَا لَسْتُ  
 أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً . وَلَكُمْ عَادَةٌ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ  
 وَاحِدًا فِي الْفِضْحِ . أَفَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ  
 الْيَهُودِ . فَصَرَخُوا أَيْضاً جَمِيعُهُمْ قَائِلِينَ لَيْسَ هَذَا بَلْ  
 بَارَابَاسَ . وَكَانَ بَارَابَاسُ لَصًا

فَحِينَئِذٍ أَخَذَ بِيلاطُسُ يَسُوعَ وَجَلَدَهُ . وَصَفَرَ  
 الْعَسْكَرُ إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَالْبَسُوهُ ثَوْبَ  
 أَرْجَوَانٍ . وَكَانُوا يَقُولُونَ السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ وَكَانُوا

يَلْطَمُونَهُ . فَخَرَجَ بِيَلَاطُسَ أَيْضاً خَارِجاً وَقَالَ لَهُمْ هَا أَنَا  
أَخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً .  
فَخَرَجَ يَسُوعُ خَارِجاً وَهُوَ حَامِلٌ إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَثَوْبَ  
الْأَرْجُوَانِ فَقَالَ لَهُمْ بِيَلَاطُسَ هُوَذَا الْإِنْسَانُ . فَلَمَّا رَأَهُ  
رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْخُدَّامُ صَرَخُوا قَائِلِينَ أَصْلِبُهُ أَصْلِبُهُ .  
قَالَ لَهُمْ بِيَلَاطُسَ خُذُوهُ أَنْتُمْ وَأَصْلِبُوهُ لِأَنِّي لَسْتُ أَجِدُ  
فِيهِ عِلَّةً . أَجَابَهُ الْيَهُودُ لَنَا نَامُوسٌ وَحَسَبَ نَامُوسِنَا  
يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ . فَلَمَّا سَمِعَ  
بِيَلَاطُسَ هَذَا الْقَوْلَ أَزْدَادَ خَوْفًا . فَدَخَلَ أَيْضاً إِلَى دَارِ  
الْوِلَايَةِ وَقَالَ لِيَسُوعَ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ . وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمْ يُعْطِهِ  
جَوَابًا . فَقَالَ لَهُ بِيَلَاطُسَ أَمَا تُكَلِّمُنِي . أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ  
لِي سُلْطَانًا أَنْ أَصْلِبَكَ وَسُلْطَانًا أَنْ أُطْلِقَكَ . أَجَابَ  
يَسُوعُ لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَى سُلْطَانٍ الْبَتَّةَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ  
أَعْظَيْتَ مِنْ فَوْقُ . لِذَلِكَ الَّذِي أَسْلَمَنِي إِلَيْكَ لَهُ خَطِيئَةٌ  
أَعْظَمُ . مِنْ هَذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيَلَاطُسَ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلِقَهُ  
وَلَكِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَبْصُرُونُ قَائِلِينَ إِنْ أَطْلَقْتَ هَذَا



فَلَسْتَ مُجِيبًا لِقَيْصَرَ . كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ  
قَيْصَرَ

فَلَمَّا سَمِعَ بِيِلَاطُسَ هَذَا الْقَوْلَ أَخْرَجَ يَسُوعَ وَجَلَسَ  
عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلَايَةِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْبَلَاطُ وَيَا الْعِبْرَانِيَّةِ  
جَبَانًا . وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ وَنَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ .  
فَقَالَ لِلْيَهُودِ هُوَذَا مَلِكُكُمْ . فَصَرَخُوا خُذْهُ خُذْهُ أَصْلِبْهُ .  
قَالَ لَهُمْ بِيِلَاطُسُ أَأَصْلِبُ مَلِكُكُمْ . أَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ  
لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرُ . فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ  
لِيُصَلَّبَ

فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضُوا بِهِ .

( يوحنا ١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٦ )

هذه أقوى صورة درامية في سياق قصة محاكمة يسوع، كما وردت في  
البشائر. فإذا حاولنا تقسيمها إلى أجزاء نفقد الصورة روعتها. إن الفقرة  
الطويلة التي أمامنا، ينبغي أن نقرأها ككل، إن كنا نريد أن نصل إلى عمق  
متضمناتها. وسنركز تأملاتنا فيها في فصول متتابعة، موجّهين أقصى الإنتباه  
إلى الصور والشخصيات التي ترواح وتجيء أمامنا في مد وجزر، على مسرح  
القصة الخالدة...

وسنبدا بالحديث عن اليهود :

في عصر المسيح كان اليهود خاضعين لسلطان روما . وكانت سياسة الرومان ، تتيح لسكان المستعمرات الخاضعة لهم ، قدرأمن الحرية والحكم الذاتي . ولكن لم يكن من حق سكان المستعمرات ، تنفيذ حكم الإعدام . لقد كان « حق الجلاد » أوحق السيف ، إيوس جلادى كما كان يسمى ، وقفا على الرومان فقط . وكما يقول التلمود « قبل خراب الهيكل بأربعين عاما ، انتزع من إسرائيل حق الحياة والموت » . أما أول حاكم روماني على فلسطين فقد كان يدعى «كونونيوس» . ويخبرنا «يوسيفوس» المؤرخ اليهودي الشهير عن تعيينه قائلا « إنه عين واليا ، بأمر «قبرص» ليكون في يديه سلطان الحياة والموت ، ويتحدث «يوسيفوس» أيضا عن كاهن يدعى «عنانوس» أراد أن ينفذ حكم الإعدام في البعض من أعدائه .

وحاول عقلاء اليهود أن يثنوه عن عزمه قائلين ، إنه لا يملك الحق في ذلك ، وتم لهم ما أرادوا . ولكن الوالى عرف بتفاصيل الأمر ، فأمر بعزله من وظيفته لمجرد أنه فكر في حق لبس له . في بعض الأحيان نرى ، كما في حادثة «استفانوس» ، أن اليهود يقومون بأنفسهم بتنفيذ حكم الموت .

ولكن ذلك لم يكن جائزاً شرعاً وقانوناً . وهكذا لم يجد اليهود بداً من إحضار «يسوع» لمحاكمته أمام الوالى الروماني ، حتى يصدر عليه حكم الموت . ولو كان لليهود أن ينفذوا بأنفسهم حكم الإعدام . لما كانت لديهم وسيلة سوى الرجم بالأحجار . هذا هو تعليم التاموس « من جدف على اسم الرب فإنه يقتل . يرحمه كل الجماعة رجما . الغريب كالوطني عندما يجدف ... يقتل » ( لاويين ٢٤ : ١٦ ) .

وكما حدث مع الشهيد استفانوس يكون أول شاهد أدت شهادته إلى

إدانة المتهم هو الذي يمسك أولاً بالأحجار ويرجمه قبل الكل .. «يرجمه بالحجارة كل الجماعة خارج المحلة» ( عدد ١٥ : ٣٥ ) .

هذا هو الهدف الأساسي من العدد الثاني والثلاثين ، وهذا العدد يقول إن كل ما حدث قد تم حدوثه لسكى تم كلمات «يسوع» التي تنبأ بها عن الطريقة التي سوف يموت بها . لقد قال بالفعل « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع » ( يوحنا ١٢ : ٣٢ ) . وكلمة ارتفعت بمعنى صليت .

وعلى ذلك كان لا بد أن يتم موت يسوع بالصلب لا بالرجم . لقد كان من المحتم أن يقاسى الموت بالطريقة الرومانية ، حتى يرفع عن الأرض . ولقد أراد اليهود من البداية أن يلقوا بتبعة الحكم في هذه القضية على أكتاف الوالى الرومانى . لقد أرادوا أن يتنحوا بالكلية عن المسئولية حتى يظهروا في نظر الشعب محايدين لا ذنب لهم ولا جريرة ، وهكذا اتخذوا من بيلاطس الرومانى مخلب القط لتنفيذ أغراضهم .

## يسوع أمام بيلاطس

( يوحنا ١٨ : ٢٨ إلى ١٩ : ١٦ )

لكن الحديث عن اليهود يطول ، وهناك ما هو أكثر من هذا ...

فنحن إذ نتأمل سياق القصة تبرز أماننا أكثر من حقيقة .

١ - فلقد بدأ الأمر معهم بكراهية «يسوع» ، ثم انتهى إلى بغضة قاتلة مجنونة

فنحن نصغى في أصواتهم « اصلبه .. اصلبه » إلى عواء الذئاب الشرسة .

ونستمع في هتافاتهم « ليس هذا بل باراباس » إلى الصرخات المجنونة

القاتلة . لقد تملك جنون الكراهية عقول اليهود ، حتى اندفعوا دون ترو

في سياق العواطف الثائرة . إن الكراهية نوع من الجنون ، ومتى تملك قلب إنسان فانه لا يعرف كيف ينظر ، أو يسمع ، أو يفكر . لا شيء في الوجود يغشى عيني الإنسان ، وقلبه ، وسمعه ، قلدر البغضة ، فلا يرى الطريق القويم ، ولا يميل إلى الرأي الصائب ، ولا يستمع إلى صوت الضمير . إن البغضة شيء رهيب قاتل ، لأنها تذهب بحواس الإنسان ومشاعره وتقديره السليم .

٢ - وهذه البغضة قد أفقدت اليهود القدرة على تقييم الأمور ووزنها الصحيح لقد كانوا حريصين على ألا يدخلوا بلاط الوالي ، لئلا يتنجسوا فلا يستطيعوا أن يشتركوا في ممارسات عيد الفصح .

ومع ذلك هاهم يدبرون جريمة قتل ابن الله ! وهاهم يبذلون أقصى الجهد ليصلوا إلى أغراضهم الإجرامية . ولقد كان اليهودي يحتم على صاحبه أن يكون طاهراً شرعياً . وكان الدخول إلى دار الولاية الرومانية يعنى التنجس عن طريقتين : الأولى كما يقول التاموس الشفاهي ، وهو عند الكتبة والفريسيين يقابل التاموس المكتوب ، ويزيدون في تقديره والتمسك به ، وهو يقول « إن مسكن الأمم نجس » والثاني أن الإعداد لعيد الفصح كان يقتضى تفتيش أرجاء كل البيت بكل دقة وحرص بحثاً عن أى نوع من أنواع الخمير ، وتنقية البيت منها . فالخمير رمز الشر . « وعلينا أن نعيد لا بخمير الحب والشر بل بقطير الإخلاص والحق » . - صورة يستعيرها رسول الأمم من هذا التقليد .

وعلى ذلك فالدخول إلى دار الولاية ينجس صاحبه بصورتين ، لكسره الوصية ، وكذلك لوجود الخمير في الدار . فإذا حدث هذا ، فاليهودي يصبح نجساً حتى المساء ، وعليه أن يجتاز بعد ذلك في فرائض خاصة للتطهير حتى يصبح طاهراً .

وها نحن نرى تلك الجماعة المتزمتة المتمسكة بأصول ناموسها وتعاليمها بكل حرص ، تندفع كالكلاب المسعورة ، لتلطخ أياديها بدم برىء «نعم لتلطخ أياديها بدم ابن الله ، المحبة المتجسدة . وكم من مسيحي مدقق في الأمور الظاهرية بظن أنه يرضى الله ، وهو يكسر جوهر الوصايا : البر والرحمة والإيمان بل كم من طائفة تدقق كل التدقيق في التقاليد التافهة . . . في السبوت . . . والأعياد . . . في البخور والشموع والصور والتماثيل ، . . . في رسم الصليب أو وشمه أو رسمه . . . في الاتجاه إلى جهة معينة في الصلاة ، في الملابس الكهنوتية ومطابقتها لكل المناسبات ، وعشرات من هذه الأمور وغيرها ، وفي سبيل هذه الطقوس التي هي خارج جوهر المسيحية ، تكسر ناموس المحبة ، وتطعن في غيرها من الطوائف ، ربما وصل الأمر إلى العداء المسلح ، كما يقول «ه. ف. مورتون» إن نزع مسار من المسامير التي تعلق عليها الأيقونات في كنيسة القيامة في القدس ، أدى في وقت من الأوقات إلى اندلاع حرب القرم الشهيرة . إن من أغرب الأمور ، بل من أكثرها إبلاما ، أن التعصب الأعمى يفقد الإنسان القدرة على تقييم الأمور ووزنها ووضعها في الوضع الصحيح .

٣ - ولم يتردد اليهود في اتهامهم ليسوع ، للوصول به إلى أقصى درجات الخطورة حسبما تقتضى الظروف . فلقد كانت تهمتهم له في محاكمتهم الخاصة هي التجديف ( متى ٢٦ : ٦٥ ) ، ولكنهم كانوا يعلمون أن «بيلاطس» لن يكثر لمثل هذه التهمة . إنه سيقول لهم إن هذه أمور تختص بناموسكم ، فاحكموا فيها بأنفسكم ، لذلك لا بد وأن تتحول تهمة التجديف إلى تهمة أكثر خطورة ، تهمة تمس كيان الأباطورية ، فإذا لم يكثرث لها الوالى ، فليس أقل من أن يهتم بها ، خوفا من الجالس على عرش القياصرة ، وتبرئة لنفسه ، وإلا سيكون مصيره هو مصير الحيانة ويتهم بمالأة خائن لقيصر . وهكذا أقحموا

اسم «يسوع» في ميدان السياسة، واتهموه بالثورة والتمرد على نظام الحكم، والعمل على تهديد الطريق ليصل إلى حكم البلاد. ولقد كانوا يعرفون يقينا، أن اتهامهم هذا، باطل لا أساس له من الصحة. ولكن الحق قد لا يتورع عن أى شئ. والحاقد على استعداد أن يحرف الحق للوصول إلى غرضه. وأية قضية هذه تلك التى تقوم على اتهام كاذب! ؟

٤ - وحتى يصلوا إلى هدفهم الدنيء، لم يترجعوا عن أن يتنكروا لكل مبدأ لهم. ولعل من أغرب الهتافات التى هتفوا بها فى ذلك اليوم قولهم. ليس لنا ملك إلا قيصر. لقد كانت كلمة «صموئيل» فى القديم للشعب أن الله ملكهم ولا ملك لهم سواه (سفر صموئيل الأول ١٢ : ١٢). وحينما قدم التاج للزعيم والقائد المنتصر «جدعون» كان جوابه :

« لا أتسلط أنا عليكم. ولا يتسلط ابني عليكم. إنما الرب يتسلط عليكم ». (قضاة ٨ : ٢٣)

وحينما فرض الرومان سلطانهم على فلسطين، قاموا بأول تعداد للشعب، حتى يمكنهم تنظيم الضرائب على أساسه. وهذا النظام كان شرعاً معمولاً به فى كافة المستعمرات الخاضعة لهم. ولكن اليهود ثاروا ثورة كلفتهم دماء كثيرة، وذلك لسبب واحد. إنهم كانوا يعتبرون أنفسهم تابعين لملك واحد هو الله، خاضعين لسلطان واحد، سلطان الله، وله وحده الإكرام والتعبد والخضوع. فحينما هتف الكهنة للوالى الرومانى، ليس لنا ملك إلا قيصر، كانوا يقومون بأكبر مغالطة مذهلة فى تاريخ شعب وأمة، بل يتقدمون بأغرب تصريح يمكن أن ينادى به يهودى. ولعل «بيلاطس» نظر إليهم فى دهشة وذهول، ولعله استمع إلى حديثهم وهو لا يصدق أذنيه. ولكنه بالطبع أدرك أنهم يلعبون بالورقة الأخيرة لديهم فى سبيل الفوز على خصمهم اللدود.

صورة بغيضة ولا شك، تلك التي تبدو أمامنا. صورة يغلفها الحقد الأسود وتظهر فيها النظرات النارية والأفواه الفاغرة ، والأيدي المستعدة للعراك ، والفتافات المجنونة . إن اليهود في حقدهم قد تناسوا كل مبادئهم ، ونسوا كل شرائعهم ، وداسوا على قلوبهم ، وتنكروا حتى لإلههم . لا توجد في تاريخ الإنسانية جمعاء ، صورة تبدو أقسى وأرهب وألعن ، من الصورة التي تبدو أمامنا . . .

## يسوع أمام بيلاطس

( يوحنا ١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٦ )

والآن دعونا نتأمل في الشخصية الثانية ، التي تبدو على مسرح محاكمة «يسوع» : «بيلاطس». خلال فصول الدراما كلها، يبدو دور بيلاطس مليئاً بالمتناقضات ، غير واضح للأفهام .

ومن الواضح الجلي ، وهناك أكثر من دليل على ذلك ، أن «بيلاطس» كان يعرف أن اليهود يزيفون الحقائق ، وأن كل اتهاماتهم ليسوع لن تزيد عن كونها سلسلة من الأكاذيب . ومن الواضح أيضاً أن الوالي الروماني تأثر بيسوع كل التأثر ، وأيقن تماماً ببراءته ، وحاول بكل وسيلة أن ينقذه من أيدي أعدائه ، ولكنه استسلم أخيراً لهم فحكّم عليه بالموت .

فنحن نراه أولاً، يحاول جاهداً أن يطلق «يسوع» على أساس عادة إطلاق أسير من الأسرى، يختاره اليهود في عيد الفصح ، ثم يحاول أن يسترضيمهم بتسليم «يسوع» للجلد ، ثم يتجه إليهم برجاء أخير . ولكنه لا يحزم أمره ، ولا يثبت في عزمه ، ويرفض أيضاً قاطعاً أن يستجيب لمطالب اليهود ، وينساق في تيارهم . ونحن لن نستطيع أن نصل إلى فهم «بيلاطس»، إلا إذا عرفنا ملخصاً لتاريخ حياته ، ومن حسن الحظ ، أننا نجد الكثير عنه في كتابات يوستينوس ، كما في كتابات « فيلو السكندري » .

قبل كل شيء ، علينا أن ندرك الدور الذي كان يقوم به الوالى الرومانى فى بلاد اليهودية . . ولا ضير علينا لو رجعنا إلى الوراء ، لنتتبع خطوات التاريخ من البداية .

فى العام الرابع قبل ميلاد المسيح<sup>(١)</sup> انتهت حياة الملك «هيرودس» الكبير ولقد كان «هيرودس» ملكا على فلسطين بجملتها . وبالرغم من الكثير من أخطائه فقد كان فى أكثر من جانب ملكاً عظيماً . كان صديقاً لرومان محبوباً لديهم . فلما انتهت حياته ، قسمت مملكته حسب وصيته بين أبنائه الثلاثة : فكان من نصيب « أنتيباس » ولاية الجليل وبيرية ، و « فيلبس » صار والياً على باطانية وأورانيثس وتراخونيتس وهى المناطق الجبلية غير المهولة ، الواقعة جهة الشمال الشرقى ، وبقى لأرخلالوس حكم أدومية واليهودية والسامرة وقد كانت سنة فى ذلك الحين ، لا تتجاوز الثامنة عشرة . أما الرومان فقد أيدوا هنا التقسيم وأقروه .

ولقد سارت الأمور حسناً مع أنتيباس وفيلبس ، ولكن أرخلالوس كان قاسياً فظلاً ، حكم رقعته بكل عنف ، حتى أن اليهود أنفسهم قدموا شكواهم لقيصر لعزله من الحكم ، وتعيين آخر سواه . ولقد كانوا يأملون أن تضم مقاطعتهم إلى ولاية سورية ، فيكون لهم من اتساع الرقعة ما يعينهم على الحياة فى هدوء بعيداً عن رقابة الوالى وسلطانة . ولقد كانت المستعمرات الرومانية تنقسم إلى قسمين : قسم منها يحتاج إلى كتائب من الجيش الرومانى تعسكر فيها تحت السلطة المباشرة للإمبراطور ، وهذه كانت تعرف باسم المستعمرات الأمبريالية . وقسم آخر نجح فى هدوء ومسألة بعيداً عن المتاعب

(١) حسب التقويم الحالى ، هناك خطأ أربع سنوات . بحيث نقول إن المسيح ولد عام ٤

قبل ميلاد المسيح ! !



والإضطرابات ، تحت السيطرة المباشرة لمجلس الشيوخ أو السناات الروماني. وهذه كانت تعرف بالمستعمرات المشيخية أو السنااتورية . أما فلسطين فكانت أرض قلاقل واضطرابات تحتاج إلى كتائب من الجيش الروماني لحفظ النظام فيها . فهي لذلك تحت سلطان الإمبراطور مباشرة . وكانت المستعمرات الشاسعة نظير سورية ، تحكم بواسطة فيصل أو حاكم .

أما المستعمرات الأصغر ، أو مستعمرات الدرجة الثانية ، فقد كان يحكمها وال روماني . لذلك كان الوالى هو صاحب السلطان العسكرى والحكومى والشرعى على المنطقة ، أى أنه كان يملك سلطة الحكم والقضاء والتنفيذ . كان يقوم بزيارة كل بقعة فى منطقته مرة واحدة على الأقل فى السنة . يستمع إلى شكاوى الشعب ، ويحكم فى قضاياهم ، ويسوى خلافاتهم . وكان يشرف على جمع الضرائب ، لكنه ما كان له الحق فى فرض ضرائب جديدة . وكان يتقاضى راتبه من الخزانة ، ولكنه كان محظوراً عليه أن يتناول أية هدية أو رشوة ، فإذا تجاوز سلطاته كان للشعب الحق فى رفع أمره إلى قيصر .

وهذا النوع الأخير من نظام الحكم ، كان مطبقاً فى فلسطين ، فإلى هناك عين «أوغسطس قيصر» من قبله الوالى الأول عام ٦ للميلاد . أما « بيلاطس » فقد بدأ ولايته عام ٢٩ م واستمر على كرسي الحكم تسع سنوات . ولقد كانت فلسطين كما هو شأنها على الدوام ، منطقة تغلى بالاضطرابات والمشاكل . وكانت تقتضى أن يحكم الوالى بعقل ناضج ويد من حديد . ونحن لا نعرف إلا القليل عن تاريخ «بيلاطس» ، قبل أن يلمع فى أفق السياسة . ولكننا نعتقد أنه كان يمتلك من الحيلة والمقدرة الإدارية ، ما جعل قيصر ، يفضلته على سواه فى حكم هذه المنطقة الثائرة ، فلقد كان لفلسطين مركزها الفريد ، لأنها بحسب موقعها الجغرافى ، القنطرة الموصلة بين مصر وسورية .

ولكن «بيلاطس» كحاكم أثبت فشله . فلقد بدا أنه كانت تنقصه روح التعاطف مع اليهود ، والفهم الصادق لنفسيتهم . لقد كان يحقرهم . ويرى فيهم شعبا بدائيا متخلفا عن ركب الحضارة . متمسكا بأوهامه وتقاليده ، متعلقا بناموسه وشرائعه ، متعجرفا في غباوته وعنصريته . هكذا كان اليهود في نظر بيلاطس ، وهناك ثلاثة أحداث شهيرة تثبت ذلك .

أما الحادث الأول فقد وقع في أول زيارة له لأورشليم . وأورشليم لم تكن مقر الوالي . كانت مدينة قيصرية هي المقر الرئيسي له . ولكن بطبيعة عمله كان يقوم بزيارة كل مدينة وعلى الأخص أورشليم مركز الهيكل والرعاية الدينية . كانت المدينة تكتظ بالحجاج القادمين إليها في فرض الأعياد ، وعلى وجه التحديد في عيد الفصح . فكانت مقراً للغش ، والمتاعب ولذلك كان الأمر يقتضى أن يكون يرفقته كئاثب من الجند الروماني ، وكانت هذه الكئاثب تتخذ من قلعة أنطونيا مقراً لها .

ولقد كان الجند يحملون شعاراتهم معهم . وعلى قبة هذه الشعارات كانت صورة من المعدن لقيصر يظله النسر للروماني . كان «قيصر» كما أسلفنا يكرم ويقدم له التعبد كإله . وهذه الصورة المعدنية ؛ كانت في نظر اليهود لاتقل عن تمثال منحوت ينهى الناموس صراحة عن إكرامه وعبادته أو حتى صنعه .

أما الولاة السابقون ، فقد أوتوا من الحكمة ما جعلهم يزعون هذه الصور المعدنية ، احتراماً لمعتقدات اليهود ، ومنعاً للقلقل والثورات .

أما هو ، فلم يكثر لذلك ، بل أمر الجند أن يدخلوا المدينة المقدسة بكامل عدتهم وزينتهم وشعاراتهم . ولقد حاول كثيرون من شيوخ اليهود أن يبصروه بنتائج عمله . ولكنه رفض بإصرار وعزم ألا يستجيب لما أسماه خرافات اليهود . وهكذا عاد إلى قيصرية تاركاً جنوده في أورشليم .

وتبعته جماهير اليهود إلى هناك . وأحاطوا بقصره خمسة أيام كاملة ليل  
نهار ، لا يتزحزون من مكانهم ، وهم يصرخون ويتلألئون في اقتضاع .  
وأخيراً أرسل «بيلاطس» إليهم رسولا يخبرهم أنه على استعداد للقائهم والتفاهم  
معهم في مسرح المدينة . وهناك حيث تجمهر اليهود أحاطت الكتائب المسلحة  
بالمسرح وهدد «بيلاطس» زعماءهم ، بأنهم إن لم يعودوا من حيث أتوا ، فنصيبهم  
لن يكون أقل من الموت بحد السيف . وعندها مدوا رقابهم في تحد وأظهروا  
استعدادهم للموت . ولكن حتى بيلاطس ما كان يستطيع أن يقتل جماعات  
عزلاء بلا سلاح دون أن يعرض مركزه للخطر كوال . وهكذا لم يجد  
بدا من الرضوخ لمطالبهم وأمر جنوده بنزع صورة قيصر عن الشعارات  
وكانت هذه أسوأ بداية يمكن أن يبدأ بها حاكم .

والحادثة الثانية كانت تدور حول أموال الهيكل وهل يمكن استخدامها في المشاريع  
العمرانية أم لا . فأورشليم كانت تعاني من مشكلة نقص المياه وكان من رأى  
بيلاطس أن يعالج المشكلة بعمل قناة حجرية تجرى فيها المياه ، من خارج  
المدينة إلى داخلها . ومن أين يأتي بالمال اللازم لهذا المشروع النافع ؟ هناك  
الألوف المؤلفة في خزانة الهيكل ، والتي ترقد في موضعها بلا فائدة إلا أن  
تمتد إليها أيدي الكهنة للسلب والنهب . لماذا لا يستخدم هذه الأموال في مثل  
هذا العمل ؟ على أن «بيلاطس» لم يتجه إلى استخدام الأموال المقدسة المخصصة  
للذبائح والتقدمات . لقد انجبه إلى المال المسمى بالقربهن . والذي كان يأتي  
من مصادر يستحيل معها استخدامه في الطقوس المقدسة .

ولقد كان مشروع «بيلاطس» حيويًا ضروريًا . مشروع عظيم ولا شك .  
فالماء لازم كل اللزوم لسكان المدينة . وهو بالحرى أكثر لزوماً للهيكل  
الذي يحتاج إلى التنظيف المستمر من الذبائح اليومية . ولكن اليهود ثاروا  
على المشروع وتدفقوا في الطرقات بصخبون ويلعنون .

أما «بيلاطس» فقد ركب رأسه هذه المرة ، وأرسل جنوده متخفين في ملابس عادية وأسلحتهم نجاة تحتملها . وبإشارة منه تسللوا وسط الجموع الثائرة ، وانقضوا على ضحاياهم كالوحوش ، وذبحوا منهم عدداً ليس بالقليل .

ومرة أخرى زاد «بيلاطس» رصيد الخقد المنخر له في قلوب اليهود ، وأعطاهم الذريعة لرفع شكاواهم ضده إلى عتاب قيصر .

والحادثة الثالثة ظهر أنها أكثر رداءة بالنسبة لبيلاطس . فنحن نعرف أنه حين كان يقوم بزيارة أورشليم كان ينزل ضيفا على قصر هيرودس القديم . وهناك أمر بصنع مجموعة من الدروع ، التي تعرف بدروع التصويت أو الدعاية ، ونقش عليها اسم «طباريوس قيصر» تكريماً للذكرى الإمبرطور . وأمر بتعليقها حول جدران القصر . ولقد أسلفنا أن قيصر كان يكرم كإله . وها هم أولاء يقرأون اسم إله غريب في قلب مدينة داود ! وثار اليهود وطلبوا من «بيلاطس» أن ينزع الدرع ولكنه رفض بعناد . وأخيرا لم يجدوا بدا من أن يرفعوا شكاواهم إلى طباريوس قيصر نفسه الذي استجاب لهم ، وأمر بيلاطس بالرضوخ لمطالبهم .

ولعله من المثلد لنا أن نعرف ، كيف انتهى الأمر مع بيلاطس . حدث هذا بعد سنتين اثنتين من صلب المسيح . ففي السامرة قامت بعثة للتفتيح في جبل السامرة عن بعض الأواني الأثرية التي يقال إنها مدفونة هناك وظن بيلاطس أن في الأمر مؤامرة ، فأرسل جنده وذبحوا أعضاء البعثة . أما سكان السامرة فقد كانوا معروفين بإخلاصهم وهدوئهم . فأرسلوا يشتكون لدى والى سورية الذي رفع شكاواهم إلى قيصر . فأرسل قيصر في طلبه . وفي أثناء ذهابه إلى روما انتهت حياة طباريوس قيصر .

ولا تعرف ماذا تم في أمر بيلاطس . فمن ذلك الحين اختفى من على مسرح التاريخ إلى النهاية . ويقال إنه عزل أو أمر قيصر الجديد بتفنيه ...  
أمام هذه الصور التاريخية ، عن تطورات العلاقات بين «بيلاطس» وبين اليهود ، نستطيع أن ندرك كيف أخرج اليهود الوالي الروماني ، ودفعوه إلى أن يسلم «يسوع» للصلب .

لقد قالوا : « إن أطلقت هذا فلست محبا لقيصر ، وكأني بهم يقولون له بالفعل : « إن صحائفك عند قيصر ليست بيضاء تماما . هناك واقعة سابقة لك لدى البلاط القيصري . فإن لم تستسلم لنا سوف نرفع أمرك مرة ثانية إلى الامبراطور ، وستكون النتيجة عزلك من الولاية » . لقد دفع «بيلاطس» دفعا للحكم على «يسوع» لأن غلطاته السابقة لم تدع له مجالا إلى تحدى اليهود هذه المرة أيضا . وهكذا ظهرت أمامه صور ماضيه في تلك اللحظة الحاسمة . والمفكر العاقل لا يسعه إلا أن يشعر بالأسى من جهة بيلاطس : لقد أراد أن يثبت أقدامه ، ولكن العاصفة كانت أقسى وأشد . لقد أراد أن يتحدى اليهود ، ولكن مركزه ومصيره كانا في كف القدر ولم يقبل أن يقامر أو يغامر . وهكذا أسلم يسوع للصلب .

### يسوع أمام بيلاطس

(يوحنا ١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٦)

رأينا لحظة خاطفة عن تاريخ بيلاطس . والآن دعنا نفحص سلوكه في محاكمته ليسوع . إنه من البداية لم يكن راجيا في الحكم عليه . لقد عرف أن «يسوع» بريء . ومع ذلك كان الوالي مقيدا بفعال ماضيه ، فلم يستطع أن يتخلص من حباله ، فاضطر مرغما إلى إصدار الحكم على إنسان بريء .

١ - ونحن نراه يبدأ بمحاولة التخلي بالكلية عن القضية وإلقاء المسؤولية على الآخرين إنه يقول لليهود ، خلوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم . لقد حاول أن يتخلص من القضية .. أن يتخلص من «يسوع» . ولكن هيهات .  
إن يسوع لا بد وأن يجابه كل واحد منا ، كصبر حياتنا وهدفنا الرئيسي . وكثيرا ما نظن أننا نستطيع أن نتخلص من يسوع . كثيرا ما نحاول أن نلقى تبعة عدم خضوعنا له على سوانا . ولكن لا أحد يسأل غيرنا نحن . ينبغي أن نتعامل بأنفسنا مع «يسوع» .. ونتحمل في ذواتنا تبعة قبوله أو عدم قبوله .

٢ - ونراه يحاول مرة أخرى أن يتخلص من المأزق فينجز فرصة العيد ليعطى لهم حسب العادة أسيرا يطلبونه ، وقد كان هذا تقليداً جرى عليه في محاولة للتقرب من الشعب . وظن أنه يستطيع أن يعرهم بإطلاق «يسوع» . هذه مرة ثانية يحاول فيها أن يتخلص من مسئولية الحكم عليه واتخاذ قرار بنفسه . ولكن لا أحد سوانا يستطيع أن يقرر ماذا نفعل بيسوع ، وهل نقبله أو نرفضه .

٣ - ثم يحاول طريقا ثالثا يعتقد أنه حل وسط يرضى اليهود ولا يصل به إلى أقصى الشوط ، فيأمر بأن يجلد «يسوع» . ولقد ظن أن الضربات التي ستوضع على «يسوع» ومنظر جسده الدامي سيخفف من حدة عداة اليهود له ، وربما يصل بهم إلى الاكتفاء بهذا القدر من الانتقام . لقد ظن خطأ أنه يستطيع أن يتجنب الحكم بالصلب ، بالحكم بالجلد . ومرة أخرى نقول هذا ما لا يستطيع إنسان أن يفعله . لا نستطيع أن نتصرف بين «يسوع» والعالم في حل وسط . لا نستطيع أن نرضى العالم ونرضى يسوع . لا نستطيع أن نخدم سيدين ، فإما نحن ليسوع ، أو نحن على «يسوع» ، ولا طريق وسط بين هذا وذاك .

٤ - وإن كانت هذه الحيل قد فشلت فليتجه إلى الاستطاف . ليتجه إلى محاولة لمس قلوبهم بمنظر يسوع الدامى. وهكذا يقتاده إليهم، والدماء لا تزال تنظر من جراحه ، ويهتف فيهم «هذا هو ملككم . هل أصلب ملككم؟!» لقد حاول أن يستثير فيهم حاسيات العطف والشفقة . ولكن عواطف الآخرين لن تنزع عنا المسؤولية ، لن تعفينا منها . علينا أن نقرر نحن بأنفسنا لأن نجعل الآخرين يقومون بذلك عنا . أيها القارئ الكريم إن يسوع بجاهلك فى طريق الحياة . وعليك أن تحكم له أو عليه . وفى حكمك له تحكم لنفسك . وفى حكمك عليه تحكم عليها .

ولن يقوم آخر بذلك «ولن يتحمل التبعة سواك» .

ولن يستطيع آخر أن يقرر مصير «يسوع» فى حياتك أنت . عليك أن تقرر بنفسك مصير يسوع بالنسبة لك ، ومصيرك بالنسبة لیسوع ، ولا مناص من ذلك إنك لن تستطيع أن تتخلص من المسؤولية الرهيبة ، مسئولية الحياة أو الموت بالنسبة لك .

وهكذا أقر «بيلاطس» أخيراً بهزيمته . وأسلم «يسوع» لأيدى رعاى اليهود ، لأنه لم يجد فى نفسه الشجاعة ، أن يقف بجانب الحق ، ويتحمل مسئوليته . ولكننا نغفل الكثير فى دراستنا لبيلاطس ، لو أغفلنا جوانب أخرى فى صورته المائلة أمامنا . .

(١) فهناك إشارة إلى روح «بيلاطس» المتعالية : لقد سأل «يسوع» إن كان هو الملك . وسأله «يسوع» إن كان يقول هذا القول من نفسه أم أن آخرين قالوا له ذلك؟ ويجيب «بيلاطس» فى غرور «هل أنا يهودى نظيرك؟ كيف لى أن أعرف شئونكم ، وناموسكم وأموركم الخاصة؟» لقد أظهر «بيلاطس»

استعلاءه في أن يزوج بنفسه في غمار تعاليم اليهود وأفكارهم وتقاليدهم وكل ما كان يعتبره خرافات وأساطير ، كان في استعلاء «بيلاطس» سر فشله ، فلن يستطيع حاكم أن ينجح في حكمه لشعب ، ما لم يفهم نفسية ذلك الشعب ويتغلغل في عقولهم وأفكارهم .

(ب) ويبدو لنا أن في أعماق «بيلاطس» يكن الإيمان بالأساطير والأوهام فدفعه هذا إلى طلب المعرفة وحب الاستطلاع وتكرار السؤال بعد السؤال . فهو يحاول أن يعرف من أين جاء «يسوع» ، وبالطبع لم يكن يقصد البلد الأصلي للمادى - وحينما سمع أن «يسوع» ابن الله زاد اضطرابه وانزعاجه ، لقد كان «بيلاطس» موسوساً أكثر منه متديناً . وكان يخشى أن تكون في «يسوع» قوة كافية لا يدركها تصيبيه بضرر أعظم من الضرر الذي يمكن أن يحقق به فيما لو وقف إلى جانبه . لقد كان يخشى اليهود ، ويخشى قيصر ، ويخاف أن يفقد الكرسي الذي يجلس عليه . ولكنه كان يخشى بالتالي الأسير الذي يقف أمامه ، فربما كانت الآلهة تحل فيه . إن «بيلاطس» لم يكن له من الشجاعة ما يجعله يتحدى البشر أو يقف في جانب الله .

(ج) ولكننا نعتقد أنه في قلب «بيلاطس» كان يكمن الجوع العميق والشوق الغامر . فحينما قال السيد «لهذا قد أتيت لأشهد للحق» كان جواب «بيلاطس» «وما هو الحق ؟» .

وهناك أكثر من صورة يمكن أن يتقدم بها إنسان بهذا السؤال . قد يسأله روح السخرية والتهكم ، وقد يخلد هذه الصورة «فرانسيس باكون» حينما كتب مفصلاً هذا السؤال : «ما هو الحق ؟ هكذا سأل «بيلاطس» ساخرا ، ولم ينتظر جواباً لسؤاله» .



ولكننا نعتقد أن الموقف ، والملابسات ، وصراخ الجماهير ومشاعر  
بيلاطس نفسه ، ما كانت تتيح له وقتا للسخرية . فهذا السؤال ليس سؤال  
إنسان ساحر أو عديم الإكتراث . إنه في موقف جاد حازم . ومأزق  
لا مجال للسخرية فيه . لقد سأل بيلاطس سؤاله في ضيق ونفاد صبر . فها  
هو قد وصل إلى ما لم يصل إليه سواه . إنه بمقاييس البشر إنسان ناجح .  
لقد وصل إلى أعلى المراتب في خدمة الإمبراطورية الرومانية . . إلى كرسي  
الولاية في منطقة حرجة من مناطق الإمبراطورية العريضة ، ولكن كان هناك ما  
ينقصه . إنه يفتقر إلى جوهر الأشياء . لقد نال من الوجود زينتته . . عرضه  
الزائل . ولكنه بحاجة إلى الجوهر . ها هو قد وصل إلى أهدافه . . إلى مشهاه  
وها أمامه يقف جليلي فقير أعزل ، لم ينل حظاً من العلم نظيره ، ولم يصل إلى  
مرتبة عليا بين أقرانه ، ولم يحتل مركزاً حكومياً في بلده ، ولكنه أحسن أن ذلك  
الإنسان البسيط يمتلك الشيء الذي يبحث هو عنه ولا يجده . ومع ذلك لم  
ينتظر ليعلم الجواب . لقد كان مضطرباً مرتبكاً .

وربما يكون بيلاطس قد تقدم بسؤاله هذا بروح السخرية ، ولكنها سخرية  
المراة واليأس .

هذا هو بيلاطس . لقد جابه شخص المسيح ، فأثار في نفسه أحاسيس  
ومشاعر ما كانت موجودة من قبل . لقد فتح عينيه على حقائق أعظم في  
الحياة ، فرأى ما ينقصه ، ولقد كان ممكناً أن ينال بكل ما يفتقر إليه ،  
ولكن لم تكن لديه الشجاعة ليتحدى ماضيه ، ويتحدى مستقبله ، ويتحدى  
الجموع ، ويقف ثابتاً إلى جوار يسوع البريء ، وهكذا ضاعت منه الفرصة  
إلى الأبد . .

## يسوع أمام بيلاطس

( يوحنا ١٨ : ٢٨ - إل ١٩ : ١٦ )

في الصفحات السالفة تأملنا في صورة الجماهير التي أحاطت بيسوع أثناء محاكته . فتأملنا في الوالي الروماني ، والظروف التي أحاطت به ودفعته للإستسلام لليهود . والآن نأتى إلى الشخصية الرئيسية في هذه الدراما - إلى يسوع المسيح نفسه - هنا نرى صورة « يسوع » تميزها أكثر من لمسة فنية رائعة . . .

١ - قبل كل شيء لا يوجد إنسان يقرأ القصة المماثلة أمامنا إلا ويقر بجلال يسوع وسموه . هنا نرى الحاكم يمثل في قفص الاتهام ، والأسير يتخذ مكان القضاء . إن يسوع المتهم يقف ليدين بيلاطس الوالي . لقد تعامل بيلاطس بروح الإحتقار مع أكثر من واحد من اليهود . ولكن لم يتصرف هكذا مع يسوع - إننا إذ نقرأ القصة التي أمامنا ، لا يسعنا إلا أن نقر بأن يسوع هو الذى يقف على الأرض الصلبة ، وأن بيلاطس هو الذى تهتز الأرض تحت قدميه . إن يسوع يملك موقفه ، أما بيلاطس فهو يتخبط في حيرة ، في قضية أقحم فيها ولا يدري لها بداية ولا نهاية . إن جلال يسوع لم يشع بسناء يخطف الأبصار قدر ما نراه هنا أمام البشر يحاكم في قفص الاتهام .

٢ - وهنا نسمع يسوع يتحدث إلينا بكل صراحة عن ملكوته . وملكوته ليس ملكوتا ماديا . إنه ليس من هذه الأرض وإلا كان أتباعه يجاهدون حتى لا يسلم سيدهم للأعداء . ولقد كان الجومكهنزيا في أورشليم ، وعلى الأنحص في فرصة تجمع القريب والبعيد في المدينة المقدسة ، شأن عيد الفصح . وكان الرومان يعلمون ذلك . ولهذا السبب كانوا يرسلون قوات إضافية إلى

أورشليم . ولكننا نقول استناداً إلى حقائق تاريخية ثابتة أن مجموع أفراد  
العسكر الذين كانوا تحت إمرة بيلاطس في كافة ربوع فلسطين ما كان يزيد  
عن ثلاثة آلاف جندي . وكان لا بد أن تبقى حامية منهم في قيصرية حيث  
مقر الوالي . وجزء آخر كان لا بد وأن يعسكر في السامرة لحفظ النظام هناك  
بحيث لا يتبقى من هؤلاء وأولئك أكثر من بضع مئات يرافقون بيلاطس  
في زيارته لأورشليم أثناء فرصة العيد . فلو أراد يسوع أن يثير شغباً ويرفع  
لواء التمرد والعصيان . . لو أراد أن يستدعى أتباعه ، فتميز إلى الوجود  
الأحقاد الكامنة في الصدور لتسمى لتحقيق الأحلام العريضة . . . .  
لو أراد أن يقود ثورة مسلحة ضد الرومان لم له ذلك بكل سهولة ،  
ولكان النجاح حليفه وخاصة في أورشليم في عيد الفصح - هذا إذا لم  
نضع في اعتبارنا قوة يسوع المعجزية التي عبر عنها بقوله أنه يستطيع أن  
يستدعى إثني عشر جيشاً من الملائكة للوقوف في صفه ، إنه جاء ليعسط  
سلطانه على الوجود بأسره ، إلا أنه أكد للوالي أيضاً أن ملكوته لا يبنى  
على سلطان القوة والسلاح ، ولكن على المحبة . . على قلوب البشر . إنه  
لم يقل لبيلاطس بأنه لم يأت ليفرض سلطانه . ولكن قال بأن الطريق الذي  
سيتبعه طريق جديد . . إنه طريق المحبة .

٣ - وهنا يخبرنا يسوع عن الهدف الرئيسي الذي من أجله جاء إلى العالم .  
ويقول لهذا جئت إلى العالم لأشهد بالحق . لقد جاء ليشهد بالحق عن البشر ،  
وجاء ليشهد بالحق عن الحياة .

إن عهد الصور والرموز وأنصاف الحق قد ذهب للأبد . لقد حان  
الوقت ليعرف العالم الحق جلياً وأضحاً في ملء قوته . لا يوجد طريق وسط  
فإما أن يقبل الإنسان الحق أو يرفضه . والمسيح هو الحق .

٤ - وهنا نرى صورة من شجاعة يسوع الجسدية البطولية ، فلقد أمر الوالى جنوده فقاموا بتنفيذ حكم الجلد عليه .

وكانت طريقة الجلد أن يربط الإنسان إلى عامود قصير ، بحيث يصبح ظهره العارى منحنيًا . أما السياط فقد كانت من سيور من جلد مقواة بقطع من الرصاص والعظام المسننة ، فإذا نزلت على الجسد تمزقه في خطوط متراسة . قليلون هم الذين كانوا يتحملون عذاب الجلد ويبقون أحياء . فمعظم الضحايا كان يموت تحت الجلدات . والبعض كان يفقد عقله . ولكن يسوع بقى ثابتا للنهاية دون أن تصعد منه أنه واحدة .

ويقتاده ييلاطس للشعب وهو غارق في دماثة . ويشير إليه قائلا: «هوذا الإنسان» . وهنا نرى يوحنا يقدم لنا إحدى الكلمات التي تحمل معنيين ولقد كان هدفه إيقاظ روح العطف في قلوب الجماهير ، فيقول لهم وهو يشير إلى يسوع . . .

« هوذا الإنسان . . . أنظروا إلى جسده الدامى . . .

تطلعوا إلى ما وصل إليه من ألم وشقاء . ألا يكفيكم هذا ؟ . . . ألا يشبع قلوبكم ؟ هل تصرون بعد كل هذا أن تدفعوه إلى الموت ؟ » . ولكن حتى في محولته استعطاف الجماهير . . . حتى في نعمته التي تبدو في روح التأثر والألم ، نستطيع أن نكتشف صورة جديدة . . . نستطيع أن نصغى إلى نعمة مخالفة ، نستطيع أن نرى بريق الدهشة يشع من أنظاره ، والإعجاب يملأ قلبه وعقله . إن الكلمة التي استخدمها ييلاطس « هوذا الإنسان » ترد في الأصل اليوناني على هذه الصورة « هو أنثروبوس » وهي تطلق على إنسان بشرى عادى . ولكن لم يمض وقت طويل حتى كانت نفس الكلمة ، يستخدمها مفكرو الأغريق ، للدلالة على الإنسان الإلهي . الإنسان

المثالي . . الإنسان الكامل . . مثال الرجولة . إننا مهما قلنا عن يسوع . .  
مهما تحدثنا عنه أو لم نتحدث .

فإن بطولته تبدو أمامنا منقطعة النظر .

هنا أمامنا الرجل . . الرجل الكامل .

## يسوع أمام بيلاطس

( يوحنا ١٨ : ٢٨ إلى ١٩ : ٥٦ )

٥ - مرة أخرى نرى في محاكمة يسوع وفي حكم الموت عليه، ترتيب الله السابق .  
مرة واحدة نستمع إلى بيلاطس يلجأ لتهديد يسوع . وهو ليس تهديداً بقدر  
ما هو إنذار أو تحذير . فبيلاطس يحذر يسوع بأن لديه السلطان أن يطلق  
سراحه أو أن يصلبه .

ويسوع يجيبه بأنه لا سلطان له عليه بالمرّة لو لم يكن قد أعطى من الله .  
إن أعجب ما في قصة موت يسوع ، أن بطلها من البداية إلى النهاية ، لا يظهر  
أمامنا وكأنه أخذ على غرة . . . وكأن الظروف هي التي أحاطت به فجأة  
وتحكمت في مصيره . وكأنه دفع دفعا إلى الصليب والموت . إن القصة تنق  
ذلك . إن يسوع لم يكن ضحية كيد خفي انتهى إلى اغتياله . إنه من البداية  
إلى النهاية، سيد الموقف، يسير بخطوات ثابتة إلى هدف محدد هو الصليب .

٦ - وهنا يرسم لنا يوحنا بريشته لمسة رائعة رهيبة لصمت يسوع . فهو  
يصل إلى حد أنه يرفض فيه الإجابة على أسئلة الوالي المتلاحقة .

هناك مواقف أخرى آثر فيها رب المجد الصمت . فنحن نراه صامتا  
أمام رئيس الكهنة ( راجع إنجيل متى ٢٦ : ٦٣ ، ومرقس ١٥ : ٥ ) .

ونراه يصمت في جلال وإباء أمام هيرودس (لو ٢٣ : ٩) ، ونراه يلزم الصمت أيضاً إزاء اتهامات اليهود التي وجهت إليه أمام بيلاطس (متى ٢٧ : ١٤ مرقس ١٥ : ٥) .

وفي بعض الأحيان نختبر شيئاً نظير هذا . . فقد تجمعنا الظروف مع فرد أو جماعة . ويدور بيننا نقاش حول موضوع من المواضيع . وأخيراً نكتشف أننا نلور في حلقة مفرغة ، وأنه لاجدوى من استمرار النقاش فنصمت . إنهم لا يشاركوننا الرأي ، وليسوا على استعداد أن يسلموا بالحق الذي نتمسك به . إننا لا نفهمهم وهم بالتالي لا يفهموننا ، وكأننا وهم نتكلم بلغات مختلفة متباينة . إن مقاييسنا تغاير مقاييسهم . ومثلنا تختلف عن مثلهم ، وأفكارهم تنأى بعيداً عن أفكارنا .

هذا يحدث بالفعل حينما تكون هناك فجوة روحية عميقة فاصلة . فجوة لا يمكن أن تعبرها إليهم ، ولا يمكن أن يتجاوزوها إلينا .

وهكذا كان يسوع أمام بيلاطس . . وهكذا اضطر يسوع إلى الصمت أمام بيلاطس .

شيء رهيب حقا أن يصمت يسوع ، شيء رهيب أن يهمل يسوع إنسانا فيوثر الصمت أمامه . إن هذا معناه أن حالته قد أثبتت فشلا ذريعا أمام طبيب النفوس . . . أنه لم يعد هناك أدنى أمل فيه . وأن يسوع قد نفص يديه منه للأبد . هذا يعني أن ذلك الإنسان قد احتمى بحصن كبريائه وغروره وذاتيته ، بحيث لم يعد هناك رجاء في الوصول إلى أعماق كيانه . ويالها من صورة تعيسة مبكية .

٧ - وفي قصة المحاكاة أيضاً كما تصورنا لنا البشارة الرابعة : تمتطع أن ترى مواقف درامية نلمس فيها السخرية اللاذعة كما أظهرها أكثر من مرة قلم البشير يوحنا .

فالمشهد يختتم بالوالى وهو يخرج يسوع خارجاً . إلى الموضع الذى يقال له البلاط ، وبالعبراية جباثا ، وربما سمي كذلك إشارة إلى مربعات البلاط المرمرى التى كانت تغطى أرضيته . وهناك يتخذ بيلاطس مكانه على كرسى القضاء . أما ذلك الكرسى فقد كان يعرف بلقب « البها » حيث يصدر الحاكم أحكامه النهائية . والفعل « جلس » وفي الأصل « كاتزين » ، يحتمل أن يعنى أمرين . . يحتمل أن يعنى أن يجلس الإنسان بنفسه ، أو أن يجلس سواه . وربما ، ولو أن هذا الاحتمال بعيد ، أجلس بيلاطس يسوع فى مكان القضاء ، وهو لا بس ثوبه القرمزى ، ثوب السخرية ، وعلى رأسه إكليل الشوك ، والدماء تقطر من جبينه ، ربما قام بيلاطس بإجلاس يسوع فى مكانه ، وإمعاناً فى الهزء من اليهود ، أشار إليه وهو يقول « أصلب ملككم ؟ » . ويقول إنجيل بطرس ، وهو أحد الأناجيل غير القانونية ، أن بيلاطس أجلس يسوع فى كرسى القضاء ، وهو يقول « أحكم بالحق يا ملك إسرائيل ! ! » . ويقول يوستينوس الشهيد إنهم أجلسوا يسوع على كرسى الحكم وقالوا له : « أحكم لنا » .

ربما يكون هدف بيلاطس السخرية من اليهود ، فى إظهار ملكهم بهذه الصورة ، وربما يكون هدفه السخرية من يسوع . ولكن ما أروع ما انقلبت هذه الصورة الساخرة لترسم لنا نبوة عظمى ، وحقاً مجيداً ، إن ما قصده هزءاً وسخرية كان الحق بعينه . ويوما ما ، سينظر أولئك الذين سخروا منه إلى يسوع عينه ، وهو يجلس على كرسى القضاء ليدين الشعوب .

وهكذا نرى في هذه المحاكمة المسرحية جلال يسوع ، نرى شجاعته ،  
نرى قبوله للموت الرهيب بكل ثبات . . نرى تسليمه لإرادة الآب . .  
ونرى صورة ساخرة درامية ، تنقلب إلى نبوة ، وترسم لنا حقيقة عظيمة .  
أن يسوع لم يكن ملكيا ، أكثر منه ، وهو يرتدى الثوب القرمزي ، ولم يكن  
رب التاج ، أكثر منه ، وهو مكمل بأكليل الشوك .

### يسوع وبيلاطس

( يوحنا ١٨ : ٢٠ : ١٩ : ١٦ )

تأملنا في الشخصيات الرئيسية في محاكمة يسوع . فهناك اليهود بأحقادهم ،  
وهناك بيلاطس بماضيه الذي يقيده ويتحكم في تصرفاته ، وهناك يسوع  
بجلاله ومجده الملكي . ولكن هناك شخصيات جانبية قامت بدورها الثانوي  
على مسرح المحاكمة . ونحن نريد أن نفردها بعض السطور : . .

١ - فهناك جنود الرومان : وحينما أسلم إليهم يسوع ليجلدوه ، انتهزوا الفرصة  
ليشبعوا نفسياتهم السعجة الفظة بالسخرية منه قدر المستطاع . فهو ملك .  
إذا لنبحث له عن ثوب ماكي يليق به . وتاج يتوج رأسه . أما الثوب فقد  
وجدوه في رداء قرمزي قديم ، لعله كان يستخدم في المسارح للأدوار التمثيلية .  
أما التاج : فقد اكتشفوه في أعواد نبات شوكة يكثر فوق تلال فلسطين ،  
ضفروا منه لإكليلا وتوجوه به . أما العرش فقد أحضروا كرسيًا وأجلسوه  
عليه . أما الصولجان ، فكان عوداً من الغاب . وكانوا يمشون أمامه ساجدين  
ساخرين هاتفين : « السلام ياملك » . ثم يلطمونه على وجهه : لقد كانوا  
يلعبون لعبة سخيفة كانت سائدة في القديم .

نجدتنا المفكر فيلو عن صورة قريبة الشبه جدا من هذه ، كان يلعبها رعا



الإسكندرية قديماً فيقول : « هناك إنسان معتوه يدعى كاراباس ، كان مصاباً بنوع من الجنون الهادئ . هذا المعتوه اعتاد أن يندرع طرفات المدينة ليلاً ونهاراً ، وهو يسير على غير هدى مجرداً من ثيابه كما ولدت أمه ، وقد أحاط به الصبية والكسالى يضايقونه ويحصبونه بالحصي .

وأحياناً كانوا يتخذونه هدف ألعايهم . وحدث أنهم دفعوه يوماً إلى الجمنازيوم أو الملعب . وأجلسوه على مكان عال حتى يراه الجميع . ثم أتوا بسلخه من لحاء الشجر ، وصنعوا منها غطاء لرأسه ، وبطنفسه عتيقة أحاطوا جسده . أما الصبولجان ، فقد وجدوه في عود من أعواد البردى ملقى في الطريق ، أخذوه ووضعوه في يمينه . وبعد أن كملت زينته كملك في مسرحية ساخرة أسرع مجموعة من الشبان تحمل العصي الطويلة ، لتصطف عن يمينه وعن يساره وكأنها حرس الشرف . ثم تقدمت البقية الواحد بعد الآخر ، أحدهم يقدم له شكواه ، والآخر يسأله العفو عن إساءة أو جرم وكأنه يحكم في مصائر شعبه . ثم هتف الجميع أمامه قائلين « مارين » ، وهي اللفظة السورية لكلمة ملك ، نفس الصورة التي تبدو أمامنا في معاملة الجنند الرومان ليسوع .

وبالرغم من كل هذا نقول ، إن دورهم كان ثانوياً . وأنهم رغم فظاظتهم وقسوتهم ، أقل الكل مسئولية وجرماً . فهم لا يدرون ماذا يفعلون . أمامهم أسير يهودي تدينه أمته ، ويطالب إخوته بدمه فمن يدري ؟ لعه قد ارتكب معصية أو جريمة يستحق من أجلها الموت . إن معظم أولئك الجنند أتى من أماكن بعيدة كمدينة قيصرية وغيرها ، ولم يسمع قط عن يسوع . لقد كان الأسير المائل أمامهم ، واحداً من الأسرى الذين يقدمون إلى المحاكمة بين الحين والحين ، ويتم فيهم تنفيذ حكم الموت . وكانوا يجلدون متنفساً لأحقادهم الكامنة ضد اليهود ، في السخرية منهم .

وهنا نرى إحدى الصور الدرامية الساخرة، التي يقصد البشير بتصويرها أكثر من صورتها الحالية . لقد انقلب الموقف الساخر إلى حقيقة ساخرة . لقد صنع الجند من يسوع صورة كارينكاتورية للملك . وهذا أقروا بملكه العظيم ، الشامل . فورا السخرية كان الحق العظيم الأبدى .

## يسوع أمام بيلاطس

( يوحنا ١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٦ )

٢ - وأخيرا لم يبق على خشبة المسرح ، صورة جديرة بالتأمل ، عدا شخصية باراباس ويوحنا لا يخبرنا إلا القليل عن باراباس . وعن عادة إطلاق أحد الأسرى أو السجناء في عيد الفصح ، لا نعرف شيئا أكثر مما نخبرنا به البشائر ، والبشائر الثلاث الأخرى ، تقدم لنا لمسات قليلة أخرى للصورة . فإذا جمعنا هذه وتلك ، نستطيع أن نعرف أن باراباس كان أسيرا أثيرا لدى الشعب ، وأنه كان من قطاع الطرق . وأنه اشترك في فتنة وشغب في المدينة ، وأنه ارتكب جريمة قتل . ( راجع متى ٢٧ : ١٥ - ٢٦ ، مرقس ١٥ : ٦ - ١٥ ، لوقا ٢٣ : ٦٧ - ٢٥ ، أعمال الرسل ٣ : ١٤ ) .

أما لقب باراباس ، فهو يستحق التأمل . فهناك احتمالان لما يعنيه هذا اللقب . فقد يكون مكونا من مقطعين « بار » ومعناه ابن و « آبا » ومعناه أب ، فهو « ابن أبيه » . وربما يعنى الاسم « بار بان » أو ابن المعلم الجدد . وليس بعيدا أن يكون باراباس ابن واحد من الأبحار المعروفين ، انحرف عن التعليم ، وضل طريقه . أو ربما يكون ابن واحد من الذين اختلطت في أعماقهم روح الثورة والتمرد بالأحلام الوطنية ، فأصبح في نظر الشعب زعيما ، شأنه شأن « روبين هود » الثالث ، الذي كان يعيش مع رجاله في الغابة ،

معتمدا على ما يجمعه من الأثرىاء بالرضى أو التهديد ، حتى أصبح شخصية معروفة نسجت حولها الأساطير فى الأدب الإنكليزى .

ومن المهم لدينا ، ألا نرى فى باراباس صورة لص منزل أو نشال فى الطريق العام . لقد كان قاطع طريق ، يجمع حوله أتباعه ، ويخرج إلى المناطق الجبلية . وإحدى الكلمات الواردة عنه فى الأصل « لستنس » تعنى هذا . وربما كان ميدان عمله طريق أريحا الجبلية بمحتوياته الكثيرة ومغاوره . وربما كان المسيح يقصده فى مثله الشهير ، عن السامرى الصالح .

بل لعله ارتفع فى نظر الشعب ، كما أشرنا ، إلى مقام الزعيم الوطنى الثائر ، من طائفة الغيورين ، الذين أقسموا أن يبحروا بلادهم من نير الرومان ، بكل وسيلة من الوسائل ، بالسيف ، بالنار ، بالسلب ، بالنهب ، بالقتل . فهو لم يكن مجرما رخيصا . لقد كانت مغامراته ، تحيطه بهالة من الاحترام والتقدير فى نظر الشعب .

ولكن هناك ما هو أكثر من هذا عن اسم باراباس . فهو على ما يبدو ليس اسما أصيلا ، إنه اسم ثان . لقد كان لقباً له كما لقب سمعان بلقب بطرس . وهناك نسخ قديمة من العهد القديم كالسريانية ، واليونانية ، والأرمنية تعطى باراباس لقب « باراباس يسوع » . هذا ليس بعيد الاحتمال لأن اسم يسوع كان شائعا فى ذلك الوقت . إن يسوع هو الترجمة اليونانية للاسم العبرى يشوع . إن كان الأمر كذلك يكون هناك الجماهير على هذا النحو .. « ليس يسوع الناصرى » ، بل يسوع باراباس » . هناك له رنين .

ولقد كان اختيار الجماهير اختياراً أبدياً . كان باراباس رجل القوة والبطش والدماء .. الرجل الذى اختار طريق العنف للوصول إلى مطامعه . أما يسوع الناصرى ، فقد كان إنسان المحبة والعطف الذى لا نصيب للعنف فى قلبه ، والذى أسس ملكوته فى قلوب الناس ، ومن المؤسف أن نقول ، إن العالم كله منذ بداية التاريخ حتى نهاية الدهر ، ما زال يسير فى ركاب باراباس . . ما زال يؤمن بالعنف .. والبطش .. والنار .. وبسفك الدماء للوصول إلى أغراضه . ولم يعرف بعد طريق يسوع الناصرى .

أما ما حدث لباراباس بعد ذلك ، فلا أحد يعرف (١) .

ولكن الكاتبة الروائية مارى كوريللى تقدم لنا صورة خيالية رائعة ليست بعيدة الاحتمال . فهو يسير فى موكب الصليب . ويشاهد يسوع الناصرى يرفع فى المكان الذى كان ينبغى أن يرفع هو فيه . . فى فيثف فى انكسار « إن قلبى ينكسر معك أنا المحرم الخاطيء » . بعد هذا يشرق عليه النور شيئاً فشيئاً . حتى يصل إلى صيح اليقين والإيمان الكامل ، فيثف باسم يسوع الناصرى . ويحقد عليه رئيس الكهنة ، فيدير له مؤامرة تنهى بالقبض عليه ، وإلقائه فى السجن رهن المحاكمة وفى صباح اليوم المعين لمحاكمته ، يفتح السجن باب الزنازة ليجده جثة هامدة .

لقد كان فى التقاء صورة يسوع مع باراباس فى يوم المحاكمة التاريخية أكثر من مادة للتأمل ، وأكثر من مادة للوعظ والتبشير .. إنه نور الصبح ، يلتقى وجهها لوجه مع ظلام الليل الرهيب .

---

(١) للاستمتاع بلسان رومانتيكية رائعة يستطيع القارئ أن يراجع قصة « باراباس » للمعرب .

لم تكن هناك في العالم القديم ميةة أفسى ولا أشنع من ميةة الصليب .  
فقد كان الوقت الذى يستغرقه المصلوب حتى تنهى حياته ، طويلا بالنسبة  
لأية ميةة أخرى ، وكان العذاب قاسيا . بل إن الرومان أنفسهم كانوا  
ينظرون إلى ميةة الصليب برعب ورهبة . يقول «شيشرون» خطيب الرومان  
إن الصلب هو ألعن الميتات قسوة ووحشية . ويتحدث عنه تاكوس فيقول  
إنه موت لا يعبر عنه بالكلمات .

ولقد بدأ الصلب كطريقة للإعدام بين الفرس . كانت الأرض مقدسة  
ظاهرة ، أظهر من أن تتنجس بجسد مجرم أو قاتل . ولذلك كانوا يعلقون  
المجرم في الهواء ، مسمرين إياه على الصليب ، ويتكونه يموت هناك ،  
وتقوم الطيور الجارحة والسنور بعد ذلك بنهش لحمه . وعن الفرس انتقل  
إلى أهل قرطاجة . ومن القرطاجيين انتقل إلى الرومان .

ولكن الصلب ما كان عقوبة تسرى على أى روماني ، مهما ارتكب من  
جرائم . لقد كان عقاب العبيد ، وعقاب سكان المستعمرات . فما كان  
المجتمع الروماني يتصور رومانيا معلقا على الصليب . يقول شيشرون :  
« إنه لجرم أن يقيد مواطن روماني .. وجرم أكبر أن يجلد .. وجرم أشد  
شناعة أن تزهق روحه . فكم بالحرى أن يعلق على صليب ؟ . إن عملا  
مثل هذا لا يمكن أن تصفه كلمات . لأنه لا توجد كلمات يوصف بها »  
هذا هو الموت . والموت الذى كان أفسى ما يحشاه إنسان في العالم  
القديم .. موت سكان المستعمرات ، والمجرمين والعبيد . هو الموت الذى  
قاساه يسوع .

ولقد كان روتين الصليب واحدا لا يتغير ، بعيد أن تثبت إدانة المتهم

ينطق القاضى بالحكم الرهيب : « إيس آد كروسيم » - مصيرك إلى الصليب  
وفى الحال يبدأ موكب الصليب ، فلا فترة تفصل بين الحكم والتنفيذ .

كان يحيط بالمتهم أربعة من الجنود، وهو يحمل صليبه فى طريقه للموت .  
وغالباً ما كان يجلد قبل تنفيذ الحكم .

فإذا انتهت عملية الجلد ، وما أقساها ، حمل صليبه وأسنده الجنود،  
وهو سائر على قدميه وعلى ظهره الحمل الرهيب . وأمامه كان يسير ضابط  
يحمل لافتة، سطرت عليها الجريمة التى انتهت به إلى الإعدام . أما موكب  
الصليب، فقد كان ينبغى أن يمر فى أكبر عدد ممكن من طرقات المدينة .  
لسببين . . السبب الأول ، كان الاعتبار والتخويف لكل من تسول  
له نفسه الخروج على القانون . وقد كانت الصورة المهينة والمصير الرهيب،  
ورؤية أكبر عدد ممكن من الناس للمحكوم عليه ، رادعاً لكثيرين ليتجنبوا  
مصيره ، ووازعاً للخضوع والاستسلام .

ولكن كان هناك سبب آخر رحيم : أنه قد يكون هناك شاهد فى صف  
المتهم لم يأخذ خبراً بالحكم عليه فيتقدم للدفاع عنه وربما انتهى ذلك إلى  
تخفيف الحكم عليه .

ولقد كان مكان الإعدام خارج أورشليم، فى موضع يقال له « مكان  
الجمجمة » وبالعبراية « جلجثة » وباللاتينية « كلفارى » ومنها انتقلت إلى  
الإنكليزية . وكان الناموس يحتم أن يكون مكان الإعدام خارج المدينة،  
لأنه لا ينبغى أن يدق الصليب ، وينفذ الحكم على الأرض المقدسة .

ونحن لا نستطيع على وجه التحديد أن نعرف الموضع . هناك  
أكثر من سبب تقدم به المؤرخون لتحديد المكان الذى يلقب بالجمجمة

والسبب الذى من أجله أطلق هذا الإسم عليها . هناك تقليد قديم يقول إن جمجمة آدم مدفونة فى هذا الموضع لذلك أطلق عليه هذا اللقب . واقترح آخر يقول إن جماجم الذين حكم عليهم بالموت من أجيال طويلة كانت تنتشر هناك، لكن هذا بعيد الاحتمال، لأن القانون الرومانى، بالرغم من انه كان يسمح بترك المصلوبين معرضين للشمس والهواء لتنتهى حياتهم بالجوع والعطش وتلوث الجروح ، وقد يستغرق ذلك أياماً ، إلا أن القانون اليهودى، كان يحتم ألا تغرب الشمس على المصلوبين . بل ينبغي أن تنتهى حياتهم ، وتدفن أجسادهم قبل حلول المساء - بحسب القانون الرومانى كانت تلقى الجثث لتنتهها الطيور الحارحة ، والوحوش الكاسرة والكلاب المسعورة . ولكن هذا كان محرماً بحسب الناموس اليهودى . وأية بقعة فى اليهودية، ما كان يمكن أن تترك فيها جماجم مكشوفة فى العراء .

من المنطقي جداً أن نسلم بما اقترحه البعض ، أن تلة الجلجثة، أخذت لقبها الشهير ، بسبب منظرها الذى يشبه الجمجمة . ولقد كان اسماً على مسمى .

وهكذا سار «يسوع» فى طريق الآلام حاملاً صليبه ، بقدميه العاريتين الممزقتين ، وظهره الذى تنزف دماؤه ، ورأسه المكمل بالشوك ، إلى ساحة الموت الرهيب .

## في الطريق إلى الصليب

فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيْبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ  
لَهُ مَوْضِعُ الْجُمُجْمَةِ وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ جُلْجُثَةُ حَيْثُ  
صَلَبُوا اثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مَعَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا وَيَسُوعُ فِي الْوَسْطِ  
وَكَتَبَ بِيَلَاطُسَ عِنْوَانًا وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيْبِ . وَكَانَ  
مَكْتُوبًا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ . فَقَرَأَ هَذَا الْعِنْوَانَ  
كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ لِأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلبَ فِيهِ يَسُوعُ  
كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ  
وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ . فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ  
لِيَبِلَاطُسَ لَا تَكْتُبْ مَلِكُ الْيَهُودِ بَلْ إِنَّ ذَاكَ قَالَ أَنَا مَلِكُ  
الْيَهُودِ . أَجَابَ بِيَلَاطُسَ مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ .

( يوحنا ١٩ : ١٧ - ٢٢ )

في هذه الفقرة أمران مجدر بنا ملاحظتهما ..

أما الأمر الأول، فيختص بنص الجريمة كما أثبت فوق الصليب . لقد  
كان مكتوباً بلغات ثلاث : العبرية لغة اليهود ، واليونانية لغة التجارة



والمعاملات ، واللاتينية، لغة السلطات الرومانية. هذه اللغات الرئيسية الثلاثة ، ترمز لحضارات ثلاث ، وأمم ثلاث . وكل من هذه الأمم ، كان لها دورها الذى لعبته على مسرح التاريخ ، ونصيبها الذى أسهمت به فى توجيه الفكر الإنسانى . أما اليونان فقد أزهقوا مشاعر الإنسانية للتأمل فى جمال المادة ، وجمال الفكر على السواء ، أما الرومان فقد علموا العالم أصول الشرائع ، وأساس الحكم الصائب ، أما أمة العبرانيين فقد قدمت للإنسان الدين الحق ، وعبادة الإله الواحد .

وهذه المفاهيم كلها وجدت فى يسوع .

ففى يسوع تجسم جمال الله ، وفكر الله ..

وفيه تمثل جمال ناموس الله ، وملكوته الله ..

وفيه تمثل دين الله ، وطريق الله ..

إن كل مجهودات البشرية وسعيها الدائب للوصول إلى الكمال، قد وجدت تحقيقها فى يسوع ، جميل أن نجد اللغات الثلاث ، بل الحضارات الثلاث، بل الأمم الثلاث التى ترمز للعلم أجمع، تنادى به ملكا ، وتكتب هذا وترفعه وتعلنه على رؤوس الأشهاد .

ومما لاشك فيه ، أن بيلاطس قصد بالذات أن يذل اليهود ويكسر كبرياءهم ، حينما وضع ذلك العنوان على تلك الصورة فوق صليب يسوع . لقد هتفوا على التو :

إنه لا ملك لهم سوى قيصر . لقد رفضوا أن يكون يسوع ملكا عليهم . وإذا بالوالى بروح السخرية ، يضع الأمور فى وضعها الصحيح . فتثور

ثائرة زعماء اليهود ، وبدقون بابه طالبين أن ينزع اللافتة التي ثبتها على الصليب ، أو أن يغير كلماتها . أما هو ، فيرفض بإباء ويقول وما كتبت قد كتبت . هل نرى في هذا الموقف إنساناً يفتق لنفسه ؟ هل نرى فيه موقف إنسان نادم على تحاذله ، فهو يريد أن يعوض عما جبن فيه وضعف ؟ هل نرى فيه صورة لبيلاطس العنيد، الذي لا يلين لتهديد ؟ إن بيلاطس هذا عينه، هو الذي انحى أمام العاصفة ، ولم يجسر أن يقاوم ثائرة اليهود على يسوع . لقد وقف متأرجحاً بين هل يصلبه أو يطلقه . . . هل يرضى اليهود أم يرضى ضميره . وأخيراً داس على ضميره واستسلم . لقد بدا ثابتاً حيناً كتب ، تهمة المصلوب ، ومهترأً أمام قرار الصليب !

هذه صورة من المتناقضات العجيبة، التي قد تبدو في حياتنا . إننا كثيراً ما نتشبهت بأمور قد لا تهنا في كثير ، ونضعف في مواقف أخرى غاية في الأهمية بالنسبة لنا ولغيرنا . كثيراً ما تتحجر أقدامنا، ولا نريد أن نترجج قيد شعرة عن تفاهات لا قيمة لها ، ونستسلم في تحاذل لتصرف نكسر فيه أسمى نوااميس الحياة .. لو كان بيلاطس أظهر مثل هذا العناد والتشبث في الحكم على يسوع ... لو كان قد وقف ثابتاً أمام ثائرة أعدائه، لحسب في التاريخ ضمن الأبطال العظاء . ولكنه حين ضعف في المواقف الكبرى، وتمسك كطفل عنيد بموقفه في الأمور الأصغر ، جلال اسمه العار . ولقد كان بيلاطس الرجل الذي أفاق لنفسه أخيراً ، ولكن بعد أن غرقت السفينة ، وضاع كل شيء من يديه .

ما أحوجنا أن نحترز لأنفسنا من مثل هذا المصير ؟

ما أحوجنا إلى أن نثبت أقدامنا في طريق الواجب ، ونقف إلى جوار الحق مهما هبت علينا العواصف والأعاصير .. ما أحوجنا إلى تقدير الأمور تقديراً صائباً ووضع أهم الأشياء في رأس القائمة ؟

## مقامرون في مشهد الموت

ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ أَخَذُوا  
ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْمًا .  
وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا . وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ  
مَنْسُوجًا كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَأَنْشُقَهُ بَلْ  
نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِيَمَنْ يَكُونُ . لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ أَقْتَسَمُوا  
ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي الْقَوَا قُرْعَةً . هَذَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ  
( يوحنا : ١٩ : ٢٣ - ٢٤ )

رأينا مما سبق أن المتهم كان يساق إلى مكان الإعدام ، محوطاً بأربعة  
من العسكر . ولقد كانت ثياب المتهم من نصيب الذين تقع عليهم نوبة  
العمل في ذلك اليوم .

وكان لباس اليهودي يتكون من خمسة أنواع من الثياب . فهناك  
الأحذية ، والعمامة ، والمنطقة ، والثوب الداخلي ، والرداء الخارجي -  
خمسة أشياء وأربعة من الجند . فكانوا يقامرون لتوزيع الحاجيات ،  
ليأخذ كل نصيبه ، وما تبقى كانوا يقرعون عليه . وهكذا بعد أن أخذ  
كل واحد من العسكر نصيبه ، بقي اللباس الداخلي منسوجاً كله بدون

خياطة . فمحاولة تمزيقه إلى قطع أربع كان يجعله بلا منفعة . وهكذا  
اقتروا عليه لمن يكون – صورة تبدو غريبة منفرة في مشهد الموت والدماء  
وعويل النساء .

هناك أمور كثيرة نستخلصها من الصورة الماثلة أمامنا ..

١ – بتساءل الواحد هل هناك مشابهة بين أولئك الجند الذين يلقون بالزهر في توقع  
الجهول ، وبين ما عمله يسوع ؟ لقد كان الجند مقامرين ، وكان يسوع مغامرا .  
ونكاد نقول إن هناك أكثر من وجه شبه بين المقامرة والمغامرة . ففي كلا  
الحالتين يلقي الإنسان بكل ما لديه في سبيل توقع ربح أعظم . لقد وضع  
يسوع حياته وكل ماله على مذبح الإخلاص والطاعة للآب ... أكاد أقول  
قامر بحياته على الصليب . لقد كان الصليب آخر شوط لعبه في مغامرته  
أو مقامرته ، ودفع فيه حياته ليكسب رضى الآب ، بل ليربح العالم  
كله ...

وللشاعر ستدرت كنيدي سطور بهذا المعنى يقول فيها :

« وراقبوه فابعين عند أقدام الصليب ...

« في ذلك اليوم الرهيب ...

« يلقون زهرهم يقامرون في صخب !

« وهو على الصليب ...

« يكابد الموت الكثيب ...

« يدفع عنا ديننا حتى نهاية الحياة ..

« دين الذنوب والآثام .

« وفي سبيلنا يقامر بكل ماله !

« حياته ودمه ،

« ألقى بها كالزهر فوق مسرح الآلام

« ليعبد الآثام .

« وقبل أن تغرب شمس ذلك اليوم الرهيب

« تتوج التلال بالشعاع القرمزى ،

« أدرك صاحب الصليب

« بأنه كسب الشوط الأخير

« بموته على الصليب !

وأنت أيها المؤمن بالمسيح ، عليك أن تعرف أنك دعيت لتكون مقامراً .  
فعليك بأن تلقى بذاتك ، وكيانك ، وكل مالك على مذبح التكريس ، لتكسب  
رضى الله ، ومحبه ، وأمجاده ، وخدمته .

٢ - ولا توجد صورة نظير هذه تصور لنا موقف العالم من المسيح .  
فالمشهد رهيب .. حزين . . دام . يسوع على الصليب ، والتأوهات  
تتصاعد من صدره . والدماء تقطر من جسده . والنسوة يبكين وينحن .  
والتلميذ الحبيب يحاول أن يعزيم . وفي وسط هذه الصورة التي يحيطها  
إطار أسود ، يبدو الجنود بلباسهم العسكري ، وخوذاتهم اللامعة ، وقد أسندوا  
سيوفهم إلى جوارهم ، وجلسوا على الأرض الصخرية ، وراحوا يقامرون  
ويسخرون ويقهقون .

استوحى أحد الرسامين من هذا المشهد صورة معبرة ، بصور فيها  
يسوع مرفوعاً على الصليب . مثقوب اليدين والقدمين ، دأى الجبين ،

منكس الرأس ، يتطلع في حزن إلى الجموع في إحدى مدننا العصرية ، أما الجماهير فهي تتزاحم ، وتتصارع ، بالأيدى والمناكب ، وعبونها إلى الأرض ، لا تكلف نفسها وسعاً ، أن ترفع أنظارها إلى المصلوب ، وتحت الصورة يكتب الرسام هذه الكلمات مستقاة من مرثي إرميا . « أما إليكم يا جميع عابري الطريق ، تطلعوا وانظروا إن كان حزن مثل حزني » ( مرثي ١ : ١٢ ) .

إن جوهر المأساة يكمن ليس في عداوة العالم ليسوع ، بل في عدم اهتمام العالم بيسوع ... في سليته الكاملة نحوه ، تلك السلبية التي تدفعه إلى عدم الاكتراث بحجة الله .

٣ - وهناك أمران آخران يجدر بنا ملاحظتهما في هذه الصورة ، هناك تقليد قديم يقول إن القميص أو الثوب الداخلى الذى اقترع عليه الجند لمن يكون ، نسجته العنراء المباركة نفسها وقدمته هدية لابنها الحبيب عند خروجه للخدمة . إن كان هذا التقليد صحيحاً ، ومن المرجح أنه صحيح ، فقد جرت العادة أن تقوم الأمهات اليهوديات ، بتقديم مثل هذه الهدية ، وعلى الأخص عندما يبدأ الابن حياته العملية ، إن كان هذا صحيحاً ، فإنه يضيف لمسة أخرى حزينة ، لصورة أولئك الجند الذين يقترعون على هدية أم لابنها في غير اكتراث لمشاعرها .

٤ - هناك لمسة أخرى تبدو خفية غير واضحة . فذلك القميص يتحدث عنه البشير ، أنه كان منسوجاً كله بغير خياطة قطعة واحدة من أعلاه إلى أسفله . هذا الوصف ينطبق بالتام على الثوب الداخلى المنسوج من كان ، الذى كان يرتديه رئيس الكهنة . دعنا نذكر شيئاً عن وظيفة رئيس الكهنة . إن أهم شيء كان يقوم به ، هو أن يكون قنطرة العبور بين الإنسان وإلهه .

وكلمة كاهن في اللاتينية «بونتكس» معناها مقيم القنطرة أو بانها ،  
إن وظيفة الكاهن أن يبنى قنطرة العبور بين الإنسان وبين الله .

ونحن لا ننكر أن الكاهن في القديم كان وسيطاً بين الله والإنسان . ولكن  
لم تمثل تلك الوساطة في أسمى وأكمل صورها ، كما تمثلت في يسوع المسيح .  
لم توجد قنطرة عبور بين الإنسانية وبين إلهها قدر ما كان المسيح ، فهو  
قطرتنا ... وسيطنا .. رئيس كهنتنا الأكمل ، الذى بواسطته نصل إلى الله ،  
وفيه يتنازل الله لنا .

هنا نرى معنيين للصورة الواحدة ، كما اعتاد يوحنا أن يقدم لنا ذلك : معنى  
ظاهراً سطحياً ، ومعنى آخر ، أكثر عمقاً وخصوبة ودلالة . إن يوحنا حينما  
تحدث عن القميص الداخلى المصنوع من كتان ، المنسوج كله بدون خياطة من  
أعلاه إلى نهايته ، لم يكن يصف نوعاً من الثياب فحسب ، بل كان يريد  
أن يوجهنا إلى أن يسوع هو وسيطنا ، ورئيس كهنتنا الأعظم الذى يفتح  
الطريق أمامنا إلى الآب السماوى ، ونجد فيه الرضى والقبول والباب المفتوح .

٥ - وأخيراً نرى في اقتسام الثياب ، والاقتراع على القميص أو الرداء  
إتماماً للنبوة القديمة ، فهو يرجع بنا إلى قول المزمع . . « يقتسمون ثيابي  
بينهم ، وعلى لباسي يقرعون » ( مزمور ٢٢ : ١٨ ) .

## محبة ابن

وَكَانَتْ وَقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأُخْتُ أُمِّهِ  
مَرْيَمُ زَوْجَةُ كَلُوبَا وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ  
أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَقِيفًا قَالَ لِأُمِّهِ يَا أُمَّرَأَةَ هُودَا  
ابْنِكَ . ثُمَّ قَالَ لِالتِّلْمِيذِ هُودَا أُمَّكَ . وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ  
أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ

(يوحنا ١٩ : ٢٥ - ٢٧)

على أن يسوع لم يكن وحيداً في لحظاته الأخيرة ، فعند صليبه كانت النسوة الأربع اللاتي أحببته ، ولقد رجح بعض المفسرين أنه في تلك العصور ما كانت النساء بذات أهمية كبرى ، فكان يسمح لهن بالاقتراب من المحكوم عليهن بالموت ، دون أن يلحظ أحد ذلك أو يهتم به ، وهكذا لم يكن هناك من خطر على المريمات ، في اقترابهن من صليب يسوع . هذا تفسير ضعيف ربما لا يطابق تماماً الحقيقة . فليس من المغفول ألا تهتم السلطات بأولئك الذين يقتربون من مذنب خطير ، أدانته الدولة وأصدرت عليه الحكم بموت الصليب وهو في ساعات تنفيذ الحكم . فربما كان في وجودهم ما يعطل تنفيذ حكم الموت ، وربما أعدوا العدة لاختطاف المصلوب قبل موته . إن وجود المريمات لم يكن بسبب أنهن بلا قيمة فلم يلحظهن أحد . إن سر وجودهن هو المحبة الكاملة التي لا تحسب حساباً للخطر .. المحبة التي تطرح الحوف إلى خارج .



وحينما نتأملهن ، نرى مجموعة غريبة متناقضة . وعدا مريم زوجة كلوبا التي لا نعرف عنها الكثير ، نستطيع أن نعرف شيئا عن الثلاثة الأخريات ..

١ - فهناك العنبراء المباركة المطوبة أم يسوع . ولعلها لم تدرك شيئا من كل ما يجري أمامها ، لقد كانت مغلقة في أحزانها ، حزينة على وحيدها ؛ وينوب قلبها أسى على النهاية المرة التي انتهى إليها . ولكنها لم تكن تفهم لماذا سارت الأمور هكذا مع يسوع ، فإن مريم لم تستطع أن تفهم ولكنها استطاعت أن تحب . . . .

لقد كان وجودها أمراً طبيعياً كأم بجوار ابنها في ساعاته الأخيرة ، قد يكون يسوع مجرماً في عرف السلطات .

ولكنه ابنها وكفى ...

« يقول رديار كبلنج .

« لو علقوني فوق تلة الممات .

« أماه ، يا أماه ... أنت لى .

« حبك لى بطيلة الحياة .

« لو أغرقوني وسط البحار .

« أماه ، يا أماه ... أنت لى .

« قدمك يهيمى بلا انتظار .

« أماه ، يا أماه ... أنت لى .

« إذا مرضت - نفسى والجسد .

« يغمرنى حبك للأبد ...

« أماه ، يا أماه ... أنت لى .

إن محبة الأمومة . . المحبة الغامرة الفائضة المثالية تتمثل في محبة الأم العذراء لابنها على الصليب .

٢ - وكانت هناك أخت أم يسوع . وفي بشارة يوحنا لا يذكر البشير اسمها - ولكننا لو درسنا القرينة الواردة في ( مرقس ١٥ : ٤٠ ، متى ٢٧ : ٥٦ ) نعرف أن اسمها سالومه أم ابني زبدي يعقوب ويوحنا . ومن الأمور الغريبة التي نعرفها عن سالومه ، أن السيد أنجبه إليها يوماً بقول قاس مويخ . فلقد أتت إليه في وقت من الأوقات ، وطلبت طلبه خاصة لابنها في ملكوته العتيدي . ( متى ٢٠ : ٣٠ ) ، فإذا ببسوع يخبرها أنها ترفع ناظرها إلى قمة لاندري الصعوبات التي تعترضها في الوصول إليها . فدونها صبغة ينبغي أن بصطيخ بها ولدائها ، ودونها كأس ينبغي أن يتجرعها حتى النهاية . لقد أحجلها يسوع أمام التلاميذ و . مع ذلك جاءت عند الصليب . إن وجود سالومه له أكثر من دلالة بالنسبة لها ، وله أكثر من دلالة بالنسبة ليسوع ، إنه يظهر لنا أنها كانت تملك الروح الوديعه المتضعة التي تقبل التوبيخ دون أن يقلل هذا ذرة من محبتها ، وهو يظهر لنا أن يسوع قد يضطر أن يوبخ إنساناً بحيث أن محبته تشع حتى من كلمات توبيخه . إن وجود سالومه درس لنا في كيف نعطي ، وكيف نأخذ ، كيف نقبل الإنذار بروح المحبة ، ولا يقلل هذا من محبتنا .

٣ - وهناك كانت مريم المجدلية . وكل ما نعرفه عن المجدلية أن يسوع أخرج منها سبعة شياطين ، ( مرقس ١٦ : ٩ ، لوقا ٨ : ٢ ) ، إن فائنة مجدل ذات التاريخ القديم والماضي الكتيب ، لا يمكن أن ننسى ما صنعه يسوع لها - لقد أنقذتها محبته ، ولذلك لم يكن غريباً « أن يفيض قلبها وعواطفها بمحبتها العميقة التي لا تحمد نيرانها ، وكأني بها صار شعارها « كيف أنسى ذلك الذي أحبني ! » .

وفي هذه الفقرة نرى لمسة من أجمل اللمسات التي تذخر بها قصة الإنجيل ،  
فحينما يلمح يسوع أمه ، لم يستطع إلا أن يفكر في الأيام القادمة الحزينة ، التي  
تنتظرها . وهناك إلى جوارها ، يشاهد يوحنا الحبيب ، وهو ابن خالته ،  
والتلميذ الذي كان يسوع يحبه ، فيستودع أمه لعنايته ، حتى يرعاها في وحدتها  
ووحشتها . . . ويستودع يوحنا لرعايتها وعنايتها .

إن يسوع في آلامه المرة ، في النزاع . . يسوع وهو يحمل على كتفيه  
خطايا البشرية ، ويحدد بموته مصيرها وخلصها . . يسوع وهو يصارع  
الشیطان وقوات الشر ، في معركة الأخيرة الرهيبة . . يسوع وهو يرى  
احتجاب وجه الأب عنه ، وينسحق قلبه بسبب ذلك . . . يسوع في تلك  
الساعة الحاسمة ، يفكر في أمه ، في وحدتها ، ومصيرها بعد أن يتركها . إنه  
لم ينس الواجبات البنوية ، ولم يغب عن ناظره منظر الأسرة والبيت ، إنه  
يفكر في آلام الآخرين وأحزانهم ، أكثر مما يفكر في آلامه وأحزانه .

## نهاية ظافرة

بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ فَلِكَيْ  
يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ أَنَا عَطْشَانٌ . وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا  
مَمْلُوءًا خَلًّا . فَمَلَأُوا إِسْفِنْجَةَ مِنَ الْخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا  
وَقَدَّمُوهَا إِلَيَّ فِيهِ . فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ قَدْ أُكْمِلَ .  
وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ

( يوحنا ١٩ : ٢٨ - ٣٠ )

هنا في هذه الفقرة ، تأتي وجها لوجه أمام حقيقتين عن يسوع . .

١ - الحقيقة الأولى تظهر لنا آلام يسوع الجسدية . . فلقد عرف يسوع على  
الصليب مرارة العطش ، ونيرانه . - حينما كان يوحنا يكتب بشارته حوالى  
عام ١٠٠ بعد ميلاد يسوع ، ظهرت بدعة جديدة في مجال الفكر الدينى  
والفلسفى ، تعرف بالغنوسية ، وهى كلمة تعنى أصحاب المعرفة كما أطلقوا ذلك  
على أنفسهم .

وكان أحد أركان تعاليم الغنوسيين أن الروح كلها صلاح وخير ، وأن  
الجسد أو المادة منبع الشر .

وعلى أساس هذا الإيمان وصلوا إلى استنتاجات عديدة ، أحدها أن

الله الذى هو روح مطلق ، لا يمكن أن يتخذ لنفسه جسداً . . لا يمكن أن يولد بجسد لأنه لا اتفاق بين الروح والجسد . لا لقاء بين منبع الخير ومنبع الشر . وهكذا نادوا ، بأن «يسوع» لم يكن له الجسد الحقيقى نظيرنا . لقد كان له شبه الجسد ، فيه تحدد مظهر الإله الروح وأصبح مرئياً للعيون . وعلى سبيل المثال قالوا ، إن يسوع حين كان يسير على الأرض ما كان يترك آثاراً لخطواته ، لأنه روح وجوهر فى جسد أشبه بصورة الأشباح . ثم نادوا بأن الله أسمى من أن يتألم وهكذا لم يشعر يسوع على الصليب بمرارة الألم . بل كان اختبار يسوع على الصليب دون ألم فعلى .

لقد كان الغنوسيون يظنون أنهم بهذا يكرمون الله وينزهونه عن أن يلد أو يولد أو يكون له كفوفاً أحد ، أو يتألم أو يقاسى مثلما نتألم نحن ونقاسى ، أو يجتاز فى اختبارنا الذى نجتازه . ولكن حقيقة الأمر أنهم كانوا بهذا يحطمون كيان يسوع ، ورسالته ، وهدفه . فإذا كان ليسوع أن يفتدى البشر ، فلا بد وأن يصبح إنساناً ، لا بد وأن يهبط إلى مستوانا ، حتى يرفعنا إلى مستواه . . لا بد وأن يدوق مرارة أخطائنا وعقوبتها ، حتى ينقذنا من أخطائنا . لا بد أن يصير هو ما نحن عليه حتى نصير نحن ما هو عليه . لهذا السبب يؤكد يوحنا حقيقة عطش يسوع ، كصورة من آلامه الجسدية التى كابدها وعانها وقاسى منها أكثر ما قاساه . إن يوحنا يؤكد لنا بهذا إنسانية يسوع . . رجولية يسوع . . حقيقة آلام يسوع .

٢ - الحقيقة الثانية تواجهنا بنصرة يسوع السرميلية حينما نقارن ما جاء بالبشائر بصدد صليب يسوع ، نجد حقيقة عظيمة تظهر أمامنا . فالبشائر الثلاث التوافقية ، لا تخبرنا بأن يسوع قال « قد أكل » ثم نكس رأسه وأسلم الروح . ( متى ٢٧ : ١-٥ ، مرقس ١٥ : ٣٧ ، لوقا ٢٣ : ٤٦ ) .

ولكنها تخبرنا أن يسوع صرخ عند موته بصوت عظيم . ولكن يوحنا هو الوحيد الذى يخبرنا أن كلمات يسوع الأخيرة على الصليب كانت « قد أكل » والتفسير الذى يفسر هذا التناقض الظاهرى هو أن كلمة « قد أكل » كانت هى الصرخة العظيمة التى أسلم بها المخلص الروح . إنها بعينها صرخته المرتفعة . الجملة « قد أكل » هى فى الأصل اليونانى مكونة من كلمة واحدة : « تبتلستاي » وقد كانت هى الكلمة التى نادى بها بصوت عظيم . إنه لم يهمس بها بانكسار من يجتاز وادى الهزيمة . لقد هتف بها بفرحة من كسب الإنتصار . لقد كان يسوع محطما على الصليب ، لكنه فى تحطمه كسب المعركة وانتصر على العدو . .

والجملة الأخيرة فى الفقرة التى أمامنا تظهر لنا ذلك بأكثر وضوح . فالبشير يقول إن يسوع قد نكس رأسه . وفى الأصل أسند رأسه ، كتب يسند رأسه على وسادة بعد رحلة شاقة مرة . إن المعركة بالنسبة ليسوع قد انتهت . . انتهت بالانتصار ، لقد عرف فرحة الانتصار ، وهتف هتاف الفوز ، واختبر راحة من أكل واجبه وأدى رسالته ، واختبر الاكتفاء والسلام .

أمران آخران ينبغى ألا تفوتنا ملاحظتهما فى هذه الفقرة ، الأول أن صرخة « أنا عطشان » يرجع بها يوحنا إلى أصلها فى العهد القديم . . إلى المزمور التاسع والستين والعدد الحادى والعشرين من هذا المزمور حيث يرد القول « يجعلون فى طعاعى علقما ، وفى عطشى يسقوننى خلا » .

إن آلام يسوع قد وردت بروح النبوة على لسان الأنبياء القدامى قبل وقوعها بمئات السنين . . والأمر الثانى ، نلاحظ فيه صورة للمعانى الخفية التى تتكرر بين سطور البشارة . يقول البشير إنهم ملأوا الإسفنجة خلا ،

ورفعوها على عود من أعواد نبات الزوفا إلى شفتى المصلوب. ولقد اعترض بعضال ن نباتات الزوفا، وهو عشب لا يزيد في ارتفاع عوده عن قلمين ، لا يصلح لأن يحمل شيئاً . وأن الكلمة ربما تكون ترجمة خاطئة لرمح أو حربة . ولكننا نعتقد أن يوحنا كتب عن الزوفا ، وهو يقصد بالفعل نبات الزوفا .

حينما تعود مئات السنين إلى الوراء ، إلى أول ليلة فصح في تاريخ الأمة اليهودية ، حينما كان إسرائيل على وشك الخروج من مصر أرض العبودية ، نذكر كيف أن ملاك الرب كان مزمماً أن يطوف في الليل في أرض مصر حاملاً سيفه المهلك ليقتل الأبنكار . ونذكر أيضاً كيف أن الرب أوصى شعبه المختار أن تذبح كل أسرة حمل الفصح ، وترش دمه على العتبة العليا والقائمتين حتى إذا رأى ملاك الموت علامة الدم ، يعبر عنها ولا يمسهما بضرر . وكانت الوصية على هذا النحو . . « وخذوا باقة زوفا ، وانمسوها في الدم في الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست وأنتم لا تخرج أحد منكم من باب بيته إلى الصباح .

فإن الرب يجتاز لضرب المصريين ، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين ، يعبر الرب عن الباب ، ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم لضرب » ( خروج ٢١ : ٢٢ ، ٢٣ ) لقد كان في الدم ستر النجاة لشعب الرب ، وفي دم يسوع ، أساس الخلاص والنجاة من الخطية ومن الغضب الإلهي . إن مجرد ذكر نبات الزوفا ، كان يرجع بخيال اليهودي إلى دم حمل الفصح . حمل النجاة . وهكذا يريد البشير أن يوجه أنظارنا بهذه اللقطة الحفية إلى مانادى به يوحنا المعمدان في مستهل إرسالية يسوع حينما هتف وهو يشير إليه « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم » ( يوحنا ١ : ٢٩ ) .

## الماء والدم

ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادُ فَلَئِكَ لَاتَبَقَى الْأَجْسَادُ عَلَى  
 الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ لِأَنَّ يَوْمَ ذَلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيمًا سَأَلَ  
 الْيَهُودُ بِيلاطُسَ أَنْ تُكْسَرِ سِيقَانَهُمْ وَيُرْفَعُوا . فَاتَى  
 الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ الْمَصْلُوبِ مَعَهُ .  
 وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقِيَهُ لِأَنَّهُمْ  
 رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ . لَكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ  
 بِحَرْبَةٍ وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ . وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ  
 وَشَهِدَتْهُ حَقٌّ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ .  
 لِأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ عَظْمٌ لَا يُكْسَرُ مِنْهُ .  
 وَأَيْضًا يَقُولُ كِتَابٌ آخَرٌ سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ

( يوحنا ١٩ : ٣١ - ٣٧ )

مخصوص عقوبة الصلب ، نستطيع أن نقول إن اليهود إلى حد ما ،  
 كانوا أكثر رحمة من الرومان- فحين يكون الصلب تحت إشراف الرومان ،  
 كانوا يتركون المصلوب ليموت ببطء على صليبه ، حتى ولو استغرق  
 الأمر أياماً .



فقد يكون المصلوب قوى البنية ، فيبقى أياماً معرضاً لحرارة الشمس في النهار ، وقسوة البرد في الليل ، والجوع يعذبه ، والعطش المحرق يجففه ، وجراحه من أثر الجلد والمسامير الصدئة تتقيح وتتعضن ، والذباب والحشرات تجد فيها مرتعاً خصيباً ، لقد كان الصلب فقرة رهيبية مرة قاسية ، ولا غرابة أن يخبرنا المؤرخون أن كثيرين من المصلوبين ، كانوا يفقدون عقولهم ، ويموتون وهم يهرفون ..

فإذا انتهت حياة الضحية التعمسة ، كانوا يلقون بالجنة للكلاب المسعورة ، والطيور الجارحة ، دون أن يقوموا بدفنها .

ولكن القانون اليهودي ما كان يبيح مثل هذا الموت الوحشي . ونحن نقرأ في سفر التثنية الأصحاح الحادى والعشرين ، والعددان الثانى والعشرين والثالث والعشرين « إذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تلت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إهلك نصيباً » . وفى سفر المشنا ناموس الكتابة نقرأ « كل من يترك جثة لتبقى ليلة ، يتعدى الوصية » ، ولقد أعد السنهليم عدته لذلك ، فكانت هناك مقبرتان لمن لا يدفنون في قبور آبائهم . وعند صلب يسوع ، كانت الفرصة مساء سميت الفصح . وكان الأمر يقتضى عدم بقاء الجثث دون دفن ، لأن ذلك السبت كان عظيماً عند اليهود .

ولقد كان اليهود يتبعون طريقة بدائية لإنهاء حياة المصلوبين . كانوا يقومون بكسر سيقانهم مزاراً حتى يموتوا .:

وهكذا كان تصرفهم مع اللصين اللذين صلبا مع يسوع .

ولكن يسوع كان قد أسلم الروح ، فأعفى من تلك الرحمة الوحشية  
أو الضربة الرحيمة كما كانوا يلقبونها .

ويرى البشير في ذلك التصرف أيضاً ، إتماماً للنبوة القديمة القائلة « عظم  
منه لا يكسر » (عدد ٩ : ١٢) بل إن حمل الفصح نفسه ما كانت تكسر  
عظامه . كانوا يأكلون لحمه مشويماً على أعشاب مرة دون أن يكسر عظم  
منه . وهنا نرى إشارة أخرى إلى أن يسوع هو حمل الفصح الإلهي الذي  
يرفع خطية العالم .

ثم تتبع ذلك حادثة غريبة . قبعد أن رأى الجندي أن «يسوع» قد مات ،  
تقدم واحد منهم ورفع رمحه ، وطعن به الجسد ، ولعاه فعل ذلك ليتأكد أن المصلوب  
قد انتهت حياته بالفعل ، وللوقت سال دم وماء . ويعلق البشير أهمية خاصة  
على هذا الحادث ، فهو إتمام لنبوة قديمة نادى بها زكريا قديماً في نبواته ،  
في الأصحاح الثاني عشر والعدد العاشر .. وينظرون إلى الذي طعنوه .. ثم  
يضيف الكاتب أنه شهد بعينه هذه الواقعة ويؤكد صدقها وصحتها .

قبل كل شيء دعنا نصور لأنفسنا ما حدث .

ونحن لا نستطيع أن نفهم بالضبط من أين أتى الدم والماء ، ولكن من  
المحتمل جداً أن الظروف الإستثنائية الأليمة التي اجتازها يسوع ، قد أدت  
إلى انفجار جدار القلب .

إننا نعرف أن الميت لا يدعى ، فالدم يتجمد في عروقه ، ولكن يسوع  
اجتاز في آلام نفسية وجسدية مروعة ، فضلاً عن الإرهاق الذي عاناه في  
جسدياً في الليلة السابقة ، والسهر المتواصل ، والمحامات المضلة المدلة ، كل  
هذه كان لها أثرها في انكسار قلبه الكريم ؛ ولقد وردت النبوة عنه على

لسان كاتب المزمور التاسع والستين والعدد العشرين « العار كسر قلبي » ، يقول علماء للتشريح ، إن انفجار جدار القلب يؤدي إلى تدفق الدم واختزانه خلف الحجاب الحاجز . وسرعان ما يتخثر إلى كتلة دموية ، منكمشاً عن المصل أو السيرم الذي يحيط به . فحين اخترق الرمح جنب المسيح ، مزقت الطعنة الحجاب الحاجز ، فسال الدم ومعه المصل المائي . وهناك رأى آخر يقول ، إن سن الرمح وصل إلى القلب نفسه ، فمزق الغشاء الخارجى الذى يحوى الماء ونفذ إلى حجرات القلب . فتدفق الدم والماء .

وسواء كان هذا أو ذلك ، لماذا يصر البشر على تأكيد هذه الحقيقة ؟ ربما كان ذلك لسببين ..

١- السبب الأول ، أن يوحنا كما أسلفنا كتب بشارته في وقت ظهرت فيه بدعة الغنوسيين . وهو بذلك يريد أن يؤكد أن يسوع كان إنساناً حقيقياً ، وأن جسده كان جسداً فعلياً . هذا هو رد البشر على أولئك الذين ينادون بشبه الجسد . أو الجسد الشيخ .. وهذا أصدق دليل على أن يسوع كان عظماً من عظمتنا . ولحماً من لحمنا .

٢ - ولكن بالنسبة ليوحنا ، كان هناك في ذلك الحادث ما هو أكثر من إثبات ناسوت المسيح . لقد رأى في ذلك رمزاً لسرين عظيمين من أسرار الكنيسة . أحدهما يبنى على الماء ونعنى به سر المعمودية ، والآخر يقوم على أساس الدم ، سر العشاء الرمزي أو كما يلقب بالعشاء الرباني . فالكأس التى تحوى النبيذ الأحمر رمز للدم ، إن ماء المعمودية هو العلامة والرمز ، لنعمة الله المطهرة في يسوع المسيح ، أما النبيذ في فريضة التناول فهو رمز لدم المسيح الذى يسفك عن كثيرين لمعفرة الخطايا ، إن الماء والدم اللذين سالا من جنب

يسوع المطعون هما إشارة إلى رمز الغسل في فريضة المعمودية ، ورمز الدم  
المطهر الذي نتناوله في صورة النبيذ في عشاء الرب . لقد رأى يوحنا في  
تلك الحادثة علامة ورمزاً وإشارة إلى عملية تطهير الحياة بنعمة المسيح ،  
وعملية غفران الخطايا بالدم المقدس .

## أشواك وزهور في بستان الجلجثة<sup>(١)</sup>

وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان ..

( يوحنا ١٩ : ٤١ )

ولن يضيرنا أن نقف وقفة تأملية أخرى أمام آية من الآيات الذاخرة التي تنخر بها البشارة الرابعة ، فالبشير يصور لنا الموضع الذي قاسى فيه يسوع الموت في صورة بستان - بستان في موضع الموت . إشراقة الحياة أمام غروبها . صورة رائعة تجمع المتناقضات .

كان الوقت بداية الربيع . ولا ريب أن البستان كان يزدهر بالزهور المتفتحة . ولا ريب أنه عن قرب منه ، بين شقوق الصخر ، كانت تنمو الأشواك . وليس بعيد أن الأشواك التي ضفر منها الإكليل الذي توج به يسوع ، أخذت من هناك . فلم تكن الجلجثة تبعد كثيراً عن دار الولاية . وأمام هذه الأشواك والزهور ، نريد أن تكون لنا وقفة تأملية ، ففيها أكثر من رمز يشير إلى حقائق عظيمة .

١ - ولعل أول الرموز التي تشير إليها الأشواك ، أنها تذكرنا بقساوة البشرية . هنا نقف وجهاً لوجه أمام الجريمة الأعظم في تاريخ البشرية -

---

(١) هذا التأمل للمعرب

جريرة صلب يسوع ، لقد جاء ابن الله إلى خاصته ، وخاصته لم تقبله - برسالة المحبة ، برسالة الخدمة ، برسالة السلام ، برسالة الرجاء ، جاء إلى أمته . أما هم فكما قال لهم رسول الختان : « طلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل ورئيس الحياة قتلتموه » ( سفر الأعمال ٣ : ١٤ ، ١٥ ) ألا تنطبق عليهم المرثاة التي رفعها السيد عند اقترابه من أورشليم ؟ « يا أورشليم ، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها » ( متى ٢٣ : ٣٧ ) إن تلة الجلجثة تنادى بأعلى صوت معلنة قساوة قلب الإنسان .

٢ - الرمز الثاني الذي ترمز إليه الأشواك ، هو مرارة الخطية . هنا الأساس وراء القسوة والصليب والدماء . هنا الأساس خلف هتاف الجماهير ليس هذا بل باراباس . وكما يقول البشير « النور جاء إلى العالم » والنور يوبخ .. يكشف .. يعلن . لذلك لا غرابة إن « أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة ، لأن كل من يفعل السيئات يبغض النور ولا يقبل إلى النور لئلا توبخ أعماله » لا غرابة أن يحاول الناس إطفاء النور . إن إنسان الخطيئة لا بد وأن يهرب من إله القداسة ، لا بد وأن يحشاه ، فإذا لم يكن بد من مواجهته ، تحول الخوف إلى عداوة ، وهجوم .

لماذا رفضت الجموع « يسوع » ، وهتفت باسم « باراباس » ؟ ألم يكن « يسوع » معبود الجماهير الذي هتفت له ، أوصنا . مبارك الملك الآتي باسم الرب .. ( لوقا ١٩ : ٣٨ ) ؟ فلماذا تننروا له بعد ذلك ؟ السبب أن الأمر اختلط عليهم في البداية ، لقد توقعوا أن يروا مثال . باراباس في « يسوع » ، فلما خاب ظنهم ، ارتدوا إلى مثالهم الحقيقي ، إن « باراباس » معبود نم منذ البداية ، وليس يسوع ، حقاً ما أقسى خطيئة الإنسان !

هناك قصة من أحداث الثورة الفرنسية تدور حول جماعة من الثائرين

هاجمت أحد النبلاء . وفي ساحة البيت ، رأى زعيم الجماعة صورة  
كبرى للعدراء المباركة . ووقف برهة في تردد ، ثم مال بث أن جثا أمام  
الصورة إلى الجدار وهو يقول : الآن أستطيع أن أفعل ما أريد .

وهذا ما حدث ليسوع . لقد كان صورة الله .. مجد الله .. قداسة الله ..  
حبة الله .. نور الله المعلن للبشرية . لذلك لم يكن من بد أن تهاجم الإنسانية ،  
التي تعيش في ظلامها .. في شرها .. في حقدتها .. هذا النور الكاشف الموبخ .

٣ - الرمز الثالث الذي نراه في أشواك بستان الجلجثة يشير إلى العدالة الإلهية  
وليس هناك دليل أقوى من هذا الدليل الذي أماننا ، يعلن لنا عدالة الله  
وبفضه للخطية . فالآب المحب لا يشفق على الإبن الحبيب ، لأنه قبل بأن  
يقف في دائرة الخطية ، ويحمل وزرها وشناعتها ، وكما يقول النبي قديماً  
« استيقظ ياسيف على راعي ورجل رفقتي » ، إننا نقلل من سمو مقياس  
الله ، لأن مقياسنا قاصرة ، ولكن إله القداسة ، لا يمكن أن يتهاون مع  
الخطية . وصليب يسوع أصدق دليل على ذلك .

٤ - وهذه الأشواك تشير إلى النهاية الحتمية . إن ثلة الجلجثة هي ثلة  
الموت في صورتها فهي على شكل جمجمة ، فباجعلت له ، فقد أصبحت  
ميدانا للإعدام ، في القبور المتراسة إلى جانبها المنحدر ، في الصليبان  
التي تعزز في أرضها ، في الدماء التي تلتطخها . إن كل ما في الجلجثة ، يشير  
إلى النهاية الحتمية للبشر . فقد وضع للناس أن يموتوا مرة ، وكما يقول  
« إغناطيوس ليولا » « لكل سؤال في الحياة نستطيع أن نجيب بكلمة  
« ربما » إلا سؤال واحد : هل سأموت ؟ ما أقسى حتمية الموت في  
حياة الإنسان ؟

يقول البشير : فى الموضع حيث صلب يسوع بستان . وما أقسى  
الأشواك التى تحيط بهذا البستان ، التى تعلننا لنا تلة الجلجثة ، بصورها  
الرهيبة .

### أشواك وزهور فى بستان الجلجثة

( يوحنا ١٩ : ٤١ )

ولكن هناك من الجانب الآخر زهور يانعة متفتحة على تلة الجلجثة..  
زهور ترمز إلى أكثر من حقيقة .. هناك تقليد يهودى يقول ، إن الله أرسل  
إلى العالم بعد سقوط الخليقة ملاكين ، الواحد اسمه ملاك النعمة ، والثانى  
ملاك النعمة . فحينما زرع الأول شوكتاً أنبت الثانى فى الشوك ورداً ، وحينما  
زجر الأول بغضب فأرعدت السماء ، وتصعب السيل ، رسم الثانى قوس  
قزح على صفحة السحاب الأسود .

وقد تكون النعمة تمثلت فى عهد ناموس ، عهد سيناء بضبابه ،  
وبروقه ، ورجوعه ، ونيرانه . ولكن النعمة تمثلت فى عهد النعمة .. فى  
إشراق رب النعمة فى شخص المسيح المبارك .

على تلة الجلجثة صدمتنا الأشواك فزقتنا . وعلى تلة الجلجثة أيضاً  
جابهتنا الزهور اليانعة فأحيت فينا ميت الرجاء ..

٢ — فهناك وردة الفداء : وهى وردة حمراء بلون الدم . لأنها من دم  
المسيح نبتت ، وفى دمه ترعرعت وفتحت . « الذى فيه لنا الفداء بدمه  
غفران الخطايا » . فما كان لنا أن نفتدى من ماضى الخطية ، وسلطانها ،  
ولعناتها ، وأبديتها ، لولا فداء المسيح الذى تم على صليب الجلجثة .



هناك قصة خيالية لأوسكار وايلد، خلاصتها أن أميراً اشتاق أن تكون له وردة . وكان الفصل شتاء . وكان للأمير صديق : بلبل جميل . فذهب البلبل إلى شجرة الورد التي لا تملك إلا الأوراق ، وأسر إليها بطلب الأمير . وطلبت الشجرة منه أن يأتي في ظلام الليل ، ويلصق صدره بأحد أشواكها وطار البلبل إليها . ونفذت الشوكة إلى قلبه . وراح يغرر ويغرر ، والشوكة منخرسة في قلبه ، تمتص منه دماء الحياة . واستمر على هذا النحو حتى بذل آخر قطرة من دمه فسقط جثة هامدة . بينما انتفخت الشوكة وفتحت عن وردة حمراء يانعة .

هنا نرى صورة لما قدمه يسوع للبشرية على تلة الجلجثة ، لقد نفذت شوكة الخطية إلى صدره ، ومزقت قلبه . لكنه قدم للبشرية بديلاً عنها ، وردة الفداء المباركة .

٢ - وهناك بنهض الصفاء : وسلام الله لابد وأن يأتي بعد فداء الله . إن الإبن الذي نال الفداء بدم المسيح ، وتحرر من لعنة الخطية وقصاصها ، لابد وأن يختبر سلام الله الذي يفوق كل عقل . لقد زالت الغيوم ، وانقضت السحب ، وأشرقت شمس البر والشفاء في أجنتها . « يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً » .

٣ - وإلى جوار هذه تنمو زنبقة النقاء : زهور الزنايق البيضاء تشير على الدوام إلى القداسة . إلى النقاوة . ونقاوتنا وقداستنا هي في ذلك الذي صار لنا من الله برأ و قداسة وفداء .

وفي الصليب تقدم إلينا المسيح ببه الكامل ليسر عرينا . وكما قال أحد القديسين القدماي ، لقد تعرى بالكلية على الصليب ليكسونا بثوب ببه .

٤ - وهناك زهرة رابعة إسمها نرجس العزاء : وأى عزاء لنا فى  
آلامنا ، وتجاربنا ، وأمراضنا ، وأحزاننا . إلا أن نتمثل حبيبنا يسوع ،  
وقد سار قبلنا فى وادى الدموع والألم ، وعرف تجاربنا وضيقاتنا ؟ « لأنه  
فما هو قد تألم مجربا بقدر أن يعين المحربين » .

٥ - وهناك آخر الكل زهرة الرجاء : وقد تكون هذه الزهرة كامنة  
لم تفتح بعد فى تلة الدماء والصليب والموت . ولكن بعد يومين اثنين ،  
شقت طريقها لتستقبل أشعة الشمس . ويظهرها أصبح لنا ملء الرجاء  
فى الإنتصار على الموت والهاوية .

والآن تعال أيها العزيز لمن فداك ، وقدم له الأشواك التى بين يديك ،  
إنه على استعداد أن يتحمل لعنتها ومرارتها ليعطيك ورود الفداء ، والنقاة  
والرجاء ، والحياة الأفضل . هل تأتى إليه ؟

## الهدايا الأخيرة ليسوع

ثُمَّ إِنَّ يَوْسُفَ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ وَهُوَ تَلْمِيزُ يَسُوعَ  
وَلَكِنْ خُفْيَةً لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ سَأَلَ بِيلاطُسَ أَنْ  
يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ . فَأَذِنَ بِيلاطُسُ فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ  
يَسُوعَ . وَجَاءَ أَيْضاً نِيْقُودِيْمُوسُ الَّذِي أَتَى أَوَّلًا إِلَى  
يَسُوعَ لَيْثًا وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيحٌ مُرٌّ وَعُودٌ نَحْوُ مِثْقَةِ مَنَاءٍ .  
فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الْأَطْيَابِ كَمَا  
لِلْيَهُودِ عَادَةٌ أَنْ يُكْفَنُوا .

فَهَنَّاكَ وَضَعَا يَسُوعَ لِسَبَبِ اسْتِعْدَادِ الْيَهُودِ لِأَنَّ  
الْقَبْرَ كَانَ قَرِيبًا

( يوحنا ٢٩ : ٢٨ - ٤٠ )

وهكذا أسلم يسوع ، الروح على صليب الجلجثة . واقتضى الأمر العمل  
بسرعة على إزال الجسد عن الصليب ، وإعداده للدفن ، حيث أن السبت  
كان قريبا ، ولا ينبغي القيام بأى عمل فى السبت ، فكم بالحرى تدلول  
جسد الميت . ولكن اعترضت الأمر مشكلة ، فجميع الذين حول يسوع فقراء

لا تمكنهم مواردهم الضئيلة من أن يقوموا بتكاليف الحنوط ، وقد كان غالياً ،  
والدفن ، ولم تكن هناك مقبرة خاصة — هنا يتقدم اثنان لينقذا الموقف .

وأول الإثنين كان «يوسف الرامي» ، فقد كانت له مقبرة منحوتة في  
الصخر ، كان إنساناً عظيماً ، وعضواً في مجلس السنهدريم . وكان تلميذاً  
ليسوع ، ولكن خفية بسبب الخوف من اليهود . والثاني «نيقوديموس» .  
ولقد جرت العادة حينذاك ، كما لا تزال سارية الآن ، أن يلف جسد  
الميت بكتان أبيض مشيع بالأطياب ، الحنوط . وهكذا أحضر «نيقوديموس»  
معه ما يكفي لهذه المناسبة ويزيد .

لقد قدم «يوسف الرامي» القبر ، وقدم «نيقوديموس» الثوب الذي يلبسه  
الضيف الجديد ساكن القبر .

وفي هذه الفقرة نلمس المأساة ، كما نرى الأجداد يلتقيان معاً ...

١ — فهناك عنصر المأساة : لقد كان «نيقوديموس» ، كما كان «يوسف  
الرامي» تلميذين ليسوع في الحفاء . وكانا عضوين في مجمع السنهدريم مجمع  
اليهود الأعلى ، الذي يضم ممثلين من كبار الفريسيين ، والكهنة ، والذي  
حوكم المسيح أمام أعضائه . فلما أن نفترض أن «يوسف الرامي» وزميله  
اعتذرا عن الحضور ، أو أن نقول إنهما لزمنا الصمت طيلة المحاكمة . وكم  
كانت تكون لفتة عظيمة لو ارتفع صوت واحد بين الأصوات الثائرة المعادية  
مدافعاً عن «يسوع» . وكم كان الفارق يبدو كبيراً لو تطلع يسوع فرأى وسط  
أمواج الحقد والعداء ، وجهها واحداً يشع بالمحبة والإخلاص ! ولكن  
الخوف تملك قلب «نيقوديموس» كما ساد على «يوسف الرامي» ، فنكسا  
رأسهما ولم ينطقا بكلمة .

حتى أنت فرصة موت « يسوع » ، فظهر الإثنان ليكرما جسد صديق  
انتهت حياته !

صورة مؤسفة ولاشك !

لكن ألا يحدث معنا أن ننكر لواحد من معارفنا في الحياة ، ثم يدفعنا  
الندم إلى إكرامه بعد الوفاة ؟ كم كانت كلمة طيبة ، أو وقفة شجاعة  
إلى جوار « يسوع » في محنته أفضل من حنوط غالي الثمن ، وأكفان ثمينة ،  
وقبر يليق بجسد ملك ؟ إن زهرة واحدة تقدم في الحياة ، أفضل من  
عشرات « الكورونات » النفيسة التي تلي على قبر ميت . . . كلمة واحدة  
من كلمات المحبة والشكر والمشاركة العظيمة ، أفضل من المرائي البليغة  
والقصائد الرنانة التي نهتف بها أمام نعش يضم الجسد الساكن .

٢ - ولكن هناك تكمن الأعباد : إن موت يسوع قد صنع ليوسف ،  
ولنيقوديموس ما لم تصنعه حياة « يسوع ». فما أن أسلم « يسوع » الروح على  
الصليب ، حتى تبددت المخاوف ، وأسرع الإثنان إلى دار الوالي يطلبان  
الجسد ، ليقدموا له الإكرام الواجب . لقد انتهى عهد الجبن ، والخوف ،  
والتردد ، والحكمة الجسدية . والتوارى خلف جدار الحرص والحذر . إن  
جميع الذين دفعهم الخوف إلى التستر عن العيون في حياة « يسوع » قد وقفوا  
إلى جواره ، وأعلنوا اسمه ، ونادوا به ، بعد أن انتهت حياته بالجسد ،  
نعم لقد تنبأ السيد قبيل موته بالنبوة القائلة « وأنا إن ارتفعت عن الأرض  
أجذب إلى الجميع » ( يوحنا ١٢ : ٣٢ ) . ولم تمض ساعة واحدة بعد  
موته على الصليب ، إلا وتحققت تلك النبوة . ربما يكون « نيقوديموس » قد  
شعر بالمرارة والألم ، لتغيبه أو صمته عن الدفاع عن « يسوع » . ولكن

الصليب عمل عمله في أعماق كيانه . وهكذا عرف كيف يطرح الخوف إلى خارج .

إن جاذبية الصليب عملت عملها فيه . والمعجزة تمت في أعماقه . وقوة الصليب حولت الحائر المتردد الحائف ، إلى بطل شجاع ، لم يتردد في السير في طريق الواجب ، والوقوف إلى جانب معلم الأجيال .

## المحبة الذاهلة

وَفِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ  
بَاكِراً وَالظَّلَامُ بَاقٍ فَانْظَرَتْ الْحَجَرَ مَرْفُوعاً عَنِ الْقَبْرِ .  
فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التَّلْمِيذِ الْآخَرَ  
الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ وَقَالَتْ لَهُمَا أَخَذُوا السِّدَّ مِنَ  
الْقَبْرِ وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ . فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتَّلْمِيذُ  
الْآخَرُ وَاتَّيَا إِلَى الْقَبْرِ . وَكَانَ الْاِثْنَانِ يِرْكُضَانِ مَعاً .  
فَسَبَقَ التَّلْمِيذُ الْآخَرُ بُطْرُسَ وَجَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ وَأَنْحَى  
فَنَظَرَ الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ . ثُمَّ جَاءَ  
سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتَّبِعُهُ وَدَخَلَ الْقَبْرَ وَنَظَرَ الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً  
وَالْمَنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعاً مَعَ الْأَكْفَانِ  
بَلْ مَلْفُوفاً فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ . فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضاً  
التَّلْمِيذُ الْآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ وَرَأَى فَاَمَنَّ .

لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات . فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما  
( يوحنا ٢٠ : ١ - ١٠ )

لأنجانب الصواب إن قلنا إن واحداً من التلاميذ أو البشر الذين عاصروا السيد لم يحب يسوع ، قدر ما أحبته مريم المجدلية . نجبرنا البشير لوقا أن السيد أخرج منها شياطين الخطية .

لقد صنع معها عملاً عجباً . ولذلك لا يمكن أن تنسى ما قدمه لها . إن التقليد نجبرنا أن تاريخ «مريم المجدلية» كان عفتنا ملطخاً بالآثام حين ظهر يسوع في حياتها ، فغفر لها وطهرها ، وقبلها في مراحمه .

ولقد جرت العادة بين اليهود ، أن يقوموا بزيارة قبر الميت ، لمدة ثلاثة أيام متتالية ، من يوم دفنه لأنهم كانوا يعتقدون أنه لمدة ثلاثة أيام كاملة تحوم روح الإنسان حول الجسد ، منتظرة عند باب القبر . حتى إذا هل اليوم الرابع ، تفضل الطريق ولا تستطيع أن تتعرف على الجسد ، لأن عوامل الفساد تكون قد دبت فيه ، وغبرت سحنته .

وهكذا تغادر المكان أسيفة حزينة . ولم يستطع واحد من أصدقاء يسوع ، سواء من النسوة أم من التلاميذ ، أن يقوم بالزيارة التقليدية للقبر في يوم السبت . فقد كان هنا كسرا للناموس . وهكذا لم تجد «مريم المجدلية» بدا من الانتظار على أحر من الجمر ، حتى تمر ساعات السبت . وفي فجر الأحد هبت مسرعة . والكلمة المترجمة باكراهي في الأصل « بروى » وهي التعبير العلمي عن آخر حراسة ، من الحراسات الأربع التي يقسم لها الليل .



من الساعة الثالثة بعد منتصف الليل حتى الساعة السادسة . كان الظلام باقياً حين أتت المجدلية إلى القبر فلم تستطع الإنتظار .

و حين أتت إلى القبر ، أصابها الدهشة البالغة ، فما كانت للمقابر في القديم أبواب تغلق . لقد كان لها مجرى محفور أمام مدخلها ، وهذا المجرى كان يدرج فيه حجر مستدير كحجر الرحي يغلق المدخل تماما .

ويخبرنا البشير متى ، أن السلطات اليهودية قامت بحتم القبر ، حتى لا يقوم إنسان بتحريك الحجر وإزاحته ( متى ٢٧ : ٦٦ ) .

وهكذا وقفت «مريم المجدلية» أمام القبر في دهشة عظمى ، وهي تسأل نفسها من الذى امتدت يدها ، وقام بإزاحة الحجر من موضعه . ولعل خواطر شتى قد جالت بفكرها . ولعلها ظنت أن اليهود لم يكتفوا بقتل حبيبها على صليب العار ، فامتدت أيديهم إلى الجسد الساكن في القبر ، للتمثيل به أشنع تمثيل . أو لعلها ظنت أن أيدي اللصوص أو العابثين قد امتدت إلى المكان ظناً منهم أن فيه ما يستحق السلب .

وكانت لحظة رهبة لسيدة عزلاء ، تقف وسط المقابر في رهبة ظلمة ما قبل الفجر ، وأمامها قبر مفتوح قد خلا من ساكنه . وهكذا رجعت مسرعة لتلتقي ببطرس ويوحنا . إن مريم مثال الحبة الداخلة ، مثال الحب العنيد الوائق ، الذى يظل يحب ويحبه ، ولا ينطفى لهيب محبته حتى لو هبت أعاصير المتاعب والشكوك . . حتى لو جابهتها ظروف لا تفهمها أو تصل إلى إدراكها . وهذا هو الحب الذى يصل إلى الأمجاد فى خاتمة المطاف .

## الاكتشافُ الأعظم

( يوحنا ٢٠ : ١ - ١٠ )

من اللمحات المشرقة في هذه الفقرة ، أن بطرس استمر كما هو قائد جماعة الرسل ، ورائدها ، فأليه ذهبته المجدلية في محنتها وحيرتها . إنه يحتل مركز الصدارة بالرغم من ضعفه وإنكاره لسيدته ، ولا بد أن قصته مع الخدم في ساحة رئيس الكهنة ، قد وصلت إلى أكثر من أذن ، وتناقلها أكثر من فم . إننا كثيرا ما نتحدث عن ضعف بطرس .. عن جنبه .. عن بطرس المهتز المتأرجح كموجة البحر المهتزة المتأرجحة . وقد كان ممكنا أن حادثة مرة مذلة مثل إنكاره للسيد ، تقضى على مستقبله كتمليذ ، وتجعله ينزوي بعيدا في ظلال الخزي والندامة . ولكن يبدو أن معدن بطرس كان من نوع صلب لا يلين . فها نحن نراه برغم سقطته يقوم على قدميه ، وينفض عنه الغبار ، ويدوس ضعفه وجنبه ، ويستعيد إشراقه الثقة والزعامة مرة أخرى . . . نعم لا بد وأنه كان في شخص . بطرس ، ما يميزه عن الإنسان العادي ، حتى نرى إخوته يحنون له الرؤوس مرة أخرى . إن ضعف «بطرس» وإنكاره ، كثيرا ما يطغى في أنظارنا على جلاله ، وأصالة معدنه ، وقوة شخصيته ، وكونه ولد ليحتل مركز الزعامة والريادة بين الآخرين . . . إلى «بطرس» هذا ومعه «يوحنا» الحبيب ، ذهبته المجدلية ، وسرعان ما أسرع ثلاثهم إلى القبر مسرعين . ونحن نتخيلهم وهم يتسابقون في لطفة وشوق .

وفي هذا السباق المضني ، استطاع «يوحنا» ، ويبدو أنه كان شابا صغير السن ، لأنه عاش حتى تجاوز نهاية القرن الأول ، استطاع أن يسبق «بطرس» ويصل إلى القبر . وهكذا انحنى ، ونظر الأكفان موضوعة وجسد «يسوع» ليس هناك . ولكنه اكتفى بذلك .

أما بطرس ، فقد دخل إلى القبر ، وفحص المكان بدقة ، وهو في دهشة وذهول . وعند ذلك بدأ يوحنا يقلب الأمر من كافة نواحيه . فلو كان لصوص المقابر هم الذين قاموا بهذا العمل ، لما تركوا الأكفان في موضعها ؟ وما قيمة جسد الميت بالنسبة لهم ؟ ثم إذا كانوا قد اهتموا بسرقة الجسد فكيف استطاعوا ذلك دون فك الأكفان ، وبِعثرتها ؟ إن الكفن بقي كما هو ملفوفا بعناية . وكأنما سحب جسد « يسوع » منه ، كما تسحب القدم من الجورب . والكلمة في الأصل نظر الأكفان موضوعة كما هي ، نعى بلفاتها وطياتها دون أن تفك طية واحدة منها - الأكفان تحتل موضع الجسد أما والمنديل أو القوطة التي لثم بها وجه الميت ، فطوى في مكانه ، وكأنه يلتف حول الرأس كما كان - صورة غريبة ولا شك تدعو للخوف والرهبة والذهول . فكأنما جسد « يسوع » قد تبخر كالأثير من وسط اللغائف ! وفي هذه الصورة المعجزية التي لا تقبل التأويل ، تحقق التلميذ الحبيب ما حدث ، فأمن . إن يوحنا لم يبن إيمانه على ما جاء في الكتب من نبوات ، أو على ما قاله « يسوع » من تصريحات . لقد تحقق من قيامة سيده من الأموات ، عن طريق ما رآه بعينه ، ولمسه بيديه .

وفي القصة التي أمامنا ، نرى لمسة رائعة للدور الذي تقوم به الحبة . فمريم التي أحبت سيدها كثيرا ، هي التي تسرع أولا إلى القبر والظلام باق ، ولعلها لم تذوق النوم طيلة اليومين السابقين . ويوحنا الحبيب ، التلميذ الذي كان « يسوع » يحبه ، هو الذي آمن أولا بقيامة « يسوع » .

لقد كانت المجدلية أول سيدة تؤمن بقيامة « يسوع » وكان « يوحنا » أول رجل يشاركها هذا الإيمان الحي ، لقد كانت الحبة هي النور الذي أشرق في العينين تريبا الحقيقة ، والنور الذي بدد ظلام القلب ، فأدرك كل شيء .

وهنا نلمس ناموساً عظيماً من نواميس الحياة . ففي أى عمل نقوم به لا نستطيع أن نترجم أفكار الآخرين ، إن لم تكن بيننا وبينهم رابطة من التعاطف .

لا يوجد محاضر يستطيع أن يلقي خطاباً عن إنسان ما ، لا يحس نحوه بالعطف أو المحبة ، لا يستطيع موسيقار أن يقود أفراد مجموعته ، لتعزف أوبرا لمؤلف عظيم ، لا يشعر بالحب من نحوه . إن المحبة هي أعظم مترجم يهضم أفكار الآخرين ويقدمها للناس . المحبة هي التي تغوص إلى الأعماق لتكتشف لآلىء الحق ، في الوقت الذي يتخبط فيه المنطق على الشاطئ ... المحبة هي التي تحقق معنى الأشياء التي يعجز البحث عن الوصول إليها .

يقال إن رساما ناشئا ، رسم صورة ليسوع ، وتقدم بها للفنان الكبير « دوريه » لينقدها . وفي بادىء الأمر لم يشأ أن يجرح مشاعره . لكنه لما أُلح عليه وضع تقريره عن الصورة في كلمة واحدة . « إنك لا تحب موضوع صورتك ، وإلا استطعت أن ترسمه أفضل من ذلك » .

إننا لا نستطيع أن نفهم « يسوع » ، أو نعين الآخرين على فهمه ما لم نأت أولاً بقلوبنا وعقولنا . . . بمشاعرنا وأفكارنا . . . بعواطفنا ومنطقنا ونسلم الكل بين يديه ، ليستنير بنوره ويهتدى بإشراقه ..

## المعرفة الأعظم

أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجاً تَبْكِي .  
وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي أَنْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ فَنظَرَتْ مَلَائِكَيْنِ  
بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالْآخَرَ عِنْدَ  
الرِّجْلَيْنِ حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعاً . فَقَالَا لَهَا  
يَا امْرَأَةُ لِمَذَا تَبْكِينَ . قَالَتْ لَهُمَا إِنَّهُم أَخَذُوا سَيِّدِي  
وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ . وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا انْتَفَتَتْ  
إِلَى الْوَرَاءِ فَنظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ .  
قَالَ لَهَا يَسُوعُ يَا امْرَأَةُ لِمَذَا تَبْكِينَ . مَنْ تَطْلُبِينَ .  
فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ فَقَالَتْ لَهُ يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتَ  
أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخُذُهُ . قَالَ  
لَهَا يَسُوعُ يَا مَرْيَمُ . فَانْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ رَبُّونِي الَّذِي  
تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ لَا تَلْمَسِينِي لِأَنِّي لَمْ  
أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي . وَلَكِنْ أَذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ

إِنِّي أَضَعُدُّ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ . فَجَاءَتْ  
مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتْ التَّلَامِيذَ أَنَّهَا رَأَتْ الرَّبَّ وَأَنَّهُ  
قَالَ لَهَا هَذَا

(يوحنا ٢٠ : ١١ - ١٨)

تحدث أحدهم عن هذه القصة كصورة أدبية، فوضع لها عنوانا في هاتين  
الكلمتين : « المعرفة الأعظم » . ولقد قدر للمجدلية أن تكون أول من  
اكتشلت عيناه بروية المخلص . إن كل سطر في القصة ترصعه جواهر  
محبها - فقد أتت مسرعة إلى القبر والظلام باق . وحينما تكتشف عدم  
وجود الجسد ، تجرى مسرعة إلى بطرس ويوحنا . وفي تسابق التلميذين  
إلى القبر يبدو أنها لم تستطع اللدناق بهما ، فأسرعت تبحر قدميها جهد  
المستطاع وحين وصلت ثانية إلى القبر ، كان الإثنان قد غادرا  
المكان ، فوقفت وحيدة هناك تبكي . وليس هناك ما يدعوننا إلى أن  
نتحدث عن السبب الذي من أجله لم تعرف « يسوع » . فقد « حشت » الدموع  
عينها . وحديثها مع من ظنت أنه البستاني ، يهتف بأصداء محبتها الصادقة .  
« إن كنت أنت قد أخذته فقل لي أين وضعته » . إنها لم تستطع أن تنطق  
بالاسم العزيز على قلبها ، فصدمة الحزن ما تزال تدهلها . بل لم تنطق  
بالاسم المبارك ، ظناً منها أن كل واحد في الوجود ، لا بد وأن يعرفه . لقد  
كان « يسوع » يحتل عقلها وقلبها ، حتى أنه لم يعد هناك مكان لآخر .

ثم تأمل قولها « وأنا أذهب لآخذه » . وكيف بك « يامريم » تستطيعين  
ذلك في ضعف قواك ؟ وإلى أين ستأخذين الجسد ، وأين تذهين به ؟  
وعيون الجند ، والسلطات الرومانية ، واليهود - كيف ستفتنين من كل

هو لاء ؟ إنها لم تحسب حساباً لكل هذا . لقد كانت رغبته الواحدة أن تسكب ينبوع قلبها ، وحبها ، دموعاً تُخَيِّت على جسد حبيبها الذي فقدته . ولم تنتظر لتسمع جواباً ممن تحدته ، فأدارت ظهرها له ، وأسرعت للقبر مرة أخرى .

ثم نستمع إلى نداء « يسوع » في قوله « يا مريم » . وجوابها الصارخ باللهفة والشوق : « ربونى ... يا معلم » وهى كلمة لا تفرق عن كلمة ربى في الآرامية ..

ولو عدنا لتأمل لماذا لم تعرف مريم يسوع ، فإننا نرى سببين :

١ - فهى لم تعرفه بسبب الدموع .. لقد أعمت الدموع عينها فلم تراه ولم تستطع أن تميزه . إننا حينما نفقد عزيزاً لنا ، حبيباً لقلوبنا ، فإن الحزن يكسر القلب ، والدموع تغطي العينين . ولكن ينبغي ألا تفوتنا حقيقة هامة : إن حزننا ينبع من أننا نبتنا ، فهو فى جوهره حزن أنانى . فنحن نفكر فى وحدتنا ، ونخسارتنا المادية ، أو المعنوية ، وتحلفنا عن تحقيق ما كنا نأمله . إننا لا نبكى على الميت ، بقدر ما نبكى على الأحياء . . . لا نبكى على من مضى واستراح وأصبح فى رحاب الرفيق الأعلى ، وانتهت أيام جهاده ومتاعبه ، أو على حد تعبير الكاتب انتهى من حمى الحياة ، نحن نبكى على أنفسنا وهذا أمر طبيعى ... علينا فى أوقات الحزن ، ألا ندع الدموع تعمينا عن حقيقة الأجداد ، بل خلال الدموع ، نر لمحات مشرقة من أشعة المجد .

٢ - ولم تعرف على يسوع لأنها كانت تصر على الدوام أن توجه أنظارها إلى الاتجاه الخاطيء . لقد كانت متعلقة بالقبر مربوطة باتجاهه . لا تنفك تدبر ظهرها ليسوع لتسرع إلى هناك .

وهنا نرى أيضا صورة لما يحدث معنا في أحزاننا . إن قلوبنا تتعلق بالقبر .. بمن نظنه قد أصبح سجين القبر ، أو زيله . ولكن ينبغي أن نرفع أنظارنا عن كل هذا . إن أحياءنا ليسوا هناك .. إن باب القبر لا يغلق عليهم . قد تكون أجسادهم هناك .. أجسادهم المحطمة البالية . لكن الجسد ليس هو الإنسان .. الجسد ليس هو جوهر الإنسان . إن الروح هي الجوهر الحقيقي . وهذه الروح تكون في أسمى درجات انطلاقها . وتمتعها ، وإشراقها ، حينما تخلع عنها ثوب الجسد البالي . إنها تصبح وجهها لوجه ، في رفقة «يسوع» في أعجاد الإله الحي .

حينما تواجهنا أحزاننا ، علينا أن نواجهها ، ليس بالعينين اللتين تعميهما الدموع ، بل بالأنظار المستنيرة بإشراقه النور ، الأنظار التي تحترق السحابة السوداء ، لتبصر أعجاد الشمس المشرقة . ينبغي ألا يجبس القبر عيوننا ، وقلوبنا ، فتتركز مشاعرنا هناك ، ويستولى التراب على أحاسيسنا ، ونشعر بأن آمالنا ، ورجاءنا ، ومستقبلنا قد أصبح رهن الثرى مع حبيبنا الذي أهلنا عليه التراب .

في كتاب بعنوان « جليثة كل إنسان » يحدثنا الكاتب<sup>(1)</sup> ، وهو خادم دين ، عن خدمة جنازة قام بها لأسرة لا يعرف أفرادها من الدين غير اسمه يقول « بعد أن أودعنا الميت في مرقده الأخير ، اندفعت إبتته إلى جانب القبر الذي لم يغلق بعد ، وهتفت صارخة « وداعا للأبد يا أبى . هذه هي نهاية من لا رجاء لهم » .

ينبغي علينا أن نهتف للراقدين ! إذا كانت لنا حقا نعمة الرجاء المسيحي



ينبغي أن نهتف لأحباتنا الراقدين : « إلى اللقاء - حتى نلتقى مرة أخرى في عالم أفضل » .

### المناداة بالأخبار السارة

( يوحنا ٢٠ : ١١ - ٢٨ )

هناك صعوبة واحدة تجابهنا في هذه الفقرة . فحين يلتقي يسوع بالمجدلية وتعرفه ، تندفع نحوه تريد أن تقبل قدميه ، فيصدها السيد بالقول « لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي » . وإننا نجد في فرصة ظهوره للتلاميذ في العلية يدعو توما قائلًا له « هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدي . هات يديك وضعها في جنبي » ( يوحنا ٢٠ : ٢٧ ) . وفي بشارة لوقا في الأصحاح الرابع والعشرين العدد التاسع والثلاثين نجد أن يسوع يدعو تلاميذه الخائفين المرتعبين قائلًا لهم : « ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم أنظروا يدي ورجلي إنني أنا هو . جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه » . وفي سياق الحديث عن قيامة يسوع يقول « البشير متى » عن لقاء « يسوع » مع المريميين في فرصة لاحقة - وكانت إحداهما المجدلية - بأنهما « تقدمتا وأمسكتنا بقدميه وسجدتا له » ( متى ٢٨ : ٩ ) . ولكن يبدو أن « يوحنا » يعقد الأمور حينًا نستمع إلى صوت السيد من خلال سطور قصة القيامة يقول للمجدلية « لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي » . وكأنني بلمسه محظور قبل صعوده إلى الآب ، ومباح بعد صعوده . ترى ماذا يعني السيد بهذا القول ؟ .

لا يوجد تفسير نستطيع أن نقول إنه مقنع تمامًا . ولكننا سنعرض لبعض الآراء ..

١ - فهناك من اتجه إلى تفسير روحي . فيسوع يريد بحديثه هذا ، أن ينبه المجادلة إلى خطئها - لا تلمسيني بمعنى لا تتعلقي بي . ولو كانت هذه لمسة من يريد أن يتيقن من حقيقة قيامة المسيح بجسد فعلي ، فإنه يسمح لها بذلك . ولكن تصرفها كان يدل على أنها تريد أن تترجم عن حبها في صورة عاطفية جسدية . وكأني يسوع يقول لها إن وقت الصلات الجسدية قد ولى وانتهى « وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد ، ولكن الآن لا نعرفه أيضاً » كما يقول رسول الأمم - كأني به يقصد أن يوجهها إلى الصلة الروحية ، والتي ستكون صلة الأجيال والعصور إلى نهاية الدهور . سوف تكون صلتهم به عن طريق الروح القدس ! وليس عن طريق اللمس والبصر والسمع . فقبل القيامة كان يعيش معهم بالجسد ، ومن الآن فصاعداً سوف تكون صلتهم به صلة الروح . وليس المهم أن تتلاقى الخواص ، فالروح بالروح تستطيع أن تتلاقى - هذا تفسير جليل ، ولكنه لا يلقي الضوء الكافي على معنى الكلمة هنا .

٢- وهناك من يتمسك بالقول إن الكلمة في اليونانية هي ترجمة معرفة عن الآرامية . ويسوع كان يكلم المجادلة باللغة الآرامية وليس اليونانية . وما قدمه يوحنا البشير هو ترجمة لحديث « يسوع » إلى اللغة اليونانية . لقد نادى هؤلاء أن حقيقة ما نطق به « يسوع » كان على هذا النحو : « لا تلمسيني . ولكن قبل أن أصعد لأبي ، إذ هي وقولي لأخوتي ... » وكأني به يقول لها « لاداعي لإضاعة الوقت في التعبدي في فرحة اكتشافك الجديد السعيد . ولكن إذ هي وانقلي هذه الأخبار السارة لبقية التلاميذ » .

بل إن الصيغة في اللغة اليونانية ، تشير إلى النهى المستمر . وكان ينبغي أن تترجم على هذا النحو .. « كفى عن لمسي » . وكأنما يقول لها يسوع :

«لماذا تستمرين في التعلق بي على هذه الصورة ولا تحسبن حساباً للوقت ، ولا للمسئولية الملقاة عليك. لن يمضى وقت طويل حتى أعود إلى الآب ، إذ هبى ونادى بالبشارة السارة للتلاميذ ، فإني أريد أن ألتقى بهم سريعاً . لقد كان هذا أمراً لمريم بأن تترك يسوع ، وألا تستمر في التعلق به ، وأن تمضى للمناداة بالأخبار المفرحة للآخرين . وهذا ما عملته «مريم» ..

٣ - ولكن فئة أخرى انجهدت إلى محاولة ثالثة لتفسير كلمة لا تلمسيني ، فقال أصحابها إن أقوى ظاهرة ترائق ظهور يسوع لتلاميذه . هو الرعب الذي يطغى عليهم . وهذا يؤكد كتيبة البشائر الثلاث الأولى . «البشير متى» يصور لنا يسوع وهو يقول لتلاميذه «لا تخافوا» ( متى ٢٨ : ١٠ ) . فإذا أتينا إلى « مرقس » ( ١٦ : ٨ ) نجده يصور لنا المريميتين وقد هربتا من القبر ، لأن الرعدة والخيرة أخذتاها . وفي بشارة لوقا ( ٢٤ : ٥ ) نشاهد من « خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض » .

ولكننا لا نجد إشارة إلى مثل هذا الخوف في قصة «البشير يوحنا» . وعلى ذلك يعتقد البعض أن ناقل الأسفار المقدسة ، أخطأوا في نقل الكلمة التي ترجمت « لا تلمسيني » فهي في الأصل الآرامية تشبه إلى حد كبير كلمة لا تخافى ( كلمة لا تلمسيني Me Aptou وكلمة لا تخافى MePtoou ) . فيكون قول يسوع للمجدلية « لا تخافى . إني لم أترككم بعد وأصعد إلى أبى . إني مازلت معكم حتى الساعة » .

وإننا نترك هذه الآراء كلها ، لفطنة القارئ الكريم . لينتقى منها ما يشاء . ومهما يكن من أمر ، فإن المجدلية أطاعت الأمر الكريم ، وأسعدت نخبير التلاميذ بما حدث من قيامة يسوع ، وما هو عتيد أن يحدث من أنه في طريقه للآب وكانت بشارتها تتركز في أنها رأت الرب .

وفى بشارة «مريم المجدلية» نرى جوهر المسيحية الحققة ، فالمسيحى الحقيقى هو الذى يستطيع أن ينادى للآخرين قائلا « لقد رأيت الرب ، إن المسيحية ليس معناها أن نعرف الكثير عن «يسوع» ، إنها تعنى أن نعرفه هو . إنها لا تعنى أننا نقدر أن نجادل الآخرين عن «يسوع» ونقنعهم ، بل بالحرى تعنى أننا التقينا بيسوع ، وأن اختبارنا يؤكد لنا ، أنه حى فى حياتنا وكياننا .

## تكليف المسيح

وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهُوَ أَوَّلُ الْأَسْبُوعِ  
وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ  
لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ  
وَقَالَ لَهُمْ سَلَامٌ لَكُمْ . وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدِيهِ وَجَنْبَهُ .  
فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا  
سَلَامٌ لَكُمْ . كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا . وَلَمَّا قَالَ  
هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ أَقْبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ . مَنْ غَفَرْتُمْ  
خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ . وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ

( يوحنا ٢٠ : ١٩ - ٢٣ )

من المحتمل جدا أن التلاميذ ظلوا يجتمعون في العلية التي اجتمعوا فيها  
مع سيدهم لتناول العشاء الأخير .

ولكنهم كانوا يجتمعون هناك في خوف ورهبة . كانوا يعرفون مؤامرة  
عداوة اليهود . لقد تأمر اليهود على «يسوع» وأفلحت مؤامراتهم . وقد يأتي  
عليهم الدور بعد ذلك . وهكذا كانوا يجتمعون معاً في رعب وهم يتسمعون

أقل خطوة على درجات السلم ، ويتوقعون بين لحظة وأخرى ، أن يسمعون قرعات الجند على الباب ليلقوا عليهم الأيادي . وبينما كانوا مجتمعين في خوف ورعب ، ظهر «يسوع» في وسطهم ، والأبواب مغلقة كما هي ، وابتدروهم بالتحية الشرقية المعروفة : « سلام لكم » شالوم الياقيم . وهذه التحية تعني أكثر من « ليتكم تجنبون شر المتاعب . إنها تعني « ياليت الإله يهبكم كل ما هو طيب » . وبعد ذلك تقدم إليهم بالتكليف الذي لا ينبغي أن يفوت الكنيسة خلال العصور ..

١ - « إنه يقول لهم : كما أرسلني الآب أرسلكم أنا » هنا نجد ، كما يقول وستكوت « منهاج الكنيسة » ودليلها .. وهذا التكليف يعني أموراً ثلاثة ..

(١) فهو يعني أن يسوع المسيح بحاجة إلى كنيسته . هذا يفسر ما نادى به رسول الأمم بعد ذلك بأن الكنيسة جسد المسيح . (الرسالة إلى أهل أفسس ١ : ٢٣ ، الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢ : ١٢) لقد أتى يسوع برسالة عظمى للبشرية جمعاء . وما هو على وشك الصعود إلى الآب . لكن هذه الرسالة ، لا بد وأن تبلغ هدفها . وكيف يكون ذلك إلا عن طريق الكنيسة .

ينبغي أن تكون الكنيسة البوق الذي يبوق فيه روح الله برسالة المسيح المباركة ، ينبغي أن تكون فما ليسوع يتحدث فيه للناس ، قدمين ليسوع يسعي بهما للبحث عن الحمل الضال ، يدين ليسوع يتمم بهما العمل الذي أعطاه الآب . إن المشعل ينبغي أن يرتفع عالياً في أرض الظلمة وظلال الموت . ولا سبيل لذلك بعد صعود السيد لأجاده ، إلا عن طريق الكنيسة

ولن يصل إنجيل المسيح إلى كافة أرجاء المعمورة ، ما لم تحمله أيدي الكنيسة ،  
وتقدمه للبعيد والقريب ، وعلى ذلك ، فأول ما يعنيه هذا التكليف أن يسوع  
يعتمد كل الاعتماد ، على عمل روح الله بواسطة الكنيسة .

( ب ) وهو يعنى أن الكنيسة فى مسيس الحاجة ليسوع . إن المرسل بحاجة  
إلى من يرسله ، وبحاجة إلى الرسالة التى يحملها ، وبحاجة إلى القوة التى تؤيده  
والسلطان الذى يؤكد رسالته ، إنه فى أشد الحاجة لمن يرجع إليه حين تنازح  
الأمور وتواجهه المتاعب .

وعلى ذلك فلا غنى للكنيسة عن «يسوع» ، فبدونه لارسالة لها ، وبدون  
قوته ونعمته وتأييده وسلطانه لا فعالية لها ، وبدون إرشاده ومعونته ، لا  
نور لها ، ولا إرشاد .

( ح ) وهوىنى أن ارسال يسوع للكنيسة وتكليفه إياها بالعمل ، يوازى ارسال  
الآب للإن ، وتكليفه إياه بالرسالة التى قدمها ، وأطاع حتى الموت فى سبيل إتمامها .  
ولا يوجد باحث حقيقى فى البشائر ، يخفى عليه ، أن الصلة بين الآب والابن  
كما صورها لنا البشير الرابع ، تعتمد كل الاعتماد على طاعة يسوع الكاملة للآب  
وخضوعه الكامل لمشيئته ، ومحبه الأمانة له . إن يسوع لم يصبح بحق رسول  
الله ، إلا بتقديم حياته ذبيحة طيبة لخدمة الآب ومحبه وإتمام مشيئته . وعلى نفس  
القياس نقول إن كنيسة المسيح لن تصبح كفوآ لأن تكون رسول المسيح ،  
وأداة حية لإتمام رسالة المسيح ، إلا حينما تحبه بحق ، وتطيعه بكل خضوع . إن  
الكنيسة لا ينبغى أن تخرج إلى العالم لتقدم رسالتها هى ، ينبغى أن تخرج إلى العالم لتقدم  
رسالة المسيح ، إن الكنيسة تفشل حينما تحاول أن تحل مشاكل العالم بحكمتها  
ومقدرتها ... تفشل حينما تتخلى عن الخضوع لإرادة المسيح وإرشاده ...

٢ - نلاحظ أيضا أن المسيح نفخ فى تلاميذه ، وقال ضم اقبلوا الروح

القدس. ومما لا شك فيه . أن هناك مشابهة أكيدة بين هذه الصورة . وما ورد عن قصة الخلق في القديم . فحين خلق الله آدم ورد القول « وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حية » ( تكوين ٢ : ٧ ) .

وتتكرر الصورة أيضا في القصة الواردة في سفر نبوات حزقيال في الأصحاح السابع والثلاثين عن وادي العظام اليابسة ، حين هتف صوت السيد الرب « هلم ياروح من الرياح الأربع ، وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا » ( حزقيال ٢٧ : ٩ ) إن حلول روح الله في مكان ما ، معناه الخلق الجديد ... معناه البعث من الموت إلى الحياة . ألا يشبه هذا أيضا الصورة التي وردت في السطور الأولى من قصة خلق العالم ، حين كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة « وروح الله يرف على وجه المياه » ؟

حين يأتي روح الله إلى الكنيسة .. حين يهب روح الله على الكنيسة .. حين ينفخ يسوع روح الحياة في الكنيسة تنتعش انتعاش الحياة ، وتهب من رقادها ، لتعمل عملا مباركا لمجد المسيح ..

٣ - ثم يقول السيد « من غفرتهم خطاياهم غفرت له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت .. » هذا قول مقدس ، ينبغي أن نحصر كل الحرص على تفهم معناه الحقيقي .

قبل كل شيء ، ينبغي أن نقرر أنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يغفر خطايا إنسان. هذا أمر واضح منطقي لا يحتاج إلى جدال لكن هناك أمرا آخر أكيدا هو أن يسوع قد أعطى لكنيسته الامتياز الكبير أن تعلن للناس ، وتقدم البشر رسالة غفران الله .



ولنفرض أن شخصا أتى إلينا برسالة من شخص آخر فإن تقديرنا لقيمة هذه الرسالة ، يتوقف على صلة حامل الرسالة بمن أرسلها إلينا - إن كان واحداً بأن معلنا ومفسراً ومقدماً فكر آخر ، فإننا . نعلم أن قيمة هذا التفسير أو التعليم تتوقف على صلة هذا الإنسان بذلك المفكر الذى يقدم تعليمه . فالرسول هم أول من يمتلك الحق لتقديم رسالة المسيح للبشر ، لأنهم أول من عرف «يسوع» المعرفة الحقيقية ، فاذا اكتشفوا حياة التوبة فى إنسان ، فإن لهم الحق فى أن يعلنوا غفران المسيح له ، وعلى التقيض من ذلك إن اكتشفوا فى حياة إنسان ما ، تحجر القلب ، واستهتار التصرفات ، وكبرياء الذات والانسحاق وراء الشهوات ، فإن لهم الحق أيضاً فى (حرمان) ذلك الإنسان أو إعلان أنه لا غفران له ولا قبول ، ما لم يرجع بالتوبة والندامة عن طريقه الرديئة هذا هو المفهوم الحقيقى لهذه الآية ..

فهى لا تعنى مطلقاً وأبداً ، أن لإنسان ما ، أو لكائن ما مهما سمت رتبته الكهنوتية ، ومهما ارتفع فى درجات القداسة والاقتراب من الله ، لا تعنى أن لذلك الإنسان ، السلطان ، لمغفرة الخطايا أو لإمساكها . وهذه هى الصخرة التى اصطدم بها اليهود فى حادثة شفاء المفلوج ، حينما قال المسيح له : «ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك» . فقالوا فيما بينهم « إنه يتكلم بتجاديف لأنه من يستطيع أن يغفر الخطايا إلا الله وحده» . وقد كانوا على حق ، ولكن رب الغفران ، أراد أن يوجههم إلى حقيقة أن ابن الإنسان له السلطان لمغفرة الخطايا ، لأنه الله الذى ظهر فى الجسد .

إن كل ما يقصده «يسوع» بقوله هذا لتلاميذه ، أن لهم السلطان لتحذير الإنسان الخاطيء من أن خطاياها ثابتة عليه ، لن تزاح عنه ، ولن تغفر له ،

طالما استمر في عناده ، وبالتالي لهم السلطان ، للتأكيد للإنسان النائب بأن  
خطاياهم مغفورة له ، وأن السماء قد قبلت نوبته ، وأن باب المرحم الإلهية قد فتح  
أمامه ، وأن حمل الخطية قد رفع عنه .

وهذا هو حق الكنيسة وامتيازها على مر العصور .

## إقناع المتشكك

أَمَا تَوْمًا وَاحِدٌ مِنَ الْأَثْنَى عَشَرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَامُ  
فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ . فَقَالَ لَهُ التَّلَامِيذُ  
الْآخَرُونَ قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ . فَقَالَ لَهُمْ إِنْ لَمْ أَبْصِرْ فِي  
يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ وَأَضَعَ إِصْبِعِي فِي أَثْرِ الْمَسَامِيرِ وَأَضَعَ  
بِدِي فِي جَنْبِهِ لَا أُوْمِنُ .

وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَيْضًا دَاخِلًا وَتَوْمًا  
مَعَهُمْ . فَجَاءَ يَسُوعُ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ  
وَقَالَ سَلَامٌ لَكُمْ . ثُمَّ قَالَ لِعُومَاهَاتٍ إِضْبَعِي إِلَى هُنَا  
وَأَبْصِرِي يَدَيَّ وَهَاتِي يَدَكَ وَضَعِيهَا فِي جَنْبِي وَلَا تَكُنِّي غَيْرَ  
مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا . أَجَابَ تَوْمًا وَقَالَ لَهُ رَبِّي وَاللهي .  
قَالَ لَهُ يَسُوعُ لِأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَتَوَامًا آمِنًا .  
آمِنُوا وَلَمْ يَرَوْا

(يوحنا: ٢٠ : ٢٤ - ٢٩)

لقد كان الصليب بالنسبة لتوما ، كما توقعه ، فحينما عزم « يسوع » على الذهاب إلى بيت عنيا في فرصة مرض لعازر ، كان لإحساس «توما» لنذهب نحن أيضاً نفوت معه « (يوحنا ١١ : ١٦ ) ، أى لنذهب ولو كان في ذلك موتنا .

كلمة شجاعة ولكنها تنطوى على روح التشاؤم .

ولقد كان «توما» يحب «يسوع» حقاً، لقد كان يحبه إلى حد أنه لم يحجم عن مرافقته إلى بيت عنيا القريبة من أورشليم ، رغم يقينه بأن هناك الموت المحقق . لقد كان مبدؤه : لنذهب معه ولو إلى الموت ، هذه هي المحبة الصادقة .

وحدث ما توقعه «توما» ، ونجحت مكيدة اليهود ، وأسلم «يسوع» لحكم الموت . وانتهت القصة الكبرى برقاده في القبر الصخري البارد المعتم ، ولم يكن حزن «توما» نظير حزن «بطرس» الذي يبكي ويعول على رؤوس الأشهاد . لقد كان حزنه حزناً إنطوائياً .. حزن الفيلسوف المفكر المتأمل ، وما كان يرغب بعد أن ختمت حياة سيده هذه الخاتمة الدموية ، ما كان يرغب إلا أن يتركه الآخرون ليحيا منطوياً ، منزوياً ، بعيداً ، في آلامه يجتر أحزانه على انفراد .

وهكذا هجر اجتماعات التلاميذ، حتى أنه لم يكن هناك ، حينها ظهر يسوع لهم في العلية ، وبالطبع بعث إليه التلاميذ من تجربته بالحدث الكبير ، ولكن تفكيره الذي كان يعتمد أكثر ما يعتمد على المنطق والحس ، ما كان ليدع له مجالاً أن يصدق ، أن سيده الذي رآه مصلوباً ، وشاهده ميتاً منكسراً ، وأوسد في حضن الصخر جسداً جامداً ، وختم عليه باب القبر ، واصطف الحراس حوله مدججين بالسلاح ، قد عاد إلى الحياة ، إن هذا مستحيل في عرف المنطق والأحداث ، بل هو

مستحيل في نظرة التلميذ الحزين المتشائم الذي قبع في صومعة أحزانه لا يبغي عنها بديلاً .

وهكذا جاء جوابه قاسياً ، ولكنه يحمل المنطق العلمي التجريبي ، « إن لم أبصر في يديه آثار المسامير ، وأضع أصبعي في أثر المسامير ، وأضع يدي في جنبه لا أومن » (لاحظ أنه لا يذكر هنا أثر المسامير في قدميه ، وهو خطأ يقع فيه الرسامون حينما يصورون مساراً كبيراً يخترق القدمين الموضوعتين الواحدة فوق الأخرى ، ذلك لأن القدمين كانتا تربطان بالحبال إلى قائم الصليب دون أن تسمرا ) ، ومر أسبوع طويل ، وفي أول الأسبوع التالي كان التلاميذ مجتمعين معاً في العلية ، وكان «توما» معهم ، وجاء « يسوع » ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم ، وفي هدوء ، تقدم السيد من تلميذه المتشكك كاشفاً أسرار قلبه ، مكرراً نفس الكلمات التي ردها قبل ذلك ، داعياً إياه ليصل إلى الإيمان عن طريق التجربة والاختبار ، وأمام تلك المحبة الغامرة ، وذلك الإنضاج الفاض ذاب قلب «توما» في أعماقه ، وخر على ركبتيه ساجداً وهو يهتف لمسيحه « ربى وإلهى » ، ويقول له السيد «لأنك رأيتنى ياتوما آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» . لقد كان في حديثه هذا إشارة إلى أجيال الأجيال التي ستأتى حتى نهاية الدهر ، فتؤمن بيسوع وتحميه ، وتتعلق به ، وتتجدله ، دون أن تراه رؤىة العين .

وخلال سطور القصة ، نستطيع أن نرى ملامح شخصية «توما» .

١ - فلقد ارتكب توما خطأ كبيراً حينما أهمل شركة القديسين وانزوى بعيداً منطقياً على نفسه ، لقد اتجه إلى الوحدة بديلاً عن الاجتماع ، ولأنه لم يكن مع إخوته ، فاتته أول فرصة لظهور المسيح ، إننا نحسر الكثير حينما نزل

أنفسنا عن المؤمنين ، ونهمل اجتماعات القديسين ، إن اختبارات كثيرة يمكن أن نختبرها هناك ، ولكننا لن نصل إليها في خلوتنا ، وما أحوجنا في ظروفنا المتنوعة أن نسعى إلى إخوتنا ، إن كثيرين في أحزانهم ، يلزمود بيوتهم ، ويرفضون الذهاب إلى الكنيسة ، وأين نجد التعزية إن لم يكن في اجتماعات المؤمنين ؟ وكيف يهرب الحزن . والتهد ، ما لم نتقابل وجهاً لوجه مع ذلك الذي يسكب بلسم التعزيات في كأس أحزاننا ؟

٢- ولكن توما كان يمتلك فضيلتين : فهو رجل صادق مع نفسه، وصادق مع الآخرين . إنه يرفض أن يعالط نفسه . فهو لا يصمت متظاهراً بالتصديق في وقت لا يجد فيه من الأدلة ما يدعو إلى التصديق . وهو لا يوهم الآخرين بغير الحقيقة ، ، إن أمانة «توما» لا تدارى ولا ترائى ، ولا تنكر الشكوك الثائرة في أعماقها . إنه ليس كأتباع بعض الطوائف ، الذين يؤمنون بالعقيدة لأنها عقيدتهم وكفى ، ويتمسكون بها ، ويدافعون عنها ، دون أن يعرفوا مضمونها ، أو يدركوا سبباً لذلك ، إن «توما» يريد أن يصل إلى يقين الإيمان ، وله الحق في ذلك ، وكما يقول «تنيسون» ..

« إن الإيمان الحى يحيا في الشك الأمين ..

« أكثر مما يحيا في نصف العقائد السائدة ..

هناك إيمان يصل إلى منتهاه في الإنسان الذى يصر على أن يلمس كل شىء ويتأكد متيقناً منه ، أكثر من الإنسان الذى يردد ما سمعه دون أن يفهمه أو يؤمن به . إنه الشك الذى يصل بصاحبه إلى نور اليقين ..

٣- الفضيلة الثانية أن توما حينما يلوح له شاطئ الإيمان لا يتراجع عن أن يندفع بكل قوته ، فهو يصل في إيمانه إلى أقصى الطرف النقيض من شكه . وهكذا نستمتع إليه بهتف « ربي وإلهي » ، لا حل وسط عند «توما» ،

فإما أن يؤمن أولاً يؤمن على الإطلاق ، ومتى آمن فهو يصل في إيمانه إلى أبعد الحدود . إنه لا يمسك بالعصا من وسطها . وإذا كان يتمسك بالشك ، ففي سبيل أن يصل إلى أقصى اليقين . ومتى وصل إليه ، أسلم نفسه وكيانه وعقله في فرحة هذا اليقين المبارك ، إن المسيحية لا تربى الجهل ، ولا تحترمه ، بل على النقيض من ذلك تقدر مجهودات أى مفكر متزن صادق ، يسعى باحثاً متقبلاً محارباً بشكوكه ، حتى يصل إلى يقين الإيمان ، بأن يسوع المسيح رب .. إن مثل هذا الإيمان ، هو بلا شك أفضل بكثير من الإيمان المبني على عدم التفكير ، وعدم البحث ..

### توما في الأيام التالية

( يوحنا ٢٠ : ٢٤ - ٢٩ )

ونحن لا نعلم علم اليقين ما حدث لتوما بعد ذلك . ولكن هناك كتاب ضمن كتب الأبوكريفا . يعرف بسفر أعمال «توما» يتضمن الكثير من الأقايصيص المبنية على تقاليد خيالية ، والتي ربما يكون لها بعض الأساس التاريخي من الصحة . وفي هذه نستطيع أن نلمس ملامح شخصية «توما» بكل وضوح .

فبعد صعود المسيح ، قسم التلاميذ رقعة العالم بين أنفسهم إلى ميادين تبشيرية ، يقوم كل واحد منهم بنشر بشارة الإنجيل في ربوعها . وكانت الهند من نصيب «توما» . هذا يبدو أمراً مؤكداً ، لأن الكنيسة في جنوب الهند ، والتي تعرف باسم الكنيسة التوماوية ، ترجع بأصلها إلى «توما الرسول» كؤمسهها . فهو أول من قام ببيت الدعوة المسيحية هناك . ويقال إن «توما» رفض الذهاب إلى الهند في بادئ الأمر ، فقد كان يخشى السفر الطويل . بل إنه يخشى

أيضاً صعوبات التخاطب مع قوم لا يعرف لغتهم ، ولا يعرفون لغته .  
« وكيف بي أذهب إلى الهند منادياً بكلمة الحق » هكذا قال « وأنا أتكلم  
العبرية ؟ .. وفي تلك الليلة ظهر له «يسوع» ونخاطبه بالقول « لا تخف يا توما  
تكلمك نعمتي . إذهب إلى الهند وبشر بالكلمة » .

ولكن يبدو أن طبيعة العناد كانت لا تزال تسيطر في أعماقه ، وهكذا  
يعترض قائلاً : « إلى أى مكان تريدني أن أذهب ياسيدي ، أنا على  
استعداد أن أذهب ، عدا بلاد الهند » .

وحدث أن تاجرًا من بلاد الهند يدعى «عبانيس» ، قدم إلى أورشليم مرسلًا  
من قبل الملك «جوندا فرس» ملك البلاد فيبحث بين اليهود عن نجار ماهر ،  
وقد كانت مهنة «توما» النجارة ، فظهر «يسوع» لهذا المدعو «عبانيس» بصورة  
مرئية في سوق أورشليم ، وقال له « هل تريد أن تشتري عبدًا يحترف  
النجارة ؟ .. فأجاب الرجل بالإيجاب فقال له « يسوع » « لدى عبد نجار وأنا  
أريد أن أبيعه لك »<sup>(١)</sup> ، ثم أشار إلى «توما» الذي تصادف وجوده في المكان  
في ذلك الوقت ، وهكذا تمت الصفقة ، وقبض «يسوع» الثمن ، وأعطى الرجل  
الهندي صك الملكية على هذا النحو .. « أنا يسوع بن يوسف النجار ، أقر  
وأعترف أنني بعث عبدي المسمى توما إلى عبانيس التاجر الموقد من قبل  
جوندا فرس ملك الهند . وبعد أن وقع «يسوع» على الصك اصطحب التاجر  
إلى حيث يقف «توما» . وسأل التاجر توما « هل هذا سيدك ؟ » فأجاب  
« حقاً هو سيدي » ، فقال التاجر « لقد اشتريتك منه » ولم ينطق «توما»

(١) يلاحظ القارئ سماجة القصص الموضوعية وبعدها عن روح الكتاب . فكيف يتحدث  
السيد عن تلميذه ملقبًا إياه بالمبد ، متصرفًا معه تصرف السيد بعبده ، وهو الذي قال بنعمه الطاهر  
« لا أعرد أسيديكم عبيدًا لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده ، لكني سيديكم أحياء ! » وكيف به يرغب  
تلميذًا على خدمته بهذه التلمذة ! . ( المرعب ) .



بكلمة ، وفي الصباح قام توما مبكراً . وبعد أن تلى صلواته ، اتجه إلى يسوع وقال ..

« لتكن مشيئتك ياسيدى يسوع . سوف أذهب حيث تريد » .  
وتستمر القصة لتروى لنا كيف أن الملك الهندي أمر توما بأن يبني له قصرآ ، وأجابه توما أنه يستطيع ذلك . فأعطاه الملك المال الكافي ليشتري ما يلزمه من مواد البناء ، وليقوم بسداد نفقات العمال . فاذا بتوما يوزع كل هذا على الفقراء ، وهو يخبر الملك يوماً بعد يوم ، أن القصر على وشك الإتمام . وفي نهاية الأمر أرسل يستدعيه وسأله قائلاً « أين القصر الذى وعدتني باتمامه ؟ » ..

فأجاب توما « لقد أقمته » « ومتى أذهب لأراه ؟ . وجاء جواب التلميذ « إنك لن تشاهده في هذه الحياة . ولكن بعد أن تفارق هذه الدنيا ستراه » . وفي بادئ الأمر استشاط الملك غضباً ، وكان توما في خطر فقدان حياته ، ولكن التلميذ بحكمته استطاع أن يوجه الملك إلى الحياة الأفضل ، فربحه للمسيح ، وهكذا دخلت المسيحية إلى الهند .

من هذه القصة ، كما من تصرف توما السابق في مواجهة حقيقة قيامة المسيح ، نستطيع أن نصل إلى استنتاج صادق عن «توما» ، فالإيمان لم يكن شيئاً سهلاً بالنسبة له ، والطاعة لم تكن ميسورة . لقد كان من صنف الرجال الذين لا يصلون إلى الإيمان إلا عن طريق الإختبار والتجربة ، لقد كان يحسب لكل خطوة حسابها ، ولكنه متى وصل إلى اليقين ، فإنه يذهب في إيمانه إلى أبعد الحدود . إن إيماناً نظير إيمان «توما» هو ولا شك أفضل من الإيمان التقليدى المتوارث ، الذى يقبله الإنسان عن غير معرفة أو فحص ، وطاعة مثل طاعة «توما» هي أفضل من الإنسياق العاطفى المندفع ، الذى لا يحسب حساباً للكلفة ، فإذا هبت العواصف وصدعته سقظ وأنهار ، وأضحى حطاماً ولم يعد له وجود .

## هدف البشارة

وَآيَاتٍ أُخْرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ  
تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ . وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا  
أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ  
حَيَاةً بِاسْمِهِ

(يوحنا ٢٠ : ٣٠-٣١)

هذه الفقرة تشكل خاتمة طبيعية للبشارة ، ويبدو أن الأصحاح الحادى والعشرين هو ملحق لها .. ولا توجد فقرة فى البشائر بحملتها ، تلخص هدف بشائر الإنجيل كلها ، كما تفعل هذه الفقرة .

١ - فمن الجلى أن البشائر الأربعة ، لا تدعى على الإطلاق أنها قدمت تاريخياً كاملاً مفصلاً لحياة «يسوع» ، وتعاليمه ، ومعجزاته . وهى فى سرد الأحداث لا تتبع حتى الترتيب الزمنى ، إنها تنتخب عينات بارزة من تلك الأحداث والمعجزات والتعاليم ، ولكنها لا تقدم تقريراً كاملاً يلم بكل الحواشى والنواصى ، ويرسم صورة كاملة بكل دقائقها وتفصيلها . إنها فقط تعطينا الأحداث المثالية التى تظهر لنا ما كانه «يسوع» ، وما كان يعمله .

٢ - من الواضح أكثر من هذا أن البشائر لم يقصد بها أن تقدم صوراً من أكثر من جانب لحياة «يسوع» ، إن الهدف منها هو تقديم الدعوة للآخرين

ليقبلوا «يسوع» مخلصاً وسيداً ورباً. إن هدف البشائر لا أن تقدم معلومات ، بل أن تقدم للناس الحياة الأفضل ، لا أن تملأ عقولهم بحقائق عن «يسوع» . بل أن تجتذبهم ليؤمنوا بيسوع ويختبروه ، ويكون في إيمانهم واختبارهم الحياة المحيية ، إن الهدف الأسمى للإنجيل في مجموعه ، هو أن يقدم لنا يسوع ، في إطار فريد، يجعلنا نثق بأن ذلك الذي كان على هذه الصورة في حياته وصفاته وتعاليمه ومعجزاته ، وفدائه ، ليس أقل من مسيح الله الحي ، الذي نجد سر الحياة الحقيقية في إيماننا به .

وعلى ذلك ، فإذا اتجهنا إلى بشائر الإنجيل كتاريخ للمسيح ، وسرد لأحداث حياته ، فإن الهدف الأعظم يفوتنا . ينبغي أن ندرس الإنجيل لا بعين المؤرخ الذي يبحث عن دلالات الأحداث وأزمانها واتجاهاتها ، ولكن بقلب المحتاج المتلهف الباحث عن رب الحياة .

## الأصحاح الحادى والعشرون

بالرغم من أن هذا الأصحاح يشكل إضافة للإنجيل الذى يبدو من الفقرة السابقة أنه وصل إلى تمامه ، إلا أننا سنحاول أن ندرسه نفس الدراسة التأملية . وعلى نفس النمط الذى رأينا فيه «يوحنا» يهدف إلى معنيين في مرده للأحداث ، أو عرضه لبعض الأقوال : المعنى الواضح الظاهرى ، والمعنى الروحى الخفى الأعمق ، سنحاول أن نكتشف لماذا أضيف هذا الأصحاح إلى البشارة الرابعة .

## المسيح المقام

بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضاً يَسُوعُ نَفْسَهُ لِتَلَامِيذِهِ عَلَى بَحْرِ  
طَبْرِيَّةَ . ظَهَرَ هَكَذَا . كَانَ سِمَعَانُ بُطْرُسُ وَتُومَا الَّذِي  
يُقَالُ لَهُ التَّوَّامُ وَنَثْنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ وَأَبْنَا  
زَبْدَى وَأَثْنَانَ آخَرَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ . قَالَ لَهُمْ  
سِمَعَانُ بُطْرُسُ أَنَا أَذْهَبُ لِأَتَصِيدَ . قَالُوا لَهُ نَذْهَبُ نَحْنُ  
أَيْضاً مَعَكَ . فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ وَفِي تِلْكَ  
اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئاً . وَكَمَا كَانَ الصُّبْحُ وَقَفَ يَسُوعُ  
عَلَى الشَّاطِئِ . وَلَكِنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ  
يَسُوعُ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ يَا غُلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً .  
أَجَابُوهُ لَا . فَقَالَ لَهُمْ أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ  
الْأَيْسَنِ فَتَجِدُوا . فَأَلْقَوْا وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا  
مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ . فَقَالَ ذَلِكَ التَّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ  
يُحِبُّهُ لِبَطْرُسَ هُوَ الرَّبُّ . فَلَمَّا سَمِعَ سِمَعَانُ بُطْرُسَ أَنَّهُ

الرَّبُّ أَنْزَرَ بِثَوْبِهِ لِأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ .  
وَأَمَّا التَّلَامِيذُ الْآخَرُونَ فَجَاءُوا بِالسَّفِينَةِ لِأَنَّهُمْ لَمْ  
يَكُونُوا بَعِيدِينَ عَنِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُمْ مِثْنَى ذِرَاعٍ وَهُمْ  
يَجْرُونَ شَبَكَةَ السَّمَكِ . فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الْأَرْضِ نَظَرُوا  
جَمْرًا مَوْضوعًا وَسَمَكًا مَوْضوعًا عَلَيْهِ وَخُبْزًا . قَالَ لَهُمْ  
يَسُوعُ قَدِّمُوا مِنِ السَّمَكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمْ الْآنَ . فَصَعِدَ  
سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَجَدَّ الشَّبَكَةَ إِلَى الْأَرْضِ مُمْتَلِئَةً سَمَكًا  
كَبِيرًا مِثَّةً وَثَلَاثًا وَخَمْسِينَ . وَمَعَ هَذِهِ الْكَثْرَةِ لَمْ تَتَخَرَّقِ  
الشَّبَكَةُ . قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ هَلُمُّوا تَغَدَّوْا . وَلَمْ يَجْزُرْ  
أَحَدٌ مِنَ التَّلَامِيذِ أَنْ يَسْأَلَهُ مَنْ أُنْتِ إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ  
أَنَّهُ الرَّبُّ . ثُمَّ جَاءَ يَسُوعُ وَأَخَذَ الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ  
وَكَذَلِكَ السَّمَكِ . هَذِهِ مَرَّةٌ ثَالِثَةٌ ظَهَرَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ  
بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ

( يوحنا ٢١ : ١ - ١٤ )

هذه القصة هي واحدة من الأدلة الناصعة القوية، على أن « يوحنا » الحبيب هو كاتب البشارة الرابعة . فهو يعرف خفايا بحر الجليل ، والسماك ، والشباك وموعد الصيد . وهو يعرف أن أفضل وقت للصيد هو سويحات الليل الساكن .

يحدثنا «و. م. طومسون» في كتابه الشهير «الأرض والكتاب» عن صيد الليل فيقول: «هناك بعض أنواع الصيد تتم أثناء الليل. وما أجمل أن يشاهد الناظر قارباً ينساب على صفحة المياه السوداء في حالك الظلام، وفي مقدمته أحد البحارة وقد أمسك شعلة متوهجة تنير صفحة المياه. وعلى الجانبين يقف الرجال وقد أمسكوا بشباكهم وحراهم على استعداد أن يستخدموها متى لمحوا الأسماك الكبيرة تمرق تحت القارب. وفي الصباح تشاهد الصيادين عائدين بأعصاب مرهقة من العمل المصنئ طيلة الليل، والقوارب محملة بالصيد الثمين» وعن «مورتون» في كتابه التصويرى الرائع «في خطوات السيد المسيح» نقرأ كيف أنه شاهد اثنين من الصيادين على شاطئ بحر الجليل، أما أحدهم، فقد خاض المياه حاملاً شباكاً ليلقيها في العمق القريب، ثم يجذبها بعد برهة ليجدها فارغة كما هي. فيعيد الكرة تلو الكرة دون جدوى. يقول الكاتب «كان منظرًا رائعاً أن أتأمله وهو يلقي الشباك، كانت الشباك بين يديه تنفرد في لحظات إلى ما يشبه الحيمة العريضة، ثم لا تلبث أن تغوص في المياه بأطرافها المثقلة بقطع الرصاص.

«وأخيراً جاء صوت زميله من الشاطئ هاتفاً له: ألق الشبكية إلى الجانب الأيسر!، وأطاع الصياد النصيحة، فاذا به يجتذبها غاصة بالسماك الحى المتاوى في محاولته الإفلات من خيوط الشباك».

صورة تبدو قريبة الشبه جداً بما عمله يسوع في هذه الفقرة التي أمامنا.

كان الوقت لا يزال مظلماً في الفجر الباكر، حينما ظهر «يسوع» لتلاميذه على شاطئ البحر. كانوا متعبين مرهقين من ليلة طويلة فاشلة في الصيد، وجاءت نصيحة «يسوع» لهم، وتمت المعجزة، ولم يعودوا يقدرّون أن يجتذبوا الشباك من كثرة السمك، كان التلاميذ في القارب، ولكن واحداً

فقط ، التلميذ الذي كان «يسوع» يحبه ، استطاع أن يرى في المعجزة ، والصوت ، والشبح الواقف على الشاطئ مغلغلاً في غبش الفجر ، صورة المخلص وليس سواه . وأسر «يوحنا» لبطرس بالحقيقة ، ولما عرف «بطرس» أنه الرب ، اثنزر لأنه كان عرياناً ، وقفز في الماء لأن الشاطئ لم يكن بعيداً - لاحظ حركة «بطرس» في الاثنزار أو التستر . لقد كان التاموس اليهودي يعتبر التحية عملاً دينياً ، وحين يقوم المرء بعمل ديني شأن ذلك شأن الصلاة ، عليه أن يلبس ثوبه ، وهكذا حين عرف «بطرس» أن المائل على الشاطئ ليس سوى «يسوع» ، وأراد أن يكون الأول في تحيته ، أسرع ليتستر بثوبه لأنه كان عرياناً ..

### حقيقة القيامة

( يوحنا ٢١ : ١ - ١٤ )

والآن نأتي إلى الحديث عن الهدف الحقيقي لإضافة هذا الأصحاح للبشارة الرابعة ، ألا وهو إثبات حقيقة قيامة المسيح ، وتأكيدها بالبرهان تلو البرهان ، فهناك من قال إننا لا ينبغي أن نعمل كثيراً على شهادة سيدة ترى إنساناً في الظلام ، فيقول لها إنه الرب فتصدقه ، وخاصة ، وقد كانت حواسها مضطربة من طول السهر والحزن والإرهاق ، وهناك من حاول أن يشكك في حادثتي ظهور «يسوع» لتلاميذه المجتمعين في العلية ، على أساس أن الحواس المضطربة ، تتخيل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وهناك من قال إن ظهور «يسوع» ليس في صورة جسمية ، ولكن في صورة شبح مرئي . إلى غير هذه الآراء التي تخرج عن دائرة هذه الصفحات<sup>(١)</sup> ولقد كان أحد أهداف البشارة الرابعة ، كما أسلفنا ، إثبات أن يسوع ليس شبحاً ولا صورة ،

(١) الذي يريد الاستزادة يرجع إلى كتاب « من دحرج الحجر ! للأستاذ حبيب سيد .

ولا روحاً ، بل شخصاً حقيقياً ، وأن القيامة كانت بالجسد ، وإن كان الجسد المعجزى ، وأن القبر كان بالفعل فارغاً وأن ذلك الجسد المعجزى المقام ، الذى كانت له إمكانيات عظيمة ، يحمل نفس آثار المسامير ، وطعنة الحربة ، وله أيضاً خاصيات الجسد العادى .

ولكن القصة هنا ، تأخذنا إلى ما هو أبعد من هذا ، إن شبحاً مرئياً لا يمكن أن يشعل الجمر ، ويشوى السمك ... لا يمكن أن يقدم وجبة شهية ويشترك مع التلاميذ فى تناولها .. ومع ذلك ، فى سوع المقام استطاع أن يقوم بكل هذا ، وحيناً يتحدث «يوحنا» عن ظهور السيد للتلاميذ فى العلية رغم الأبواب المغلقة ، نجده يقول « وأراهم يديه وجنبه » ( يوحنا ٢٠ : ٢٠ ) إشارة إلى قيامة فعلية بالجسد .

يقول «القديس أغناطيوس» فى رسالته إلى أهل سميرنا ، متحدثاً بأكثر وضوح وتأکید « إنى أعرف وأؤمن أن السيد كان فى الجسد فى حياته ، وبعد قيامته . وحين جاء لبطرس وجماعة التلاميذ قال لهم : خذوا جسوتى وانظروا إننى لست شبحاً بلا جسد . وحالما لمسوه آمنوا وصدقوا وأيقنوا بوجود جسده الفعلى ، ودمه ... وبعد قيامته أكل وشرب معهم كمن هو بالجسد ..

إن أول أهداف الأصحاح الحادى والعشرين من البشارة الرابعة ، هو تأكيد حقيقة قيامة الرب يسوع من الأموات بالجسد ، فالقيامة لم تكن رؤياً أملاًها خيال مضطرب ، أو رؤياً من العالم الآخر ، أو شبحاً أو روحاً ظهر فى شبه الجسد ، لقد كان يسوع نفسه هو الذى ظهر فعلاً للتلاميذ ، يسوع الذى داس الموت ، وانتصر عليه ، وعاد فى ملء القوة والسلطان .



## عمومية إرسالية الكنيسة

( يوحنا ١٢ : ١٠ - ١٤ )

ولكن هذا الأصحاح يقدم لنا حقاً عظيماً ثانياً في صورة رمزية ، إن كل سطر ، وكل كلمة ، وكل حرف في البشارة الرابعة ، زاجر فياض بالمعاني ولذلك فيحق لنا أن نتساءل ، ماهو السر في أن يذكر «يوحنا» عدد السمك الذي اصطاده التلاميذ في فجر ذلك اليوم ؟ لماذا يذكر البشير أن عدد السمك كان مائة وثلاثة وخمسين ؟

يقول البعض إن السر في عدد السمك ، كان ليأخذ كل واحد من الشركاء نصيبه . فقد كان هناك أكثر من واحد في قارب الصيد ، وكان يلزم لزله ذلك العدد الكبير ، أن يقوم من اشتركوا في الصيد بعده .

ولكننا إذا ذكرنا أن من عادة يوحنا ، تقديم الحقائق الروحية الخفية تحت ستار صور مادية ، فينبغي أن نتوقع شيئاً وراء ذكر هذا الرقم الفردي . وهكذا حاول كثيرون منذ بداية العصر الرسولي ، تقديم أقتراحاتهم عن مدلول المئة والثلاثة والخمسين .

١ - يقول البابا «كيرلس الاسكندري» أن عدد ١٥٣ يتكون من مجموعات ثلاث : المجموعة الأولى عدد مائة وهذا رمز إلى ملء الأمم . فهذا العدد على حد تعبيره هو رمز الكمال ، وفي مثل المسيح عن الحروف الضال ، حدد عدد الحروف عند الراعي بمئة (متى ١٨ : ١٢) وأيضاً في مثل الزارع يتحدث عن الأرض الخصبة بالقول إنها تعطى ثمراً يصل إلى المئة ، وهكذا فإن هذا العدد يرمز إلى كمال ملء الأمم ، في اجتذابهم لحظيرة المسيح .

والعدد الثاني هو الخمسون ، وهو يرمز إلى البقية التي تخلص من إسرائيل . « وإن كان عدد إسرائيل كرمل البحر فالبقية تخلص » .

والعدد الثالث رقم ثلاثة. وهو يرمز إلى الثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس ، الممجد في ملء الأمم ، وخلص البقية الباقية في إسرائيل .  
٢ - وللقديس « أوغسطينوس » رأى آخر ، وهو مبنى كذلك على الافتراض والتخمين ، فهو يبدأ بدراسة مدلول بعض الأرقام ، ويطبّقها على هذا العدد الذي أمّاننا ، فرقم ١٠ يشير إلى الناموس لأنه يحوى الوصايا العشر ، و رقم ٧ يرمز للنعمة لأن مواهب الروح سبعة ، فإذا أضفنا عدد ١٠ إلى عدد سبعة نصل إلى مجموع ١٧ .

وإذا قمنا بجمع الأرقام  $١+٢+٣+٤+٥$  الخ حتى عدد ١٧ فإن حصيلة المجموع تصل بنا إلى العدد ١٥٣ وعلى ذلك فالعدد ١٥٣ يشير إلى مجموع من يأتون ليسوع المسيح سواء من اليهود أم من الأمم ، تحت الناموس ، أو في تدبير النعمة .

٣ - ولكن القديس إرونيموس له تفسير أكثر بساطة ، فهو يقول إن مياه البحر تحوى مائة وثلاثة وخمسين نوعاً مختلفاً من الأسماك ، وعلى ذلك فحصيلة الصيد كله تضم كل نوع من أنواع السمك ، فالرقم رقم تنبؤى يشير إلى أنه لا بد وأن يأتى الوقت الذى فيه تصبح كل الممالك للرب ولمسيحه .

ولكننا نلاحظ أمراً آخر ، إن هذا العدد الوافر الكبير ، ضمته شبكة واحدة لا غير ، وبالرغم من هذا لم تتمزق الشبكة. فهى رمز للكنيسة ، ففى الكنيسة منسع لكل الأمم والشعوب والممالك ، إن الكنيسة على استعداد أن تقبل الجميع وتفتح ذراعيها للجميع .

إن يوحنا يخبرنا في هذه الفقرة بطريقته الخاصة الحكيمة، أن الكنيسة فيها من الرحابة ما يكفي لأن تضم في أحضانها كل شعب وأمة وقبيلة ولسان . إنه يخبرنا عن عمومية الكنيسة وشمول إرساليتها . إن أحضانها أحضان جامعة شأنها في ذلك شأن محبة الله التي ظهرت لنا في يسوع المسيح . وهذا يقودنا إلى السبب الثاني الذي من أجله أضيف هذا الأصحاح لبشارة وصلت إلى ختامها .

لاحظ أن بطرس هو الذي قام بجذب « الشبكة » إلى الشاطئ

( يوحنا ٢٠ : ١١ )

### راعى رعية المسيح

فَبَعْدَمَا تَعَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ يَا سِمْعَانَ  
بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ . قَالَ لَهُ نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ  
تَعَلَّمُ أَنِّي أُحِبُّكَ . قَالَ لَهُ أَرَعَ خِرَافِي قَالَ لَهُ أَيْضاً  
ثَانِيَةً يَا سِمْعَانَ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي . قَالَ لَهُ نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ  
تَعَلَّمُ أَنِّي أُحِبُّكَ . قَالَ لَهُ أَرَعَ غَنَمِي . قَالَ لَهُ ثَالِثَةً  
يَا سِمْعَانَ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي . فَحَزِنَ بُطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ  
ثَالِثَةً أَتُحِبُّنِي فَقَالَ لَهُ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعَلَّمُ كُلَّ شَيْءٍ . أَنْتَ  
تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ . قَالَ لَهُ يَسُوعُ أَرَعَ غَنَمِي . الْحَقُّ  
الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تَمْنُطِقُ  
ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ . وَلَكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ

يَدَيْكَ وَآخِرُ يُمَنْطِقُكَ وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لَا تَشَاءُ . قَالَ  
هَذَا مُشِيرًا إِلَى آيَةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُمَجِّدَ اللَّهُ بِهَا . وَلَمَّا  
قَالَ هَذَا قَالَ لَهُ أَتُبَعْنِي .

(يوحنا - ٢١ : ١٥-١٩)

أمامنا صورة لابلد وأنها تركت طابعها الذي لا يمحى في نفسية « بطرس »  
وفي مخيلته ..

١ - قبل كل شيء دعنا نلاحظ السؤال الذي تقدم به « يسوع » لتلميذه .  
باسمعان بن يونا ، أتجبن أكثر من هؤلاء ؟ وحسبنا يشير مفهوم الكلمة  
في الأصل هناك احتمالان ، وكلاهما معقول منطقي ..

(١) ربما كان « يسوع » يشير بيده إلى القارب ومعداته ، والشبك المكتنز  
بالصيد وهو يوجه سؤاله لتلميذه : أتجبن أكثر من هذه ؟ هل أنت على استعداد  
أن تضحي بكل خططك المادية ، أحلامك الجسدية .. مطامعك في تجارة رابحة  
ومكاسب وفيرة ؟ هل أنت على استعداد أن تترك هذه كلها في سبيل خدمتي  
وعمل وريح النفوس ؟ هل أنت على استعداد أن تترك الراحة ، والمال ،  
والبيت الهادئ ، والحياة الناعمة ، وتعتنق الفاقة والجوع والاضطهاد والعار  
والمتابع في سبيلي ؟ لقد كان هذا تحديا لبطرس ليصل إلى قراره الأخير الحازم  
ولتكون هذه الساعة نقطة ختام وانتهاء ، كما هي نقطة بدء وانطلاق . نقطة  
ختم حياته الماضية ، كما نقطة بداية لحياته الجديدة في خدمة المسيح وورعية المسيح  
(ب) وقد يكون يسوع أشار بيده إلى بقية التلاميذ المحيطين به وقال لبطرس  
باسمعان بن يونا أتجبن أكثر من اخوتي هؤلاء ؟ ولعله أراد أن يذكره  
بالليلة التي هتف فيها أمام سيده « وإن شك فيك الجميع فانا لأشك أبدا ...  
ولو اضطرت أن أموت معك لأنكرك (متى ٢٦ : ٣٣) لعله أراد  
أن يذكره برفق ، كيف أنه في ساعة سابقة اعتمد على نفسه ، وظن أنه يستطيع

بمقدرته أن يقف في وجه العاصفة، لكن الشجاعة خائنه ، هذا المعنى الثاني هو الذى يبدو أكثر احتمالاً ، لأن «بطرس» في جوابه للسيد لا يشير إلى مقارنة بينه وبين الأشياء المادية بل يقول بكل انضاع (أنت تعلم أنى أحبك) .

٢ - الأمر الثاني نلاحظ فيه تكرار يسوع لنفس السؤال . لقد كرره ثلاث مرات ، وهناك سبب لهذا التكرار لقد أنكر «بطرس» سيده ثلاث مرات لذلك أراد أن يذكره بسقطته المثلثة ، كما أراد أن يعطيه الفرصة للتأكيد محبته لسيدة بعدد المرات التى أكد فيها إنكاره له . لقد كانت هذه لفظة موبخة كما كانت لفظة رحيمة أعطى فيها «يسوع» تلميذه الفرصة ليحوى ذكرى الإنكار المثلث بإعلان مثلث لمحبته ..

٣ - نلاحظ أيضاً ما قدمته تلك المحبة لبطرس .

(أ) لقد أعطته المحبة مجالاً للخدمة . إن كنت تحبني حقاً ، إن كنت تعلن محبتك أمام الآخرين .. فأمامك الدليل الصادق .. أمامك المجال لإثبات تلك المحبة .. ابذل نفسك في رعاية غنمى .. إرع حملاني . اننا نستطيع أن نثبت محبتنا ليسوع ، بمحبتنا لشعب «يسوع» وقطيعه . إن محبة السيد أعظم امتياز لنا في الوجود ، لكنها تتضمن أعظم مسئولية .

(ب) وأعطته المحبة صليلاً . فنحن نستمع إلى السيد يقول له «لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشى حيث تشاء ، ولكن متى شخت فإنك تمد يديك وآخر بمنطقك وتحملك حيث لا تشاء» .. نعم لقد أتى عليه الوقت الذى مد فيه يديه ليسمر على الصليب ، ودفع إلى طريق ما كان يختاره ويرضاه .. لقد أتى الوقت الذى استشهد فيه «بطرس» في مدينة روما ، وختم على شهادته لسيدة بشهادته بدمه ... لقد أتى الوقت الذى سمر فيه على الصليب منكس الرأس ، لأنه حسب نفسه غير مستأهل أن يصلب مثل سيده ، لقد أتت المحبة لبطرس بامتياز ، وقدمت له

خادمة . كما أعطته صليباً ، إن المحبة تتضمن المسئولية ، وتتضمن التضحية .  
فإذا كنا نحب يسوع حقاً ، فعلينا أن نعمل عمل «يسوع» ، ونقوم بخدمة  
«يسوع» ، ونحمل صليب «يسوع» .

لذلك لم يكن عبثاً أن يضيف البشير هذا الأصحاح الأخير . ولم  
يكن بلا جدوى أن يسجل في أصحابه هذا الحدث ، لقد سجله ليعلن أن  
«بطرس» هو راعي رعية المسيح ، كثيراً ما يلد للبعض - وهذا كان شأن  
الكنيسة منذ أقدم العصور - أن يعتقدوا مقارنة فيمن هو الأعظم بين  
تلاميذ المسيح ، فهناك من قال إنه «يوحنا الحبيب» لأنه رفع البشرية إلى قدم  
الشركة الحية مع الله ، بأجنحة أفكاره الروحية السامية ، وهناك من قال إنه  
«بولس» رسول الأمم ، لأنه راح يذرع الدنيا ، وبجابه المخاطر ،  
ويتحمل المشاق ، في سبيل رفع لواء للسبح ، ولكن هذا الأصحاح يرفع  
بطرس رسول الختان وسط القمم الرفيعة ، ويفسح له مكاناً هناك ،  
فقد لا تكون له موهبة «يوحنا» ، ونظرته الروحية الثاقبة ، وقلمه الناري ،  
وأفكاره المجنحة ، وقد لا تكون له المقدرة على قطع المسافات وسط  
الوعور والجبال والغابات ، وخوض الأنهار ، ومجابهة أخطار البحار ،  
ومواجهة الوحوش الآدمية في سبيل نشر الدعوة المسيحية ، ولكن يكفي  
أن الرب قد وهبه التكليف المجيد بأن يكون راعي رعية المسيح .

وهنا نستطيع أن نجد طريقاً نسير في إثر خطواته ، فقد لا تكون لنا  
موهبة يوحنا ، وقد لا نستطيع أن نتمثل ببولس في غيرته وخدمته ، ولكن  
كل واحد منا يستطيع أن يصبح راعياً ولو في دائرة أسرته .. يستطيع أن  
يرعى أبناءه وأفراد أسرته من الضلال والانحراف ، يستطيع أن يطعمهم  
كل حين بطعام الكلمة الإلهية الحية ..

## الشهادة للمسيح

فَأَلْتَفَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التَّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ  
يُحِبُّهُ يَتَّبِعُهُ وَهُوَ أَيْضاً الَّذِي أَتَكَأَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَتَ الْعِشَاءِ  
وَقَالَ يَا سَيِّدُ مَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُكَ . فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ  
هَذَا قَالَ لِيَسُوعَ يَا رَبُّ وَهَذَا مَا لَهُ . قَالَ لَهُ يَسُوعُ إِنَّ  
كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ . أَتَبْعِي أَنْتَ .  
فَدَاعَ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الْأَخْوَةِ إِنَّ ذَلِكَ التَّلْمِيذَ لَا يَمُوتُ .  
وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ . بَلْ إِنْ كُنْتُ  
أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ

هَذَا هُوَ التَّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا .  
وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا  
يَسُوعُ إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ  
نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ .

آمِينَ

( يوحنا ٢١ : ٢٠-٢٤ )

هذه الفقرة تطهر لنا أن «يوحنا» لا بد أنه امتد به العمر إلى سن متقدمة للغاية ، لقد وصلت به السن إلى الحد الذي قيل فيه إنه لن يدوق الموت حتى يرى «يسوع» في مجيئه للعالم ثانية ، وكما أن الفقرة السالفة قدمت لبطرس مكانته ومركزه وتكليفه بالعمل ، فإن الفقرة حددت ليوحنا أيضاً مكانه ، لقد كانت وظيفة «يوحنا» أن يكون شاهداً للمسيح ، ولعل جمهور الكنيسة كان يعتقد له أن يعقد المقارنة بين ما قام به رسل المسيح في حقل الخدمة ، لعله تحدث عن «بولس» ، كمن قطع البراري والوعور ، ووصل إلى نهاية الوجود ورفع مشعل الإنجيل في أكثر من بلد ، ولعله تحدث عن «بطرس» كمن قام برعاية الكنيسة الأم في ربوع اليهودية ، ولكن أكثر من واحد كان يتساءل : وما هو مركز «يوحنا» ؟ لقد استمر يحيا في ربوع مدينة أفسس ، حتى بلغ من العمر أقصاه أو أقساه . وقيل إن قدماء عجزتا عن حمل جسده فكانوا يحملونه ، ترى ماذا كان عمله في الكنيسة الأولى ؟ - هنا الجواب : قد نتحدث عن «بولس» فنقول إنه بطل المسيح ، أما «يوحنا» فنستطيع أن نسماه شاهد المسيح ، إنه شاهد عيان للأحداث التي ينادى بها ، فهو وحده الذي يستطيع أن يقول «الذي كان من البدء» ... الذي سمعناه .. الذي رأيناه بعبوننا .. الذي شاهدناه ولمسته أيدينا .

وحتى يومنا الحاضر ، فإن الاختبار المسيحي هو أعظم الأدلة على صدق المسيحية ، فالمسيحي هو الذي يستطيع أن يشهد قائلاً « إنني أعرف المسيح ، لأنني اختبرته في حياتي » وهكذا في ختام البشارة ، يقدم لنا الوحي صورتين مميزتين للكنيسة الرسولية ، الأولى صورة «بطرس» والثانية صورة «يوحنا» ، ولكل أعطى السيد وظيفته الخاصة ، لقد كانت وظيفة بطرس أن يرعى رعية المسيح ، وأن يهتم بحياته وخدمته بدمه ، وكانت وظيفة «يوحنا» أن يشهد لقصة حياة المسيح ، وأن تتقدم به العمر في شهادته الحية الخالدة



ويغمض عينيه في سلام ، هذا لن يجعل منهما شخصيتين متنافستين ، أو صورتين تحلو بينهما المقارنة في الكرامة والخدمة ، فليس هذا أعظم ، ولا ذاك أقل ، إنهما خادمان متآزران يكمل أحدهما الآخر ، ولا تستغنى خدمة الواحد عن خدمة الثاني ، دع هذا يخدم في مجاله ، ودع ذلك يخدم في دائرته ، كما قسم السيد لكل واحد عمله ، إن «يسوع» يقول لبطرس « دع عنك التطلع إلى سواك اهتم أنت بعملك ، اتبعني أنت ... ينبغي أن يكون هذا شعارنا ، ينبغي ألا نقارن أنفسنا بالآخرين ، أو نقيس أنفسنا على سوانا ، ينبغي أن نضع نصب أعيننا المقياس الأسمى الذي وضعه لنا السيد ، والخدمة التي كلفنا بها ، فمجدنا ليس في مقارنة أنفسنا بغيرنا ، بل في وصولنا إلى المقياس الأسمى الذي وضعه لنا السيد ، وقيامنا بالواجب الذي كلفنا به ..

## المسيح غير المحدود

« وأشياء أخرى كثيرة صنع «يسوع» ...

( يوحنا ٢١ : ٢٥ )

في هذا الأصحاح الأخير يتقدم كاتب البشارة الرابعة بحقائق عظيمة للكنيسة ، فهو يذكرها بحقيقة قيامة الرب يسوع من بين الأموات ، وهو يذكرها بعمومية رسالتها وشمولها للعالم أجمع ، وهو يصدر أمامها ما يؤكد أن بطرس ويوحنا ليسا متنافسين في مجال الخدمة والكرامة ، بل أن بطرس هو الراعي الكبير ، ويوحنا هو الشاهد الكبير .

وهكذا يأتي البشير إلى ختام بشارته ، وإذ يتسك بالقلم ليكتب الكلمات الختامية ، يسطع عليه نور المسيح ، وجلال المسيح ، وأمجاد المسيح ، فتبهر هذه كلها نظره ، فهتف لقارئيه : « ومهما تحدثنا ، ومهما أظلمنا ، ومهما حاولنا ، فكيف بنا نستطيع أن نصل إلى أعماق المسيح ؟ إنه المحيط

الحضرم الزاخر، الذى يحنى فى باطنه كنوز آتجل عن الوصف ، مهما عرس  
عنه ، فلم نعرف إلا النذر اليسير ، ومهما ذكرنا من معجزاته ، فما هذه  
إلا قطرات من مياه البحار ، ومهما وفقنا فاغرى الأفواه ، أمام ما اختبرناه  
من عظمته وسموه ، وجلاله ، فهناك فى ذلك المذخر فيه كل كنوز  
الحكمة والعلم والأعجاب ، ما يثير دهشتنا ، وعجبنا ، أكثر ، ويهر أنظارنا  
أكثر فأكثر .. إن كلمات البشر تعجز عن أن تصف المسيح ، وكتب البشر  
لا تكفى لكى تحوى المسيح ، وهكذا يحتم التلميذ الحبيب بشارته الرائعة المجيدة ،  
بالحديث عن المسيح كلى النصرة .. المسيح كلى القدرة .. المسيح غير المحدود  
فى نعمته وأعجابه ..



Bibliotheca Alexandrina



0376975